

كتاب الأغاني
الجزء الرابع عشر



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• الدار الشامية للطباعة

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية

بوليفار نزيه البرزي - ص.ب: ٢٢١

تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١

صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان
مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو
بأي طريقة، سواء كانت الكترونية أو بالتصوير،
أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من
الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb

E. Mail alassrya@cyberia.net.lb

info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

أخبار الحُصين بن الحُمَام ونسبه

نسبه :

هو الحُصين بن الحُمَام بن ربيعة بن مُساب بن حَرَام بن وائلة بن سَهْم بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الرّيث بن عطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار .

مكانته في قومه :

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة قال : كان الحُصين بن الحُمَام سيّد بني سَهْم بن مُرّة . وكان خُصيلة بن مُرّة وصِرمَة بن مُرّة وسَهْم بن مُرّة أمّهم جميعاً حُرقة بنت مَعْنَم بن عوف بن بليّ بن عمرو بن الحاف^(١) بن قُضاعة ، فكانوا يداً واحدة على مَن سواهم ، وكان حُصين ذا رأيهم وقائدهم ورائدهم ، وكان يقال له : مانع الضّيم .

وفود ابنه على معاوية :

وحدثني جماعة من أهل العلم أن ابنه أتى باب معاوية بن أبي سفيان ، فقال لأذنه : استأذن لي على أمير المؤمنين ، وقل : ابن مانع الضّيم ، فاستأذن له ؛ فقال له معاوية : ويحك ! لا يكون هذا إلا ابن عُروة بن الوَرْد العبسي ، أو الحُصين بن الحُمَام المرّي ، أدخله . فلما دخل إليه قال له : ابن من أنت ؟ قال : أنا ابن مانع الضّيم الحُصين بن الحُمَام ؛ فقال : صدقت ، ورفع مجلسه وقضى حوائجه .

أخبرني ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة ، قال :

كان ناس من بطنٍ من قُضاعة يقال لهم : بنو سلامان بن سعد بن زيد بن الحاف بن قُضاعة . وبنو سلامان بن سعد إخوة عُذرة بن سعد ، وكانوا حلفاء لبني صرمَة بن مُرّة ونزولاً فيهم . وكان الحُرقة وهم بنو حُميس بن عامر بن جُهينة حلفاء لبني سَهْم بن مُرّة ، وكانوا قوماً يرمون بالنبل رمياً سديداً ، فسُمُوا الحُرقة لشدة قتالهم .

(١) الحاف : هو الحافي ، بالياء حذفِ اكتفاء بالكسرة ، لكثرة الاستعمال .

وكانوا نزولاً في حلفائهم بني سهم بن مرة. وكان في بني صرمة يهودي من أهل تيماء يقال له جُهينة بن أبي حَمَل. وكان في بني سهم يهودي من أهل وادي القرى يقال له غصين بن حيّ، وكانا تاجرَيْن في الخمر. وكان بنو جوشن - أهل بيت من عبد الله بن غطفان - جيراناً لبني صرمة، وكان يتشاءم بهم ففقدوا منهم رجلاً يقال له خُصيلة كان يقطع الطريق وحده. وكانت أخته وإخوته يسألون الناس عنه، وينشدونه في كل مجلس وموسم، فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود الجوشني في بيت غُصين بن حيّ جار بني سهم يتتبع خمرأ، فبينما هو يشتري إذ مرّت أخت المفقود تسأل عن أخيها خُصيلة، فقال غُصين:

تُسائل عن أخيها كل ركبٍ وعند جُهينة الخبر اليقينُ
[الوافر]

فأرسلها مثلاً، يعني بجُهينة نفسه. فحفظ الجوشني هذا البيت، ثم أتاه من الغد فقال له: نشدتك الله ودينك، هل تعلم لأخي علماً؟ فقال له: لا وديني لا أعلم، فلما مضى أخو المفقود تمثّل:

لعمرك ما ضلّت ضلال ابن جوشنٍ حصاةً بليلٍ ألقىت وسط جندلٍ^(١)
[الطويل]

- أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد، وأن هذا لا يوجد أبداً - فلما سمع الجوشني ذلك تركه، حتى إذا أمسى أتاه فقتله. وقال الجوشني:

طعنتُ، وقد كاد الظلام يُجنّني^(٢) غُصين بن حيّ في جوار بني سهم
[الطويل]

فأتى حصين بن الحمام ف قيل له: إن جارك غصيناً اليهودي قد قتله ابن جوشن جار بني صرمة. فقال حصين: فاقتلوا اليهودي الذي في جوار بني صرمة، فأتوا جُهينة بن أبي حمل فقتلوه. فشدّ بنو صرمة على ثلاثة من حُميس بن عامر جيران بني سهم فقتلوهم. فقال حصين: اقتلوا من جيرانهم بني سلامان ثلاثة نفر، ففعلوا. فاستعر الشرُ بينهم. قال: وكانت بنو صرمة أكثر من بني سهم رهط الحصين بكثير. فقال لهم الحصين: يا بني صرمة، قتلتم جارنا اليهودي فقتلنا به جاركم اليهودي، فقتلتم من جيراننا من قُضاة ثلاثة نفر وقتلنا من جيرانكم بني سلامان ثلاثة نفر، وبيننا وبينكم رحم مائة قرية، فمروا من جيرانكم من بني سلامان فيرتحلون عنكم، ونأمر

(١) الجندل: الصخر.

(٢) يُجنّني: يسترني.

جيراننا من قُضاة فيرتحلون عنا جميعاً، ثم هم أعلم. فأبى ذلك بنو صِرمة، وقالوا: قد قتلتم جارنا ابن جوشن، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلاً من جيرانكم؛ فإنك تعلم أنكم أقلُّ منّا عدداً وأذلّ، وإنما بنا تغرّون وتُمنعون. فناشدَهُم الله والرحم فأبوا. وأقبلت الخُضر^(١) من محارب، وكانوا في بني ثعلبة بن سعد، فقالوا: نشهد نهب بني سهم إذا انتهبوا فنصيب منهم. وخذلت غطفان كلُّها حصيناً، وكرهوا ما كان من منعه جيرانه من قُضاة. وصافَهُم حصينُ الحرب وقتلهم ومعه جيرانه، وأمرهم ألا يزيدوهم على النبل، وهزمَهُم الحصين، وكفَّ يده بعد ما أكثرَ فيهم القتل. وأبى ذلك البطلُ من قُضاة أن يكفُّوا عن القوم حتى أئخنوا^(٢) فيهم. وكان سنان بن أبي حارثة خذل الناس^(٣) عنه لعداوته قُضاة، وأحبَّ سنان أن يهَبَ الحيَّان من قُضاة، وكان عيينة بن حصن وزبَّان بن سيَّار بن عمرو بن جابر ممن خذل عنه أيضاً. فأجلبت بنو ذبيان على بني سهم مع بني صِرمة، وأجلبت مُحارب بن خصفة معهم. فقال الحصين بن الحمام في ذلك من أبيات:

شعره في لوم بني عمه على تجردهم لقتاله:

ألا تقبلون النصف^(٤) منّا وأنتم
سنأبى كما تابون حتى تليّنكم
أيؤكل مولانا^(١١)؟ ومولى ابن عمنا
فتلك التي لم يعلم الناس أنني
فليتكم قد حال دون لقائكم
أجدي لا ألقاكم الدهر مرةً

بنو عمنا! لا بلّ هامكم^(٥) القطر^(٦)
صفائح^(٧) بصرى^(٨) والأسنة^(٩) والأصر^(١٠)
مقيم ومنصور كما نصرت جسر^(١٢)
خنعت^(١٣) لها حتى يغيبني القبر
سنون ثمانٍ بعدها حجج^(١٤) عشر
على موطنٍ إلا خدودكم صعر^(١٥)

(١) الخضر: هم بطن من قيس عيلان، سموا بذلك لخضرة ألوانهم.

(٢) أئخنوا فيهم: أعملوا فيهم سيوفهم، فأكثرُوا فيهم قتلاً.

(٣) خذل الناس عنه: عمل على عدم مساعدتهم له.

(٤) النصف: العدل والإنصاف. (٥) الهام، الواحدة هامة: الرأس.

(٦) القطر: المطر المنهمر. (٧) الصفائح: السيوف العريضة.

(٨) بصرى: من مدن الشام. (٩) الأسنة: الرماح.

(١٠) الأصر: الحبس. (١١) مولانا: حلفاؤنا من أقرباء وسواهم.

(١٢) جسر: هم بطن من قيس عيلان. (١٣) خنعت: خضعت وذلت.

(١٤) الحجج، الواحدة حجة: السنة.

(١٥) خدودكم صعر، الواحد أصعر: المائل الوجه تكبراً واحتقاراً للناس.

إذا ما دعوا للبغي قاموا وأشرق
وجوههم، والرُّشد وردَّ له نفر^(١)
فواعجبا حتى خصلة أصبحت
موالي عزَّ لا تحلُّ لها الخمر!
[الطويل]

- قوله: موالي عزَّ، يهزأ بهم. ولا تحلُّ لهم الخمر، أراد فحرَّموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز، وليسوا هناك -:

ألما كشفنا لامة^(٢) الذلَّ عنكم
تجرَّدت^(٣) لا برُّ جميل ولا شكر
فإن يك ظنِّي صادقاً تجزٍ منكم
جوازي الإله، والخيانة والغدر
[الطويل]

قال: فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم، وغازتهم بنو ذبيان ومحارب بن خصة. وكان رئيس محارب حميضة بن حرملة. ونكصت^(٤) عن حصين قبيلتان من بني سهم وخانتاه، وهما عدوان وعبد عمرو ابنا سهم، فسار حصين، وليس معه من بني سهم إلا بنو وائلة بن سهم وحلفاؤهم وهم الحرقة، وكان فيهم العدد، فالتقوا بدارة موضوع^(٥). فظفر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر. وقال الحصين بن الحُمام في ذلك:

جزى الله أفناء^(٦) العشيرة كلَّها
بني عمنا الأدنين منهم ورهطنا
ولمَّا رأيت الودَّ ليس بنافعي
صبرنا وكان الصبر منَّا سجيَّةً^(١٠)
نُفلق هاماً من رجالٍ أعزَّة
بدارة موضوع عُقوقاً^(٧) ومأثماً^(٨)
فزاره إذ رامت^(٩) بنا الحرب مُعظما
وإن كان يوماً ذا كواكب مُظلمما
بأسيفنا يقطعن كفًا ومِعصما
علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلمما

(١) نفر: القوم يبادرون إلى القيام بالأمور.

(٢) اللامة: الدرع، ولامة الذل: لباس العار والمذلة.

(٣) تجرَّد لأمر ما: كرس نفسه له كلياً.

(٤) نكص: تقهقر، وتردَّد بالقيام بأمر ما.

(٥) دارة موضوع: مكان بين ديار بني مرَّة وديار بني شيبان.

(٦) أفناء العشير، الواحد فنو: المجموعة من قبائل شتى.

(٧) العقوق: الكفران بجميل الوالدين والأقرباء.

(٨) المأثم: فعل كل ما هو مكروه ومنكر.

(٩) رامت: قصدت بأن توقعنا بأن نار حرب ما.

(١٠) السجية: الخلق.

نُطاردهم نستنقذ الجُرد^(١) بالقنا^(٢) ويستنقذون السّمهريّ المقوّمًا
- نستنقذ الجرد، أي نقتل الفارس فنأخذ فرسه. ويستنقذون السّمهريّ وهو القنا
الصلب، أي نطعنهم فتجرّهم الرماح -:

لَدُنْ غُدُوَّةٍ^(٣) حَتَّى أَتَى اللَّيْلَ مَا تَرَى مِنْ الْخَيْلِ إِلَّا خَارِجِيًّا مُسَوِّمًا^(٤)
وَأَجْرَدَ كَالسَّرْحَانِ يَضْرِبُهُ النَّدَى^(٥) وَمَجْبُوكَةً^(٦) كَالسَّيْدِ^(٧) شَقَاءَ^(٨) صِلْدِمًا^(٩)
يَطَّانَ مِنَ الْقَتْلِ وَمَنْ قَصَدَ الْقَنَا^(١٠) خَبَارًا^(١١) فَمَا يَجْرِيْنَ إِلَّا تَقَحُّمًا^(١٢)
عَلَيْهِنَّ فَتِيَانٌ كَسَاهُمْ مُحَرَّقٌ^(١٣) وَكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادَ وَأَكْرَمًا
صَفَائِحَ^(١٤) بُصْرَى أَخْلَصَتْهَا قِيُونُهَا^(١٥) وَمُطَرَّدًا^(١٦) مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ^(١٧) مُبْهِمًا^(١٨)
جَزَى اللَّهُ عَنَا عَبْدَ عَمْرٍو مَلَامَةً وَعَدَوَانِ سَهْمٍ مَا أَذَلَّ وَأَلَامًا
فَلَسْتُ بِمَبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ وَلَا مُرْتَقِي^(١٩) مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا
[الطويل]

- (١) الجرد من الجياد، الواحد أجرد: وهو الحصان القصير الشعر، وهو محمود عند العرب.
- (٢) القنا: الرماح، والسّمهريّ منها: المنسوبة إلى رجل يسمّى سمهر كان يثقف الرماح.
- (٣) الغدوة: الفترة الصباحية ما بين صلاة الفجر وشروق الشمس.
- (٤) الخيل الخارجية المسوّمة: هي المميّزة بجودتها وتفوّقها عن سواها، وقد قام فرسانها بتمييزها بإشارات تميّز بها فرسانها.
- (٥) الندى: الجود، الكرم.
- (٦) المحبوك من الجياد: القوي في هيكله.
- (٧) السيد: الذئب.
- (٨) الشقاء من الخيول، الذكر أشق والأنثى شقاء: هو الذي يميل في عدوه ذات اليمين والشمال، ويمتاز بطوله.
- (٩) الصلدم من الجياد: القوي الذي يمتاز بشدّة حوافره.
- (١٠) قصد القنا: تكسّر الرماح.
- (١١) الخبر من الأراضي: ما لان وانتشرت فيه الأحجار.
- (١٢) التقحّم: الهجوم المفاجئ في الغمرات.
- (١٣) محرّق: هو لقب الملك الحارث بن عمرو الغساني، الذي أحرق أعداءه من العرب في مواطنهم التي غزاها.
- (١٤) صفائح بصرى: السيوف العريضة المصنوعة في بصرى الشام.
- (١٥) القيون، الواحد قين: الحدّاد.
- (١٦) المطرد من الدروع: الذي شدّت حلقاته الحديدية والتحت.
- (١٧) نسج داود: صناعة سيدنا داود عليه السلام، فقد اشتهر بصناعة الدروع من الحديد.
- (١٨) المبهم من الدروع: الذي تمت صناعته فلا مجال لوجود نقص فيه يُلام عليه.
- (١٩) المرتقي: الصاعد.

رثاؤه نعيم بن الحارث :

وقال أبو عبيدة :

وقتل في تلك الحرب نعيم بن الحارث بن عباد بن حبيب بن وائلة بن سهل ،
قتلته بنو صرمة يوم دارة موضوع ، وكان واداً للحصين ، فقال يرثيه :

قتلنا خمسة ورموا نعيماً وكان القتل للفتيان زينا
لعمرو الباقيات على نعيم لقد جلت رزيتته^(١) علينا
فلا تبعد نعيم فكل حي سيلقى من صروف الدهر^(٢) حيناً^(٣)
[الوافر]

لومه بني حميس حين فارقوا قومه :

قال أبو عبيدة :

ثم إن بني حميس كرهوا مجاورة بني سهم ففارقوهم ومضوا ، فلحق بهم الحصين بن
الحمام فردهم ولأمهم على كفرهم نعمته وقتاله عشيرته عنهم ، وقال في ذلك :

إن امرأ بعدي تبدل نصركم بنصر بني ذبيان حقاً لخاسر^(٤)
أولئك قوم لا يهان ثوبهم^(٥) إذا صرحت كحل^(٦) وهب الصنابر^(٧)
[الطويل]

وقال لهم أيضاً :

ألا أبلغ لديك أبا حميس وعاقبة الملامة للمليم^(٨)
فهل لكم إلى مولى تصور وخطبكم من الله العظيم
فإن دياركم بجنوب بس^(٩) إلى ثقف إلى ذات العظوم^(١٠)

(١) حلت رزيتته : عظمت المصيبة فيه .

(٢) صروف الدهر : مصائبه وويلاته .

(٣) الحين : الموت ، الهلاك .

(٤) الخاسر : النازل في ضيافة القوم وحمائهم .

(٥) الكحل من السنين : الماحلة ، المجدية .

(٦) الصنابر من الرياح : الشديدة البرودة .

(٧) المليم : المستحق اللوم لسوء تصرفه .

(٨) بس : أورد الفيروزآبادي في القاموس المحيط أن بس بيت قام ببناؤه ظالم بن أسعد توفيراً لبني قومه

من غطفان على القيام إلى مكة للحج ، وكان قد اقتلع من صخرتي الصفا والمروة حجرين فجعلهما

للسعي ، ولقد تمكن زهير بن جناب من قتل ظالم بن أسعد ثم هدم ذلك البيت .

(٩) ثقف وذات العظوم : موضعان .

- بُسّ: بناء بنته غطفان شَبَّهوه بالكعبة، وكانوا يحجونه ويعظمونه ويسمونهم حرماً، فغزاهم زهير بن جناب الكلبي فهدمه -:

غدتكم في غداة الناس حُجَّاً غداء الجائع الجدع^(١) اللئيم
فسيروا في البلاد وودّعوننا بقحط الغيث^(٢) والكلّ الوخيم
[الوافر]

قال أبو عبيدة: قال عمرو:

زعموا أن المثلّم بن رباح قتل رجلاً يقال له: حُباشة في جوار الحارث بن ظالم المَرّي، فلحق المثلّم بالحصين بن الحمام، فأجاره. فبلغ الحارث بن ظالم، فطلب الحصين بدم حُباشة، فسأل في قومه وسأل في بني حميس جيرانه، فقالوا: إنا لا نعقل^(٣) بالإبل، ولكن إن شئت أعطيناك الغنم. فقال في ذلك، وفي كفرهم نعمته:

خليلي لا تستعجلاً أن تزوداً وأن تجمعاً شملي وتنتظراً غدا
فمالبت يوماً بسائق مَغنم ولا سرعةً يوماً بسابقة غدا
وإن تُنظراني^(٤) اليوم أقضُ لُبانةً^(٥) وتستوجبا متاً عليّ وتحمدا
لعمرك إنني يوم أغدو بصرمتي^(٦) تناهي^(٧) حُميس بادئين وعُوداً
وقد ظهرت منهم بوائقُ جَمّة^(٨) وأفزع^(٩) مولاهم بنائهم أصعداً
وما كان ذنبي فيهم غير أنني بسطتُ يداً فيهم وأتبعتهما يدا
وأني أحامي من وراء حريمهم إذا ما المنادي بالمغيرة^(١٠) ندداً^(١١)
إذا الفوج لا يحميه إلا محافظٌ كريم المحيّا ماجدٌ غير أجرداً

(١) الجدع: السيئ الغذاء.

(٢) قحط الغيث: انقطاع المطر ودبّ الجذب في الأرض.

(٣) لا نعقل: لا ندفع دية من قتلنا.

(٤) تنظراني: تتراكني وتفسحان لي المجال لأقضي حاجتي.

(٥) اللبانة: الحاجة.

(٦) الصرمة: القطعة من الإبل، وهي ما بين العشرين إلى الثلاثين.

(٧) تناهى حميس: اشترك القوم بنهي بعضهم بعضاً عن إعلام قوم الشاعر بمقدار الدية من الإبل.

(٨) بوائق جَمّة، الواحدة بائقة: الدواهي الكثيرة.

(٩) أفزع مولاهم: أنزلهم سيدهم بعيداً.

(١٠) المغيرة: من الخيول التي تفاجئ عدوها بالإغارة.

(١١) ندّد: رفع عقيرته بصوت عال محدّراً.

فإن صرّحت كحلّ وهبّت عريّة^(١) منّ الريح لم تترك لذي العرض^(٢) مرفداً^(٣)
صبرتُ على وطءِ الموالي^(٤) وخطبهم^(٥) إذا ضنّ ذو القربى عليهم وأجمداً^(٦)
[الطويل]

الحصين والبرج بن الجلاس:

أخبرني ابن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

كان البرج بن الجلاس الطائي خليلاً للحصين بن الحمام ونديماً له على
الشراب، وفيه يقول البرج بن الجلاس:

وندمانٍ يزيد الكأس طيباً سقيتُ، وقد تغوّرتِ النجومُ^(٧)
رفعتُ برأسه فكشفتُ عنه بمعرقةٍ^(٨) ملامةً من يلموم
ونشرب ما شربنا ثم نصحو وليس بجانبِي خدي كلوم^(٩)
ونجعل عبأها لبني جُعيلٍ وليس إذا انتشوا^(١٠) فيهم حلِيمُ^(١١)
[الوافر]

كانت للبرج أخت يقال لها العفاطة، وكان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم
فسكر وانصرف إلى أخته فافتضّها، وندم على ما صنع لَمّا أفاق، وقال لقومه: أيُّ
رجل أنا فيكم؟ قالوا: فارسنا وأفضلنا وسيّدنا. قال: فإنه إن علم بما صنعتُ أحد من
العرب أو أخبرتم به أحداً ركبت رأسي فلم تروني أبداً، فلم يسمع بذلك أحد منهم.
ثم إن أمةً لبعض طيء وقعت إلى الحصين بن الحمام، فرأت عنده البرج الطائي يوماً
وهما يشربان. فلما خرج من عنده، قالت للحصين: إن نديمك هذا سكر عندك ففعل
بأخته كَيْت وكَيْت، وأوشك أن يفعل ذلك بك كلما أتاك فسكر عندك. فزجرها
الحصين وسبّها، فأمسكت. ثم إن البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين بن
الحمام من الحرقة فأخذ أموالهم، وأتى الصريخُ الحصين بن الحمام، فتبع القوم،
فأدركهم، فقال للبرج: ما صبّك على جيرانِي يا برج؟ فقال له: وما أنت وهم هؤلاء
من أهل اليمن وهم مثا. وأنشأ يقول:

- (١) العرية من الرياح: الشديدة البرودة.
- (٢) العرض: السعة.
- (٣) المرفد: المعين.
- (٤) وطء الموالي: دوسهم.
- (٥) الخطب: ما ينزل الموالي به من ضيم.
- (٦) ضنّ ذوي القربى: بخلوا.
- (٧) تغوّرت النجوم: غابت.
- (٨) المعركة من الخمرة: هي التي زيد إليها قليل من الماء.
- (٩) الكلوم، الواحد كلم: الجراح.
- (١٠) انتشوا: سكروا.
- (١١) الحلِيم: الرشيد، العاقل.

أَتَى لَكَ الْحَرَقَاتِ فِيمَا بَيْنَنَا^(١) عَنْ^(٢) بَعِيدٌ مِنْكَ يَا بَنَ حُمَامٍ
أَقْبَلْتَ تَزْجِي نَاقَةً مُتَبَاطِئًا غُلَطًا تَزْجِيهَا بِغَيْرِ خُطَامٍ
[الكامل]

- تَزْجِي: تَسُوقُ. غُلَطًا: لَا خُطَامَ عَلَيْهَا وَلَا زَمَامَ، أَيِ أَتَيْتَ هَكَذَا مِنَ الْعَجَلَةِ -
فَأَجَابَهُ الْحُصِينُ بْنُ الْحُمَامِ:

بَرْجٌ يُوْثِمَنِي^(٣) وَيَكْفِرُ نَعْمَتِي صَمَمِي لِمَا قَالَ الْكَفِيلُ^(٤) صَمَامُ^(٥)
مَهْلًا أَبَا زَيْدٍ فَإِنَّكَ إِنْ تَشَاءُ أُوْرِدَكَ عُضْرُ^(٦) مَنَاهْلٍ أَسْدَامُ^(٧)
أُوْرِدَكَ أَقْلَبَةً^(٨) إِذَا حَافَلَتْهَا خَوْضُ الْقَعُودِ خَبِيئَةُ الْأَخْصَامِ^(٩)
أَقْبَلْتُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ بِذِمَّةٍ^(١٠) عُطْلًا أَسَوَّقُهَا بِغَيْرِ خُطَامٍ^(١١)
فِي إِثْرِ إِخْوَانٍ لَنَا مِنْ طِيٍّ لَيْسُوا بِأَكْفَاءَ^(١٢) وَلَا بِكَرَامٍ
لَا تَحْسِبَنَّ أَخَا الْعَفَاطَةِ أَنَّنِي رَجُلٌ بِخَبْرِكَ لَيْسَ بِالْعَلَامِ
فَاسْتَنْزَلُوكَ وَقَدْ بَلَلْتَ نَطَاقَهَا عَنْ بَنَاتِ أُمِّكَ وَالذُّيُولِ دَوَامِي
[الكامل]

ثم ناصب الحصين بن الحمام البرج الحرب، فقتل من أصحاب البرج عدة وهزم، سائرهم، واستنقذ ما في أيديهم، وأسر البرج، ثم عرف له حق ندامته وعشرته إياه فمن عليه وجزأ ناصيته وخلق سبيله. فلما عاد البرج إلى قومه وقد سبه الحصين بما فعل بأخته لأمرهم وقال: أشعتم ما فعلت بأختي وفضحتُموني، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهرهم فلحق ببلاد الروم، فلم يعرف له خبر إلى الآن.

(١) أُنِيَ لَكَ الْحَرَقَاتِ فِيمَا بَيْنَنَا: يَسْتَنَكِرُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا لَهُمْ.

(٢) عَنْ الشَّيْءِ: بَدَأَ وَظَهَرَ لِلْعَيَانِ.

(٣) يُوْثِمَنِي: يَتَّهَمُنِي بِأَنِّي أَثَمَ بِفَعْلٍ مَا يَنْكَرُهُ الشَّرْعُ.

(٤) الْكَفِيلُ: هُوَ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى ظَهْرِ الدَّوَابِ.

(٥) الصَّمَامُ مِنَ الدَّوَاهِي: الشَّدِيدَةُ الْوَقْعِ.

(٦) الْعُضْرُ مِنَ الْبَحْرِ، يَضُمُّ الْعَيْنَ: وَسْطُهُ.

(٧) مَنَاهْلُ أَسْدَامٍ: مَوَاضِعُ الْمِيَاهِ الَّتِي تَغَيَّرَتْ طَعْمًا وَلَوْنًا لِمُرُورِ الزَّمَانِ عَلَيْهَا.

(٨) الْأَقْلَبَةُ، الْوَاحِدُ قَلِيبٌ: الْآبَارُ.

(٩) الْأَخْصَامُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، الْوَاحِدُ خَصْمٌ: جَوَانِبُهُ وَأَطْرَافُهُ.

(١٠) الذِّمَّةُ مِنَ الْإِبِلِ: الْهَزِيلَةُ لَشِدَّةِ ضَعْفِهَا.

(١١) الْخُطَامُ: الرَّسَنُ.

(١٢) الْأَكْفَاءُ، الْوَاحِدُ كَفٌّ: الْمَشَابِهِينَ، الْأَمْثَالَ.

وقال ابن الكلبي: بل شرب الخمر صرفاً حتى قتله.

غارته على بني عقيل وبني كعب:

أخبرني ابن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

جمع الحصين بن الحمام جمعاً من بني عديّ ثم أغار على بني عقيل وبني كعب فأُخِن^(١) فيهم واستاق نعماً كثيراً ونساء، فأصاب أسماء بنت عمرو سيّد بني كعب فأطلقها ومنّ عليها، وقال في ذلك:

فَدَى لبني عديّ ركض ساقِي	وما جمعتُ من نعم مُراح ^(٢)
تركنا من نساء بني عُقِيل	أيامِي ^(٣) تبتغي عقد النكاح ^(٤)
أُرعيان الشّوي ^(٥) وجدتمونا	أم أصحاب الكريهة والنُّطاح
لقد علمتُ هوازن أنّ خيلي	غداة النّعف ^(٦) صادقة الصّباح
عليها كلُّ أروع ^(٧) هبرزيّ ^(٨)	شديد حده شاكي السّلاح ^(٩)
فكرّ عليهم حتى التقينا	بمصقول عوارضها ^(١٠) صباح ^(١١)
فأبنا ^(١٢) بالنّهاب وبالسبايا	وبالبيض الخرائد ^(١٣) واللقاح ^(١٤)
وأعتقنا ابنة العمريّ عمرو	وقد خضنا عليها بالقداح

[الوافر]

(١) أُخِنَ فيهم: أكثر فيهم القتل والجراح.

(٢) النعم: الإبل، والنعم المراح: هي التي ردت إلى المراعي تسرح بدون رقيب.

(٣) الأيامي، الواحدة أيم: هي من فقدت زوجها ومات عنها.

(٤) النكاح: الزواج.

(٥) الشوي من الشياه، الواحدة شاة.

(٦) النعف: موضع، وهو في الأصل ما انحدر من حزونة جبل ما وارتفع عن منحدر الوادي.

(٧) الأروع من الرجل: هو الشجاع الذي يثر الإعجاب.

(٨) الهبرزي من الرجال: الشجاع المقدم.

(٩) شاكي السلاح: المدجج الكمي.

(١٠) مصقول عوارضها، الواحد من العوارض عارضة: أي نسوة وجوههن ملساء دلالة على أنهن في مقتبل العمر.

(١١) صباح، الواحدة صبيحة: أي جميلات.

(١٢) أبنا: رجعنا.

(١٣) الخرائد، الواحدة خريدة: البكر من النسوة التي لم تمسّ.

(١٤) اللقاح، الواحدة لقّوح وهي من الإبل: التي تحمل في بطنها جنيناً.

إدراكه الإسلام وشعره الدال على ذلك :

أخبرنا ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيْدَةَ أَنَّ الحُصين بن الحمام أدرك الإسلام . قال : ويدلّ على ذلك قوله :

وقافية غير إنسيّة^(١) شرود^(٣) تلمّع بالخافقين^(٤) وحيران لا يهتدي بالنهار وداع دعا دعوة المستغيث إذا الموت كان شجاً^(٧) بالحلوق صبرت ولم أكن رعيّدة^(٨) ويوم تسعر فيه الحروب^(٩) مضعفة السرد^(١٢) عادية^(١٣) ومطرداً من ردينيّة^(١٦) فلم يبق من ذاك إلا التقى أمور من الله فوق السماء

قرضت^(٢) من الشعر أمثالها إذا أنشدت قيل : من قالها؟ من الظلّع^(٥) يتبع ضلالها وكنت كمن كان لبي^(٦) لها وبادرت النفس أشغالها وللصبر في الرّوع^(٩) أنجى لها لبست إلى الرّوع سربالها^(١١) وعَضِبَ المضارب^(١٤) مفصالها^(١٥) أذود عن الورد أبطالها ونفس تُعالج آجالها مقادير تنزل أنزالها^(١٧)

(١) قافية غير إنسية : أي من وحي الجن . (٢) قرض الشعر : أنشده .

(٣) الشرود من القوافي : القصيدة التي طبقت الآفاق شهرة وشيوغاً .

(٤) الخافقين : الشرق والغرب .

(٥) الظلّع : عرج الرجل في مشيته .

(٦) لبي لها : استجاب لها .

(٧) الشجاء : ما يعترض في حلق المرء من عظم وسواه .

(٨) الرعيّدة : الجبان .

(٩) الرّوع : المخافة في الحرب .

(١٠) تسعر الحروب : تشتعل نيرانها .

(١١) السربال : القميص ، والمقصود بذلك الدرع .

(١٢) مضعفة السرد : جيدة الحبك والنسج .

(١٣) عادية : قديمة العهد ، من عهد عاد ، فنسبت إليه .

(١٤) عضب المضارب : السيوف القاطعة .

(١٥) مفصالها : أي أنها تبتري بعنف الضرب بتلك السيوف .

(١٦) ردينية : رماح تنسب إلى ردينة ، وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرماح .

(١٧) أنزالها ، الواحد نزل : أي أنها تقع على ما يفني بحاجة حاملها من القتل .

أعوذ برَّبِّي^(١) مَن المُخزِيا
وَحَفَّ المِوازيْنُ بالكافِرين
وَنادى مُنادٍ بأهل القُبور
وَسُعِّرَتِ النارُ فيها العذاب
تِ يوم تَرى النفسُ أَعمالَها
وَزَلْزَلَتِ الأرضُ زَلْزالَها
فَهَبُوا التُّبرُزَ أثقالَها
وَكان السَّلاسلُ أَغلالَها
[المتقارب]

موته وراثاء أخيه إياه :

حدثنا ابن دريد، قال : حدثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيْدة، قال :
مات حُصَيْن بن الحمام في بعض أسفاره، فَسُمِعَ صائح في الليل يصيح لا
يُعرف في بلاد بني مُرَّة :
ألا هلك^(٢) الحُلُو الحلال الحُلاحلُ وَمَن عَقْدُهُ حَزْمٌ وَعِزْمٌ ونائل^(٣)
[الطويل]
- الحلو : الجميل . والحلال : الذي ليس عليه في ماله عيب . والحلاحل :
الشريف العاقل - :

وَمَن خطبه فصلٌ إذا القومُ أَفحموا يُصيب مرادي قوله مَن يُحاول
- المرادي : جمع مُرداة، وهي صخرة تُردى بها الصخور، أي تكسر -
قال : فلما سمع أخوه معيَّة بن الحمام ذلك قال : هلك، واللَّهُ ، الحصين، ثم
قال يرثيه :

إذا لاقيت جمعاً أو فئاماً^(٤) فإنني لا أرى كأبي يزيد
أشدَّ مَهابةً وأعزَّ ركناً
صفيّ وابن أمي والمواسي
كأنَّ مُصدراً يحبو ورائي
فإنني لا أرى كأبي يزيد
وأصلب ساعة الضَّراء عودا
إذا ما النفس شارفت الوريدا
إلى أشباله يبغي الأسود
[الوافر]

المصدر : العظيم الصدر، شبّه أخاه بالأسد .

(١) أعوذ بربي : ألجأ إليه واحتتمي بحماه .

(٢) هلك : مات .

(٣) النائل : العطاء، الهبة .

(٤) الفئام : الجمع من الناس .

صوت

لَا أَرْقُ اللَّهَ عَيْنِي مَنْ أَرَقْتُ لَهُ وَلَا مَلَا مِثْلَ قَلْبِي قَلْبَهُ تَرَحًّا^(١)
يَسْرُنِي سُوءُ حَالِي فِي مَسَرَّتِهِ فَكَلَّمَا أَزْدَدْتُ سُقْمًا زَادَنِي فَرَحًا
[البسيط]

الشعر لمحمد بن يسير، والغناء لأحمد بن صدقة، رملٌ بالوسطى.

(١) الترح: الحزن.

أخبار محمد بن يسير ونسبه

نسبه :

محمد بن يسير الرّياشي، يقال إنه مولّى لبني رِياش الذين منهم العباس بن الفرّج الرّياشي الأخباري الأديب، ويقال إنه منهم صُليبة. وبنو رِياش يذكرون أنهم من خثعم. ولهم بالبصرة خطّة^(١) وهم معروفون بها. وكان محمد بن يسير هذا شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين. متقلّلاً، لم يفارق البصرة ولا وفد إلى خليفة ولا شريف مُنتجعاً^(٢)، ولا تجاوز بلده، وصُحبته طبقته، وكان ماجناً هجّاء خبيثاً.

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدثنا ابن مهوريه قال: حدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان طارمة^(٣) قال:

قصته مع والي البصرة:

بعث إليّ محمد بن أيّوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان - وهو يتولّى البصرة حينئذٍ - في ليلةٍ صبيحتها يوم سبتٍ، فدخلت إليه، وقد بقي من الليل ثلثه أو أكثر. فقلت له: أنمت وانتبهت أم لم تنم بعد؟ فقال: قد قضيت حاجتي من النوم، وأريد أن أصطبح^(٤) وأبتدئ الساعة بالشرب، وأصل ليّلي بيومي محتجباً عن الناس، وعندني محمد بن ربّاح، وقد وجّهتُ إلى إبراهيم بن رِياش، وحضرت أنت، فمن ترى أن يكون خامسنا؟ قلت: محمد بن يسير. فقال: واللّه ما عدوت ما في نفسي. فقال لي ابن رباح: اكتب إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طيب هذا الوقت، وكان يوم غيم، والسماء تمطر مطراً غير شديد ولا متتابع؛ فكتب إليه ابن رباح:

(١) الخطّة: بضم الخاء: هي الأرض التي اختطت لعمارتها والسكن فيها.

(٢) المنتجع: طالب الرفد والمعونة.

(٣) الطارمة: بيت من خشب، فارسي معرّب.

(٤) إصطبح: شرب الخمرة في الصباح الباكر.

صوت

يَوْمٌ سَبَبْتُ وَشَنَبْتُ^(١) ورذاذِ فعلام الجلوس يابن يسير؟
 قُمْ بِنَا نَأْخُذُ الْمُدَّامَةَ^(٢) مَنْ كَ - فَ غَزَالٍ مُضْمَخٍ^(٣) بِالْعَبِيرِ^(٤)
 [الخفيف]

- في هذين البيتين لعباس أخى بحرٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ - وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالرَّقْعَةِ، فَإِذَا
 الْغُلَّامَانِ قَدْ جَاؤُوا بِالْجَوَابِ. فَقَالَ لَهُمَ: بَعَثْتُكُمْ لَتَجِئُونِي بِرَجُلٍ فَجِئْتُمُونِي بِرَقْعَةٍ!
 فَقَالُوا: لَمْ نَلْقَهُ، وَإِنَّمَا كَتَبَ جَوَابَهَا فِي مَنْزِلِهِ، وَلَمْ تَأْمُرْنَا بِالْهَجُومِ عَلَيْهِ فَهَجَمَ.
 فَقَرَأَهَا فَإِذَا فِيهَا:

أَجِيءُ عَلَى شَرْطٍ فَإِنْ كُنْتَ فَاعِلًا لِيَسْرَجَ لِي الْبَرْدُونُ^(٥) فِي حَالٍ دَلَجَتِي^(٦) وَإِلَّا فَلِإِنِّي رَاجِعٌ لَا أَنْظُرُ
 وَأَنْتَ بِدُلْجَاتِي مَعَ الصَّبْحِ خَابِرُ إِلَيْكَ، وَحَجَّامٌ^(٧) إِذَا جِئْتُ حَاضِرُ
 فَيَأْخُذُ مِنْ شَعْرِي وَيُصْلِحُ لِحْيَتِي وَمِنْ بَعْدِ حَمَّامٍ وَطِيبٍ وَجَامِرٍ^(٨)
 وَدَسْتِجَةٍ^(٩) مِنْ طِيبِ الرَّاحِ^(١٠) ضَخْمَةٌ يُرَوِّدْنِيهَا طَائِعًا لَا يَعَاسِرُ^(١١)
 [الطويل]

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ: مَا تَقُولُ؟ فَقُلْتُ: إِنَّكَ لَا تَقْوَى عَلَى مَطَاوِلَتِهِ، وَلَكِنْ
 أَضْمَنْ لَهُ مَا طَلَبَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ: قَدْ أَعَدْتُ لَكَ - وَحَيَاتِكَ - كُلَّ مَا طَلَبْتَ فَلَا تَبْطِئْ؛ فَإِذَا
 بِهِ قَدْ طَلَعَ عَلَيْنَا. فَأَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ بِإِحْضَارِ الْمَائِدَةِ، فَلَمَّا أَحْضَرَتْ أَمَرَ بِمُحَمَّدِ بْنِ
 يَسِيرٍ فَشَدَّ بِحَبْلِ إِلَى أَسْطَوَانَةٍ مِنْ أَسَاطِينِ الْمَجْلِسِ، وَجَلَسْنَا نَأْكُلُ بِحِذَائِهِ. فَقَالَ لَنَا:
 أَيُّ شَيْءٍ يَخْلُصُنِي؟ قُلْنَا: تُجِيبُ نَفْسُكَ عَمَّا كَتَبْتَ بِهِ أَقْبَحَ جَوَابٍ. فَقَالَ: كَفُّوا عَنِ

(١) شَنَبْتُ: مفردة فارسية، في معناها الفرح واللعب.

(٢) المدامة: من أسماء الخمرة.

(٣) مُضْمَخٌ: ملطخ حتى حالة الإشباع بالطيب.

(٤) العبير: الطيب.

(٥) البردون: البغل، وهو ما كانت أمه فرساً وأبوه حماراً.

(٦) الدلجة: المشي في الظلمة والعمية.

(٧) الحجام: الطبيب الذي يتعاطى مهنة الحجام، والحجامَة إراقة الدماء الفاسدة من جسم الإنسان.

(٨) الجامر: هو رجل يقوم بتبخير من استحم في الحمامات الشعبية.

(٩) الدستيجة من الأواني: تحوّل باليد وتنقل. فارسي معرّب.

(١٠) الرّاح: من أسماء الخمرة.

(١١) يُعَاسِرُ: يشاكس ويعانده.

الأكل إذاً ولا تستبقوني به فتشغلوا خاطري، ففعلنا ذلك وتوقّفنا، فأنشأ يقول:

أيا عجباً من ذا التسري^(١) فإنّه له نخوة في نفسه وتكأبرُ
يُشارط لَمَّا زار حتى كأنه مُغنٌ مُجيدٌ أو غلامٌ مُؤاجرُ
فلولا ذِمَامُ^(٢) كان بيني وبينه للطم^(٣) بشَّارٌ قفاه وياسرُ
[الطويل]

فقال محمد: حسبك، لم نرد هذا كله، ثم حلّه وجلس يأكل معنا، وتممنا يومنا.

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهبويه قال: حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال:

قصة شاة منيع معه وهجاؤه إياها:

كان محمد بن يسير من شعراء أهل البصرة وأدبائهم، وهو من خثعم وكان من بخلاء الناس، وكان له في داره بستانٌ قدره أربعة طوابيق^(٤) قلعتها من داره، فغرس فيه أصل رمان وفسيلة^(٥) لطيفة، وزرع حواليه بقلًا، فأفلتت شاة لجار له يقال له: منيع، فأكلت البقل ومضغت الخوص، ودخلت إلى بيته فلم تجد فيه إلا القراطيس^(٦) فيها شعره وأشياء من سماعاته، فأكلتها وخرجت، فعدا إلى الجيران في المسجد يشكو ما جرى عليه، وعاد فزرع البستان، وقال يهجو شاة منيع:

لي بستانٌ أنيقٌ^(٧) زاهرٌ ناضرُ الخُضرة رِيّان تَرفُ^(٨)
راسخُ الأعراق رِيّان الثرى غدِقٌ^(٩) تُربّته ليست تجفُ
لمجاري الماء فيه سُننٌ^(١٠) كيفما صرّفته فيه أنصرف
مُشرقُ الأنوار^(١١) مِيّاد الندى^(١٢) مُنثن في كل ريح مُنعطف

(١) التسري: البحث عن اللهو والسرور.

(٢) الذّمَام، بكسر الذال: الحرمة.

(٣) لطم: الضرب بعنف.

(٤) الطوابيق، الواحد طابق: الأجر الكبير.

(٥) الفسيلة: النخلة الصغيرة.

(٦) القراطيس، الواحد قرطاس: الدفاتر.

(٧) الأنيق من البساتين: ما يسرّ النظر إليه لجمال خضرته.

(٨) ترف: منعم.

(٩) الغدق: المترع ريّاً.

(١٠) السُنن، الواحدة سنة: الطرق.

(١١) الأنوار، الواحدة نور: ضرب من الأزهار، يختلط فيه البياض والصفرة.

(١٢) الندى: البَل، القطر.

فإذا لم يُؤنس^(١) الريح وقف
ومع الليل عليها يلتحف^(٢)
واجه الشرق تجلّى وانكشف
جُزَّ بالمنجل أو منه نُتِف
لم يُلبَّث^(٥) منه تعجيل الخلف^(٦)
فيه بل ينمي^(٧) على مسّ الأُكُف
صادراتٍ وارداتٍ تختلف
كلما احتاج إليه مُخترِف^(٨)
وسوى ذلك من كل الطُرف^(١٢)
برضا قاطفهم مما قطف
وعلى الأناف طوراً يَستشف^(١٥)
ثم لا أحفل أنواع التلف
يوم لا يُصبح في البيت علف
مُتعت في شرّ عيش بالخرف^(١٧)

تملك الريح عليه أمره
يكتسي في الشرق ثوبَي يُمْنَةٍ^(٢)
ينطوي الليل عليه فإذا
صابرٌ ليس يُبالي كثرةً
كلما ألحف^(٤) منه جانبٌ
لا ترى للكف فيه أثراً
فترى الأطباق لا تُمهله
فيه للخارف من جيرانه
أقحوان^(٩) وبهار^(١٠) مُونق^(١١)
وهو زهرٌ للندامى^(١٣) أصلاً^(١٤)
وهو في الأيدي يحيئون به
إعفٍه يارب من واحدةٍ
إكفٍه شاة منيع وحدها
إكفٍه ذات سُعالٍ شَهْلَةٍ^(١٦)

(١) يؤنس الريح: يُحسن به.

(٢) اليُمْنَةُ من الأثواب: ما يُصنع في بلاد اليمن ويؤشّى.

(٣) يلتحف: يُحسن التغطية.

(٥) لم يُلبَّث: لم يتوقّف بل استمرّ بالنمو.

(٦) الخلف: البديل.

(٧) ينمي: يزداد نمواً.

(٨) الخارف للأثمار: الجاني، القاطف.

(٩) الأقحوان، الواحدة أقحوانة من الأزهار: نبت يمتاز بطيب رائحته، حيث يجتمع فيه اللون الأبيض

مع الأصفر.

(١٠) البهار من الأزهار: يمتاز بطيب رائحته ولونه الأصفر.

(١١) المونق: الذي يثير الإعجاب لجماله.

(١٢) الطُرف، الواحدة طُرفة: كلّ ما هو جديد في نوعه.

(١٣) الندامى، الواحد نديم: جماعة الشرب الذين يتعاطون الخمرة.

(١٤) الأُصل، الواحد أصيل: الوقت بعد العصر وقبل غروب الشمس عند المساء.

(١٥) يستشف ما في قذح الخمرة: يرتشف ما فيه حتى الثمالة.

(١٦) الشهْلَةُ من النسوة: الهرمة لتقادم سنّها.

(١٧) الخرف من التمر: أردؤه.

إكفيه يا ربَّ وقصاء^(١) الطُّلى^(٢)
 وكلوح^(٣) أبداً مُفترةً^(٤)
 ونئوسُ الأنف^(٥) لا يرقا^(٦) ولا
 لم تزل أظلافها عافيةً^(٧)
 فتري في كل رجلٍ ويدٍ
 تنسف الأرض إذا مرّت به
 ترهج^(٨) الطُّرق على مُجتازها
 في يديها طُرق^(٩)، مشيتها
 فإذا ما سعلت وأحدودبت
 وأحصّ الشعر^(١٠) منها، جلدها
 ذات قرنٍ وهي جماء^(١١) إلا
 وإذا تدنوا إلى مُستعسب^(١٢)
 لا ترى تيساً عليها مُقدماً

أَلْجِمِ الكَتْفَيْنِ مِنْهَا بِالْكَتِفِ
 لَكَ عَنْ هُتَمِ^(١٣) كَلِيلَاتِ رَجُفٍ^(١٤)
 أَبداً تُبَصِّرُهُ إِلَّا يَكِفُ^(١٥)
 لَمْ يُظْلَفْ أَهْلُهَا مِنْهَا ظِلْفُ
 مَنْ بَقَايَاهُنَّ فَوْقَ الْأَرْضِ خُفٌّ^(١٦)
 فَلَهَا إِعْصَارُ ثَرِبٍ^(١٧) مُنْتَسَفٍ^(١٨)
 بِيَدٍ فِي الْمَشْيِ وَالْخَطْوِ الْقُطْفُ
 حَلَقَةُ الْقَوْسِ، وَفِي الرَّجْلِ حَنْفٌ^(١٩)
 جَاوِبُ الْبَعْرِ عَلَيْهَا فَخِصْفٌ^(٢٠)
 شَنَّةٌ^(٢١) فِي جَوْفٍ غَارٍ مُنْخَسَفٍ^(٢٢)
 أَنَّ ذَا الْوَصْفِ كَوْصِفٍ مُخْتَلَفٍ
 عَافِهَا^(٢٣) نَتْنًا إِذَا مَا هُوَ كَرَفٍ^(٢٤)
 رُمِيَتْ مِنْ كُلِّ تَيْسٍ بِالصِّلْفِ^(٢٥)

- (١) الوقصاء: المكسورة العنق. (٢) الطُّلى، الواحدة طلية: العنق.
 (٣) الكلوح من البشر: من تقلّصت شفته عن أسنانه فبان عوار الأسنان بين تكسير واختلال وبشاعة منظر.
 (٤) مفترّة: كاشفة عن أسنانها.
 (٥) الهُتَم: هو إبداء أسنان المرء المكسرة في فمه.
 (٦) رَجُف، الواحد رجوف: أي مضطربة لتقدمها في السن.
 (٧) نئوس الأنف: سيلانه لما يبدو على صاحبه من مرض.
 (٨) لا يرقاً: لا ينقطع سيلانه.
 (٩) يكف: يسيل، ينهمر.
 (١٠) عافية: كثيرة طويلة لم تقصّ.
 (١١) الخُفّ، بضم الخاء: ما يلبس في الأرجل.
 (١٢) إعصار ترب: الرياح التي تسفي التراب وتذروه.
 (١٣) منتسف: منتشر.
 (١٤) الخُفّ، بضم الخاء: ما يلبس في الأرجل.
 (١٥) شَنَّة: القربة الخلق الصغيرة.
 (١٦) الجماء من الماشية: ما ليس لها قرنان.
 (١٧) كرهاها وأعرض عنها.
 (١٨) الصلف: الكراهية والبغض والكبرياء.
 (١٩) الهُتَم: هو إبداء أسنان المرء المكسرة في فمه.
 (٢٠) رَجُف، الواحد رجوف: أي مضطربة لتقدمها في السن.
 (٢١) نئوس الأنف: سيلانه لما يبدو على صاحبه من مرض.
 (٢٢) لا يرقاً: لا ينقطع سيلانه.
 (٢٣) يكف: يسيل، ينهمر.
 (٢٤) الخُفّ، بضم الخاء: ما يلبس في الأرجل.
 (٢٥) إعصار ترب: الرياح التي تسفي التراب وتذروه.
 (٢٦) منتسف: منتشر.
 (٢٧) الخُفّ، بضم الخاء: ما يلبس في الأرجل.
 (٢٨) شَنَّة: القربة الخلق الصغيرة.
 (٢٩) الجماء من الماشية: ما ليس لها قرنان.
 (٣٠) كرهاها وأعرض عنها.
 (٣١) الصلف: الكراهية والبغض والكبرياء.

شُوْهُ الخِلْقَةُ^(١)، ما أبصرها
 ما رأى شاةً ولا يعلمها
 عجباً منها ومن تأليفها
 لو يُنادون عليها عجباً
 ليتها قد أفلتت في جَفْنَةٍ^(٢)
 فتَلَقَّتْ شَفْرَةً من أهله
 أَحَكَمَتْ كَفًّا حَكِيمٍ صُنْعُهَا
 أَدْمَجَتْ^(٣) من كلِّ وجه غير ما
 قابضُ الرُّونْقِ^(٤) فيها مَاتِعٌ^(٥)
 لمحتها^(٦) فاستخَفَّتْ^(٧) نحوها
 فتناهت^(٨) بين أضعاف المعى
 أو رَمَتْها قَرْحَةً زادت لها
 كل يوم فيه يدنو يومها

من جميع الناس إلا وحلف
 خُلِقَتْ خَلْقَتُهَا فيما سلف^(٩)
 عجباً من خَلْقِها كيف ائْتلف^(١٠)
 كسبوا منها فُلوساً ورُغْفَ
 من عجيين أو دقيقٍ مُجْتَرَفٍ^(١١)
 قَدَّرَ الإِصْبَعُ شَيْئاً أو أَشْفَ
 فَأَتَتْ مَجْدُولَةً فيها رهف^(١٢)
 أَلَّلَ الأَقْيَانِ^(١٣) من حدِّ الطَّرْفِ
 يخطف الأَبْصَارَ منها يَسْتَشْفِ^(١٤)
 عَجلاً ثم أَحَالَتْ تَنْتَسِفُ^(١٥)
 وتَبَوَّتْ^(١٦) بين أَثْنَاءِ الشَّغْفِ^(١٧)
 ذُوبَاناً كُلَّ يَوْمٍ ونَحَفَ
 أو تُرى واردةً حَوْضَ الدَّنْفِ^(١٨)

(١) شوهة الخِلْقَةُ: شديدة القبح.

(٢) ائْتلف: اجتمع واتحد.

(٣) الجَفْنَةُ: القصعة الكبيرة، وأفلتت من جفنة، أي لم تذبح، لأنها عجفاء.

(٤) دقيق مجترف: أي الذي يذهب بكل شيء.

(٥) الرهف: ضмор البطن وتقارب الضلوع.

(٦) أدمجت: تداخلت أجزاؤها، بعضها ببعضها.

(٧) أَلَّلَ الأَقْيَانِ، أَلَّلَ شَفْرَةَ السَّكِينِ: حدَّدها، والأَقْيَانِ، الواحد قين: الحداد.

(٨) رونق السيف: ماؤه وحسنه، وقابض الرنونق، أي ما يبقيه على حالة حسنة.

(٩) الماتع: الطويل من كل شيء.

(١٠) يستشف: يستكشف ما وراءه.

(١١) لمحتها: أي تأكد من صلاحية الشفرة للذبح.

(١٢) استخفَّتْ: بادرت إلى ذبحها بسرعة.

(١٣) أَحَالَتْ تَنْتَسِفُ: مالت إليها تنتسفها.

(١٤) تناهت: أدركت أضعاف المعى ووصلت إليها.

(١٥) تبوت، خففت الهمزة من تبوت، وتلك لغة: أي نزلت ومكثت.

(١٦) شغاف القلب: غلافه.

(١٧) الدنف: ثقل المرض ودنو الأجل.

(١٨) سلف: مضى.

بينما ذاك بها إذ أصبحت
شاغراً عُرقوبها^(٣) قد أعقبت
وغدا الصبية من جيرانها
فتراها بينهم مسحوبةً
فإذا صاروا إلى المأوى بها
ثم قالوا: ذا جزاء للتي
لا تلوموني، فلو أبصرتُ ذا
كحميت^(١) مفعم أو مثل جُف^(٢)
بطنةً من بعد إدمان الهيف^(٤)
ليجروها إلى مأوى الجيف
تجرف^(٥) الثُرب بجنب منحرف^(٦)
أعملوا الأجر^(٧) فيها والخزف^(٨)
تأكل البستان منا والصُّحف
كلَّه فيها إذن لم أنتصف^(٩)
[الرمْل]

شعره إلى امرأة وقد كتبت إليه تُعاتبه :

أخبرني علي بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن يزيد، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن يسير، وحدثني سوار بن أبي شراعة. قال: حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال:

هوي أبي قينةً من قيان أبي هاشم بالبصرة، فكتبت إليه أُمي تُعاتبه، فكتب إليها:
لا تذكر لي لوعةً إثري ولا جزعا
بل ائتسي تجدي إن ائتسيت أسي^(١٢)
ما تصنعين بعين عنك قد طمحت
إن قلت قد كنت في خفض^(١٤) وتكرمة
وأئي شيء من الدنيا سمعت به
ومن يطيق خليعاً عند صبوته^(١٥)؟
ولا تقاسن^(١٠) بعدي الهم والهلعا^(١١)
بمثل ما قد فجعت اليوم قد فجعا
إلى سواك وقلب عنك قد نزعاً^(١٣)
فقد صدقت، ولكن ذاك قد نزعاً
إلا إذا صار في غاياته انقطعاً
أم من يقوم لمستور إذا خلعا؟
[البسيط]

(١) الحميت: زق يوضع فيه السمن.

(٢) الجف: هو الشنّ البالي يقطع من نصفه ويُجعل كاللدو.

(٣) العُرقوب: عصب غليظ فوق العقب.

(٤) الهيف: شدة الهزال والضعف.

(٥) تجرف الثُرب: تقشطه من وجه الأرض.

(٦) جنب منحرف: مائل.

(٧) الأجر: الطوب.

(٨) الخزف: الطين قبل طبخه في الأفران.

(٩) لم أنتصف: لم أحصل على حقي.

(١٠) مقاساة الهم: تجرع غصصه.

(١١) الهلع: الرعب، الخوف.

(١٢) نزع عن شيء ما: توقّف عن التعامل معه وكفّ عن ذلك.

(١٣) الخفض: بحبوحة العيش.

(١٤) الصبوة: ميل الغوي إلى اللهو.

هجاؤه أبا النجم المغني :

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهيويه قال: حدثنا عبد الله بن يسير أن أباه دُعي إلى وليمة وحضرها مغنٌ يقال له أبو النجم، فعبث بأبي وباغضه وأساء أدبه، فقال يهجوهُ:

نشئت^(١) بأبي النجم المغني سحابةً عليه من الأيدي شآبيبها^(٢) القفد^(٣)
 نشأ نوءها^(٤) بالنَّحس حتى تصرَّمت^(٥) وغابت فلم يطلع لها كوكبٌ سعدٌ
 سقته فجادت فارتوى من سجالها^(٦) ذرا رأسه والوجه والجيد والخذ
 فلا زال يسقيه بها كلَّ مجلس به فتية أمثالها الهزل والجُد
 [الطويل]

أراد به يسقيانه .

قصته مع صديق له يدعى داود :

أخبرني عمي، قال: حدثنا ابن مهيويه . قال: وحدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال :

كان لأبي صديق يقال له داود من أسمح الناس وجهاً وأفلهم أدباً، إلا أنه كان وافر المتاع، فكان القيان^(٧) يواصلنه ويكثرن عنده، ويُهدين إليه الفواكه والنبيد والطيب، فيدعو بأبي فيعاشره . فهو يته قينةً من قيان البصرة، كانت من أحسن الناس وجهاً، فبعثت إلى داود برقعة طويلة جداً تعاتبه فيها وتستجفيه^(٨) وتستزيره^(٩) فسأل أبي أن يجيبها عنه، فقال أبي: اكتب يا بني قبل أن أجيب عنها:

وابلائي من طول هذا الكتاب أسعدوني عليه يا أصحابي
 أسعدوني على قراءة الكتاب طوله مثل طول يوم الحساب

(١) نشئت: دبت فيه النشوة والشعور بالانتعاش .

(٢) الشآبيب، الواحد شؤبوب: الدفعة من المطر .

(٣) القفد: الصفع بباطن الكف على الرقبة .

(٤) النوء: سقوط نجم في المغرب وطلوع آخر في المشرق .

(٥) تصرَّمت: انقطعت .

(٦) السجال، الواحد سجل: الدلو العظيمة المملوءة ماء .

(٧) القيان، الواحدة قينة: الجارية المغنية .

(٨) تستجفيه: تجده جافياً غليظاً في طبعه وأخلاقه .

(٩) تستزيره: تطلب منه أن يزورها .

إِنَّ فِيهِ مَنِّي الْبَلَاءُ مُلْقَى
وله الودُّ والهوى، وعلينا
ثم ممن يا سيّدي؟ وإلى من؟
وإلى مَنْ إن قلت فيه بعيب
لا يساوي على التأمل والتفـ
ولغيري فيه الهوى والتّصابي
فيه للكاتبين ردّ الجواب
مِنْ هُضِيمِ الْحِشَا^(١) لَعُوبٍ^(٢) كَعَابٍ^(٣)
لم أخط في مقالتي بالصواب
تيش يوماً في الناس كفّ ترابٍ
[الخفيف]

فقال عبد الله: وكان أبي إذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه،
فيمشي قدامه، فإن كان في الطريق طين أو برّ أو أذى لقي داود شرّه وحذره أبي.
فمات داود. وانصرف أبي ذات ليلة، وهو سكران، فعثر بدكّان^(٤) وتلوّث بطين ودخل
في رجله عظم ولقي عتّاً^(٥)، فقال يرثي داود:

أقول والأرض قد غشّى^(٦) وجلّله^(٧)
وسدّ كلّ فُروج الجوّ منطبقاً
وفي الوداع وفي الإبداء^(٩) لي عنتٌ
مَنْ لي بدادود في ذي الحال يُرشدني^(١٠)؟
لهفي على رجله ألا أقدمها
إذا لا أزال إذا أقبلتُ ينكبني^(١٢)
فإن تكن شوكة كانت تحل به
ثوب الدجى^(٨) فهو فوق الأرض ممدودٌ
وكلُّ فرج به في الجوّ مسدودٌ
دون المسير وباب الدار مسدودٌ
مَنْ لي بدادود؟ لهفي! أين داود؟
قُدام رجلي فتلقاها الجلاميدُ^(١١)
حرفٌ وجُرفٌ^(١٣) ودكّانٌ وأخدودٌ^(١٤)
أو نكتةٌ^(١٥) في سواد الليل أو عودٌ
[البسيط]

(١) هُضِيمِ الْحِشَا، والحشا ما انضمت عليه الضلوع، وامرأة هُضِيمِ الحشا: أي ضامرة البطن.

(٢) لعوب: مغناج تدلّ بجمالها.

(٣) كعاب: الفتاة قد برز ثدياها ونهدا.

(٤) الدكان: المصطبة.

(٥) العنت: الإرهاق الشديد.

(٦) غشّى: غطى.

(٧) جلّله: شمل وغطى.

(٨) ثوب الدجى: العتمة.

(٩) الإبداء: البدء.

(١٠) يرشدني: يدلّني.

(١١) الجلاميد، الواحد جلمود: الصخور والأحجار العظيمة.

(١٢) ينكبني: يؤذيني بمصيبة.

(١٣) الجرف: هو ما تجرفه السيول من أتربة في الأرض.

(١٤) الأخدود: الحفرة الضيقة الطويلة في الأرض.

(١٥) النكتة: ما يُصيب رأسه من ضربات.

أبيات له في شاة منيع :

أخبرني عمي . قال : حدثنا ابن مهوريه ، قال : حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان الهاشمي . قال :

هجمت شاة منيع البقال على دار ابن يسير وهو غائب ، وكانت له قراطيس^(١) فيها أشعار وآداب مجموعة ، فأكلتها كلها ، فقال في ذلك :

قل لبغاة الآداب ما صنعت منها إليكم فلا تضيعوها
وضمنوها صُحف الدفاتر بال حبر وحسن الخطوط أوعوها^(٢)
فإن عجزتم ولم يكن علف^(٣) تُسيغه^(٣) عندكم فبيعوها
[المنسرح]

أخبرني الحسن بن علي . قال : حدثنا ابن مهوريه . قال : حدثني أبو شبل البرجمي قال :

كان محمد بن يسير يُعاشر يوسف بن جعفر بن سليمان ، وكان يوسف أشد خلق الله عريضةً ، وكان يخاف لسان ابن يسير فلا يُعربد عليه . ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبيذ ولحاء^(٤) ، فعربد يوسف عليه وشجّه^(٥) ، فقال ابن يسير يهجوهُ :

لا تجلسن مع يوسف في مجلس أبداً ولم تحمل دم الأخوين
ريحانه بدم الشباب مُلطّخ وتحية النّدمان لطم العين
[الكامل]

شعر له في غلام :

أخبرني جعفر بن قدامة . قال : حدثني الحسين بن يحيى المنجم . قال : حدثني أبو علي الخراساني . قال :

كان لمحمد بن يسير البصري بابان يدخل من أحدهما ، وهو الأكبر ، ويدخل إليه إخوانه من الباب الآخر ، وهو الأصغر ، ومن يستشرط^(٦) من المرد^(٧) . فجاء يوماً غلام قد خرجت لحيته ، كانت عادته أن يدخل من الباب الأصغر ، فمرّ من ذلك

(١) القراطيس ، الواحد قرطاس : الدفاتر المخطوطة .

(٢) أوعوها : إجمعوها في الوعاء . (٣) تسيغه : يسهل ابتلاعه .

(٤) اللحاء : اللوم والخصومة . (٥) شجّه : أصاب رأسه وفجّه ، فسالت دماؤه .

(٦) يستشرط : يستبشع ويعدم رواجه عند الآخرين .

(٧) المرد ، الواحد أمرد من الفتیان : من لم تنبت لحيته .

الباب، فجعل يُخاصم لدالته^(١)، وبلغ ابن يسير فكتب إليه :

قل لمن رام بجهلٍ مدخل الظبي الغريرِ
بعد أن علّق في خـ ديه مخلاة الشعيرِ
ليته يدخل إن جا من الباب الكبيرِ

[مجزوء الرمل]

شعر له في عمرو القصافي وقد عان مغنية :

وأخبرني عمي . قال : حدثنا ابن مهرويه . قال : حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان . قال :

كنّا في مجلس ومعنا محمد بن يسير وعمرو القصافي^(٢) وعندنا مغنية حسنة الوجه شهلة^(٣) تغني غناءً حسناً، فكنا معها في أحسن يوم، وكان القصافي يعين^(٤) في كل شيء يستحسنه ويحبه، فما برحنا من المجلس حتى عانها، فانصرفت محمومة شاكية العين . فقال ابن يسير :

إن عمراً جنى بعينه ذنباً قلّ منّي فيه عليه الدُّعاء
عان عينا^(٥)، فعينه للتي عا ن فدّى، وقلّ منه الفداء
شرّ عينٍ تعين أحسن عينٍ تحمل الأرض أو تظلّ السماء

[الخفيف]

إستعار حماراً من جار له فأبى عليه فقال شعراً يشكوه :

أخبرني عمي، قال : حدثنا ابن مهرويه . قال : حدثنا القاسم بن الحسن قال : استعار ابن يسير من بعض الهاشميين من جيرانه حمار أتان له ليمضي عليه في حاجة أرادها فأبى عليه، فمضى إليها ماشياً، وكتب إلى عمرو القصافي - وكان جاراً للهاشمي وصديقاً - يشكوه إليه بخبره :

إن كنت لا غير^(٦) لي يوماً يبلّغني حاجي^(٧) وأقضي عليه حقّ إخواني

(١) الدّالة : الحظوة والقبول .

(٢) القصافي : هو من ينسب إلى بني قُصاف، قوم من العرب .

(٣) الشهلة من النساء : النصف الراشدة .

(٤) يعين : يصيب بعينه لشدة حسده .

(٥) عينا، خفف الهمزة من عناء، والعيناء : الواسعة العينين الجميلة .

(٦) العير : الحمار . (٧) حاجي : حوائجي، والواحدة حاجة .

وضنَّ^(١) أهل العواري^(٢) حين أسألهم
 فإن رجليّ عندي - لا عِدْمَتَهُمَا -
 تُبَلِّغَانِي حاجاتي وإن بُعدت
 كأن خلفي إذا ما جدَّ جدُّهما
 رجلاي لم تألما نكبا^(٥) كأنهما
 كأن ما بهما أخطو إذا أرتهيا
 إن تُبعثا في دهاس^(٩) تبعثا رهجا^(١٠)
 فالحمد لله يا عمرو الذي بهما
 من أهل ودي وخلصائي^(٣) وجيراني
 رجلاً أخي ثقةٌ مذكَّان جُولَانِي
 وتُدْنِيَانِي^(٤) مما ليس بالداني
 إعصارَ عاصفةٍ مما تثيران
 قَطًّا وَقَدًّا^(٦) وإدماجاً مَدَاكَانِ^(٧)
 في سَكَّةٍ من أي ذاك سماكان^(٨)
 أو في حُزُونِ^(١١) ذكا^(١٢) فيها شهابان^(١٣)
 عن العواري وعن ذا الناس أغناني
 [البسيط]

قصة جلة التمر وشعره:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش. قال: حدثنا محمد بن داود بن الجراح.
 قال: حدثني محمد بن سعد الكراني، قال:
 كنّا في حلقة التّوّزي^(١٤)، فلما تقوّضت أنشدنا محمد بن يسير لنفسه قوله:
 جُهدُ المُقلِّ إذا أعطاه مصطبراً ومُكثّرٌ من غنى سيّان في الجود

- (١) ضنَّ: بخل.
- (٢) العواري، الواحدة عارية: ما يُستعار.
- (٣) الود: الصداقة، المحبة، الخَلَص من الأصحاب.
- (٤) تدنياني: تقرباني.
- (٥) النكب: المصائب والويلات.
- (٦) قَطًّا وَقَدًّا: القط: القطع، والقَدّ: القطع بشكل مستطيل.
- (٧) المداك: مدقّ الطيب.
- (٨) السماكان: كوكبان نيران يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه، وللآخر السماك الأعزل لأن ليس أمامه شيء.
- (٩) الدهاس من الأمكنة: ما هو سهل ليس برمل ولا تراب.
- (١٠) الرهج: الغبار.
- (١١) الحزون من الأرض: ما غلظ منها وارتفع.
- (١٢) ذكا: اشتعل واشتد لهبه.
- (١٣) الشهاب: الشعلة الملتهبة.
- (١٤) التّوّزي: هو عبد الله بن محمد بن هارون، أبو محمد: من أئمة البصريين في اللغة. أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي. توفي سنة ٨٤٨م. من كتبه: «كتاب الخيل»، «كتاب الأضداد». ينسب إلى توّز من مدن الفرس.

لَا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلَهُ إِمَّا نَوَالِي وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودٍ
[البسيط]

فقلنا له: ما هذا التكارم^(١). وقمنا إلى بيته فأكلنا من جُلَّة^(٢) تَمْرِ كانت عنده
أكثرها وحملنا بقيَّتها. فكتب إلى والي البصرة عمر بن حفص:

يَا أَبَا حَفْصٍ بِحَرَمَتِنَا عَنْ^(٣) نَفْسٍ حِينَ تَنْتَهِكُ^(٤)
خُذْلِنَا ثَارًا بِجَلَّتِنَا فَبِكَ الْأَوْتَارِ^(٥) تُدْرِكُ^(٦)
كَهْفُ^(٧) كَفِي حِينَ طَرَحَهَا بَيْنَ أَيْدِي الْقَوْمِ تَبْتَرِكُ^(٨)
زَارِنَا زُورٌ^(٩) فَلَا سَلَمُوا وَأَصِيبُوا أَيْتَةً سَلَكُوا
أَكَلُوا حَتَّى إِذَا شَبِعُوا أَخَذُوا الْفَضْلَ الَّذِي تَرَكُوا
[المديد]

قال: فبعث إلينا فأحضرنا فأغرمننا^(١٠) مائة درهم، وأخذ من كل واحدٍ منَّا جُلَّةً
تمرٍّ، ودفع ذلك إليه.

قصته مع أحمد بن يوسف:

أخبرني الأخفش، قال: حدثنا أبو العيناء قال:

كان بين محمد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شرٌّ، فزجه^(١١) أحمد يوماً
بحماره تعرّضاً لشرّه وعبثاً به، فأخذ ابن يسير بأذن الحمار، وقال له: قُلْ لهذا الحمار
الراكب فوقك لا يؤذي الناس، فضحك أحمد ونزل، فعانقه وصالحه.

قصته مع ابن أبي عمرو المدني:

أخبرني عمي. قال: حدثنا ابن مهبويه قال: حدثني محمد بن عليّ الشامي. قال:
طلب محمد بن يسير من ابن أبي عمرو المدني فراخاً من الحمام الهدء^(١٢)،

(١) التكارم: التظاهر بالكرم.

(٣) عَنْ: أرهق، أتعب.

(٥) الأوتار، الواحد وتر: الثار.

(٧) الكهف: الملاذ.

(٩) الزور، الواحد زائر.

(١١) زجه: طعنه بالزج ورماه به، والقصد صدم به.

(١٢) الحمام الهدء: الزاجل الذي ينقل الرسائل من بلد إلى أخرى.

(٢) الجُلَّة، بضم الجيم، وعاء مصنوع من الخوص.

(٤) تنتهك: يعتدى عليها.

(٦) تدرك: تؤخذ.

(٨) تبترك السحب: تهطل بغزارة.

(١٠) أغرمننا: فرض علينا غرامة مالية.

فوعده أن يأخذها له من المثنى بن زهير، ثم نور^(١) عليه (أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دلسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه). فقال محمد بن يسير:

يا ربَّ ربِّ الرائيحين عشيَّةً بالقوم بين مئى^(٢) وبين ثبير^(٣)
والواقفين على الجبال عشيَّةً والشمس جانحةً إلى التغوير^(٤)
حتى إذا طفَلَ العشي^(٥) ووجهت شمسُ النهار وأذنتُ بغوور^(٦)
رحلوا إلى خيف^(٧) نواحل ضمها طول السفار^(٨) وبُعد كل مسير
ابعث على طير المديني الذي قال المحال وجاءني بغرور^(٩)
ابعث على عجل إليها بعد ما يأخذن زينتهن في التحسير^(١٠)
في كل ما وصفوا المراحل وابتدوا في المُبتدين بهن والتكسير
ومضين عن دور الخربة^(١١) زلفة^(١٢) دون القصور وحجرة الماخور^(١٣)
مع كل ريح تغتدي بهبوبها في الجوبين شواهن^(١٤) وصقور
من كل أكلف^(١٥) بات يدجن ليله^(١٦) فغدا بغدوة^(١٧) ساغب^(١٨) ممطور
ضرم^(١٩) يقلب طرفه^(٢٠) متأنساً^(٢١) شيئاً فكن له من التقدير
يأتي لهن ميامناً ومياسراً صكاً^(٢٢) بكل مزلق^(٢٣) ممكور^(٢٤)

(١) نور عليه: لبس عليه الأمر، وأبهم.

(٢) مئى: محلة في مكة بيت فيها الحجيج في أيام الحج.

(٣) ثبير: من جبال مكة المكرمة.

(٤) جانحة إلى التغوير: مائلة إلى الغروب.

(٥) طفل العشي: لاحت بواذره.

(٦) الغوور: الغياب.

(٧) الخيف: جزء من مئى.

(٨) السفار: السفر.

(٩) الغرور: ما يحمل معه الهلاك.

(١٠) التحسير: أي تبديل الطيور من ريشها.

(١١) الخربة: موضع في البصرة، يسمى بالبصرة الصغرى.

(١٢) الزلفة: الهزيع الأول من الليل.

(١٣) الماخور: بيت الخمار.

(١٤) الشواهن، الواحد شاهين: من الطيور الجارحة الصيادة.

(١٥) الأكلف من الطيور: ما كان لونه بين السواد والحمرة.

(١٦) يدجن ليله: يظلم وتشتد عتمته.

(١٧) الغدوة: الفترة الصباحية ما بين أذان الفجر وشروق الشمس.

(١٨) الساغب: الجائع، الخالي البطن.

(١٩) الضرم: يسكون الراء: النظر.

(٢٠) الطرّف، يسكون الراء: النظر.

(٢١) متأنس: أي يستطلع المنظر رافعاً رأسه وطرفه.

(٢٢) الصك: الضرب بعنف.

(٢٣) مزلق: المنقار.

(٢٤) الممكور: المصبوغ بالمكر وهي المغرة الحمراء، فبدا كأنه مصبوغ بها.

مِنْ طَائِرٍ مَتَحَيَّرٍ عَنْ قَصْدِهِ
 لَمْ يَنْجُ مِنْهُ شَرِيدَهُنَّ فَإِنْ نَجَا
 لِمَشْمَرَيْنِ عَنِ السَّوَاعِدِ حُسْرٍ^(٣)
 سُدُّ الْأَكْفِ إِلَى الْمُقَاتِلِ صَيِّبٍ
 لَيْسَ الَّذِي تَخْطِي يَدَاهُ رَمِيَّةً^(٧)
 يَتَبَوَّعُونَ^(٨) وَتَمْتَطِي أَيْدِيهِمْ
 عُطْفُ السِّيَاتِ^(١٠) دَوَائِرًا فِي عِطْفِهَا^(١١)
 يَنْفُشْنَ^(١٣) عَنْ جَذَبِ الْأَكْفِ ثَوَاقِبًا^(١٤)
 تَجْرِي بِهَا مُهْجُ^(١٥) النَّفُوسِ وَإِنَّهَا
 مَا إِنْ تَقْصُرَ عَنْ مَدَى مُتَبَاعِدٍ
 حَتَّى تَرَاهُ مَزْمَلًا^(١٩) بِدُمَائِهِ
 فَيُظَلُّ يَوْمَهُمْ بَعِيشٍ نَاصِبٍ^(٢٢)
 أَوْ سَاقِطٍ خَلَجِ الْجَنَاحِ^(١) كَسِيرِ
 شَيْءٍ فَصَارَ بِجَانِبَاتِ^(٢) الدُّورِ
 عَنْهَا بِكُلِّ رَشِيقَةِ التَّوْتِيرِ^(٤)
 سَمَتِ الْحَتُوفِ^(٥) بِجَوْجُؤٍ^(٦) وَنَحُورِ
 مِنْهُمْ بِمَعْدُودٍ وَلَا مَعْدُورِ
 فِي كُلِّ مَعْطِيَةِ الْجَذَابِ نَتُورِ^(٩)
 تُغْزَى^(١٢) صِنَاعَتُهَا إِلَى عَصْفُورِ
 مُتَشَابِهَاتِ الْقَدِّ وَالتَّدْوِيرِ
 لِنَوَاصِلِ^(١٦) سُلْتٍ^(١٧) مَنْ التَّحْبِيرِ
 فِي الْجَوِّ يَحْسِرُ طَرْفُ^(١٨) كُلِّ بَصِيرِ
 فَكَأَنَّهُ مُتَضَمِّنٌ^(٢٠) بَعْبِيرِ^(٢١)
 نُصَبَ الْمَرَاجِلُ^(٢٣) مُعْجَلِي التَّنْوِيرِ^(٢٤)

- (١) خَلَجِ الْجَنَاحِ: يَتَأَلَّمُ مِمَّا أَلَمَ بِجَنَاحِهِ مِنْ آلامٍ.
- (٢) جَانِبَاتٍ، الْوَاحِدَةُ جَانِبَةٌ: مَا كَانَ غَرِيبًا. (٣) السَّوَاعِدِ الْحُسْرُ: الْمَكْشُوفَةُ.
- (٤) التَّوْتِيرُ: شَدُّ أَوْتَارِ الْقَوْسِ اسْتِعْدَادًا لِلرَّمِي بِالنَّبَالِ.
- (٥) سَمَتِ الْحَتُوفِ: قَصْدُ الْقَتْلِ.
- (٦) الْجَوْجُؤُ: الصَّدْرُ.
- (٧) الرَّمِيَّةُ: الْهَدَفُ الْمَصُوبُ إِلَيْهِ.
- (٨) يَتَبَوَّعُونَ: يَمْدُون مِنْهُمْ الْبَاعَ.
- (٩) الْجَذَابِ النَّتُورِ: الْجَذَبُ الشَّدِيدُ.
- (١٠) عُطْفُ السِّيَاتِ: شَدُّ طَرْفِي الْقَوْسِ.
- (١١) قَوْسٍ عَطُوفٍ: مُحْكَمُ الشَّدِّ.
- (١٢) تُغْزَى صِنَاعَتُهَا: تَنْسَبُ.
- (١٣) يَنْفُشْنَ: يَرْمِينَ.
- (١٤) ثَوَاقِبًا: رَمِيَاتٍ قَاتِلَةٌ.
- (١٥) الْمُهْجُ، الْوَاحِدَةُ مَهْجَةٌ: الرُّوحُ، أَوْ دَمُ الْقَلْبِ.
- (١٦) النَوَاصِلُ، الْوَاحِدُ نَاصِلٌ: حَدِيدَةُ الرَّمْحِ وَالسَّهْمِ وَالسَّكِينِ.
- (١٧) سُلْتٌ، الْوَاحِدُ أَسْلَتٌ مِنَ النِّصَالِ: هُوَ مَا أَحْسَنَ بَرِيهِ وَأَحْكَمَ صَنْعَهُ.
- (١٨) مُتَضَمِّنٌ: مُتَلَطِّخٌ.
- (١٩) الطَّرْفُ، بِسُكُونِ الرَّاءِ: النَّظَرُ.
- (٢٠) مَزْمَلًا: مُضْمَخًا، مُلَطَّخًا.
- (٢١) الْعَبِيرُ: الطَّيْبُ.
- (٢٢) الْعَيْشُ النَّاصِبُ: هُوَ مَا يَكْتَنِفُهُ الضِّيقُ وَالْعَنْتُ.
- (٢٣) الْمَرَاجِلُ، الْوَاحِدُ مِرْجَلٌ: الْآلِيَةُ الَّتِي يَطْبَخُ فِيهَا.
- (٢٤) التَّنْوِيرُ: إِقَادُ النَّارِ وَإِشْعَالُهَا.

ويؤوب^(١) ناجيهم بين مضرَج^(٢)
 عاري الجناح من القوادم^(٥) والقرا^(٦)
 فيؤوده^(٨) مُتبهنس^(٩) في مشيه
 ذو حُلْكة^(١١) مثل الدجى^(١٢) أو غُبْثة^(١٣)
 فيمرُّ منها في البراري والقرى
 في حين تؤذيها المبايت موهناً^(١٧)
 يختص كل سليل^(١٩) سابق غاية
 عجل عليه بما دعوت له به
 حتى يقول جميع من هو شامت^(٢٢)
 فالألفيتك^(٢٣) عند حالي حسرة
 ولتلفين إذا رمتك بسهمها
 بدم ومخلوب^(٣) إلى منسور^(٤)
 كاس، عليه مائر التامور^(٧)
 خطف^(١٠) المؤخر مُشبع التصدير
 شغب^(١٤) شديد الجد والتشمير
 من كل أعصل كالسنان^(١٥) هصور^(١٦)
 أو بعد ذلك آخر التسحير^(١٨)
 محض النجار^(٢٠) مجرب مخبور^(٢١)
 أره بذاك عقوبة التنوير
 هذي إجابة دعوة ابن يسير
 وتأسف وتلهف وزفير
 أيدي المصائب منك غير صبور
 [الكامل]

أخبرني عمي . قال : حدثنا ابن مهبويه . قال : حدثني القاسم بن الحسن مولى
 جعفر بن سليمان . قال :

- (١) يؤوب : يعود ، يرجع .
 (٢) المضرج : الملطخ .
 (٣) المخلوب : المضروب بمخلب .
 (٤) المنسور : المضروب بالمنسر وهو المنقار .
 (٥) القوادم : هي ريشات عشر في مقدم جناح الطائر .
 (٦) القرا : الظهر .
 (٧) التامور : الدم .
 (٨) يؤوده : يتعبه بوقوعه بين مخالب القطط .
 (٩) المتبهنس : المتبختر .
 (١٠) الخطف : الضامر البطن .
 (١١) الحُلْكة : شدة السواد .
 (١٢) الدجى ، الواحدة دُجْية : الظلمة المعتمة .
 (١٣) الغبْثة : اللون المائل إلى الغبرة .
 (١٤) الشغب ، بكسر الغين : هو من يثير الشرور بين الأخصام .
 (١٥) أعصل كالسنان : أي أعوج كالحرية .
 (١٦) هصور : هو الذي يهصر فريسته ويحطّمها .
 (١٧) الموهن : منتصف الليل .
 (١٨) التسحير : وقت السحر ، قبل أذان الفجر .
 (١٩) السليل : الولد .
 (٢٠) محض النجار : صحيح النسب . خالص الأصل .
 (٢١) المخبور : المجرب .
 (٢٢) الشامت : هو من يفرح بمصيبه سواه .
 (٢٣) ألفيتك : أجدتك .

قوله في قصر خرب:

خرجنا مع بعض ولد النوشجاني^(١) إلى قصر له في بستانهم بالجعفرية^(٢)، ومعنا محمد بن يسير، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن، فإذا هو قد خرب واختل، فقال فيه محمد بن يسير:

ألا يا قصرُ قصر النوشجاني أرى بك بعد أهلك ما شجاني^(٣)
فلو أعفى البلاء ديار قوم لفضل منهم ولعظم شان
لما كانت تُرى بك بيئات تلوح عليك آثار الزمان
[الوافر]

قوله في رثاء نفسه:

أخبرني عمي. قال: حدثنا ابن مَهرويه. قال: حدثنا محمد بن أبي حرب. قال: أنشدنا يوماً محمد بن يسير في مجلس أبي محمد الزاهد صاحب الفضيل بن عياض لنفسه قال:

ويل لمن لم يرحم الله ومن تكون النار مَثَواه^(٤)
واغفلتافي كل يوم مضى يُذكرني الموت وأنساه
من طال في الدنيا به عمره وعاش فالَموت قُصاراه^(٥)
كأنه قد قيل في مجلس قد كنت آتيه وأغشاه
محمدٌ صار إلى ربّه يرحمنا الله وإياه
[السريع]

قال: فأبكي، والله جميع من حضر:

قصته مع داود بن أحمد بن أبي داود:

أخبرني الحسن بن عليّ وعمي. قال: حدثنا ابن مَهرويه. قال: حدثني أبو الشَّبل. قال:

(١) النوشجاني: هو من نسب إلى نوشجان، إحدى مدن فارس.

(٢) الجعفرية: محلّة تقع في شرقي مدينة بغداد واسعة الأرجاء.

(٣) شجاني: أحزني.

(٤) مَثَواه: مسكنه.

(٥) قُصاراه: أقصى أمنيته.

كان محمد بن يسير صديقاً لداود بن أحمد بن أبي داود كثير الغشيان^(١) له ففقدته أهله أياماً وطلبوه فلم يجدوه، وكان مع أصحاب له قد خرجوا يتنزّهون فجاءوا إلى داود بن أحمد يسألونه عنه، فقال لهم: اطلبوه في منزل «حسن» المغنية فإن وجدتموه وإلا فهو في حبس أبي شجاع صاحب شرطة «خمار» التركي. فلما كان بعد أيام جاء ابن يسير. فقال له: إيه^(٢) أيها القاضي، كيف دلت عليّ أهلي؟ قال: كما بلغك، وقد قلت في ذلك أبياتاً. قال: أو فعلت ذلك أيضاً؟ زدني من برّك، هات، أيش قلت؟ فأنشده:

وُمرسلةٌ توجّه كلّ يومٍ إليّ وما دعا للصباح داعي
تُسألني، وقد فقدوه حتى أرادوا بعده قسَمَ المتاع
إذا لم تلقه^(٣) في بيت «حسن» مقيماً للشراب وللسماع
ولم يُرف في طريق بني سدوس يخطُ الأرض منه بالكراع^(٤)
يدقُ حُزونها^(٥) بالوجه طوراً وطوراً باليدين وبالذراع
فقد أعياك مطلبه وأمسى (فلا تغلط) حبيس أبي شجاع
[الوافر]

قال: فجعل ابن يسير يضحك ويقول: أيها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لعرف خبره. ثم لم يبرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتي درهم وخلع عليه خلعة من ثيابه. أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني علي بن القاسم طارمة قال: كنت مع المعتصم لما غزا الروم، فجاء بعض سراياه^(٦) بغير عمه^(٧)، فركب من فوره وسار أجداً سير وأنا أسايره، فسمع منشداً يتمثل في عسكره:

إن الأمور إذا انسدت مَسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا^(٨)
لا تيأسن وإن طالت مُطالبةً إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
[البسيط]

(١) كثير الغشيان له: كثير التردد إليه وزيارته.

(٢) إيه: كلمة استزادة واستنطاق. (٣) لم تلقه: لم تصادفه وتجدّه.

(٤) الكراع من بني آدم: هو ما دون الركبة إلى الكعب.

(٥) الحزون، الواحد حزن، يسكون الزاي: ما غلظ من الأرض وقلما يكون إلا مرتفعاً.

(٦) السرايا، الواحدة سرية: الكتيبة من الجيش.

(٧) هو إبراهيم بن المهدي الذي خرج على المأمون ابن أخيه.

(٨) ارتتج: أغلق إغلاقاً محكمًا.

فسرّ بذلك وطابت نفسه، ثم التفت إليّ وقال لي: يا عليّ أتروي هذا الشعر؟ قلت: نعم. قال: من يقوله؟ قلت: محمد بن يسير. فتفأّل باسمه ونسبه، وقال: أمر محمود وسير سريع يعقب هذا الأمر. ثم قال: أنشدني الأبيات، فأنشدته قوله:

ماذا يكلّفك الرّوحات والدّلجا^(١) ألبرّ طوراً وطوراً تركب اللججا^(٢)
كم من فتى قصرت في الرّزق خطوته ألفيته^(٣) بسهام الرزق قد فلجا^(٤)
لا تياسنّ وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
إنّ الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومُدمن القرع للأبواب أن يلجا^(٥)
فاطلب لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقاً عن غرة زلجا^(٦)
ولا يغرنك صفو أنت شاربه فربّما كان بالتكدير ممتزجا
لا ينتج النّاس إلا من لقاحهم يبدو لقاح الفتى يوماً إذا نُتجا^(٧)

[البسيط]

أخبرني عيسى بن الحسين والحسن بن عليّ وعمي. قالوا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبو الشّبل. قال:

كنا عند قُثم بن جعفر بن سليمان ذات يوم ومعنا محمد بن يسير ونحن على شراب، فأمر أن نبخر ونطيّب، فأقبلت وصيفة^(٨) له حسنة الوجه، فجعلت تبخرنا وتغلّفنا بغالية^(٩) كانت معه. فلما غلّفت ابن يسير وبخرته التفت إليّ - وكان إلى جنبي - فأنشدني:

يا باسطاً كفّه نحوي يطيبّني كفّاك أطيّب يا حبّي من الطّيب
كفّاك يجري مكان الطيب طيبهما فلا تزدني عليها عند تطيبي
يا لائمي في هواها أنت لم ترها فأنت مُغرّي بتأنيبي وتعذيبي
أنظر إلى وجهها، هل مثل صورتها في الناس وجه مجلّي غير محجوب

[البسيط]

(١) الدلج، الواحدة دُلجة: المشي من أول الليل.

(٢) اللجج، الواحدة لَجّة: اليمّ الطامي. (٣) ألفيته: وجدته.

(٤) فلج: انتصر وظفر. (٥) يلج: يدخل.

(٦) زلق: زلق. (٧) نُتج: رزق مولوداً.

(٨) الوصفة: الجارية بلغت أوان الخدمة.

(٩) الغالية: هي عبارة عن مزيج من أنواع عديدة من الطيوب.

فقلت له: اسكت ويلك! لا، تصفع واللّه وتخرج. فقال: واللّه لو وثقتُ بأن
نصف جميعاً لأنشدته الأبيات، ولكنني أخشى أن أفرد بالصّفع دونك.

أبيات له في أهل الجدل:

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الكِراني. قال: حدثنا الرياشي. قال:

كان محمد بن يسير جالساً في حلقتنا في مسجد البصرة، وإلى جانبنا حلقة قوم
من أهل الجدل يتصايحون في المقالات والحجج فيها، فقال ابن يسير: اسمعوا ما
قلت في هؤلاء، فأنشدنا قوله:

يا سائلي عن مقالة الشّيع	وعن صنوف الأهواء والبدع
دع عنك ذكر الأهواء ناحيةً	فليس ممن شهدت ذو ورع
كل أناسٍ بدّئهم حسنٌ	ثم يصيرون بعد للسمع
أكثر ما فيه أن يقال لهم:	لم يك في قوله بمنقطع

[المنسرح]

أخبرني عيسى بن الحسين. قال: حدثنا ابن مَهرويه قال: حدثني محمد بن
عليّ الشامي. قال:

كان محمد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء
يسمعه؛ من ذلك قوله:

إذا ما غدا الطلاب للعلم ما لهم	من الحظ إلا ما يدون في الكتب
غدوتُ بتشمير وجدّ عليهم	فمحبرتي أذني ودفترها قلبي

[الطويل]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مَهرويه قال: حدثني إبراهيم بن
المدبّر. قال:

كان إبراهيم بن رباح إذا حزبه الأمر^(١) يقطعه بمثل قول محمد بن يسير:

تخطي النفوس مع العيا	ن وقد تُصيب مع المَظِنَّة
كم من مضيقٍ في الفضا	ء ومخرج بين الأسِنَّة

[مجزوء الكامل]

أخبرني عمي. قال: حدثنا ابن مَهرويه. قال: حدثني الحسن بن أبي السري. قال:

(١) حزبه الأمر: اشتدّ عليه.

مرَّ ابن يسير بأبي عثمان المازني فجلس إليه ساعة، فرأى مَنْ في مجلسه يتعجبون من نعل كانت في رجله خَلَقَ وسخةً مقطَّعةً، فأخذ ورقةً وكتب فيها:

كم أرى ذا تعجُّبٍ من نعالِي ورضائي منها بلبس البوالي
كل جرداء قد تكتفِيها من أقطارها بسود النُّعالِ^(١)
لا تداني، وليس تشبه في الخلد قة إن أبرزت، نعال الموالي
مَنْ يُغال مَنْ الرجال بنعلٍ فسوأي إذا بهنَّ يُغالي
لو حذاهنَّ^(٢) للجمال فيني في سواهنَّ زينتي وجمالي
في إخائي وفي وفائي ورأيي ولساني ومنطقي وفَعالي
ما وقاني الحفا وبلَّغني الحَا جة منها فإنني لا أبالي
[الخفيف]

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مَهرويه قال: حدثني عبد الله بن محمد بن يسير . قال :

دعا قُثم بن جعفر بن سليمان أبي فشرب عنده، فلما سكر سرق منه ألواح أبنوس كانت تكون في كفه، فقال في ذلك :

عينُ بَكِّي بعبرة تَسفاح وأقِمي مَاتَم الألواح
أوحشتُ حُجرتي^(٣) ورُدنايَ^(٤) منها في بكوري وعند كل رواح
وأذكريها إذا ذكرت بما قد كان فيها من مرفقي^(٥) وصلاح
آبنوس دهماء^(٦) حالكة اللو ن لباب^(٧) من اللطاف الملاح
ذات نفع خفيفة القدر والمحد حمل حُلْكوكَة^(٨) الذُّرا^(٩) والنواحي
وسريع جفوفها إن محاهَا عند مملٍ مُستعجلُ القوم ماحي
هي كانت على علومِي والآ داب والفقه عُدتِي وسلاحِي
كنت أغدو بها على طلب العِلد م إذا ما غدوتُ كلَّ صباح

(١) حذاهن: أحسن تقديرهن، فاحتفظ بهن .

(١) يوجد خلل في وزن الشعر .

(٤) الردن: أصل كم الثوب .

(٣) حجتني: معقد إزارني .

(٦) دهماء: شديدة السواد .

(٥) المرفق: ما فيه مجال للمنفعة من الأمور .

(٨) حلْكوكَة: شديدة السواد .

(٧) اللباب من كل شيء: أفضله وأحسنه .

(٩) الذرا: أي الرأس المكمل بشعر أسود .

هي كانت غداء زوري^(١) إذا زا ر، ورِيّ النديم يوم اصطباحي^(٢)
[الخفيف]

- يعني أنه يعمل فيها الشعر ويطلب لزواره المأكول والمشروب :-

آب^(٣) عُسري^(٤) وغاب يسري وجودي حين غابت وغاب عني سماحي
[الخفيف]

هجاؤه أحمد بن يوسف :

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا ابن مهرويه، قال : حدثنا عبد الله بن أحمد، قال :

كان محمد بن يسير يُعادي أحمد بن يوسف، فبلغه أنه يتعشّق جاريةً سوداء مغنية، فقال ابن يسير يهجوّه :

أقول لمّا رأيته كلفاً^(٥) بكلّ سوداء نزرّة قذرة
أهلّ لعمري لما كلفت به عند الخنازير تنفق^(٦) العذرة^(٧)
[المنسرح]

أخبرني وكيع قال : حدثنا ابن مهرويه، قال : حدثنا أبو العواذل، قال :
عُوتب محمد بن يسير على حضور المجالس بغير ورق ولا محبرة، وأنه لا يكتب ما يسمعه، فقال :

ما دخل الحمّام من علمي فذاك ما فاز به سَهَمي
والعلم لا ينفَعني جَمعه إذا جرى الوهم على فهمي
[السريع]

قوله في ألواح البنوس :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد قال :
كان محمد بن يسير يُعاشِر ولد جعفر بن سليمان، فأخذ منه قُثم بن جعفر ألواح بنوس كان يكتب فيها بالليل؛ فقال ابن يسير في ذلك :

(٢) إصطباحي : شربي الخمرة عند الصباح .

(٤) عسري : ذات ضيق اليد .

(٦) تنفق : تروح كسلعة .

(١) الزور : الواحد زائر .

(٣) آب : رجع، عاد .

(٥) الكلف : المتّيم، الصبّ .

(٧) العذرة : الغائط .

أَبَقَّتِ الْأَلْوَاخُ إِذْ أَخَذْتُ حُرْقَةً فِي الْقَلْبِ تَضْطَرُّ
زَانَهَا فَصَّانَ مِنْ صَدْفٍ وَاحْمِرَارُ السَّيْرِ^(١) وَالْقَلَمُ
وَتَوَلَّى أَخْذَهَا فُثْمٌ لَا تَوَلَّى نَفْعَهَا فُثْمٌ
[مجزوء المديد]

شعره إلى بعض الهاشميين :

أخبرني الأخفس، قال : حدثنا محمد بن يزيد قال :

كان محمد بن يسير يُعاشِر بعض الهاشميين، ثم جفاه الهاشمي لملالٍ كان فيه
فكتب إليه ابن يسير قوله :

قَدْ كُنْتَ مَنْقَبِضاً وَأَنْتَ بِسَطْتَنِي حَتَّى انْبَسَطْتُ إِلَيْكَ ثُمَّ قَبَضْتَنِي
أَذْكَرْتَنِي خُلُقَ النَّفَاقِ، وَكَانَ لِي خُلُقاً فَقَدْ أَحْسَنْتَ إِذْ أَذْكَرْتَنِي
لَوْ دَامَ وَدَّكَ وَانْبَسَطْتُ إِلَى أَمْرِي فِي الْوَدِّ بَعْدَكَ كُنْتَ أَنْتَ غَرَرْتَنِي
فَهَلُمَّ نَجْتَذِبِ التَّذَاكِرَ بَيْنَنَا وَنَعُودُ بَعْدُ كَأَنَّنَا لَمْ نَفْطَنْ^(٢)
[الكامل]

شعر له وقد أفاق من سكر :

أخبرني أحمد بن العباس العسكري، قال : حدثنا الحسن بن عُليل العنزري،

قال : حدثنا مسعود بن بشير، قال :

شرب محمد بن يسير نبيذاً مع قوم فأسكروه، حتى خرج من عندهم وهو لا
يعقل فأخذ رداءه وعثر في طريقه وأصاب وجهه آثار، فلما أفاق أنشأ يقول :

شَارِبْتُ قَوْمًا لَمْ أَطُقْ شُرْبَهُمْ يَغْرَقُ فِي بَحْرِهِمْ بَحْرِي
لَمَّا تَجَارَيْنَا إِلَى غَايَةٍ قَصَّرَ عَنْ صَبْرِهِمْ صَبْرِي
خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِمْ مُثَخِّنًا^(٣) تَدْفَعُنِي الْجُدْرُ إِلَى الْجُدْرِ
مُقَبِّحَ الْمَشْيِ كَسِيرِ الْخُطَا تُقْصِرُ عِنْدَ الْجَدِّ عَنْ سِيرِي
فَلَسْتُ أَنْسَى مَا تَجَشَّمتُ مِنْ كَدْحٍ^(٤) وَمِنْ جُرْحٍ وَمِنْ أَثَرِ

(١) السير : ما قطع من الجلد طولاً.

(٢) لم نَفْطَنْ : لم ننتبه.

(٣) مثخناً : مجرحاً.

(٤) الكدح : آثار الجراح البادية بعد التأمها، وهي الأثر أيضاً.

وَشَقَّ ثَوْبٍ وَتَوَى^(١) آخِرٍ وَسَقَطَةٌ بَانَ بِهَا ظَفَرِي
[السريع]

حدثني عمي وجحظة عن أحمد بن الطيب، قال: حدثنا بعض أصحابنا عن مسعود بن بشير، ثم ساق الخبر مثله سواء.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو العيناء قال:

اجتمع جعيفران الموصوس ومحمد بن يسير في بستان، فنظر إلى محمد بن يسير وقد انفرد ناحية للغائط، ثم قام عن شيء عظيم خرج منه، فقال جعيفران:

قَدْ قَلْتُ لَا بَنَ يَسِيرٍ لَمَّا رَمَى مِنْ عَجَانِهِ^(٢)
فِي الْأَرْضِ تَلَّ سَمَادٍ عَلَا عَلَى كُثْبَانِهِ^(٣)
طُوبَى لَصَاحِبِ أَرْضٍ خَرَّتْ فِي بُسْتَانِهِ
[المجث]

قال: فجعل ابن يسير يشتم جعيفران، ويقول: أي شيء أردت مني يا مجنون يا ابن الزانية، حتى صيرتني شهرة^(٤) بشعرك!!

أخبرني جحظة، قال: حدثني سوار بن أبي شراة، قال: حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال:

كان أبي مشغولاً بالنبيذ مشتهراً بالشرب، وما بات قط إلا وهو سكران، وما نبذ قط نبيذاً، وإنما كان يشربه عند إخوانه ويستسقيه منهم، فأصبحنا بالبصرة يوماً على مطر هاد^(٥)، ولم تمكنه معه الحركة إلى قريب من إخوانه، ولا بعيد، وكاد يجنُّ لما فقد النبيذ. فكتب إلى والي البصرة وكان هاشمياً، وهو محمد بن أيوب ابن جعفر بن سليمان، قال:

كَمْ فِي عِلَاجِ نَبِيذِ التَّمْرِ لِي تَعَبٌ الطَّبَخَ وَالذَّلَكَ وَالْمَعْصَارَ^(٦) وَالْعَكْرُ
وَإِنْ عَدَلْتُ إِلَى الْمَطْبُوحِ مُعْتَمِداً رَأَيْتَنِي مِنْهُ عِنْدَ النَّاسِ أَشْتَهَرُ^(٧)
نَقْلُ الدَّنَانِ^(٨) إِلَى الْجِيرَانِ يَفْضَحْنِي وَالْقِدْرُ تَتْرَكْنِي فِي الْقَوْمِ أَعْتَذِرُ

(١) توى: مات، هلك.

(٢) العجان، بكسر العين: الإست.

(٣) الكثبان، الواحد كتيب: التل من الرمال.

(٤) الشهرة: المشهور بما يُعاب عليه.

(٥) الهاد: الصوت لقوته.

(٦) المعصار: ما يُمكن عصره لما يحتويه.

(٧) اشتهر: يذاع ما عليه من شناعة وسوء حال.

(٨) الدنان، الواحد دن: ما توضع فيه الخمرة من آنية، أي الرق.

فصرتُ في البيت أَسْتَسْقِي وأُطْلِبُهُ
 فمنهم باذِلٌ سَمَحٌ^(٢) بِحَاجَتِنَا
 فَسَقَّنِي رِيَّ أَيَّامٍ لَتَمْنَعَنِي
 إِنْ كَانَ زِقٌّ فَزِقٌّ أَوْ فَوَافِرَةٌ
 وَإِنْ تَكُنْ حَاجَتِي لَيْسَتْ بِحَاضِرَةٍ
 فَاسْتَسْقِ غَيْرَكَ أَوْ فَادْكِرْ لَهُ خَبْرِي
 مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَأْتِنِي عَجَلًا
 لَا لِي نَبِيذٌ وَلَا حُرٌّ فَيَدْعَوَنِي

مَنْ الصَّدِيقُ وَرُسْلِي فِيهِ تَبْتَدِرُ^(١)
 وَمِنْهُمْ كَاذِبٌ بِالزُّورِ يَعْتَذِرُ
 عَمَّنْ سِوَاكَ وَتُغْنِيَنِي فَقَدْ خَسِرُوا
 مَنْ الدَّسَاتِيحِ^(٣) لَا يَزِرِي بِهَا الصَّفَرُ^(٤)
 وَلَيْسَ فِي الْبَيْتِ مِنْ آثَارِهَا أَثَرُ
 إِنْ اعْتَرَاكَ حَيَاءٌ مِنْهُ أَوْ حَصْرُ^(٥)
 فَلْيَأْتِنِي وَاقِفٌ بِالْبَابِ أَنْتَظِرُ
 وَقَدْ حَمَانِي مِنْ تَطْفِيلِي الْمَطَرُ

[البسيط]

قال: فضحك لما قرأها، وبعث إليه بزق نبِيذٍ ومائتي درهم، وكتب إليه: اشرب
 النبيذ وأنفق الدراهم إلى أن يمسك المطر ويتسع لك التطفيل، ومتى أعوزك مكانٌ
 فاجعلني فيئة^(٦) لك، والسلام.

صوت

أَنْتَ حَدِيثِي فِي النَّوْمِ وَالْيَقْظَةِ أَتَعَبْتُ مِمَّا أَهْذِي بِكَ الْحَفْظَةَ
 كَمْ وَاعِظٌ فِيكَ لِي وَوَاعِظَةٌ لَوْ كُنْتُ مِمَّنْ تَنْهَاهُ عَنْكَ عِظَةً

[المنسرح]

الشعر لديك الجَنِّ الحِمَاصِي. والغناء لعريب، هزج، ذكر ذلك ذكاء وجه الرُّرَّة
 وفُمرِيٌّ جميعاً، واللَّه أعلم.

(١) تبتدر: تتسارع.

(٢) السمع: الكريم.

(٣) الدَّسَاتِيح، الواحدة دَسْتِجَة: الإناء الكبير من الزجاج، فارسي معرَّب.

(٤) لا يزري به الصفر: لا يُنقص من جماله الفراغ مما حواه.

(٥) الحصر: العي، ضيق الصدر.

(٦) الفِئَة لك: المرجع بما يحتاج إليه.

أخبار ديك الجن ونسبه

نسبه ونبذة في ترجمته :

ديك الجن لقبٌ غلب عليه، واسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن يزيد بن تميم. وكان جدّه تميم ممن أنعم الله - عزّ وجلّ - عليه بالإسلام من أهل مُؤتة^(١) على يدي حبيب^(٢) بن مسلمة الفهري، وكان شديد التشعب^(٣) والعصبية على العرب، يقول: ما للعرب علينا فضل، جمعتنا وإياهم ولادة إبراهيم ﷺ، وأسلمنا كما أسلموا، ومن قتل منهم رجلاً ممّا قُتل به، ولم نجد الله عزّ وجلّ فضّلهم علينا، إذ جمعنا الدين.

وهو شاعرٌ مجيدٌ يذهب مذهب أبي تمام والشاميين في شعره. من شعراء الدولة العباسية. وكان من ساكني حمص، ولم يبرح نواحي الشام، ولا وفد إلى العراق ولا إلى غيره مُنتجعاً^(٤) بشعره ولا متصدّياً لأحد. وكان يتشيع تشيعاً حسناً، وله مراثٍ كثيرة في الحسين بن عليّ - عليهما السلام -، منها قوله:

يا عينُ لا للقضا ولا الكتبِ بُكا الرّزايا سوى بُكا الطّربِ
[المنسرح]

وهي مشهورة عند الخاص والعام، ويُناح بها. وله عدّة أشعار في هذا المعنى. وكانت له جاريةٌ يهواها، فاتّهمها بغيّامٍ له فقتلها، واستنفد شعره بعد ذلك في مراثيها.

قصيدته في هجاء ابن عمه :

قال أبو الفرج: ونسختُ خبره في ذلك من كتاب محمد بن طاهر، أخبره بما فيه ابن أخ لديك الجن يقال له أبو وهب الحمصي، قال:

(١) مؤتة: إحدى قرى البلقاء على مشارف بلاد الشام، وقد جرت فيها معركة بين المسلمين والروم على عهد رسول الله ﷺ.

(٢) هو: من مؤيدي معاوية في معركة صفين.

(٣) التشعب: العصبية ضد العنصر العربي من الأقوام التي تنفي على العرب تفوّقهم.

(٤) منتجعاً لشعره: طالباً معروفاً بمديحه.

كان عمي خليعاً ماجناً معتكفاً على القصص^(١) واللّهو، متلاًفاً لما ورث عن آبائه، واكتسب بشعره من أحمد وجعفر ابني عليّ الهاشميين، وكان له ابن عم يكنى أبا الطيب يعظه وينهاه عما يفعله، ويحول بينه وبين ما يؤثّر ويركبه من لذّاته وربما هجم عليه وعنده قومٌ من السفهاء والمجان وأهل الخلاعة، فيستخف بهم وبه. فلما كثر ذلك على عبد السلام قال فيه:

مولاُ ثنايا غلامٌ مُبتكره
غدث على اللّهُو والمجون، على
لحبّها - لا عِدْمَتها - حُرّق
ما دُقت منها سوى مقبّلها
وانتهرتني^(٦) فمتّ من فرق^(٧)
ثم انثنت سورة^(٨) الخُمار^(٩) بنا
وليلةٍ أشرفت بكلّكلها^(١٠)
فتقت ديجورها^(١٣) إلى قمر
عُج^(١٤) عبرات المدام^(١٥) نحوي من
قد ذكر الناس عن قيامهم
مَعرفتي بالصواب مَعرِفةً
يا عجباً من أبي الخبيث ومن

فباكرِ الكأس لي بلا نظره^(٢)
أن الفتاة الحيّة الخفرة^(٣)
مطويّة في الحشا^(٤) ومُنْتشِره
وضمّ تلك الفروع^(٥) منحدره
يا حُسْنَهَا في الرّضا ومنتهره!
خلال تلك الغدائر الخمرة
عليّ كالطّيلسان^(١١) مُعْتَجِره^(١٢)
أثوابه بالعفاف مُستتِره
عَشْرٍ وعشرين وأثنتي عشرة
ذكرى بعقلي ما أصبحت نكره
غَراء^(١٦) إمّا عرفتُم النّكره
سُروحه في البقائر الدّثّره^(١٧)

- (١) القصص: اللّهُو والعبث.
(٢) النظر: التأخر.
(٣) الخفرة: الشديدة الحياء.
(٤) مطوية في الحشا: ضامرة الخصر.
(٥) الفروع: الواحد فرع: الشعر بأكمله.
(٦) انتهرتني: وبختني وزجرتني.
(٧) الفرق: شدة الخوف والفرع.
(٨) سورة الخُمار: الصداع يصيب رأس شارب الخمرة لحدّتها.
(٩) الخُمار: الصداع يصيب رأس شارب الخمرة لحدّتها.
(١٠) كلّكل كل شيء: صدره.
(١١) الطيلسان: كساء من أكسية العجم أسود. فارسي معرّب.
(١٢) معتجرة: ملتحفة بذلك الرداء.
(١٣) الديجور: شدة العتمة والظلمة.
(١٤) عُج: عرج، مل.
(١٥) المدام: من أسماء الخمرة.
(١٦) غَراء: معلومة مشهورة، ذائعة الصيت.
(١٧) الدّثّرة: المتسخة.

يحمل رأساً تنبو^(١) المعاول عن
لو البغال الكُمت^(٣) ارتقت سنداً
ولا المجانيق^(٥) فيه مُغنية
أنظر إلى موضع المقص من الـ
فلو أخذتم لها المطارق حَرَانِيَّة^(١٠) صَنعة اليدِ الخبِرَة
إذا لراحتْ أَكْفُ جَلَّتْهُم^(١١)
كم طرباتِ أَفسدَتْهُنَّ وكم
وكم إذا ما رأوك يا ملك الـ
وكم لهم دعوة عليك وكم
كريمة لؤمك استخفَّ بها
قفوا على رَحله^(١٥) تَرَوْا عجباً
يا كلَّ مَنِي^(١٧) وكلَّ طالعة
سبحان مَنْ يُمسك السماء على الـ

صَفحته والجلامد^(٢) الوعرَة
فيه لمدَّت قوائم خِدْرَة^(٤)
ألفُ تسامى^(٦) وألف مُنكدرَة^(٧)
بِهامة تلك الصفيحة^(٨) العجْرَة^(٩)
كَلِيلَة والأداة مُنكسرَة
صَفوة عَيْشٍ غادرتْها كدرَة
موت لهم من أَناملِ خصرَة^(١٢)
قَذفة أمَّ شَنْعاء مُشتهرَة
ونالها بالمثالب^(١٣) الأشرَة^(١٤)
في الجهل يحكي طرائف^(١٦) البصرَة
نَحسٍ ويا كلَّ ساعة عَسرَة
أَرْض وفيها أَخلاقُك القذرَة
[المنسرح]

- (١) تنبو المعاول: تكلّ الفؤوس العظيمة التي تنقر بها الصخور.
- (٢) الجلامد، الواحد جلمود: الصخور.
- (٣) الكمت، الواحد كمت، من البغال: التي اختلطت ألوان السواد والحمرة.
- (٤) الخدرة: التي اعتراها فتور، فثقلت حركتها.
- (٥) المجانيق، الواحد منجنيق: آلة حربية تستعمل في حصار المدن، تلقى بواسطتها الأحجار على الحصون. فارسي معرّب.
- (٦) تسامى: ارتفع.
- (٧) منكدرَة: منصبة بعنف تتساقط.
- (٨) الصفيحة: الحجر الأملس العريض.
- (٩) العجْرَة: الصلبة الضخمة.
- (١٠) حَرَانِيَّة: تنسب إلى حرّان، وهي مدينة تقع على طريق الموصل والشام والروم، اشتهر أهلها بعبادة النجوم، وهم الصابئة.
- (١١) جَلَّة، بكسر الجيم، كبار القوم.
- (١٢) خصرَة: باردة.
- (١٣) المثالب، الواحدة مثلبة: النقائص والعيوب.
- (١٤) الأشرَة: البطرة المرحّة.
- (١٥) الرحل: المنزل، المسكن.
- (١٦) الطرائف، الواحد طريف: كلّ ما هو جديد يبهج النظر.
- (١٧) المني: البلاء والامتحان.

قصته مع زوجة ورد:

قال: وكان عبد السلام قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص هويها وتمادى به الأمر حتى غلبت عليه وذهبت به. فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوج بها، فأجابته لعلمها برغبته فيها، وأسلمت على يده، فتزوجها، وكان اسمها ورداً؛ ففي ذلك يقول:

أنظر إلى شمس القصور وبدرها وإلى خزامها^(١) وبهجة زهرها
لم تبل عينك^(٢) أبيضاً في أسود جمع الجمال كوجهها في شعرها
ورديّة الوجنات يختبر اسمها من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من أردافها عجباً ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كأس مُدّامة^(٣) من كفّها ورديّة ومُدّامة من ثغرها
[الكامل]

قال: وكان قد أعسر واختلّ حاله، فرحل إلى سلمية^(٤) قاصداً لأحمد بن عليّ الهاشمي، فأقام عنده مدّة طويلة، وحمل ابن عمه بغضه إيّاه بعد مودّته له وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على أن أذاع على تلك المرأة التي تزوّجها عبد السلام أنها تهوى غلاماً له، وقرّر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه، وشاع ذلك الخبر حتى أتى عبد السلام، فكتب إلى أحمد بن عليّ شعراً يستأذنه في الرجوع إلى حمص ويُعلمه ما بلغه من خبر المرأة من قصيدة أولها:

إنّ ريب الزمان^(٥) طال انتكائه^(٦) كم رمتني بحادثٍ أحداثه
يقول فيها:

ظبي أنس قلبي مَقليل ضحاه وفؤادي بريّره^(٧) وكبائه^(٨)
وفيها يقول:

خيفة أن يخون عهدي وأن يُضـ حي لغيري حُجوله^(٩) ورعائه^(١٠)
[الخفيف]

(١) الخزامى: نبت طيب الرائحة.

(٢) لم تبل عينك: لم تر.

(٣) المدّامة: من أسماء الخمرة.

(٤) سلمية: بلدة بالشام من أعمال حمص.

(٥) ريبُ الزمان: صرف الدهر.

(٦) إنتكائه: إنتقاضه.

(٧) البرير: الأول من ثمر الأراك.

(٨) الكبّاث: الناصح من ثمر الأراك.

(٩) الحُجول، بضم الحاء الواحد ججل، بكسر الحاء: الخلخال.

(١٠) الرعات، الواحدة رعثة: القرط تتحلّى به المرأة في عنقها.

ومدح أحمد بعد هذا؛ وهي طويلة. فأذن له فعاد إلى حمص؛ وقدر ابن عمه وقت قدومه، فأرصد له قوماً يعلمونه بموافاته باب حمص. فلما وافاه خرج إليه مستقبلاً ومعنفاً على تمسكه بهذه المرأة، بعد ما شاع من ذكرها بالفساد، وأشار عليه بطلاقها، وأعلمه أنها قد أحدثت في مغيبه حادثاً لا يجمل به معها المقام عليها، ودس الرجل الذي رماها به، وقال له: إذا قدم عبد السلام ودخل منزله فقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه، ونادِ باسم ورد؛ فإذا قال: مَنْ أَنْتَ؟ فقل: أنا فلان. فلما نزل عبد السلام منزله وألقى ثيابه، سألها عن الخبر وأغلظ عليها، فأجابته جواب مَنْ لم يعرف من القصة شيئاً. فبينما هو في ذلك إذ قرع الرجل الباب فقال: مَنْ هذا؟ فقال: أنا فلان. فقال لها عبد السلام: يا زانية، زعمت أنك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها، وقال في ذلك:

ليتني لم أكن لعطفك نلتُ وإلى ذلك الوصال وصلتُ
فالذي منّي اشملت عليه العار ما قد عليه اشملتُ
قال ذو الجهل قد حلمت ولا أع لم أني حلمت حتى جهلتُ
لائم لي بجهله ولماذا أنا وحدي أحبت ثم قتلتُ!
سوف آسى طول الحياة وأبكي لك على ما فعلت لا ما فعلتُ
[الخفيف]

وقال فيها أيضاً:

لك نفسٌ مُواتية^(١) والمنايا^(٢) مُعادية
أيها القلب لا تعد لهوى البويض ثانية
ليس برقٌ يكون أخ لب من برق غانية^(٣)
خنت سري ولم أخن لك فموتي علانية
[مجزوء الخفيف]

قال: وبلغ السلطان الخبر فطلبه، فخرج إلى دمشق فأقام بها أياماً. وكتب أحمد بن علي إلى أمير دمشق أن يؤمنه، وتحمل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته. فقدم حمص وبلغه الخبر على حقيقته وصحته، واستيقنه فندم، ومكث شهراً لا يستفيق

(١) مواتية: موافقة.

(٢) المنايا، الواحدة منية: الموت.

(٣) الغانية من النساء: التي اغتنت بزوجها عن سواه، أو التي اغتنت بجمالها عن التجميل.

مَنْ البكاء ولا يطعم مَنْ الطعام إِلَّا ما يُقيم رmqه . وقال في ندمه على قتلها :

يا طلعةً طلع الحمام^(١) عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويتُ من دمها الثرى ولطالما روى الهوى شفتي من شفتيها
قد بات سيفي في مجالٍ وشاحها^(٢) ومدامعي تجري على خديها
فوحقٌ نعليها وما وطئ الحصى شيءٌ أعزُّ عليّ من نعليها
ما كان قتلها لأنّي لم أكن أبكي إذا سقط الذباب عليها
لكن ضننتُ^(٣) على العيون بحسنها وأنفتُ من نظر الحسود إليها
[الكامل]

وهذه الأبيات تروى لغير ديك الجن .

أخبرني بها محمد بن زكريا الصحّاف قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال :
حدثني محمد بن منصور ، قال :

كان من غطفان رجلٌ يقال له السُّليّك بن مجمّع ، وكان من الفرسان ، وكان
مطلوباً في سائر القبائل بدماء قوم قتلهم ، وكان يهوى ابنة عمّ له ، وكان خطبها مدّةً
فمنعها أبوها ، ثم زوّجه إياها خوفاً منه ، فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أسبوعٍ
إلى عشيرته ، فلقيه من بني فزارة ثلاثون فارساً كلّهم يطلبه بدخل^(٤) ، فحلّقوا عليه ،
وقاتلهم وقتل منهم عدداً ، وأثخن بالجراح آخرين ، وأثخن هو حتى أيقن بالموت .
فعاد إليها فقال : ما أسمح بك نفساً لهؤلاء ، وإنّي أحبّ أن أقدمك قبلي . قالت :
افعل ، ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعدك . فضربها بسيفه حتى قتلها ، وأنشأ يقول :

يا طلعةً طلع الحمام عليها

وذكر الأبيات المنسوبة إلى ديك الجن ، ثم نزل إليها فتمرّغ في دمها وتخضّب^(٥)
به ، ثم تقدّم فقاتل حتى قُتل . وبلغ قومه خبره ، فحملوه وابنة عمه فدفنوهما . قال :
وحفظت فزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها . قال : وبلغني أنّ قومه أدركوه وبه رمق ،
فسمعوه يردّد هذه الأبيات ، فنقلوها وحفظوها عنه ، وبقي عندهم يوماً ثم مات .

(١) الحمام ، بكسر الحاء : الموت ، الردى أيضاً .

(٢) الوشاح ، بكسر الواو : أديم عريض يرصّع بالجوهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحتها .

(٣) ضننت : بخلت .

(٤) الدحل : الثأر .

(٥) تخضّب : تمرّغ بدمها .

وقال ديك الجن في هذه المقتولة :

أشفقتُ أن يَرِدَ الزمان بقتله
قمرٌ أنا استخرجتُه من دَجَنه^(١)
فقتلته وله عليّ كرامةٌ
عهدي به ميتاً كأحسن نائمٍ
لو كان يدري الميت ماذا بعده
غُصَصُ^(٥) تكاد تفيظ^(٦) منها نفسه

وقال فيها أيضاً :

أساكنَ حُفْرةٍ وقرارَ لَحْدٍ
أَجْبَنِي إن قَدَرْتَ على جوابي
وأين حللتَ بعد حلول قلبي
أما واللَّه لو عاينتَ وَجْدِي^(٨)
وجدتَ تنفُّسي وعلا زفيرِي
إذا لَعَلِمْتَ أَنِّي عن قريبٍ
ويعذلني السفية على بُكائي
يقول : قتلتها سفهاً وجهلاً
كصَيَّاد الطُّيور له انتحابٌ

أو أُبتلى بعد الوصال بهجره
لِبَلِيَّتِي وجلوتُه^(٢) من خدره
مِلءَ الحشى^(٣) وله الفؤاد بأسره
والحزن يسفح^(٤) عبرتي في نحره
بالحيِّ حلّ بكى له في قبره
وتكاد تخرج قلبه من صدره
[الكامل]

مُفارق خُلَّةٍ^(٧) من بعد عهدٍ
بحقِّ الوُدِّ كيف ظَلِمْتَ بَعْدِي
وأحشائي وأضلاعي وكَبْدِي؟
إذا استعبرتُ^(٩) في الظُّلمات وحدي
وفاضتْ عَبرتي في صحن خَدِّي
سُتُحْفِرُ حُفرتي ويشقُّ لَحْدِي
كأنِّي مَبْتَلَى بالحزن وحدي
وتبكيها بكاءً ليس يُجْدِي^(١٠)
عليها وهَوَى يذبحها بحدٍّ
[الوافر]

(١) الدجن : الظلمة الشديدة، العتمة.

(٢) جلوته من خدره : طلبت منها أن تتزيّن وتخرج من مخدعها.

(٣) الحشا : ما انضمت عليه الضلوع. (٤) يسفح عبرتي : يجعلها تنهمر.

(٥) الغصص : الهمّ والحزن.

(٦) تفيظ نفسه : تفيض روحه، وتلك لغة من لغات العرب، فهم يدلون الظاء بالضداد.

(٧) الخُلَّة، بضم الخاء : الصديق والصاحب والحيب.

(٨) وجدي : شدة حزني.

(٩) استعبرت : بكت عينا، وانهمرت عبراتي.

(١٠) ليس يُجْدِي : لا ينفع.

وقال فيها أيضاً:

ما لأمري ببد الدهر الخؤون يدُ
طوبى لأحاب أقوام أصابهمُ
وحقهم إنه حق أضنُّ به
يا دهر إنك مسقي بكأسهمُ
ألخلق ماضون والأيام تتبعهم
ولا على جلد الدنيا له جلدُ
من قبل أن عشقوا، موت فقد سعدوا
لأنفدن لهم دمعي كما نفذوا
ووارد ذلك الحوض الذي وردوا
نفنى جميعاً ويبقى الواحد الصمدُ
[البسيط]

وقال فيها:

أما أن للطيف أن يأتيا
وإني لأحسب ريب^(١) الزما
سأشكر ذلك لانسياً
وقد كنت أنشره ضاحكاً
وأن يطرق الوطن الدانيا
ن يتركني جسداً باليا
جميل الصفاء ولا قاليا^(٢)
فقد صرت أنشره باكياً
[المتقارب]

وقال أيضاً:

قل لمن كان وجهه كضياء الشِّم
كنت زين الأحياء إذ كنت فيهم
بأبي أنت في الحياة وفي المو
خنتني في المغيب والخون نُكرُ
فشفاني سيفي وأسرع في حَزّ التراقي قطعاً وحزّ النحورِ
مس في حسنه وبدرٍ مُنيرِ
ثم قد صرت زين أهل القبورِ
ت وتحت الثرى ويوم النشورِ^(٣)
وذميم في سالفات الدهورِ
[الخفيف]

شعره في غلامه بكر:

قال أبو الفرج: ونسخت من هذا الكتاب، قال:

كان ديك الجن يهوى غلاماً من أهل حمص يقال له بكر، وفيه يقول وقد جلسا يوماً يتحدثان إلى أن غاب القمر:

(١) رَيْبُ الزمان: صرف الدهر.

(٢) قالياً: مبعداً، مبغضاً.

(٣) يوم النشور: يوم البعث.

دَعَ البدر فليغرُبْ فأنت لنا بدرُ
إذا ما انقضى سحر الذين ببابل^(١)
ولو قيل لي: قم فادعُ أحسن من ترى
إذا ما تجلّى من محاسنك الفجرُ
فطرُفُك^(٢) لي سحرٌ وريقك لي خمرُ
لصحت بأعلى الصوت يا بكرُ يا بكرُ
[الطويل]

قال: وكان هذا الغلام يُعرف ببكر بن دهمرد. قال: وكان شديد التمتع
والتصوّن، فاحتال قومٌ من أهل حمص فأخرجوه إلى مُتنزّهٍ لهم يعرف بميماس،
فأسكروه وفسقوا به جميعاً، وبلغ ديك الجن الخبر فقال فيه:

قُلْ لهْضيم الكشح^(٣) مَيّاس^(٤)
يا طلعة الآس التي لم تَمُدْ
وثِقَتْ بالكأس وشربابها
وحال ميماسُ ويا بعدما
تقطيعُ أنفاسك في أثرهم^(٥)
لا بأس مولاي، على أنها
هي الليالي ولها دولةٌ
بيننا أنافت وعلت بالفتى
فاله ودعُ عنك أحاديثهم
انتقض^(٦) العهد من الناس
إلا أذَلَّتْ قُضْبُ الآس^(٧)
وحتف^(٨) أمثالك في الكاس
بين مغيثيك وميماس
وملكهم^(٩) قطع أنفاسي
نهاية المكروه والبأس
ووحشة من بعد إيناس
إذ قيل حطّته على الرّاس
سيصبح الذّاكر كالنّاسي
[السريع]

وقال فيه أيضاً:

يا بكرُ! ما فعلت بك الأرطال^(١٠)
في الدار بعد بقيّة نستمها
عرم^(١١) الزمان على الديار برغمهم
يا دار! ما فعلت بك الأيام
إذ ليس فيك بقيّة تُستام^(١٢)
وعليك أيضاً للزمان عرامُ

(١) بابل: من أقدم مدن العراق، تشتهر بالسحر وصناعة الخمر.

(٢) الطرّف، بسكون الراء: النظر.

(٣) الكشح: الخصر الضامر.

(٤) مياس: يميل برقة واعتزاز.

(٥) انتقض: انقلب.

(٦) الآس من الأشجار: الفوّاح بطيب رائحته.

(٧) الحتف: الهلاك، الموت.

(٨) الأثر: إكتار الفحل من ضراب الناقة.

(٩) الملك: اتقان عجن العجين.

(١٠) الأرطال، الواحد رطل: يقصد الشاعر بذلك أرطال الخمرة.

(١١) نستم: تعرض السلعة للبيع بسعر مرتفع.

(١٢) عرم الزمان: اشتد تضيقه.

شغل الزمان كراك في ديوانه فتفرغت لدواتك الأقلام
وقال فيه أيضاً:

قولا لبكر بن دهمرد إذا اعتكرت^(١) عساكر الليل بين الطاس والجام^(٢)
ألم أقل لك إن البغي مهلكة والبغي والعجب إفساد لأقوام
قد كنت تفرق^(٣) من سهم بغانية^(٤) فصرت غير رميم^(٥) رقعة الرامي
وكنت تفزع من لمس ومن قبل فقد ذلت لإسراج وإلجام
إن تدم فخذاك من ركض فربتما أمسي وقلبي عليك الموجه الدامي
[البسيط]

أخبرني أبو المعتصم عاصم بن محمد الشاعر بأنطاكية، وبها أنشدني قصيدة
البحري:

ملامك^(٦) إنه عهد قريب ورزء^(٧) ما انقضت منه الندوب
[الوافر]

وأنشدني لديك الجن يعزي جعفر بن علي الهاشمي:

نغفل والأيام لا تغفل ولا لنا من زمن مائل
والدهر لا يسلم من صرفه^(٨) أعصم^(٩) في القنة^(١٠) مستوعل^(١١)
يتخذ الشعرى^(١٢) شعاراً له كأنما الأفق له منزل
كأنه بين شناظيرها^(١٣) بارقة تكمن أو تمثل

(١) اعتكرت عساكر الليل: اشتدت ظلمته. (٢) الجام: إناء مصنوع من الفضة.

(٣) تفرق: ترتجف خوفاً.

(٤) الغانية من النسوة: من اغتنت بجمالها عن التزين، أو التي اغتنت بزوجه عن سواء.

(٥) الرميم: الباقي بعد الموت. (٦) الملام: التفرع.

(٧) الرزء: المصيبة، الكارثة.

(٨) صرف الدهر: ريب الزمان.

(٩) الأعصم من الفحول: ما في قائمته أو إحداها بياض وسائره أسود أو أحمر.

(١٠) القنة: ذروة الجبل، أعلاه.

(١١) استوعل الوعل: صعد إلى ذروة الجبل.

(١٢) الشعرى: الكوكب الذي يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدة الحر.

(١٣) شناظير الجبل، الواحد شنظير: أطرافه وجناباته.

ولا حُبَابٌ^(١) صلتان^(٢) السرى^(٣)
 نضناض^(٥) فيفاء^(٦) يرى أنه
 يطلب من فاجئة معقلاً
 والدهر لا يسلم من صرفه
 ولا عقنباة^(١١) السّلامى^(١٢) لها
 فتخاء^(١٤) في الجوّ خداريّة^(١٥)
 آمن من كان لصرف الردى^(١٦)
 والدهر لا يحجبه^(١٧) مانع^(١٨)
 يُصغي جديده^(٢٠) إلى حكمه
 كأنّه من فرط عزّ به
 الأقبل: الذي في عينه قبل، وهو دون الحول.

في حسب أوفى، له جحفل^(٢٢)
 بينا على ذلك إذ عرّشت^(٢٣)
 إن يك في العزّ له مشقص^(٢٥)
 يقدمه من رأيه جحفل
 في عرشه داهية ضئبل^(٢٤)
 ماض فقد تاح^(٢٦) له مقتل

- (١) الحُبَاب، بضم الحاء: الحية.
 (٢) الصلتان من الخيول: النسيط.
 (٣) السرى: السير ليلاً.
 (٥) النضناض من الحيات: الكثير الحركة لا يستقرّ في مكانه لشدة نشاطه.
 (٦) الفيفاء: المفازة لا أنيس فيها ولا ماء.
 (٧) غان: غني.
 (٨) المرمّل: المعدم، الفقير.
 (٩) مسربل بالسرد: يرتدي درعاً أحسن صنعه من حديد.
 (١٠) مستبسل: بذل أقصى ما لديه من شجاعة.
 (١١) عقنباة: ذات مخالب حداد.
 (١٢) السّلامى: كل عظم مجوّف من صغار العظام مثل عظام الأصابع.
 (١٣) العلق: الدم.
 (١٤) الفتخاء من العقبان: اللينة الجناح.
 (١٥) حذارية: سوداء.
 (١٦) صرف الردى: نكبة الموت.
 (١٧) لا يحجبه: لا يخفيه، لا يمنعه.
 (١٨) المانع: الحامي لدماره ولقوته.
 (١٩) المنصل، بكسر الميم: السيف.
 (٢٠) الجديدان: الليل والنهار.
 (٢١) الأشوس: من ينظر بطرف عينيه لسواه تكبراً.
 (٢٢) الجحفل: الجيش العظيم.
 (٢٣) عرشت: أبنتت عريشاً.
 (٢٤) الضئبل: الداهية.
 (٢٥) المشقص: النصل العريض أو الطويل.
 (٢٦) تاح: تهيأ.

جَادَ عَلَى قَبْرِكَ مِنْ مَيِّتٍ
وَحَنَّتِ الْمُزْنُ^(٢) عَلَى قَبْرِهِ
غَيْثٌ^(٦) تَرَى الْأَرْضَ عَلَى وَبْلِهِ^(٧)
يَصِلُ^(٩) وَالْأَرْضَ تَصَلِّيَ لَهُ
أَنْتَ أَبَا الْعَبَّاسِ عَبَّاسُهَا
وَأَنْتَ يَنْبُوعُ أَفَانِينِهَا^(١٢)
وَأَنْتَ عَلَامُ غَيُوبِ النَّثَا^(١٤)
نَحْنُ نَعَزِيكَ وَمَنْكَ الْهَدَى
نَقُولُ بِالْعَقْلِ وَأَنْتَ الَّذِي
نَحْنُ فِدَاءُ لَكَ مِنْ أُمَّةٍ
إِذَا غَفَا^(١٥) عَنْكَ وَأُودِيَ^(١٦) بِهَا

بِالرَّوْحِ^(١) رَبُّ لَكَ لَا يَبْخُلُ
بِعَارِضٍ^(٣) نَجْوَتَهُ^(٤) مُحْفَلٌ^(٥)
تَضْحَكُ إِلَّا أَنَّهُ يَهْمِلُ^(٨)
مِنْ صَلَوَاتٍ مَعَهُ تَسْأَلُ
إِذَا اسْتَطَارَ^(١٠) الْحَدَثُ الْمَعْضَلُ^(١١)
إِذَا هُمْ فِي سَنَةٍ أَمَحَلُوا^(١٣)
يَوْمًا إِذَا نَسَّأَلُ أَوْ تُنَسَّأَلُ
مُسْتَخْرَجٌ وَالنُّورُ مُسْتَقْبَلُ
نَأْوِي إِلَيْهِ وَبِهِ نَعْقُلُ
وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ وَالْأَوَّلُ
ذَا الدَّهْرُ فَهُوَ الْمُحْسَنُ الْمُجْمَلُ^(١٧)
[السريع]

قال أبو المعتصم: ثم مات جعفر بن عليّ الهاشمي، فرثاه ديك الجن، فقال:

عَلَى هَذِهِ كَانَتْ تَدُورُ النَّوَائِبُ^(١٨)
نَزَلْنَا عَلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَأَمْرِهِ
وَتَضْحَكُ سَنُ الْمَرْءِ، وَالْقَلْبُ مَوْجَعٌ
أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبَانُ وَالرَّذُّ وَاجِبٌ
إِلَى أَيِّ فِتْيَانِ النَّدَى قَصْدَ الرَّدَى

وَفِي كُلِّ جَمْعٍ لِلذَّهَابِ مَذَاهِبُ
وَهَلْ يَقْبَلُ النَّصْفَ^(١٩) الْأَلَدُ الْمَشَاغِبُ^(٢٠)؟
وَيَرْضَى الْفَتَى عَنْ دَهْرِهِ، وَهُوَ عَاتِبُ
قِفُوا حَدِّثُونَا مَا تَقُولُ النَّوَادِبُ
وَأَيُّهُمْ نَابِتُ حِمَاهِ النَّوَائِبُ

(١) الروح: الرحمة.

(٢) المزنة، الواحدة مزنة السحب المترعة بالماء.

(٣) العارض من السحب: الذي يعترض في أفق السماء.

(٤) النجوة من كل شيء: المرتفع.

(٥) المحفل: حيث يكثر الماء.

(٦) الغيث: المطر.

(٧) الويل: المطر المنهمر بغزارة.

(٨) يهمل: ينهمر باستمرار في سكون.

(٩) يصل: يصوت.

(١٠) استطار: تفرق بفعل الرياح وانتشر.

(١١) المعضل: الشدائد القبح.

(١٢) الأفانين، الواحد فتن: الغصن المستقيم.

(١٣) أمحلوا: أجذبوا.

(١٤) النثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ.

(١٥) غفا: غفل ونام إغفاءة خفيفة.

(١٦) أودى بها: أهلكها.

(١٧) المجمل: من قدم جميلاً.

(١٨) النوائب، الواحدة نائبة: المصائب والويلات.

(١٩) النصف: الإنصاف، العدل.

(٢٠) الألد المشاغب: العدو اللدود المشاكس.

فيا لأبي العباس كم ردّ راغبٌ
ويا لأبي العباس إنّ مناكباً
فيا قبره جدّ كلّ قبرٍ بجوده^(٣)
فإنك لو تدري بما فيك من علّاً
أخاً كنت أبكيه دماً، وهو نائمٌ
فمات، ولا صبري على الأجر واقفٌ
أأسعى لأحظى فيك بالأجر إنّه
وما الإثم إلا الصبر عنك وإنما
يقولون: مقدارٌ على المرء واجبٌ
هو القلب لمّا حمّ يومٌ ابن أمّه
ترشّفت أيامي، وهنّ كوالح
ودافعت في صدر الزمان ونحره
وقلت له: خلّ الجواد لقومه
فوالله إخلاصاً من القول صادقاً
لو أنّ يدي كانت شفاءك أو دمي
لسلّمت تسليم الرضا وتخذتها
فتى كان مثل السيف من حيث جئته
فتى همه حمداً على الدهر رابحٌ
شمائل إن يشهد فهنّ مشاهدٌ
بكأك أخ لم تحوه بقربة
وأظلمت الدنيا التي كنت جاراها

لفقدك ملهوفاً وكم جبّ^(١) غاربٌ^(٢)
تنوء بما حملتها لنواكبٌ
ففيك سماءٌ ثرةً^(٤) وسحائبٌ
علّوت وباتت في ذراك^(٥) الكواكبُ
حذاراً وتعمى مُقلتي، وهو غائبٌ
ولا أنا في عُمرٍ إلى الله راغبٌ
لسعي إذن متّي لدى الله خائبٌ
عواقب حمداً أن تدمّ العواقبُ
فقلت: وإعوال^(٦) على المرء واجبٌ
وهي جانبٌ منه وأسقم جانبٌ
عليك، وغالبت الردى، وهو غالبٌ
وأني يدلي، والزمان محاربٌ
وهأنذا فازدد فينا عصائبٌ^(٧)
وإلا فحبي آل أحمد كاذبٌ
دم القلب حتى يقضّب القلب قاضبٌ^(٨)
يداً للردى ما حجّ لله راكبٌ
لنائبية^(٩) نابتك، فهو مضاربٌ
وإن غاب عنه ماله، فهو عازبٌ
عظامٌ، وإن يرحل فهنّ كتائبٌ^(١٠)
بلى إنّ إخوان الصفاء أقاربٌ
كأنك للدنيا أخٌ ومُناسبٌ

(٢) الغارب: الكاهل.

(٤) سماء ثرة: غزيرة الأمطار.

(٦) الإعوال: أشدّ البكاء والتفجع.

(٨) القاضب: القاطع.

(١) جبّ: قُطع.

(٣) الجود: الكرم، المطر العميم.

(٥) ذراك: علاك وظلك.

(٧) العصائب: الجماعات.

(٩) النائبة: المصيبة.

(١٠) الكتائب، الواحدة كتيبة: الفرقة من الجيش.

يبرّد نيران المصائبِ أُنني أرى زمناً لم تبق فيه مصائبُ
[الطويل]

أبيات له في أهل حمص وقد عزلوا إمام مسجدهم: قال أبو الفرج: ونسخت
من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر.

إن خطيب أهل حمص كان يصلي على النبي ﷺ على المنبر ثلاث مرات في
خطبته، وكان أهل حمص كلهم من اليمن، لم يكن فيهم من مُضرٍ إلا ثلاثة أبيات،
فتعصّبوا على الإمام وعزلوه؛ فقال ديك الجن:

سمعوا الصلاة على النبي توالى فتفرّقوا شيعاً، وقالوا: لا، لا
ثم استمرّ على الصلاة إمامهم فتحزّبوا، ورمى الرجال رجالا
يا آل حمص توقّعوا من عارها خزيّاً يحلّ عليكم ووبالا
شاهت^(١) وجوهكم وجوهاً طالما رغمت معاطسها^(٢) وساءت حالا
[الكامل]

صوت

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكیلاً فإنني لست آكله وحدي
[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر لقيس بن عاصم المنقري، والغناء لعلويه، ثقیل أول
بالوسطى.

(١) شاهت: قبحت.

(٢) المعاطس، الواحد معطس: الأنوف.

أخبار قيس بن عاصم ونسبه

نسبه :

هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مُقاعس . واسم مقاعس الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ويكنى أبا علي . وأمه أم أصعر بنت خليفة بن جَرول بن منقر .

بعض صفاته :

وهو شاعرٌ فارسٌ شجاعٌ حليمٌ كثير الغارات ، مُظفّرٌ في غزواته . أدرك الجاهليّة والإسلام فساد فيهما . وهو أحد من وأد بناته^(١) في الجاهلية ، وأسلم وحسن إسلامه ، وأتى النبي ﷺ ، وصحبه في حياته ، وعمر بعده زماناً ، وروى عنه عدّة أحاديث .

أخبرني عمي الحسن بن محمد، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال : حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه . قال :

وفد قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ ، فسأله بعض الأنصار عمّا يتحدّث به عنه من المؤوّدات التي وأدّه من بناته ؛ فأخبر أنّه ما وُلدت له بنتٌ قطُّ إلّا وأدّها . ثم أقبل على رسول الله ﷺ يحدثه ، فقال له : كنت أخاف سوء الأحداث والفضيحة في البنات ، فما وُلدت لي بنتٌ قطُّ إلّا وأدتها ، وما رحمت منهنّ مؤوودةً قطُّ إلّا بنيّة لي ولدتها أمّها وأنا في سفر ، فدفعها أمّها إلى أخوالها فكانت فيهم ؛ وقدِمْتُ فسألت عن الحمل ، فأخبرتني المرأة أنّها وُلدت ولداً ميّتاً . ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية ويفعت ، فزارت أمّها ذات يوم ، فدخلتُ فرأيتها وقد ضفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئاً من خلوق^(٢) ونظمت عليها ودعاً ، وألبستها قلادةً جِزَع^(٣) ، وجعلت في عنقها مخنقة^(٤) بلح فقلت : من هذه الصبية ، فقد أعجبني جمالها

(١) وأد بناته : دفنهن وهن على قيد الحياة .

(٢) الخلوق : ضرب من الطيب .

(٣) الجِزَع ، بكسر الجيم : الخرز اليماني ، حيث يختلط بياضه بسواده .

(٤) المخنقة : القلادة في رقبة الأنثى .

وكيسها^(١)؟ فبكت ثم قالت: هذه ابنتك، كنت خبرتك أني ولدت ولداً ميّتا، وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ. فأمسكت عنها حتى اشتغلت عنها، ثم أخرجتها يوماً فحفرت لها حفيرة فجعلتها فيها، وهي تقول: يا أبت ما تصنع بي؟! وجعلت أقذف عليها التراب وهي تقول: يا أبت أمغطي أنت بالتراب؟! أتاركي أنت وحدي ومنصرف عني؟! وجعلت أقذف عليها التراب ذلك حتى واريها^(٢) وانقطع صوتها، فما رجمت أحداً ممن واريته غيرها. فدمعت عينا النبي ﷺ، ثم قال: «إن هذه لقسوة، وإن من لا يرحم لا يرحم» أو كما قال ﷺ.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس، قال: حدثني عمي أبو فراس محمد بن فراس عن عمر بن أبي بكّار عن شيخ من بني تميم عن أبي هريرة:

أن قيس بن عاصم دخل على رسول الله ﷺ، وفي حجره بعض بناته يشمّها، فقال له: ما هذه السخلة^(٣) تشمّها؟ فقال: هذه ابنتي. فقال: واللّه لقد وُلد لي بنون ووادتُ بُنَيَات ما شممتُ منهن أنثى ولا ذكراً قط. فقال رسول الله ﷺ: «فهل إلا أن ينزع الله الرحمة من قلبك»!

سبب وأده لبناته:

قال أحمد بن الهيثم، قال عمي: فحدثني عبد الله بن الأهتم:

أن سبب وأد قيس بناته أن المشمرج اليشكري أغار على بني سعد فسبى منهم نساءً واستاق أموالاً، وكان في النساء امرأة، خالها قيس بن عاصم، وهي رميم بنت أحمر بن جندل السعدي، وأمها أخت قيس. فرحل قيس إليهم يسألهم أن يهبوها له أو يفدوها، فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفأها لنفسه. فسأله فيها، فقال: قد جعلت أمرها إليها فإن اختارتك فخذها. فخيرت، فاختارت عمرو بن المشمرج. فانصرف قيس فوآد كل بنت، وجعل ذلك سنة في كل بنت تولد له، واقتدت به العرب في ذلك؛ فكان كل سيّد يولد له بنت يثدّها خوفاً من الفضيحة.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه عن جدّه قال:

(١) الكيس: الرزانة، التعلّل.

(٢) وارى التراب: دفن فيه.

(٣) السخلة: ولد الشاة والعنزة من الإناث.

تزوج قيس بن عاصم المنقري منقوسة بنت زيد الفوارس الضبي، وأتته في الليلة الثانية من بناءه بها بطعام، فقال: فأين أكيلي؟ فلم تعلم ما يريد؛ فأنشأ يقول:

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين^(١) والفرس الورد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكيلاً فإنني لست أكله وحدي
أخاً طارقاً أو جار بيتٍ فإنني أخاف ملامات الأحاديث من بعدي
وإنني لعبد الضيف من غير ذلة وما بي إلا تلك من شيم العبد
[الطويل]

قال: فأرسلت جارية لها مليحة فطلبت له أكيلاً، وأنشأت تقول له:

أبى المرء قيس أن يذوق طعامه بغير أكيل إنَّه لكريم
فبوركت حياً يا أخا الجود والندی وبوركت ميتاً قد حوتك رجوم^(٢)
[الطويل]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا دماذ عن أبي عبدة، قال:

جاور رجل من بني القين من قُضاعة قيس بن عاصم، فأحسن جواره ولم ير منه إلا خيراً حتى فارقه، ثم نزل عند جوين الطائي أبي عامر بن جوين، فوثب عليه رجال من طيء فقتلوه وأخذوا ماله، فقال العباس بن مرداس يهجوهم ويمدح قيساً:

لعمري لقد أوفى الجواد ابن عاصم وأحصن^(٣) جاراً يوم يحدج بكرة^(٤)
أقام عزيزاً مُنتدى^(٥) القوم عنده فلم يرَ سوءاتٍ ولم يخش غدره
أقام بسعد^(٦) يشرب الماء آمناً ويأكل وُسطاها^(٧) ويربض حجرة^(٨)
فإنك إذ بادلت قيس بن عاصم جويناً لمختار المنازل شره^(٩)
فأصبح يحدو رحله^(١٠) بمفازة^(١١) وماذا عدا جاراً كريماً وأُسره^(١٢)

(١) ذو البردين: هو عامر بن أحيمر بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

(٢) الرجوم: أحجار القبر. (٣) أحصن: حفظ، حمى.

(٤) يحدج بكرة: حدج البعير أي وسقه بعد ما شدَّ عليه الحمل.

(٥) المنتدى: حيث يجتمع رؤساء القوم. (٦) بسعد: أي بحمي بني قومه بني سعد.

(٧) وُسطى كل شيء: أفضله، أحسنه. (٨) الحجر: الناحية، الجانب.

(٩) الشره: ما يختار أفضله. (١٠) يحدو رحله: يسوق الناقة وهو يغني لها لتسرع.

(١١) المفازة: الفلاة، لا أنيس فيها ولا ماء.

(١٢) الأسرة: العائلة.

يَظَلُّ بِأَرْضِ الْغَدْرِ يَأْكُلُ عَهْدَهُ جُويْنٌ وَشَمْخٌ خَارِبِينَ^(١) بَوَجْرَةً^(٢)
يَذْمَانُ^(٣) بِالْأَزْوَادِ وَالزَّادِ مُحَرَّمٌ^(٤) سَرُوقَانِ مِنْ عِرْقٍ^(٥) شَرُوراً وَفَجْرَةً^(٦)
[الطويل]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزري،
قال: حدثني دماذ عن أبي عبيدة، قال: قال الأحنف:

ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري، فقليل له: وكيف ذلك يا أبا
بحر؟ فقال: قتل ابن أخ له ابناً له فأوتي بآبى أخيه مكتوفاً يُقَادُ إليه، فقال: ذعرت^(٧)
الفتى. ثم أقبل عليه فقال: يا بُنيّ، نقصت عددك، وأوهيت^(٨) ركنك، وفتت في
عضدك، وأشمت عدوك، وأسأت بقومك. خلّوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول
ديته، قال: فانصرف القاتل وما حلّ قيس حبوته^(٩)، ولا تغير وجهه.

وفوده على الرسول ﷺ:

أخبرني عبيد الله الرازي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني
عن ابن جعدة وأبي اليقظان، قالوا:

وفد قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «هذا سيّد أهل
الوُبر».

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد. قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي حاتم قال:
جاور داريّ^(١٠) كان يتّجر في أرض العرب قيس بن عاصم، فشرب قيس ليلةً
فسكر، فربط الداري وأخذ ماله، وشرب من شرابه فازداد سُكراً، وجعل من السكر
يتناول ويُثاور^(١١) النجوم ليغلبها وليتناول القمر، وقال:

(١) شَمْخٌ خَارِبٌ: شَمْخٌ رَجُلٌ مِنَ اللَّصُوصِ. (٢) الْوَجْرَةُ: مَوْضِعٌ.

(٣) يَذْمَانُ: يَسْتَهِينَانِ بِهِ، فَلَا قِيَمَةَ لَهُ.

(٤) الزَادُ مُحَرَّمٌ: مَا يَحْمَلُ مِنْ زَادٍ لَا يَقْرَبُهُ أَحَدٌ لِحَرَمَتِهِ، أَوْ لِبُخْلِ صَاحِبِهِ.

(٥) الْعِرْقُ: الْأَصْلُ. (٦) الْفَجْرَةُ: الْكُفْرُ، الْفُجُورُ.

(٧) ذَعَرْتُمُ الْفَتَى: أَخَفْتُمُوهُ، أَرَعَبْتُمُوهُ.

(٨) أَوْهَيْتُ: أَضْعَفْتُ.

(٩) الْحَبْوَةُ: أَيُّ جَمْعِ الْمَرْءِ، حَالُ جُلُوسِهِ، بَيْنَ ظَهْرِهِ وَسَاقِيهِ بِعِمَامَةٍ.

(١٠) الدَّارِيُّ: مَنْ يُنْسَبُ إِلَى بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَهُمْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ بْنِ هَانِيٍّ، بَنِ حَبِيبِ بْنِ غَارَةَ بْنِ

لِخْمِ بْنِ عَدِيٍّ، يَنْتَهِي نَسَبُهُمْ إِلَى كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ بْنِ يَشْجَبَ بْنِ يَعْرَبَ بْنِ قَحْطَانَ.

(١١) يُثَاوِرُ: يُؤَاثِبُ.

وتاجرٍ فاجرٍ جاء إليه به كأن عُثنونه^(١) أذئاب أجمال^(٢) [البسيط]

ثم قسم صدقة النبي ﷺ في قومه، وقال:

ألا أبلغا عني قريشاً رسالَةً إذا ما أتتهم مُهديات الودائع
حبوت^(٣) بما صدقت^(٤) في العام منقراً وأياستُ منها كل أطلَس طامع^(٥) [الطويل]

قال: فلما فعل بالداري ما فعل وسكر، جعل ماله نُهبى^(٦)، فلم تزل امرأته تسكّنه حتى نام. فلما أصبح أخبر بما كان منه، فآلى ألا يدخل الخمر بين أضلاعه أبداً.

أخبرني وكيعٌ. قال: حدثنا المدائني، قال:

ولي قيس بن عاصم على عهد رسول الله ﷺ صدقات بني مقاعص والبطون كلّها، وكان الزبرقان بن بدرٍ قد ولي صدقات عوف والأبناء^(٧). فلما توفي رسول الله ﷺ، وقد جمع كل واحد من قيس والزبرقان صدقات من ولي صدقته دس إليه الزبرقان من زين له المنع لما في يده وخدعه بذلك، وقال له: إن النبي ﷺ قد توفي، فهلمّ نجمع هذه الصدقة ونجعلها في قومنا؛ فإن استقام الأمر لأبي بكر وأدت العرب إليه الزكاة جمعنا له الثانية. ففرّق قيس الإبل في قومه؛ فانطلق الزبرقان إلى أبي بكر بسبعمئة بعير فأدّاها إليه، وقال في ذلك:

وفيت بأذواد^(٨) النبي محمدٍ وكنت امرأ لا أفسد الدين بالغدر [الطويل]

فلما عرف قيس ما كاده به الزبرقان قال: لو عاهد الزبرقان أمّه لغدر بها.

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي. قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثنا المدائني، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال:

(١) العُثنون، بضم العين: ما نبت من لحية الرجل في ذقنه.

(٢) الأجمال، الواحد جمل. (٣) حبوت: أعطيت، تكرّمت.

(٤) صدقت: أعطيت الصدقة.

(٥) الأطلَس الطامع: اللص الخبيث الطامع بأموال سواه.

(٦) نُهبى: مشاعاً لكل طارق ومعتفٍ.

(٧) الأبناء: هم أولاد سعد بن زيد مناة بن تميم، وهم عبد شمس، مالك، عوف، عوانة، جُشم.

(٨) الأذواد، الواحد ذود: ما كان بين الثلاثة والعشرة من الأبعرة.

قيل لقيس بن عاصم: بماذا سُدت؟ قال: ببذل الندي، وكفّ الأذى، ونصر الموالي.

أخبرني وكيع، قال: حدثنا العمري عن الهيثم، قال:

كان قيس بن عاصم يقول لبنيه: إياكم والبغي^(١)؛ فما بغى قوم قط إلا قُلُوا وذُلُّوا. فكان بعض بنيه يلطمه قومه أو غيرهم فينهى إخوته عن أن ينصروه.

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي، قال: حدثنا الحارث عن المدائني عن ابن جعدة: أن قيس بن عاصم، قال:

أتيت رسول الله ﷺ، فرحّب بي وأدناني؛ فقلت: يا رسول الله، المال الذي لا يكون عليّ فيه تبعه ما ترى في إمساكه لضيف إن طرقي^(٢)، وعيال إن كثروا عليّ؟ فقال: «نعم المال الأربعون، والأكثر الستون، وويل لأصحاب المئين - ثلاثاً - إلا من أعطى من رسلها^(٣) وأطرق^(٤) فحلها، وأفقر ظهرها^(٥)، ومنح غزيرتها^(٦)، وأطعم القانع والمُعتر^(٧)». فقلت له: يا رسول الله، ما أكرم هذه الأخلاق! إنه لا يحلّ بالوادي الذي أنا فيه من كثرتها. قال: «فكيف تصنع في الإطراق؟» قلت: يغدو الناس، فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به، قال: «فكيف تصنع في الإفقار؟» فقلت: إني لأفقر النائب^(٨) المدبرة^(٩) والضرع^(١٠) الصغيرة. قال: «فكيف تصنع في المنيحة؟» قلت: إني لأمنح في السنة المائة. قال: «إنما لك من مالك ما أكلت فأفנית، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأبقيت».

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة، قال: قيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك الشيباني، طعنه في إسته في يوم جدود^(١١).

(١) البغي: الظلم.

(٢) طرقي ضيف: زارني ليلاً.

(٣) الرسل: اللبن.

(٤) أفقر ظهرها: أعارها إلى سواء ليستعين بها في رحلته فيعتليها.

(٥) غزيرتها: ما فيها من حليب يحلبها ثم يردّها إلى صاحبها.

(٦) المعتر: المحتاج لعوزه وفقره.

(٧) النائب من الإبل التي شاخت وانقطع لبنها.

(٨) المدبرة من الإبل التي شاخت وانقطع لبنها.

(٩) الضرع: هو من لم يدرك بعد لصغره ونحوه وضعفه.

(١٠) يوم جدود: من أيام العرب حيث جرت معركة في أرض بني تميم قريب من حزن بني يربوع على سمت اليمامة.

وكان من حديث ذلك اليوم أن الحارث بن شريك بن عمرو الصُّلب بن قيس بن شراحيل بن مرّة بن همّام كانت بينه وبين بني يربوع مُوادةً، ثم همّ بالغدر بهم، فجمع بني شيبان^(١) وبني ذهل واللّهّازم: قيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم، ثم غزا بني يربوع، فنذر^(٢) به عتيبة بن الحارث بن شهاب بن شريك، فنأدى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه. وأغار الحارث بن شريك على بني مقاعس وإخوتهم بني ربيع فلم يجيبوهم، فاستصرخوا بني منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون^(٣) في يوم شديد الحرّ. فما شعر الحوفزان إلا بالأهتّم بن سميّ بن سنان بن خالد بن منقر - واسم الأهتّم سنان - وهو واقف على رأسه، فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه، وقال للأهتّم: مَنْ أنت؟ فانتسب له، وقال: هذه منقر قد أتتك. فقال الحوفزان: فأنا الحارث بن شريك! فنأدى الأهتّم: يا آل سعد! ونأدى الحوفزان: يا آل وائل! وحمل كلّ واحد منهما على صاحبه، ولحقت بنو منقر، فاقتتلوا أشدّ قتال وأبرحه^(٤)، ونادت نساء بني ربيع: يا آل سعد! فاشتدّ قتال بني منقر لصياحهن، فهزمت بكر بن وائل، وخلصوا مَنْ كان في أيديهم من بني مقاعس، وما كان في أيديهم من أموالهم، وتبعته بنو منقر بين قتل وأسر؛ فأسر الأهتّم حُمران بن عبد عمرو، وقصد قيس بن عاصم الحوفزان، ولم يكن له همّة غيره، والحارث على فرس له قارح^(٥) يدعى الزبد، وقيس على مهر، فخاف قيس أن يسبقه الحارث، فحفزه بالرمح في إسته، فتحفّز به الفرس فجاء، فسَمي الحوفزان. وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني ربيع وسبائهم، وأخذ أموال بكر بن وائل وأساراهم. وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنةٍ فمات. وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم:

جزى الله يربوعاً بأسوأ فعلها إذا ذكرت في النائبات^(٦) أمورها
ويوم جدودٍ قد فضحتهم ذماركم^(٧) وسالمتم والخيل تدمى نحورها

(١) شيبان: حيّ من بكر بن وائل.

(٢) نذر: أعلم ونبه.

(٣) قائلون في شديد الحرّ: مستريحون في خيامهم عند الظهيرة.

(٤) أبرحه: أشده فكثر فيه الجروح والقتل.

(٥) الفرس القارح: هو الذي بلغ سن الخامسة وبدأ يُبدل أسنانه في مطلع السنة السادسة من عمره.

(٦) النائبات، الواحدة نائبة: المصائب والويلات.

(٧) ذماركم: حوزتكم.

ستخطم^(١) سعدٌ والرباب^(٢) أنوفكم كما حَزَّ في أنفِ القضيب^(٣) جريُّها^(٤)
[الطويل]

وقال سَوَّار بن حيَّان المنقري:

ونحن حَفَزْنَا^(٥) الحوفزان بطعنة سقته نجيعاً^(٦) من دم الجوفِ أشكلاً^(٧)
وحُمران قسراً^(٨) أنزلته رماحنا فعالج غُلاً في ذراعَيْه مُقَفَلاً
[الطويل]

قال: وأغار قيس بن عاصم أيضاً على اللهازم، فتبعه بنو كعب بن سعد بالنِّباج^(٩) وثيَّتل^(١٠) فتخوَّف أن يكره أصحابه لقاء بكر بن وائل، وقد كانوا يتناجون^(١١) في ذلك، فقام ليلاً فشَقَّ مَزَادَهُمْ^(١٢)، لئلا يجدوا بُدّاً من لقاء العدو، فلما فعل ذلك أذعنوا بلقائهم وصبروا له، فأغار عليهم، فكان أشهرُ يوم، يوم ثيَّتل لبني سعد، وظفر قيسُ بما شاء، وملاً يديه من أموالهم وغنائمهم. وفي ذلك يقول ابنه علي بن قيس بن عاصم:

أنا ابنُ الذي شَقَّ المَزَادَ، وقد رأى بَثَّيَّتلَ أحياءِ اللِّهازمِ حُضَّراً
فصَبَّحَهُم بالجيشِ قيسُ بن عاصمِ وكان إذا ما أورد الأمرَ أَصْدَرَا
[الطويل]

قال: وأغار قيسُ أيضاً ببني سعد على عبد القيس، وكان رئيس بني سعد يومئذٍ سِنان بن خالد، وذلك بأرض البحرين، فأصابوا ما أرادوا، واحتالت عبد القيس في أن يفعل ببني تميم كما فُعلَ بهم بالْمُشَقَّرِ^(١٣) حين أغلق عليهم بابه فامتنعوا، فقال في ذلك سَوَّار بن حيَّان:

(١) ستخطم: ستضرب الأنوف، دلالة على قوتهم.

(٢) الرباب: هم خمس قبائل اتحدوا، فكانوا يداً واحدة، وهم ضبة، ثور، عكل، تيم، عدي.

(٣) القضيب من النياق: التي لم تروّض. (٤) الجري: الزمام، الحبل.

(٥) حفز: طعن. (٦) النجيع: الدم القاني.

(٧) الأشكل: ما يخالط سواده حمرة.

(٨) قسراً: غصباً، جبراً.

(٩) النِّباج: موضع يبعد عن البصرة عشر مراحل.

(١٠) ثيَّتل: ماء قرب النِّباج، حيث جرت معركة شرسة، انتصر بها قيس.

(١١) يتناجون: يتسارون فيما بينهم.

(١٢) المَزَادَة: الراوية التي تُملأ ماءً.

(١٣) المشَقَّر: حصن عظيم بالبحرين لعبد القيس.

فِيَا لَكَ مِنْ أَيَّامٍ صَدَقَ أَعْدُهَا كَيَوْمِ جُؤَاثَى^(١) وَالنَّبَاجِ وَثَيْتَالَا
[الطويل]

قال: وكان قيس بن عاصم رئيس بني سعد يوم الكلاب^(٢) الثاني، فوقع بينه وبين الأهتم اختلاف في أمر عبد يغوث بن وقاص بن صلاءة الحارثي حين أسره عصمة بن أبير التيمي ودفعه إلى الأهتم، فرفع قيس قوسه فضرب فم الأهتم بها فهتم أسنانه؛ فيومئذ سمي الأهتم.

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي. قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة، وأخبرني عيسى بن الحسين الوراق. قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن عدي، قال:

جمع قيس بن عاصم ولده حين حضرته الوفاة وقال: يا بني، إذا مت فسدودوا كباركم، ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم. وعليكم بإصلاح المال فإنه منبهة للكريم، ويستغنى به عن اللئيم. وإذا مت فادفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم. وإياكم والمسألة فإنها آخر مكاسب العبد؛ وإن امرأ لم يسأل إلا ترك مكسبه. وإذا دفنتموني فأخفوا قبوري عن هذا الحي من بكر بن وائل؛ فقد كان بيننا خماشات^(٣) في الجاهلية. ثم جمع ثمانين سهماً فربطها بوتر، ثم قال: اكسروها فلم يستطيعوا، ثم قال: ففرقوا. فقال: اكسروها سهماً سهماً، فكسروها. فقال: هكذا أنتم في الاجتماع، وفي الفرقة. ثم قال:

إِنَّمَا الْمَجْدُ مَا بَنَى وَالِدُ الصُّدِّ قِ وَأَحْيَا فَعَالَهُ الْمَوْلُودُ
وَتَمَامُ الْفَضْلِ الشَّجَاعَةُ وَالْحِلْدُ مَ إِذَا زَانَهُ عَفَافٌ وَجُودُ
وَثَلَاثُونَ يَا بَنِي إِذَا مَا جَمَعْتَهُمْ فِي النَّائِبَاتِ الْعَهْدُ
كَثَلَاثِينَ مِنْ قِدَاحٍ إِذَا مَا شَدَّهَا لِلزَّمَانِ قِدْحٌ شَدِيدُ
لَمْ تَكْسِرْ وَإِنْ تَفَرَّقَتْ الْأَسْدُ هَمُّ أَوْدَى بِجَمْعِهَا التَّبِيدُ
وَذَوُ الْحِلْمِ وَالْأَكَابِرِ أَوْلَى أَنْ يُرَى مِنْكُمْ لَهُمْ تَسْوِيدُ
وَعَلَيْكُمْ حِفْظُ الْأَصَاغِرِ حَتَّى يَبْلُغَ الْجَنَّتِ^(٤) الْأَصْغَرُ الْمَجْهُودُ
[الخفيف]

(١) جُؤَاثَى: حصن لعبد القيس بالبحرين.

(٢) الكلاب: اسم ماء بين جيلة وشمام على سبع ليال من اليمامة. وللعرب فيه يومان مشهوران: هما الكلاب الأول، والكلاب الثاني.

(٣) الخماشات: الجراحات والجنابات.

(٤) الجن: المعصية، وبلغ الغلام الجن: بلغ مبلغ الرجال فيعامل معاملتهم.

ثم مات؛ فقال عبدة بن الطيب يرثيه:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحماً
تحية من أوليته منك نعمة إذا زار عن شحط بلادك سلماً^(١)
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بُنيان قوم تهدماً
[الطويل]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي. قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني. قال:

لما مات عبد الملك بن مروان اجتمع ولده حوله، فبكى هشام حتى اختلفت^(٢) أضلاعه، ثم قال: رحمك الله يا أمير المؤمنين! فأنت والله كما قال عبدة بن الطيب:

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بُنيان قوم تهدماً
[الطويل]
فقال له الوليد: كذبت يا أحول يا مشؤوم، لسنا كذلك، ولكننا كما قال الآخر^(٣):

إذا مُقرم^(٤) منّا ذرا^(٥) حدّ نابه تخمّط^(٦) فينا ناب آخر مقرم
[الطويل]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب. قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. قال: حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه. قال:

كان بين قيس بن عاصم وعبدة بن الطيب لحاء^(٧)، فهجره قيس بن عاصم، ثم حمل عبدة دماً في قومه، فخرج يسأل فيما تحمّله، فجمع إبلاً، ومرّ به قيس بن عاصم، وهو يسأل في تمام الدية، فقال: فيم يسأل عبدة؟ فأخبر؛ فساق إليه الدية كاملة من ماله، وقال: قولوا له ليستمتع بما صار إليه، وليسق هذه إلى القوم. فقال عبدة: أما والله لولا أن يكون صُلحي إياه بعقب هذا الفعل عاراً عليّ لصالحتة،

(١) الشحط: البعد.

(٢) اختلفت أضلاعه: اضطربت.

(٣) هو أوس بن حجر.

(٤) المُقرم: السيّد.

(٥) ذرا حدّ نابه: سقط.

(٦) تخمّط: حلّ من يقوم بالغلبة خلف سلفه الهالك.

(٧) اللحاء: الجدال، اللوم.

ولكنني أنصرف إلى قومي ثم أعود فأصالحه. ومضى بالإبل ثم عاد، فوجد قيساً قد مات، فوقف على قبره وأنشأ يقول:

عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمته ما شاء أن يترحماً
[الطويل]

الآبيات:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر. قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه. قال: ذكر عاصم بن الحدثان وهشام بن الكلبي عن أسيخهما:

أن قيس بن عاصم المنقري سكر من الخمر ليلة قبل أن يسلم، فغمز عكنة^(١) ابنته - أو قال أخته - فهربت منه. فلمّا صحا منها، قيل له: أو ما علمت ما صنعت البارحة؟ قال: لا. فأخبروه بصنعه، فحرّم الخمر على نفسه، وقال في ذلك:

وجدت الخمر جامحة^(٢) وفيها
فلا والله أشربها حياتي
ولا أعطي بها ثمناً حياتي
فإن الخمر تفضح شاربها
إذا دارت حمياها^(٥) تعلّت^(٦)
خصال^(٣) تفضح الرجل الكريما
ولا أدعولها أبداً نديما
ولا أشفى بها أبداً سقيما
وتجشمهم^(٤) بها أبداً عظيما
طوالع تسفه الرجل الحليما
[الوافر]

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان، قال:

قال الزبرقان: إن تاجراً ديافياً^(٧) مرّ بحمل خمر على قيس بن عاصم فنزل به، فقال قيس: اصبحني قدحاً؛ ففعل. ثم قال له: زدني، فقال له: أنا رجل تاجر طالب ربح وخير، ولا أستطيع أن أسقيك بغير ثمن. فقام إليه قيس فربطه إلى دوحه في داره

(١) العنكة: ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً.

(٢) جامحة: مطوَّحة بصاحبها.

(٣) الخصال، الواحدة خُصلة: الصفات.

(٤) تجشم: تكلف مشقة.

(٥) حمياها: شدة سورتها وإسكارها.

(٦) تعلّت: ارتفعت ببطء.

(٧) ديافياً: نسبة إلى دياف، إحدى قرى الشام، وأصلها من الأنباط. تشتهر بإبلها وسيوفها.

حتى أصبح، فكلمته أخته في أمره، فلطمها وخمش وجهها - وزعموا أنه أرادها على نفسها - وجعل يقول:

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الإله به كأن لحيته أذنب أجمال
[البسيط]

فلما أصبح قال: من فعل هذا بضيئي؟ قالت له أخته: الذي صنع هذا بوجهي، أنت والله صنعته، وأخبرته بما فعل. فأعطى الله عهداً ألا يشرب الخمر أبداً. فهو أول عربي حرّمها على نفسه في الجاهلية، وهو الذي يقول:

فوالله لا أحسويدهم خمره ولا شربة تُزري^(١) بذي اللب^(٢) والفخر
فكيف أذوق الخمر، والخمر لم تزل بصاحبها حتى تكسّع^(٣) في الغدرق
وصارت به الأمثال تضرب بعدما يكون عميد القوم في السرّ والجهرق
ويبدرهم^(٤) في كل أمر ينوبهم^(٥) ويعصمهم^(٦) ما نابهم حادث الدهرق
فيا شارب الصهباء^(٧) دعها^(٨) لأهلها الـ غواة وسلّم للجسيم من الأمرق
فإنك لا تدري إذا ما شربتها وأكثرت منها ما تريش^(٩) وما تبري
[الطويل]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان. قال: حدثني أحمد بن منصور. قال: أخبرني أبو جعفر المبارك. قال: أخبرني المدائني عن مسلمة بن محارب. قال:

قال الأحنف بن قيس: ذكرت بلاغة النساء عند زياد، فحدثته أن قيس بن عاصم أسلم وعنده امرأة من بني حنيفة، فأبى أهلها وأبوها أن يُسلموا وخافوا إسلامها، فاجتمعوا إليها وأقسموا أنها إن أسلمت لم يكونوا معها في شيء ما بقيت. فطالبت قيساً بالفرقة، ففارقها، فلما احتملت لتلحق بأهلها. قال لها قيس: أما والله لقد صحبتني سارة، ولقد فارقتني غير عارة^(١٠)، لا صحبتك مملولة، ولا أخلاقك مذمومة، ولولا ما اخترت ما فرّق بيننا إلا الموت، ولكن أمر الله ورسوله ﷺ أحق أن يُطاع. فقالت له: أنبت بحسبك وفضلك، وأنت، والله إن كنت للدائم المحبة،

(١) تزري: تحط من قدره وقيمته.

(٢) اللب: العقل.

(٣) تكسّع في الغدر: ذهب إلى أقصى حد.

(٤) ييدرهم: يُفاجئهم.

(٥) ينوبهم: ينزل بهم مصائبه.

(٦) يعصمهم: يحميهم ويمنع عنهم.

(٧) الصهباء: من أسماء الخمر وأنواعها، تمتاز بالبياض.

(٨) دعها: اتركها.

(٩) تريش: تضع في السهم ريشاً.

(١٠) عارة: مستاءة من مكروه.

الكثير المودة، القليل اللائمة، المُعجب الخلوة، البعيد النبوة. ولتعلمنَّ أَنِّي لا أسكن بعدك إلى زوج. فقال قيس: ما فارقْتُ نفسي شيئاً قطُّ فتبعته كما تبعته.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان. قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس. قال: حدثني أبو فراس. قال:

كان قيس بن عاصم يُكنى أبا عليٍّ، وكان خاقان بن الأهتم إذا ذكره. قال: بخ! من مثل أبي عليٍّ!

تُطيفُ^(١) به كعب بن سعد كأنما يُطيفونُ عُمَّاراً^(٢) ببیتِ مُحَرَّم [الطويل]

وقال علان بن الحسن الشعوبي: بنو منقر قومٌ عُدرٌ، يقال لهم الكوادن^(٣)، ويلقبون أيضاً أعراف البغال، وهم أسوأ خلق الله جواراً، يسمُّون الغدر كيسان، وفيهم بخلٌ شديد.

وأوصى قيس بن عاصم بنيه، فكان أكثر وصيته إيَّاهم أن يحفظوا المال، والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحاً. وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب:

يا منقر بن عبيد إنَّ لؤمكم مُذْ عهد آدم في الديوان مكتوب
للضيف حقٌّ على من كان ذا كرم والضيف في منقرٍ غريان مسلوب [البسيط]

وقال النمر بن تولب يذكر تسميتهم الغدر كيسان في قصيدة هجاهم بها:

إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شبابهم المُرْد [الطويل]

قال: وهذا شائع في جميع بني سعد^(٤)، إلا أنهم يتدافعونه إلى بني منقر، وبنو منقر يتدافعونه إلى بني سنان بن خالد بن منقر، وهو جدُّ قيس بن عاصم.

وحكى ابن الكلبي أن النبي ﷺ لما افتتح مكة قدمت عليه وفود العرب، فكان فيمن قدم عليه قيس بن عاصم وعمر بن الأهتم ابن عمه، فلما صارا عند النبي ﷺ تساباً وتهاتراً^(٥)؛ فقال قيس لعمر بن الأهتم: واللَّهِ يا رسول الله ما هم متنا، وإنهم

(١) تطيف: تحيط.

(٢) العُمَّار: هم عُمَّار بيت الله الحرام في مكة المكرمة، الذين يقومون بالحُجَّة.

(٣) الكوادن، الواحد كودن: البغل والبرذون، يحصل ذلك من مجامعة حمار لفرس.

(٤) بنو سعد أخوال النمر بن تولب. ورد بيته في لسان العرب مادة (كيس).

(٥) تهاترا: تساباً وتشتاماً باطلاً.

لمن أهل الحيرة. فقال عمرو بن الأهتم: بل هو والله يا رسول الله من الروم وليس منّا. ثم قال له:

ظَلِلْتُ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتَمُنِي عِنْدَ الرُّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبْ
الْهَلْبَاءُ يَعْنِي اسْتَه، يَعِيرُهُ بِذَلِكَ، وَبِأَنِّ عَانَتْهُ وَافِيَةٌ.

إِنْ تَبْغِضُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَصْلَكُمْ وَالرُّومَ لَا تَمْلِكُ الْبَغْضَاءُ لِلْعَرَبِ
سُدْنَا فَسَوِّدْنَا عَوْدٌ وَسَوِّدْكُمْ مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَصْلِ الْعَجَبِ^(١) وَالذَّنْبِ
[البسيط]

قال: وإنما نسبه إلى الروم لأنه كان أحمر. فيقال: إن النبي ﷺ نهاه عن هذا القول في قيس، وقال: إن إسماعيل بن إبراهيم - صلى الله عليهما وسلم - كان أحمر. فأجابه قيس بن عاصم فقال:

مَا فِي بَنِي الْأَهْتَمِ مِنْ طَائِلٍ يُرْجَى وَلَا خَيْرَ لَهُ يَصْلَحُونَ
قُلْ لِبَنِي الْحِيرِيِّ مَخْصُوصَةٌ تُظْهَرُ مِنْهُمْ بَعْضُ مَا يَكْتُمُونَ
لَوْلَا دِفَاعِي كُنْتُمْ أَعْبَادًا مَسْكَنُهَا الْحِيرَةُ فَالْسَّيْلِحُونَ^(٢)
جَاءَتْ بِكُمْ عَفْرَةٌ مِنْ أَرْضِهَا حِيرِيَّةٌ لَيْسَتْ كَمَا تَزْعُمُونَ
فِي ظَاهِرِ الْكَفِّ وَفِي بَطْنِهَا وَسَمٌ^(٣) مِنَ الدَّاءِ^(٤) الَّذِي يَكْتُمُونَ
[السريع]

وذكر علان أن قيساً ارتدَّ بعد النبي ﷺ عن الإسلام، وآمن بسجاح، وكان مؤذنها، وقال في ذلك:

أَضَحْتُ نَبِيَّتَنَا أَنْثَى نُطِيفَ بِهَا وَأَصْبَحْتُ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ذُكْرَانَا
[البسيط]

قال: ثم لما تزوجت سجاح بمسيلمة الكذاب الحنفي وآمنت به آمن به قيس معها. فلما غزا خالد بن الوليد اليمامة وقتل الله مسيلمة أخذ قيس بن عاصم أسيراً، فادّعى عنده أن مسيلمة أخذ ابناً له، فجاء يطلبه. فأحلفه خالد على ذلك، فحلف فخلّى سبيله، ونجا منه بذلك.

(١) العجب: أصل الذنب ومؤخر كل شيء.

(٢) السيلحون: بلدة قرب الحيرة بين الكوفة والقادسية.

(٣) الوسم: العلامة. (٤) الداء: المرض.

قصته مع عبادة بن مرثد :

قال : ومما يُعَيَّرُونَ به أن عبادة بن مرثد بن عمرو بن مرثد أسَرَ قيس بن عاصم وسبى أمّه وأخيه يوم أبرق الكبريت^(١) ، ثم مَنَّ عليهم فأطلقهم بغير فداء ، فلم يُثِبْهُ قيسٌ ولم يشكره على فعله بقولٍ يبلغه . فقال عبادة في ذلك :

على أبرق الكبريت قيس بن عاصم أسرتُ وأطراف القنا قصدٌ حُمُرُ^(٢)
متى يعلق السعدى منك بدمّة تجده إذا يلقي وشيمته الغدرُ
[الطويل]

قال : وكان قيس بن عاصم يسمّى في الجاهلية الكودن .

وكان زيد الخيل الطائي خرج عن قومه وجاور بني منقر ، فأغارت عليهم بنو عجل وزيدٌ فيهم ، فأعانهم وقاتل بني عجل قتالاً شديداً ، وأبلى بلاءً حسناً ، حتى انهزمت عجل ؛ فكفر قيس فعله وقال : ما هزمهم غيري . فقال زيد الخيل يعيّرهِ ويكذّبه في قصيدة طويلة :

ولستُ بوقافٍ إذا الخيلُ أحجمتُ^(٣) ولست بكذابٍ كقيس بن عاصم
[الطويل]

إسلامه :

ومما روى قيس بن عاصم عن النبي ﷺ : حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي ، قال : حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ، قال : حدثنا وكيع قال : حدثنا سُفيان الثوري عن الأغر المنقري عن خليفة بن حصين بن قيس بن عاصم عن أبيه عن جدّه أنّه أسلم على عهد النبي ﷺ ، فأمره النبي عليه السلام أن يغتسل بماء وسِدْرٍ .

حديثه مع رسول الله ﷺ :

وحدثنا حامد قال حدثنا أبو خيثمة ، قال : حدثنا جريّر عن المغيرة عن أبيه شعبة عن التّوّم قال :

سأل قيس بن عاصم رسول الله ﷺ عن الحلف ، فقال : « لا حلف^(٤) في الإسلام ، ولكن تمسّكوا بحلف الجاهلية » .

- (١) أبرق الكبريت : موضع كان قد جرى فيه يوم من أيام العرب .
- (٢) قصد حمر : ابتلت الرماح بقطع حمراء لكثرة ما قتل في ذلك اليوم من الأبطال .
- (٣) أحجمت : تردّدت متوقّفة .
- (٤) الحلف : اجتماع فريقين على الاتحاد ضدّ عدوّ مشترك بينهم ، ويكون ذلك بمعاهدة .

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا ابن عائشة، قال: حدثني رجلٌ من الرباب، قال:

ذكر رجلٌ، قيس بن عاصم عند النبي ﷺ قال: لقد هممتُ أن آتيه فأفعل به وأصنع به، كأنَّه توَعَّده. فقال له النبي ﷺ: «إِذَا تَحَوَّلَ سَعْدٌ دُونَهُ بِكَرَاكِرِهَا^(١)». قال: ولما مات قيسُ رثاه مرداس^(٢) بن عبدة بن منبه. فقال:

وما كان قيسٌ هُلْكه هُلْكه واحدٍ ولكنَّه بُنيانُ قومٍ تهَدَّمَا
[الطويل]

صوت

خُذْ مَنْ الْعَيْشِ مَا كَفَى وَمَنْ الدَّهْرِ مَا صَفَا
حَسُنَ الْغَدْرُ فِي الْأَنَا مَ كَمَا اسْتَقْبَحَ الْوُفَا
صِلْ أَخَا الْوَصْلِ إِنَّهُ لَيْسَ بِالْهَجْرِ مِنْ خُفَا
عَيْنَ مَنْ لَا يُرِيدُ وَصْـ لَكَ تُبْدِي لَكَ الْجُفَا

[مجزوء الخفيف]

الشعر لمحمد بن حازم الباهلي، والغناء لابن القصار الطنبوري، رملٌ بالبنصر. أخبرني بذلك جحظة.

(١) الكراكر، الواحدة كركرة، بكسر الكافين: هم جماعة من القوم متحدون.

(٢) تقدّم أن هذا الشعر لعبدة بن الطبيب.

أخبار محمد بن حازم ونسبه

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي . ويكنى أبا جعفر . وهو من ساكني بغداد مولده ومنشؤه البصرة . أخبرني بذلك ابن عمّار أبو العبّاس عن محمد بن داود بن الجراح عن حسين بن فهم .

وهو من شعراء الدولة العبّاسية ، شاعر مطبوع ، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس ، فاطّرح ، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون ، ولا اتصل بواحد منهم ، فيكون له نباهة طبقته . وكان ساقط الهمّة ، متقللاً جدّاً ، يُرضيه السير ، ولا يتصدى لمدح ولا طلب .

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي . قال : حدثنا الخليل بن أسد . قال :

سمعت محمد بن حازم الباهلي في منزلنا يقول : بعث إليّ فلان الطاهري - وكنت قد هجوته فأفرطت - بألف دينارٍ وثياب ، وقال : أمّا ما قد مضى فلا سبيل إلى ردّه ، ولكن أحبُّ ألا تزيد عليه شيئاً : فبعثت إليه بالألف الدينار والثياب ، وكتبت :

لا ألبس النعماء من رجلٍ ألبسته عاراً على الدهر
[مجزوء السريع]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار . قال : حدثنا أبو علي - وسقط اسمه من كتابي - قال قرأت في كتاب عمي :

قال لي محمد بن حازم الباهلي : مرّ بي أحمد بن سعيد بن أسلم وأنا على بابي فلم يسلم عليّ سلاماً أرضاه ، فكتبت رُقعةً وأتبعته بها ، وهي :

وباهليّ من بني وائل	أفاد مالا بعد إفلاس
قطّب في وجهي خوف القرى ^(١)	تقطيب ضرغام ^(٢) لدى الباس
وأظهر التّيه فتايهته	تیه امری لم يشقّ بالناس
أعرتة إعراض مُستكبر	في موكب مرّ بكّئاس

[السريع]

(١) القرى ، بكسر القاف : الضباقة .

(٢) الضرغام : من أسماء الأسد .

أخبرني ابن عمار . قال : حدثني أبو علي . قال :

لقيت محمد بن حازم في الطريق فقلت له : يا أبا جعفر ، كيف ما بينك وبين صديقك سعد بن مسعود اليوم - وهو أبو إسحاق بن سعد ، وكان يكتب للتوشجاني - فأشدني :

راجع بالعتبي^(١) فأعتبته
وربما أعتبك المذنب
وإن في الدهر ، على صرفه^(٢)
بين الصديقين ، لمستعتب^(٣)
[السريع]

قصيدته في مديح الشباب وذم الشيب :

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري وابن الوشاء جميعاً . قالوا : حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب . قال :

قال ابن الأعرابي : أحسن ما قال المحدثون من شعراء هذا الزمان في مديح الشباب وذم الشيب :

لا حينَ صبرٍ فخلَّ الدمعُ ينهملُ
فقدُ الشبابِ بيومِ المرءِ متَّصلُ
سقياً ورعياً لأيامِ الشبابِ وإن
لم يبقَ منه له رسمٌ ولا طللُ
جرَّ الزمانَ ذيولاً في مفارقه
وللزمانِ على إحسانه عللُ
وربَّما جرَّ أذيالَ الصِّبا مرحاً
وبين بُرديه^(٤) غُصنٌ ناعمٌ خُضِلُ^(٥)
يُصبِي^(٦) الغواني^(٧) ويزهاه بشرته^(٨)
شرحُ الشبابِ^(٩) وثوبٌ حالكٌ^(١٠) رجلُ^(١١)
لا تكذبَنَّ فما الدنيا بأجمعها
منَ الشبابِ بيومٍ واحدٍ بدلُ
كفاك بالشَّيبِ عيباً عندَ غانيةٍ
وبالشبابِ شفيعاً^(١٢) أيُّها الرجلُ
بان^(١٣) الشبابِ وولَّى عنك باطله
فليس يحسن منك اللهو والغزلُ

(١) العُتبي ، بضم العين : الرضى .

(٢) صرف الدهر : مصيئته .

(٣) المستعتب : طالب الرضا .

(٤) البرد ، بضم الباء : الثوب .

(٥) الخضل : الندي طراوة .

(٦) يُصبِي : يُميل ويغرم به .

(٧) الغواني ، الواحدة غانية : التي اغتنت عن التزين بجمالها ، أو التي اغتنت بزوجها عن سواه .

(٨) الشرة ، بكسر الشين : النشاط ، الحيوية .

(٩) شرح الشباب : أوجهه .

(١٠) ثوب حالك : أي شعر أسود .

(١١) شعر رجل : بين السبوة والجعودة .

(١٢) الشفيع : الوسيط .

(١٣) بان الشباب : رحل .

أما الغواني فقد أعرضن عنك قلبي^(١) وكان إعراضهن الدل والخجل
أعرنك الهجر ما لاحت مطوقة ليت المنيا^(٢) أصابتني بأسهمها
عهد الشباب لقد أبقيت لي حزناً عهد الشباب إذا ما حل رائده
إنَّ الشباب إذا ما حلَّ رائده
[البسيط]

قال ابن الوشاء خاصة: وما أساء ولا قصر عن الأولى، حيث يقول في هذا المعنى:

بكاءه الشباب أيضاً:

أبكي الشباب لندمانٍ وغانية وللصريح^(٩) وللأجام^(١٠) في غلس^(١١)
وللمغاني^(٦) وللأطلال^(٧) والكثب^(٨) وللخيال الذي قد كان يطرقني^(١٥)
وللقنا السمر^(١٢) والهندية^(١٣) القضب^(١٤) يا صاحباً لم يدع فقدي له جلدأ
وللندامي^(١٦) وللذات والطرب وقد أكون، وشعباناً معاً، رجلاً
أضعتُ بعدك إنَّ الدهر ذو عُقب^(١٧) يا صاحباً لم يدع فقدي له جلدأ
يوم الكريهة^(١٨) فرأجا عن الكرب^(١٩)
[البسيط]

هجاؤه بعض بني حميد:

أخبرني ابن عمّار عن العنزي. قال:

كان محمد بن حازم الباهلي مدح بعض بني حميد فلم يُثبه^(٢٠)، وجعل يفتش

- (١) القلي: البغض والكراهية والإبعاد.
- (٢) المنيا، الواحدة منية: الموت.
- (٣) الثكل: فقد الميت والحزن عليه.
- (٤) يقفو: يتلو.
- (٥) الأجل: الحين، الموت.
- (٦) المغاني، الواحد مغنى: المنزل.
- (٧) الأطلال: الآثار الباقية للديار بعد رحيل ساكنيها.
- (٨) الكثب: التلال الرملية.
- (٩) الصريح: المستغيث.
- (١٠) الأجام، الواحدة أجمة: الشجر الكثير الملتف.
- (١١) الغلس: عتمة آخر الليل.
- (١٢) القنا السمر: الرماح.
- (١٣) الهندية: السيوف المصنوعة في الهند.
- (١٤) القضب: السيوف القاطعة.
- (١٥) يطرقني: يزورني في الليل.
- (١٦) الندامي، الواحد نديم: الشرب، السكاري.
- (١٧) العقب، الواحدة عُقبية: النوبة.
- (١٨) يوم الكريهة: يوم المعركة.
- (١٩) الكرب: الشدائد والأحزان.
- (٢٠) يثبه: يعطيه جائزة.

شعره فيعيب فيه الشيء بعد الشيء، وبلغه ذلك فهجاه هجاء كثيراً شنيعاً، منه قوله:

عَدُوَّكَ الْمَكَارُمُ وَالْكَرَامُ وَخُلُّكَ^(١) دُونَ خُلَّتِكَ اللَّئَامُ
وَنَفْسُكَ نَفْسُ كَلْبٍ عِنْدَ زَوْرٍ^(٢) وَعُقْبَى زَائِرِ الْكَلْبِ أَلْتِدَامُ^(٣)
تَهَرُّ^(٤) عَلَى الْجَلِيسِ بِلَا احْتِرَامٍ لَتَحْشَمُهُ^(٥) إِذَا حَضَرَ الطَّعَامُ
إِذَا مَا كَانَتْ الِهْمَمُ الْمَعَالِي فَهَمُّكَ مَا يَكُونُ بِهِ الْمَلَامُ
قُبُحَتْ وَلَا سَقَاكَ اللَّهُ غِيثاً وَجَانِبَكَ التَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ
[الوافر]

هجاؤه الحميدي أيضاً:

قال: فبعث إليه ابن حميد بمالٍ واعتذر إليه وسأله الكفَّ، فلم يفعل، وردَّ المال عليه، وقال فيه:

مَوْضِعُ أَسْرَارِكَ الْمَرِيبُ وَتَمْنَعُ الضَّيْفَ فَضْلَ زَادٍ^(٦)
يَا جَامِعاً مَانِعاً بِخِيَالٍ لَيْسَ لَهُ فِي الْعِلَا نَصِيبُ
أَبَالرُّشَا^(٩) يُسْتَمَالُ مِثْلِي؟ كَلَّا! وَمَنْ عِنْدَهُ الْغِيُوبُ
لَا أُرْتَدِي حُلَّةً لِمِثْنٍ بَوَاجِهِ مِنْ يَدِي نُدُوبُ^(١٠)
وَبَيْنَ جَنْبِيهِ لِي كَلُومٌ^(١١) دَامِيَّةٌ مَا لَهَا طَبِيبُ
مَا كُنْتُ فِي مَوْضِعِ الْهِدَايَا مِنْكَ، وَلَا شَعْبِنَا قَرِيبُ
أَتَّى وَقَدْ نَشَتْ^(١٢) الْمَكَاوِي عَنْ سَمَةِ شَأْنِهَا عَجِيبُ

(١) الخُلُّ، بكسر الخاء: الصديق. (٢) الزور: الزائر.

(٣) الالتدام: ضرب الصدور حزناً.

(٤) تَهَرَّ عَلَى الْجَلِيسِ: تصدر صوتاً مرعباً.

(٥) تحشمه: تزعجه بما تسمعه من جارح الكلام.

(٦) فضل زاد: ما يزيد عن طعام.

(٧) الرحل: يقصد بذلك المسكن والمأوى.

(٨) الواسع الخصب: الرحب العميم الغني.

(٩) الرشا: مفردها رشوة، الجعل يخجل المرتشي لإبطال أو إحقاق باطل.

(١٠) الندوب، الواحدة ندبة: أثر الجرح الباقي على جلد الإنسان.

(١١) الكلوم، الواحد كلم: جرح.

(١٢) نشت المكاي: سمع لها صوت عند الكي.

وسار بالذمّ فيك شعري وقيل لي: مُحسنٌ مُصيبٌ
مألك مال اليتيم عندي ولا أرى أكله يطيبٌ
حَسبك من مُوجزِ بليغ يبلغ ما يبلغ الخطيبُ
[مخلع البسيط]

خانه محمد بن حميد فهجاه:

حدثني عمي. قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه. قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني. قال:

بعث الحسن بن سهل محمد بن حُميد في وجهه، وأمره بجباية مالٍ، وبحرب قوم من الشراة^(١)، فخان في المال وهرب من الحرب، فقال فيه محمد بن حازم الباهلي:

تشبّه بالأسد الثعلبُ فغادره مُعنقاً^(٢) يُجنبُ^(٣)
وحاول ما ليس في طبعه فأسلمه النابُ والمخلبُ
فلم تُغن عنه أباطيله وحاص^(٤) فأحرزه المهرُبُ
وكان مضيّاً على غدره فعُيب، والغادر الأخيبُ^(٥)
أيا ابن حُميدٍ كفرت النعي ثم جهلاً ووسوسك المذهبُ^(٦)
ومئّتك نفسك ما لا يكون وبعض المني خلبُ^(٧) يكذبُ
وما زلت تسعى على مُنعم ببغي^(٨) وتُنهي فلا تُعتبُ
فأصبحت بالبغي مُستبدلاً رشاداً وقد فات مُستعتبُ
[المتقارب]

قال: وقال فيه لماً شخص إلى حيث وجهه الحسن بن سهل:

إذا استقلّت بك الركابُ فحيث لا درّت السحابُ
زالت سِراعاً وزُلت يجري وبينك الظَّبْيُ والغرابُ

(١) الشراة: الخوارج، وتلك تسميتهم لأنفسهم.

(٢) معنقاً: أي مشى وأشرف أو سار سيراً واسعاً تشبهاً بالأسد.

(٣) يجنب: يتحاشى ويتلافى.

(٤) حاص: حاد، مال.

(٥) الأخيب: الخاسر.

(٦) وسوسك المذهب: خاطبك بما لا يفهم خفية.

(٧) الخلب: الخادع.

(٨) البغي: الظلم.

بحيث لا يُرتجى إيابٌ وحيث لا يبلغ الكتابُ
فقبل معروفك امتناناً ودون معروفك العذابُ
وخير أخلاقك اللواتي تعاف أمثالها الكلابُ
[مخلع البسيط]

ردّه على من عابه بقصر شعره :

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدثني أبي . قال : قال يحيى بن أكثم
لمحمد بن حازم الباهلي : ما نعيبُ شعرك إلا أنك لا تطيل ؛ فأنشأ يقول :

أبى لي أن أطيل الشعر قصدي إلى المعنى وعلمي بالصوابِ
وإيجازي بمختصر قريب حذفْتُ به الفضول من الجوابِ
فأبعثهنَّ أربعةً وخمساً مُثَقَّفَةً بألفاظِ عذابِ
خوالد ما حدّ ليلٌ نهارةً وما حُسْن الصُّبا بأخي الشبابِ
وهُنَّ إذا وسمتُ بهنَّ قوماً كأطواق الحمائم في الرقابِ
وهنَّ إذا أقمتُ مسافراتٍ تهادتها الرُّواة مع الرِّكابِ
[الوافر]

حدثني حبيب بن نصر المهلبّي . قال : حدثنا علي بن محمد بن سليمان
التوفليّ . قال :

كان بالأهواز^(١) رجلٌ يعرف بأبي ذؤيب من التَّنَّار ، وكان مقصد الشعراء وأهل
الأدب ، فقصده محمد بن حازم ، فدخل عليه يوماً وعليه ثيابٌ بدّة^(٢) ، وهيئة رثّة ،
ولم يعرفه نفسه ، وصادفهم يتكلمون في شيء من معاني الشعر ، وأبو ذؤيب يتكلّم
متحققاً بالعلم بذلك . فسأله محمد بن حازم - وقد دخل عليه يوماً - عن بيتٍ من شعر
الطُّرمّاح جهله ، فردّ عليه جواباً مُحالاً^(٣) كالمستصغره وازدراه ، فوثب عن مجلسه
مُغضباً . فلما خرج قيل له : ماذا صنعت بنفسك وفتحت عليها من الشرّ؟ أتدري لمن
تعرّضت؟ قال : ومَن ذاك؟ قيل : محمد بن حازم الباهلي ، أخبث الناس لساناً
وأهجاهاً . فوثب إليه حافياً حتى لحقه ، فحلف له أنه لم يعرفه ، واستقاله فأقاله ،
وحلف أنه لا يقبل له رِفداً ولا يذكره بسوء مع ذلك أبداً ، وكتب إليه بعد أن افترقا :

(١) الأهواز : إقليم يقع في الجنوب الغربي من فارس .

(٢) ثياب بدّة : بالية ، رثّة .

(٣) جواباً مُحالاً : ممّوهاً .

وزرى^(١) عليّ وقال غير صواب
 فيما كرهتُ بظنّه المُرتابِ
 لم يدرِ ما اشتملتُ عليه ثيابي
 وتجلّدٍ لمصيبةٍ وعقابِ
 عُوداً لبعض صفائح الأقتابِ^(٢)
 أتى بحيث أحبّ من آدابِ
 قَفراً^(٥) مجالِ ثعالِبِ وذئابِ
 فإذا افتقرتُ قعدتُ عن أصحابي
 لَمَّا نسبتُ وخاف مضّ عتابي^(٦)
 ليس الكريم على الكريم بنابِ
 [الكامل]

أخطأ وردّ عليّ غير جوابي
 وسكنتُ من عجبٍ لذاك فزادني
 وقضى عليّ بظاهرٍ من كسوةٍ
 مِن عَفّةٍ وتكرّمٍ وتحمّلٍ
 وإذا الزمان جنى^(٢) عليّ وجدّني
 ولئن سألت ليخبرنك عالمٌ
 وإذا نبا^(٤) بي منزلٌ خلّيته
 وأكون مشترك الغنى متبدلاً
 لكنه رجعت عليه ندامةً
 فأقلته^(٧) لَمَّا أقرب بذنبه

ترضاه صديق له فقال شعراً:

أخبرني حبيب بن نصر. قال: حدثنا النوفلي. قال:

كان سعد بن مسعود القطرُبلي^(٨). أبو أسحاق بن سعد صديقاً لمحمد بن حازم
 الباهلي، فسأله حاجةً فردّه عنها، فغضب محمد وانقطع عنه، فبعث إليه بألف درهم
 وترضاه، فردّها، وكتب إليه:

متّسع الصدر مطيقٌ لما
 راجع بالعتبي^(٩) فأعتبته
 أجل وفي الدهر - على أنّه
 سقياً ورعيّاً لزمانٍ مضى
 يحار فيه الحوّل القلْبُ
 وربّما أعتبك المذنبُ
 موكّل بالبين^(١٠) - مُستعتبُ
 عني، وسهمُ الشامت الأخيْبُ

(١) زرى عليّ: جفّرتني قولاً وفعلاً.

(٢) جنى: ظلم.

(٣) صفائح الأقتاب، الواحد قتب: الإسكاف الصغير على قدر سنام الناقة، وصفائح الأقتاب، ألواحها.

(٤) نبا منزل: لم يستقرّ فيه لعدم موافقته له.

(٥) قفراً: خالياً.

(٦) مضّ عتابي: ألم لومي له.

(٧) أقلته: تركته.

(٨) القطرُبلي: نسبة إلى قطربل، قرية تقع شمالي بغداد تشتهر بصناعة الخمر.

(٩) العتبي: الرضى.

(١٠) البين: الفراق.

قد جاءني منك مُوَيْلٌ^(١) فلم
أَخَذِي مَالاً مِنْكَ بَعْدَ الَّذِي
أَبَيْتُ أَنْ أَشْرَبَ عِنْدَ الرِّضَا
أَعَزَّنِي الْيَأْسُ وَأَغْنَى فَمَا
قَارُونَ عِنْدِي فِي الْغِنَى مُعَدِّمٌ
فَأَيَّ هَاتَيْنِ تَرَانِي بِهَا
أَعْرِضْ لَهُ وَالْحَرُّ لَا يَكْذِبُ
أَوْدَعْتَنِيهِ مَرْكَبٌ يَصْعَبُ
وَالسُّخْطُ^(٢) إِلَّا مَشْرَباً يَعْذِبُ
أَرْجُو سِوَى اللَّهِ وَلَا أَهْرُبُ
وَهَمَّتِي مَا فَوْقَهَا مَذْهَبُ
أَصْبُو إِلَى مَالِكَ أَوْ أَرْغَبُ؟

[السريع]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي وعيسى بن الحسين الوراق، واللفظ له، قالوا:
حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني، قال: حدثنا حماد بن يحيى. قال: حدثنا أحمد بن
يحيى. قال: آخر ما فارقته عليه محمد بن حازم أنه قال: لم يبق شيء من اللذات إلا
بيع السنانير^(٣). فقلت له: سخنت^(٤) عينك! أيش لك في بيع السنانير من اللذات؟
قال: يُعجبني أن تجيئني العجوز الرعناء تخاصمني. وتقول: هذا سنوري سرق متي،
وأخاصمها وأشتمها وتشتمني، وأغيظها وأباغضها؛ ثم أنشدني:

صِلْ خَمْرَةً بِخُمَارٍ وَصِلْ خُمَاراً^(٥) بِخُمَرٍ
وُخْذْ بِحِظِّكَ مِنْهَا زَاداً إِلَى حَيْثُ تَدْرِي

[المجث]

قال: قلت: إلى أين ويحك! قال: إلى النار يا أحمق.
أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه،
قال: حدثني الحسن بن أبي السري، قال:

كَانَ إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي نَهْيِكَ أَنْسَأَ بِمُحَمَّدَ بْنِ حَازِمِ الْبَاهِلِيِّ يَدْعُوهُ
وَيُعَاشِرُهُ مَدَّةً. فَكُتِبَ إِلَيْهِ يَسْتَزِيرُهُ وَيُعَاتِبُهُ عِتَاباً أَغْضَبَهُ؛ وَبَلَغَهُ أَنَّهُ غَضِبَ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ:

مَا مَسْتَزِيرُكَ فِي وَدُّ رَأْيٍ خِلَافاً فِي مَوْضِعِ الْإِنْسِ أَهْلاً مِنْكَ لِلْغَضَبِ
قَدْ كُنْتَ تَوْجِبُ لِي حَقّاً وَتَعْرِفُ لِي قَدْرِي وَتَحْفَظُ مِنِّي حُرْمَةَ الْأَدَبِ
ثُمَّ انْحَرَفْتَ إِلَى الْأُخْرَى فَأَحْشَمْنِي^(٦) مَا كَانَ مِنْكَ بِلَا جُرْمٍ وَلَا سَبَبٍ

(١) مُوَيْلٌ: تصغير مال.

(٢) السُّخْطُ: الغضب.

(٣) السنانير، الواحد سنور، القَطَط.

(٤) سَخَنْتَ عَيْنَكَ: أي أَبْكَأكَ اللَّهُ.

(٥) الْخُمَارُ، بضم الخاء: الصداق الناتج عن كثرة شرب الخمرة.

(٦) أَحْشَمْنِي: أَغْضَبْنِي.

وإن أدنى الذي عندي مُسامحةٌ في حاجتي بعد أن أعذرتُ^(١) في الطلبِ
فاخترُ فعندي من ثنتين واحدةً عذراً جميلاً وشكرٌ ليس باللعبِ
[البسيط]

حدثني محمد بن يونس الأنباري المعروف بمحصنة، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال:

قال محمد بن حازم الباهلي: عرضتُ لي حاجةٌ في عسكر أبي محمد الحسن بن سهل، فأتيته، وقد كنت قلت في السفينة شعراً، فلمَّا دخلت على محمد بن سعيد بن سالم انتسبتُ^(٢) له، فعرفني، فقال: ما قلت فيه شيئاً؟ فقال له رجل كان معي: بلى، قد قال أبياتاً، وهو في السفينة؛ فسألني أن أنشده، فأنشدته قولي:

وقالوا: لو مدحت فتى كريماً
بلوت الناس مُذ خمسين عاماً
فما أحدٌ يُعدُّ ليوم خيرٍ
ويُعجبني الفتى وأظنَّ خيراً
تقيلاً^(٣) بعضهم بعضاً فأضحوا
فطاف الناس بالحسن بن سهل
وقالوا: سيّدٌ يُعطي جزيلاً
فقلت: مضى بدم القوم شعري
وما خيرٌ تُرجمه^(٧) ظنوني
فجئتُ ولأُمور مُبشراتُ
فقلت: وكيف لي بفتى كريم؟
وحسبك بالمجرب من عليمٍ
ولا أحدٌ يعود إلى حميمٍ
فأكشف منه عن رجل لئيمٍ
بنى أبوين قُداً من أديمٍ^(٤)
طوافهم بزمزم والحطيم^(٥)
ويكشف كربة الرجل الكظيم^(٦)
وقد يؤتى البريء من السقيم
بأشقى من مُعاينة الحلِيمِ
ولن يخفى الأغر^(٨) من البهيم^(٩)

(١) أعذرت: قدمت عذراً وبالغت فيه.

(٢) انتسبت له: ذكرت له نسبي.

(٣) تقيلاً بعضهم بعضاً: أشبه كلَّ منهم الآخر.

(٤) الأديم: الجلد، وقداً من أديم: أي قطعاً من جلد واحد لشدة الشبه بينهما.

(٥) زمزم والحطيم، زمزم: هو البئر في مكة، والحطيم: جدار الكعبة المشرفة.

(٦) الكظيم: الحزين.

(٧) ترجمه ظنوني: تعرف معرفة حقيقته ما هو عليه.

(٨) الأغر: هو ما كانت جبهته بيضاء.

(٩) البهيم: الشديد السواد.

فإن يك ما تنشّر عنه حقاً رجعت بأهبة الرجل المقيم
وإن يك غير ذاك حمدت ربّي وزال الشكُّ عن رجلٍ حكيمٍ
وما الآمال تعطفني عليه ولكنّ الكريم أخو الكريم
[الوافر]

قال: فلما أنشدته هذا الشعر، قال لي: بمثل هذا الشعر تلقى الأمير! واللّه لو كان نظيرك لما جاز أن تخاطبه بمثل هذا! فقلت: صدقت، فكذلك قلت، إنني لم أمدحه بعد، ولكنني سأمدحه مدحاً يُشبه مثله. قال: فأفعل، وأنزلي عنده، ودخل إلى الحسن فأخبره بخبري وعجبه من جودة البيت الأخير فأعجبه، فأمر بإدخاله إليه بغير مدح، فأدخلت إليه. فأمرني أن أنشد هذا الشعر، فأستعفيته فلم يُعفني، وقال: قد قنعنا منك بهذا القدر إذ لم تُدخلنا في جملة من ذممت، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة. فأنشدته إياه؛ فضحك وقال: ويحك! ما لك وللناس تعمّمهم بالهجاء؟ حسبك الآن من هذا النمط وأبق عليهم. فقلت: وقد وهبتهم للأمير. قال: قد قبلت، وأنا أطالبك بالوفاء مطالبةً من أهديت إليه هديةً فقبلها وأثاب عليها. ثم وصلني فأجزل وكساني. فقلت في ذلك وأنشدته:

وهبت القوم للحسن بن سهل فعوّضني الجزيل من الثواب
وقال: دع الهجاء وقُل جميلاً فإنّ القصد^(١) أقرب للثواب
فقلت له: برئت إليك منهم فليتهم بمنقطع التراب^(٢)
ولولا نعمة الحسن بن سهل عليّ لسمتهم سوء العذاب
بشعر يعجب الشعراء منه يشبّه بالهجاء وبالعتاب
أكيدهم مُكايدة الأعداء وأختلهم^(٣) مُخاتلة الذئاب
بلوت خيارهم فبلوت قوماً كهولهم أخس من الشباب
وما مُسخوا كلاباً غير أتي رأيت القوم أشباه الكلاب
[الوافر]

قال: فضحك، وقال: ويحك! الساعة ابتدأت بهجائهم وما أفلتوا منك بعد. فقلت: هذه بُغية طفحت على قلبي، وأنا كافٌ عنهم ما أبقى الله الأمير.

(١) القصد: الطريق القويم.

(٢) بمنقطع التراب: يدعو عليهم بالموت، ومنقطع التراب: القبر.

(٣) أختلهم: أخذعهم.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف . قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه .
قال : حدثني علي بن الحسن الشيباني ، قال :

كان لمحمد بن حازم الباهلي صديقٌ على طول الأيام ، فنال مرتبةً من السلطان
وعلا قدره ، فجفا محمداً وتغيّر له ؛ فقال في ذلك محمد بن حازم :

وَوَفَا الْمَلُوكُ مِنَ الْمَحَالِ	وَصَلُّ الْمَلُوكُ إِلَى التَّعَالِي
مُ عَلَى الْمَوْدَةِ لِلرَّجَالِ	مَالِي رَأْيَتِكَ لَا تَدُو
فِ قُلْتِ : ذَاكَ أَخُو ضَلَالٍ ^(١)	إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَلَمَ
بِ قُلْتِ : ذَاكَ مِنَ الثَّقَالِ	أَوْ كَانَ ذَا نُسُكٍ ^(٢) وَدِي
أَمْرَيْنِ قُلْتِ : يَرِيغُ مَالِي ^(٣)	أَوْ كَانَ فِي وَسْطٍ مِنَ الْـ
كَ ^(٤) - تَبْتَغِي رَتَبَ الْمَعَالِي ؟	فَبِمَثَلِ ذَا - تَكَلَّتْكَ أُمُّ

[مجزوء الكامل]

خبره مع إبراهيم بن المهدي :

حدثني الحسن . قال : حدثني ابن مهرويه . قال : حدثني الحسن بن عليّ
الشيباني قال :

كان محمد بن حازم الباهلي قد نسك وترك شرب النبيذ ، فدخل يوماً على
إبراهيم بن المهدي ، فحادثه وناشده وأكل معه لمّا حضر الطعام ، ثم جلسوا للشّراب ؛
فسأله إبراهيم أن يشرب ، فأبى وأنشأ يقول :

أَبْعَدَ خَمْسِينَ أَصْبُو؟	وَالشَّيْبُ لِلْجَهْلِ حَرْبُ
سِنٌّ وَشَيْبٌ وَجَهْلٌ!	أَمْرٌ لِعَمْرُكَ صَعْبُ
يَا ابْنَ الْإِمَامِ فَهَلَّا	أَيَّامُ عُودِي رُطْبُ!
وَشَيْبُ رَأْسِي قَلِيلٌ	وَمَنْهَلُ الْحَبِّ عَذْبُ
وَإِذْ سِهَامِي صِيَابٌ ^(٥)	وَنَصْلُ سَيْفِي عَضْبُ ^(٦)

(١) الضلال : عدم الهداية .

(٢) النسك : العبادة وتعني أيضاً الذبيحة التي تتعلّق بالنحر ، وذلك ركن من أركان الحج .

(٣) يريغ مالي : يبغي الحصول على مالي .

(٤) تكلتك أمك : فقدتك .

(٥) صياب : تصيب أهدافها .

(٦) نصل سيفي قاضب : قاطع .

وَإِذْ شَفِفاءُ الْغَوَانِي مِئِّي حَدِيثٌ وَقُرْبُ
فَالآنَ لَمَّا رَأَى بِي الْـ عَذَّالَ لِي مَا أَحْبُّوا
وَأَقْصَرَ الْجَهْلَ مِئِّي وَسَاعِدَ الشَّيْبَ لَبُّ^(١)
وَأَنَسَ الرُّشْدَ مِئِّي قَوْمٌ أَعَابَ وَأَصَبُوا
أَلَيْتُ أَشْرَبَ كَأَسَا مَا حَجَّ لَلَّهِ رَكْبُ
[المجنث]

خبره مع النوشجاني :

حدثني الحسن . قال : حدثنا ابن مهرويه . قال : حدثني الحسن بن أبي السري
قال :

وعد النوشجاني محمد بن حازم شيئاً سأله إياه ثم مطله^(٢) ، وعاتبه فلم ينتفع
بذلك ، واقتضاه ، فأقام على مطله ؛ فكتب إليه :

أَبَا بَشِيرَ تَطَاوَلَ بِي الْعَتَابُ وَطَالَ بِي التَّرَدُّدُ وَالطَّلَابُ
وَلَمْ أَتْرُكْ مِنَ الْأَعْذَارِ شَيْئاً أُلَامَ بِهِ وَإِنْ كَثُرَ الْخَطَابُ
سَأَلْتُكَ حَاجَةً فَطَوَيْتَ كَشْحاً^(٣) عَلَى رَغَمٍ ، وَلِلدَّهْرِ انْقِلَابُ
وَسَمَتْنِي^(٤) الدَّنِيَّةَ مُسْتَخَفّاً كَمَا خُزِمْتُ^(٥) بِأَنْفِهَا الصَّعَابُ
كَأَنَّكَ كُنْتَ تَطْلُبُنِي بِثَارٍ وَفِي هَذَا لَكَ الْعَجَبُ الْعَجَابُ
فَإِنْ تَكُ حَاجَتِي غَلَبَتْ وَأَعَيْتُ^(٦) فَمَعْذُورٌ ، وَقَدْ وَجِبَ الثَّوَابُ^(٧)
وَإِنْ يَكُ وَقْتُهَا شَيْبَ الْغَرَابِ فَلَا قُضِيَتْ وَلَا شَابَ الْغَرَابُ
رَجَوْتُكَ حِينَ قِيلَ لِي : ابْنَ كَسْرَى وَإِنَّكَ سِرُّ مُلْكِهِمُ اللَّبَابُ
فَقَدْ عَجَّلْتَ لِي مِنْ ذَاكَ وَعِداً وَأَقْرَبَ مِنْ تَنَاوُلِهِ السَّحَابُ
وَكُلُّ سَوْفٍ يُنْشَرُ غَيْرَ شَكٍّ وَيَحْمِلُهُ لَطِيئَتُهُ^(٨) الْكِتَابُ
[الوافر]

- (١) لَبُّ : عقل راشد .
(٢) مطله : سَوَّفَ ولم يصدق بوعده .
(٣) طويت كشحاً ، الكشح : الخاصرة ، وطوى كشحاً : أعرض عنه ولم يعره التفاتة .
(٤) سميتني الدنية : أدقنتني الذل .
(٥) خُزِمْتُ : ذُلْتُ وسُخِّرْتُ .
(٦) أعيت : أعجزت .
(٧) الثواب : الجزاء الحسن .
(٨) لطيته : أي لوجهته التي قصد إليها .

أخبرني الحسن . قال : حدثني ابن مهوريه . قال : حدثني الحسن بن أبي السري . قال :

قصد محمد بن حازم بعض وُلد سعيد بن سالم ، وقد ولي عملاً ، واسترفده^(١) ؛ فأطال مُدَّتَه ولم يُعْطِه شيئاً ؛ وانصرف عنه . وقال :

أَلِدُنِّيَا أَعِدُّكَ يَا ابْنَ عَمِي إِلَى كَمْ لَا أَرَاكَ تُنِيلُ حَتَّى
وَمَا تَنْفُكُ مِنْ جَمْعٍ وَوَضِعٍ فَشَرَّكَ عَنْ صَدِيقِكَ غَيْرِنَاءِ
أَتَيْتَكَ زَائِراً فَأَتَيْتُ كَلْباً فَبَيْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ مَا عَلِمْنَا
أَيَّرَحِلَ عَنْكَ ضَيْفَكَ غَيْرَ رَاضٍ فَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ كَرَمٍ بَعِيداً
وَمَا بِي حَاجَةً لَجَدَاكَ^(٢) لَكِنْ [الوافر]

تمثل المتوكل بشعره حينما غاضبته قبيحة :

حدثني عمي . قال : حدثني يزيد بن محمد المهلبي . قال :

كُنَّا عِنْدَ الْمُتَوَكِّلِ يَوْماً وَقَدْ غَاضَبَتْهُ قَبِيحَةٌ ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا فَقَالَ : مَنْ يُنْشِدُنِي مِنْكُمْ شِعْراً فِي مَعْنَى غَضَبِ قَبِيحَةٍ عَلَيَّ ، وَحَاجَتِي أَنْ أَخْضَعَ لَهَا حَتَّى تَرْضَى ؟ فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ الْبَاهِلِيُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَيْثُ يَقُولُ :

صَفَحْتُ بِرَغَمِي عَنْكَ صَفْحَ ضَرُورَةٍ خَضَعْتُ وَمَا ذَنْبِي إِلَّا الْحَبُّ غَرَّنِي^(٣)
يُذَلِّلُ مِنِّي كُلَّ مَمْتَنَعٍ صَعْبٍ إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّ وُدِّي مُحْصَلٌ^(٤)
[الطويل]

(٢) الجدا : العطاء .

(١) استرفده : طلب رفده وعطاءه .

(٣) غَرَّنِي فِي الْخُطَابِ : غَلْبَنِي .

(٤) مُحْصَلٌ : ثَابِتٌ مُجْمُوعٌ .

الغناء لعبيدة الطنبورية رملٌ بالوسطى - قال: أحسنت وحياتي يا يزيد! وأمر بأن يُغنى فيه، وأمر لي بألف دينار.

هجاؤه بني نمير:

حدثني الحسن بن عليّ. قال: حدثني ابن مهرويه. قال: حدثنا عليّ بن خالد البرمكي. قال:

سافر محمد بن حازم الباهلي سفراً، فمرّ بقوم من بني نُمير، فسألوا منه بعيراً له عليه ثقله^(١)؛ فقال يهجوهم:

نُميرُ: أَجْبَنًا حَيْث يَخْتَلِفُ الْقَنَا
وَمَنْعَ قَرَى الْأَضْيَافِ^(٣) مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ
وَبَغْيًا عَلَى الْجَارِ الْغَرِيبِ إِذَا طَرَا
عَلَى أَنْكُمْ تَرْضَوْنَ بِالذَّلِّ صَاحِبًا
أَمَّا وَأَبِي إِنَّا لَنَعْفُو وَإِنَّا
نَكِيدُ الْعَدَا بِالْحِلْمِ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ
نَفَى الضَّيْمِ^(٧) عَنَّا أَنْفُسُ مُضْرِيَّةٍ
وَأَنَا لَمَنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ فِي التِّي
وَأَنَّ لَنَا بِالْتَرِكِ قَبْرًا مَبَارَكًا
وَمَا نَابَنَا صَرْفُ الزَّمَانِ بِسَيِّدٍ
وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا يَسْلَمُونَ مِنَ الرَّدَى
أَبَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ نُمِيرًا لِرُشْدِهَا

وَلُؤْمًا وَبُخْلًا عِنْدَ زَادٍ وَمِزْوَدٍ^(٢)؟
وَلَا عَدَمَ، إِلَّا حَذَارَ التَّعَوُّدِ
عَلَيْكُمْ^(٤) وَخَتَلُ^(٥) الرَّكَّابِ الْمُتَفَرِّدِ
وَتُعْطُونَ مَنْ لَا حَاكُمُ الضَّيْمِ عَنْ يَدٍ
عَلَى ذَاكَ أَحْيَانًا نَجُورُ وَنَعْتَدِي
وَنَغْشَى الْوَعْيَ بِالصُّدُقِ لَا بِالتَّوَعُّدِ^(٦)
صِرَاحٌ وَطَعْنُ الْبَاسِلِ الْمُتَمَرِّدِ
هِيَ الْغَايَةُ الْقَصْوَى بَعْزٌ وَسُودِدِ
وَبِالصَّيْنِ قَبْرًا عَزَّ كُلُّ مُوَحِّدٍ^(٨)
بَكَيْنًا عَلَيْهِ أَوْ يُوَافِي بِسَيِّدِ
سَلَمْنَا وَلَكِنَّ الْمَنَايَا بِمَرْصَدِ^(٩)
وَلَا يَرْشُدُ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِمَرْشَدِ
[الطويل]

(١) ثقل ما على البعير: حملة من أمتعة المسافرين.

(٢) المزود: وعاء الزاد.

(٣) قري الأضياف: ما يقدم من طعام للضيوف.

(٤) طراً عليكم: جاء قاصداً ضيافته عليكم بلا استعلام مسبق.

(٥) ختل: خدع.

(٦) التوعد: التهديد.

(٧) الضيم: الخسف، الظلم.

(٨) الموحد: المسلم، يفخر الشاعر بمنجزات قتيبة بن مسلم الباهلي الذي انتصر بالمسلمين فافتتح

بخارى وسمرقند وخوارزم ووصل في فتوحه إلى كشغر من بلاد الصين، استشهد سنة ٩٦ هـ.

(٩) المرصد: الطريق.

حدثني الحسن بن عليّ. قال: حدثني محمد بن القاسم ورجلٌ من ولد البختكان^(١) من الأهوازيين، أن محمد بن حامد ولي بعض كُور الأهواز في أيام المأمون، وأن محمد بن حازم الباهليّ قديم عليه زائراً ومدحه، فوصله وأحسن إليه، وكتب له إلى تُستر^(٢) بحنطةٍ وشعير، فمضى بكتابه، وأخذ ما كتب له به، وتزوج هناك امرأةً من الدهاقين^(٣)، فزرع الحنطة والشعير في ضيعتها؛ وولّى محمد بن حامد رجلاً من أهل الكوفة الخراج بتستر، فوكل بغلةً محمد بن حازم وطالبه بالخراج فأذاه، فقال يهجوهُ:

زَرَعْنَا فَلَمَّا سَلَّمَ اللَّهُ زَرَعْنَا	وأوفى ^(٤) عليه منجلٌ بحصادٍ
بُلَيْنَا بِكَوْفِيٍّ حَلِيفٍ مَجَاعَةٍ	أَضَرَّ عَلَيْنَا مِنْ دَبَا ^(٥) وَجَرَادٍ
أَتَى مُسْتَعْدًّا مَا يُكَذِّبُ دُونَهُ	وَلَجَّ بِإِرْغَامٍ ^(٦) لَهُ وَبِعَادٍ
فَطَوَّرًا بِالْحَاحِ عَلِيٍّ وَغِلْظَةٍ	وَطَوَّرًا بِخَبِطٍ دَائِمٍ وَفَسَادٍ
وَلَوْلَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَعْنِي ابْنَ حَامِدٍ	لَرَحَّلْتَهُ عَنْ تُسْتَرٍ بِسَوَادٍ
فَكُفُّوا الْأَذَى عَنْ جَارِكُمْ وَتَعَلَّمُوا	بَأْتِي لَكُمْ فِي الْعَالَمِينَ مَنَادِي

[الطويل]

فبعث محمد بن حامد إلى عامله فصرفه عن الناحية، وقال له: عرّضتني لِمَا أكره، واحتمل خراج محمد بن حازم.

أخبرني محمد بن الحسين بن الكندي المؤدّب. قال: حدثنا الرياشي. قال: سمعتُ الأصمعيّ. يقول:

قال هذا الباهلي محمد بن حازم في وصف الشَّيب شيئاً حسناً، فقال له أبو محمد الباهلي: تعني قوله:

كُفَّاكَ بِالشَّيْبِ ذَنْباً عِنْدَ غَانِيَةٍ وَبِالشَّيْبِ شَفِيعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

[البسيط]

(١) البختكان: هو والد بزرجمهر وزير كسرى أنوشروان أعظم ملوك الفرس، وقد اشتهر ذلك الوزير بسداد رأيه وحسن مشورته.

(٢) تستر: من مدن الأهواز الكبيرة.

(٣) الدهاقين، الواحد دهقان: وهو زعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم.

(٤) أوفى عليه: أشرف على حصاده.

(٥) الدبا: صغار النمل والجراد.

(٦) لجّ بإرغام: دخل بالقوّة، ولج بإرادته ليحصل على حصته من الخراج.

فقال: إِيَّاهُ عَنِيتُ. فقال له الباهلي: ما سمعت لأحدٍ منَ المحدثين أحسن منه.

خبره مع محمد بن زُبَيْدَة:

حدثني عمي. قال: حدثنا حسين بن فهم. قال: حدثني أبي. قال: دخل محمد بن حازم على محمد بن زُبَيْدَة وهو أمير، فدعاه إلى أن يشرب معه، فامتنع. وقال:

أَبْعَدَ خَمْسِينَ أَصْبُو	وَالسَّيْبُ لِلْجَهْلِ حَرْبُ
سِنٌّ وَشَيْبٌ وَجَهْلٌ!	أَمْرٌ لِعَمْرُكَ صَعْبُ
يَا ابْنَ الْإِمَامِ فَهَلَّا	أَيَّامَ عُودِي رُطْبُ!
وَشَيْبٌ رَأْسِي قَلِيلُ	وَمَنْ هَلِ الْحَبِّ عَذْبُ
وَإِذْ شِفَاءُ الْغَوَانِي	مَتَّى حَدِيثٌ وَشُرْبُ
أَلَا نَحْيَيْنَ رَأْيَ بِي	عَوَاذِلِي مَا أَحْبُّوا!
أَلَيْتُ أَشْرَبُ كَأَسَا	مَا حَجَّ لَلَّهِ رَكْبُ

[المجث]

قال: فأعطاه محمد بن زُبَيْدَة ووصله.

أخبار ابن القصار ونسبه

اسمه فيما أخبرني به أبو الفضل بن بُرد الخيار، سليمان بن عليّ. وذكره جحظة في كتاب الطنبوريين^(١)، قتله^(٢) في نفسه وأخلاقه ومدح صنعته، وقال: مما أحسن فيه قوله:

أرقتُ لبرقٍ لاح في فحمة الدجى فأذكرني الأحباب والمنزل الرّحبا
[الطويل]

قال: وهذا خفيف رمل مطلق. ومما أحسن فيه أيضاً:

تعالى نجدد عهد الصّبا ونصف^(٣) للحبّ عمّا مضى
[المتقارب]

ثلبه جحظة وتنادر عليه:

وهو خفيف رمل مطلق أيضاً. وذكر أنه كان مع أبيه قصّاراً^(٤) وتعلّم الغناء فبرع فيه. ومن طيّب ما ثلبه^(٥) به جحظة وتنادر عليه به - وأراها مصنوعة - أنّه مرّ يوماً على أبيه، ومعه غلامٌ يحمل قاطرميز^(٦) نبّيد، وجوامرجة^(٧) مذبوحة مسمومة، فقال: الحمد لله الذي أراني ابني قبل موتي يأكل لحم الجواميرات، ويشرب نبّيد القاطرميزات.

وحدّث عن بعض جيرانه أنّ ابن القصار غنى له يوماً بحبل ودلو، وأنّ إسماعيل بن المتوكل وهب له مائتي أترجة^(٨) كانت بين يديه، فباعها بثلاثة دنانير، وأنه يحمل بلبكيذه^(٩) إلى دار السلطان، وله فيه خُبْرٌ وجبْنٌ فيأكله، ويحمل في البلبكيذ ما يُوضع بين يديه في دار السلطان، فيدعو إخوانه عليه. وأكثر من ثلب الرجل مما لا فائدة فيه. ولو أراد قائلٌ أن يقول فيه ما لا يبعد من هذه الأخلاق لوجد مقالاً واسعاً، ولكنه مما يقبح ذكره، سيّما وقد لقيناه وعاشرناه. عفا الله عنا وعنه.

(١) الطنبوريين؛ نسبة إلى الطنبور من آلات الطرب يمتاز بعنقه الطويل وأوتاره الستة.

(٢) تله في نفسه: ذمه بأخلاقه.

(٣) نصفح: وصفح في الأمر: نظر فيه، ويقال: صفح الناس أي قابل بينهم ونظر في أحوالهم.

(٤) القصّار: محوّر الثياب ومبيضها. (٥) ثلبه: عابه، وتنقّصه.

(٦) قاطرميز نبّيد: هي قلّة كبيرة مصنوعة من زجاج. فارسي معرّب.

(٧) جوامرجة مذبوحة مسمومة: نتف شعرها بالماء الساخن.

(٨) الأترج: ثمر الكبّاد، فارسي معرّب. (٩) بلبكيذه: حقييته التي كان يضع فيها حاجاته.

أخبرنا ذكاء وجه الرّزة قال: كنا نجتمع مع جماعة في الطنبوريين، ونشاهدهم في دور الملوك وبحضرة السلطان، فما شاهدت منهم أفضل من المسرور وعمر الميداني وابن القصّار.

خبره مع زوج البلوري:

وحدثتني قمرية البكتمرية. قالت: كنت لرجل من الكتّاب يُعرّف بالبلوري، وكان شيخاً، وكانت ستي التي ربّنتي مولاته، وكانت مغنية شجية الصوت^(١) حسنة الغناء، وكانت تعشق ابن القصّار، وكانت علامة مصيره إليها أن يجتاز في دجلة وهو يغني، فإن قدرْتُ على لقائه أوصلته إليها، وإلاّ مضى فأذكره وقد اجتاز بنا في ليلة مُقمرة، وهو يغني خفيف رمل. قال:

أنافي يمني يديها وهي في يسرى يديّه
إنّ هذا القضااء فيه جور يا أخيه

[مجزوء الرمل]

ويُعني في آخره رده:

ويل ويلى يا أبيّه

وكانت ستي واقفة بين يديّ مولاها، فما ملكت نفسها أن صاحت: أحسنت والله يا رجل! فتفضّل وأعد، ففعل وشرب رطلاً وانصرف، وعلم أنه لا يقدر على الوصول إليها. وكان مولاها يعرف الخبر، فتغافل عنها لموضعها من قلبه؛ فلا أذكر أنّي سمعتُ قطّ أحسن من غنائه.

صوت

باح بالوجد^(٢) قلبك المستهام وجرث في عظامك الأسقام^(٣)
يوم لا يملك البكاء أخو الشّو ق فيشفى ولا يُردّ سلام
[الخفيف]

لم يقع إليّ قائل هذا الشعر. والغناء لمعبد اليقطيني ثاني ثقل بالبنصر عن أحمد بن المكي.

(١) شجية الصوت: جميلة الصوت رغم نغمته الحزينة.

(٢) باح بالوجد: كشف عن شدة حبه. (٣) الأسقام، الواحد سقم: الأمراض.

أخبار معبد ونسبه

كان معبدُ اليقطيني غلاماً مولّداً خِلاسيّاً^(١) من مُولّدي المدينة، اشتراه بعض ولد علي بن يقطين. وقد شدا^(٢) بالمدينة، وأخذ الغناء عن جماعةٍ من أهلها، وعن جماعةٍ أخرى من عليّة المغنّين بالعراق في ذلك الوقت، مثل إسحاق وابن جامع وطبقتهما، ولم يكن فيما ذكر بطيّب المسموع، ولا خدم أحداً من الخلفاء إلا الرشيد، ومات في أيامه، وكان أكثر انقطاعه إلى البرامكة.

خبره مع غلام من المدينة :

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعي . قال : حدثني معبدُ الصغير المغنّي مولى علي بن يقطين . قال :

كنت منقطعاً إلى البرامكة، أخذ منهم وألزمهم، فبينما أنا ذات يوم في منزلي إذا بابي يدقُّ، فخرج غلامي ثم رجع إليّ فقال : على الباب فتّى ظاهرُ المروءة يستأذن عليك؛ فأذنت له . فدخل عليّ شاب ما رأيْتُ أحسن وجهاً منه، ولا أنظف ثوباً، ولا أجمل زياً منه، من رجل دنفٍ عليه آثار السقم ظاهرة، فقال لي : إنّي أرجو لقاك منذ مدّةٍ فلا أجد إليه سبيلاً، وإنّ لي حاجة . قلت : ما هي؟ فأخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يديّ، ثم قال : أسألك أن تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحناً تغنّيني به . فقلت : هاتهما، فأنشدهما، وقال :

صوت

والله يا طَرْفِي الجاني على بدني لُتُفَنِّ بدمعي لوعة الحزنِ
أو لأبوحنّ حتى يحجبوا سكني فلا أراه ولو أدرجتُ في كفني^(٣)
[البسيط]

(١) الخلاسي من الأبناء: من كان ابناً لأبوين أبيض وأسود.

(٢) سكني: حبيبي الذي يسكنني في منزلي.

(٣) أدرجت في كفني: وضعت في كفني لدفني.

- الغناء فيه لمعبد اليقطيني ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى - قال: فصنعت فيهما لحناً ثم غنّيته إياه؛ فأغمي عليه حتى ظننته قد مات. ثم أفاق فقال: أعد فديتك! فناشدته الله في نفسه وقلت: أخشى أن تموت. فقال: هيهات! أنا أشقى من ذاك. وما زال يخضع لي ويتضرّع حتى أعدته، فصعق صعقةً أشدّ من الأولى، حتى ظننت أن نفسه قد فاضت^(١). فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعتها بين يديه، وقلت: يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عني؛ فقد قضيت حاجتك، وبلغت وطراً^(٢) مما أردته، ولست أحب أن أشرك في دمك. فقال: يا هذا! لا حاجة لي في الدنانير. فقلت: لا والله ولا بعشرة أضعافها إلا على ثلاث شرائط. قال: وما هن؟ قلت: أولها أن تقيم عندي وتتحرّم بطعامي، والثانية أن تشرب أقداحاً من النبيذ تشدّ قلبك وتسكن ما بك، والثالثة أن تحدّثني بقصّتك. فقال: أفعل ما تريد.

فأخذت الدنانير، ودعوت بطعام فأصاب منه إصابةً مُعذّر^(٣)، ثم دعوت بالنبيذ فشرب أقداحاً، وغنّيته بشعر غيره في معناه، وهو يشرب ويبكي. ثم قال: الشرط أعزّك الله، فغنّيته، فجعل يبكي أحراً بكاءً وينشج^(٤) أشدّ نشيجاً وينتحب. فلما رأيت ما به قد خفّ عما كان يلحقه، ورأيت النبيذ قد شدّ من قلبه، كررت عليه صوته مراراً، ثم قلت: حدّثني حديثك. فقال: أنا رجلٌ من أهل المدينة خرجت متنزّهاً في ظاهرها وقد سال العقيق^(٥)، في فتية من أقراني وأخداني^(٦)، فبُصرنا بقيناتٍ قد خرجن لمثل ما خرجنا له، فجلسن حجرةً منّا، وبُصرت فيهنّ بفتاةٍ كأنها قضيبةٌ قد طلّه الندى^(٧)، تنظر بعينين ما ارتدّ طرفهما إلّا بنفس من يلاحظهما. فأطلنا وأطلن، حتى تفرّق الناس، وانصرفن وانصرفنا، وقد أبقت بقلبي جرحاً بطيئاً اندماله^(٨). فعدتُ إلى منزلي وأنا وقيدٌ^(٩). وخرجت من الغد إلى العقيق، وليس به أحدٌ، فلم أر لها ولا لصواحباتها أثراً. ثم جعلت أتبعها في طرق المدينة وأسواقها؛ فكأنّ الأرض أضمرت^(١٠)ها، فلم أحسّ لها بعين ولا أثر، وسقمتُ^(١١) حتى أيسّ متي أهلي.

(١) فاضت: فاضت، وتلك لهجة عربية فصيحة إبدال الضاد ظاءً.

(٢) الوطر: الحاجة، البغية. (٣) المعذر: من بين عذره لسواه.

(٤) ينشج: ينوح ويبكي بصوت مرتفع.

(٥) العقيق: موضع في المدينة المنورة مما يلي الحرة إلى منتهى البقيع.

(٦) الأخدان، الواحد خدن: الأصدقاء، الرفاق.

(٧) طلّه الندى: بلّله القطر. (٨) إندماله: شفاؤه.

(٩) وقيد: صريع. (١٠) أضمرت: خبأها.

(١١) سقمت: مرضت.

ودخلت ظئري^(١) فاستعلمتني حالي، وضمنت لي حالها والسعي فيما أحبه منها؛ فأخبرتها بقصتي، فقالت: لا بأس عليك! هذه أيام الربيع، وهي سنة خصب وأنواء، وليس يبعد عنك المطر، وهذا العقيق، فتخرج حينئذ وأخرج معك؛ فإن النسوة سيجنن. فإذا فعلن ورأيتهن تبعتهن حتى أعرف موضعها، ثم أصل بينك وبينها، وأسعى لك في تزويجها.

فكان نفسي اطمأنت إلى ذلك، ووثقت به وسكنت إليه؛ ففقيت وطمعت وتراجعت نفسي، وجاء مطر بعقب ذلك، فأسال الوادي، وخرج الناس وخرجت مع إخواني إليه، فجلنا مجلسنا الأول بعينه، فما كنا والنسوة إلا كفرسي رهان. وأومأت إلى ظئري فجلست حجرة منا ومنهن، وأقبلت على إخواني فقلت: لقد أحسن القائل حيث قال:

رمتني بسهم أقصد^(٢) القلب وانثنت وقد غادرت جرحاً به وندوبا
[الطويل]
فأقبلت على صواحباتها. فقالت: أحسن والله القائل، وأحسن من أجابه حيث يقول:

بنا مثل ما نشكو، فصبراً لعلنا نرى فرجاً يشفي السقام قريباً
[الطويل]
فأمسكت عن الجواب خوفاً من أن يظهر مني ما يفضحني وإيّاها، وعرفت ما أرادت. ثم تفرق الناس وانصرفنا، وتبعته ظئري حتى عرفت منزلها، وصارت إلي فأخذت بيدي ومضينا إليها. فلم تزل تتلطف حتى وصلت إليها. فتلاقينا وتداورنا على حال مخالسة^(٣) ومراقبة. وشاع حديثي وحديثها، وظهر ما بيني وبينها، فحجبها^(٤) أهلها، وتشدد عليها أبوها. فما زلت أجتهد في لقائها فلا أقدر عليه. وشكوت إلى أبي - لشدة ما نالني - حالي، وسألته خطبتها لي. فمضى أبي ومشىخة أهلي إلى أبيها فخطبوها. فقال: لو كان بدأ بهذا قبل أن يفضحها ويشهرها لأسعفته بما ألتمس، ولكنّه قد فضحها، فلم أكن لأحقّق قول الناس فيها بتزويجه إيّاها؛ فانصرفت على يأسٍ منها ومن نفسي.

(١) الظئر من النساء: التي تحنو على ولد سواها فترضعه ثديها.

(٢) أقصد قلبي: أصابه بالصميم.

(٣) مخالسة: مسارقة النظر.

(٤) حجبها أهلها: منعوها مقابلتي وحجروا عليها.

قال معبد: فسألته أن ينزل، فحبرني^(١) وصارت بيننا عشرة. ثم جلس جعفر بن يحيى للشرب فأتيته؛ فكان أول صوت غنّيته صوتي في شعر الفتى، فطرب عليه طرباً شديداً، وقال: ويحك! إنّ لهذا الصوت حديثاً، فما هو؟ فحدثته، فأمر بإحضار الفتى، فأحضر من وقته، واستعاده الحديث، فأعاده عليه. فقال: هي في ذمتي حتى أزورك إياها، فطابت نفسه، وأقام معنا ليلتنا حتى أصبح.

وغدا جعفر إلى الرشيد فحدثه الحديث، فعجب منه، وأمر بإحضارنا جميعاً، فأحضرنا، وأمر بأن أغنّيه الصوت فغنّيته، وشرب عليه، وسمع حديث الفتى، فأمر من وقته بالكتاب إلى عامل الحجاز بإشخاص الرجل وابنته وجميع أهله إلى حضرته، فلم يمض إلا مسافة الطريق حتى أحضر. فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأوصل، وخطب إليه الجارية للفتى، وأقسم عليه ألا يخالف أمره، فأجابه وزوجه إياها، وحمل إليه الرشيد ألف دينار لجهازها، وألف دينار لنفقة طريقه، وأمر للفتى بألف دينار، وأمر جعفر لي وللفتى بألف دينار. وكان المدني بعد ذلك في جملة ندماء جعفر بن يحيى.

صوت

هل نفسك المستهامة^(٢) السدّمة^(٣) سالية مرةً ومُعْتَزَمَةٌ^(٤)
عن ذكر خُودٍ^(٥) لها الملك الـ خالق ألا تُكْنِّها^(٦) ظِلْمَةٌ^(٧)
[المنسرح]

الشعر لابن أبي الزوائد، والغناء لحكم رمل بالوسطى عن الهشامي.

(١) حبرني: سرّني، أفرحني.

(٢) المستهامة: العاشقة.

(٣) السدّمة: الحزينة، المهمومة.

(٤) معترمة: مصممة.

(٥) الخود من النساء: الشابة الجميلة المتأنقة الجمال.

(٦) تكتنها: تسترها تخفيها.

(٧) الظلمة: العتمة الشديدة.

أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه

نسبه :

اسمه سليمان بن يحيى بن زيد بن معبد بن أيوب بن هلال بن عوف بن نضلة بن عصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور. ويقال له: ابن أبي الزوائد أيضاً. شاعرٌ مقلٌ، من مخضرمي الدولتين، وكان يؤمُّ الناس في مسجد رسول الله ﷺ.

شعره في جارية كان يتعشقها :

أخبرني بذلك محمد بن خلفٍ وكيعٌ. قال: حدثنا ابن أبي خيثمة عن بعض رجاله عن الأصمعي، وأخبرني وكيعٌ. قال: حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي. قال: أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل. قال:

كان ابن أبي الزوائد يتعشق جاريةً سوداء مولاة الصُّهَيْبِيِّين^(١)، وكان يختلف إليها، وهي في النَّخل بحاجة. فلما حان الجداد^(٢). قال:

حُجِيجُ أُمْسَى جَدَادٍ حَاجِزَةٍ	فَلَيْتَ أَنَّ الْجَدَادَ لَمْ يَحْنِ
وَشَتَّ ^(٣) بَيْنَ ^(٤) وَكُنْتُ لِي سَكْنًا	فِيمَا مَضَى كَانَ لَيْسَ بِالسَّكَنِ
قَدْ كَانَ لِي مِنْكَ مَا أُسْرُبُهُ	وَلَيْتَ مَا كَانَ مِنْكَ لَمْ يَكُنْ
نَعْفُ فِي لَهُونَا وَيَجْمَعُنَا الـ	مَجْلِسَ بَيْنَ الْعَرِيشِ وَالْجُرْنِ ^(٥)

(١) الصُّهَيْبِيُّونَ: نسبة إلى صهيب بن سنان الرومي، الصحابي الجليل، عربي الأصل من النمر بن قاسط، سبته الروم وهو غلام صغير، فنشأ في بلاد الروم، ثم اتباعته كلب منهم وقدمت به إلى مكة، فاشتراه منهم عبد الله بن جدعان وأعتقه، حسن إسلامه وشارك الرسول ﷺ سائر غزواته. مات سنة ٣٨هـ في المدينة حيث دفن في البقيع.

(٢) جداد النخل: جني ثمره.

(٣) شَتَّ: فَرَّقَ، أَبْعَدَ.

(٤) البين: البعد والفراق.

(٥) الجُرْنُ: بيدر تجفيف التمور.

يُعجبنا اللهو والحديث ولا نخلط في لهونا هنا^(١) بهن
لو قد رحلت^(٢) الحمار منكشفاً لم أرها بعدها ولم ترني

[المنسرح]

فقال له أبو محمد الجمحي: إن الشعراء يذكرون في شعرهم أنهم رحلوا الإبل
والنجايب، وأنت تذكر أنك رحلت حماراً. فقال: ما قلت إلا حقاً، والله ما كان لي
شيء أرحله غيره. قال: وقال فيها أيضاً:

يا ليت أن العرب استلحقوا ريم^(٣) الصُّهَيْبِيِّين ذاك الأجم^(٤)
وكان منهم فتزوّجته أو كنت من بعض رجال العجم

[السريع]

أخبرني وكيع. قال: حدثني طلحة بن عبد الله بن الزبير بن بكار عن عمه.

قال:

كان أبو عُبَيْدَةَ بن عبد الله بن ربيعة صديقاً لابن أبي الزوائد، ثم تباعد ما بينهما
لشيء بلغ أبا عُبَيْدَةَ عنه، فهجّره من أجله، فهجّاه؛ فقال:

قطع الصفاء - ولم أكن أهلاً لذاك - أبو عُبَيْدَةَ
لا تحسبَنَّك عاقلاً فلأنت أحمق من حُمَيْدَةَ

[مجزوء الكامل]

حميدة: امرأة كانت بالمدينة رعاء يُضرب بها المثل في الحمق.

حدثني عمي ووكيع. قالوا: حدثنا الكِراني عن أبي غَسَّان دماذ عن أبي عُبَيْدَةَ.

قال:

دخل ابن أبي الزوائد إلى حمّاد بن عمران الطُّليحي، وكان يلقَّب بعطعط، وكان
له قيانٌ يسمعهنَّ الناس عنده، فرآهن ابن أبي الزوائد فقال فيهنَّ:

أقول وقد صُفِّتِ البُظُرُ^(٥) لي: أَلِلبُّظُرُ أَدْخَلَنِي عُطْعُطُ؟
فإنني امرؤ لا أحبُّ الزَّنا ولا يستفزُّني^(٦) البربَطُ^(٧)

(١) الهنّ: كناية عما يتفحش ذكره من الرجال والنساء.

(٢) رحلت الحمار: وضعت عليه جُلّه.

(٣) الريم: الطبي الخالص البياض.

(٤) الأجم من الظباء: الذي لا قرنين له.

(٥) البُظُر، الواحد بظُر: الفرج.

(٦) يستفزني: يُثيرني.

(٧) البربط: العود، فارسي معرّب.

ولو بعضهنّ ابتغى صَبوتي
لبئسَ فعال امرئٍ قد قرا^(٢)
وما كنتُ مفترشاً جارتِي
أُفرغُ في جارتِي نطفةً
لخالط هامتها المِخبط^(١)
وهمّت عوارضه^(٣) تشمط^(٤)
وسيّدها نائمٌ يضطر
حراماً كما يفرغ المسعط^(٥)
[المتقارب]

هجاؤه لامرأته الأنصارية:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق. قال: حدثني أبو هفان. قال: حدثني
إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: حدثني المسيبي:
أن ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأة أنصارية، فطال لبثها عنده حتى ملّها
وأبغضها، فقال يهجوها:

يا رملُ أنت الغول بين رمالٍ
يا رملُ لو حَدَّثْتُ أَنَّكَ سلفُ^(٦)
ما جاء يطلبك الرسول بخطبةٍ
ولقد نهى عنك النصيح، وقال لي:
لَمَّا هزرتُ مهنّدي وقذفته
رجع المهنّد ماله من حيلةٍ
وكأنّما أولجته^(٩) في قُلَّةٍ^(١٠)
ورأيتُ وجهاً كاسفاً متغيّراً
ما كان أيرُ الفيل بالغِ قعره
لم تظفري بتقى ولا بجمالٍ
شوهاء^(٧) كالسّعلاة^(٨) بين سَعالي
مِتي ولا ضُمّت عليك حبالِي
لا تقرننَ بذِيَّةً بعيالي
فيها وقد أرهفته بصقال
وهناك تصعبُ حيلة المحتال
قد بُردتُ للصوم أو بوقال^(١١)
وحرّاً أشقَّ كمركن^(١٢) الغسّال
بتحامِلٍ عنه ولا إدخال

(١) المِخبط، بكسر الميم: العصا يخبط بها الورق.

(٢) قرا: مخففة الهمزة من قرأ القرآن.

(٣) العوارض، الواحدة عارضة: ما يبدو من صفحة الوجه.

(٤) تشمط: ما يبدو من بياض يخالط سواد المرء.

(٥) المسعط: هو من يستعمل السعوط في أنفه.

(٦) السلف من النساء: السيئة الخلق التي تعتمد إلى بذيء الكلام وتصخب به.

(٧) الشوهاء: الشديدة القبح.

(٨) السعلاة من الغيلان: أخبثها.

(٩) أولجته: أدخلته.

(١٠) القُلَّة: الجرة العظيمة.

(١١) البوقال: الكوز بلا عروة.

(١٢) المركن من الأواني: التي تغسل فيها الثياب.

ولقد طعنت مبالها بسلاحها

فوجدت أخبث مسلح ومبال

[الكامل]

قال: وقال لها وقد فخرت:

هَلَّا سَأَلْتَ مَنَازِلًا بَغْرَارٍ^(١)
 أَيْنَ انْتَأَوْا وَنَحَاهُمْ صَرَفَ النُّوَى^(٢)
 كَرِهَ الْمَقَامَ وَظَنَّ بِي وَبِأَهْلِهَا
 عُذِّي رَجَالُكَ وَاسْمَعِي يَا هَذِهِ
 سَأَعُدُّ سَادَاتٍ لَنَا وَمَكَارِمًا
 قَيْسٌ وَخِنْدَفٌ وَالْدَايَ كِلَاهُمَا
 مَن مِثْلُ فَارِسِنَا دَرِيدٍ^(٥) فَارِسًا
 وَبَنُو زِيَادٍ^(٧) مَن لِقَوْمِكَ مِثْلَهُمْ
 وَالْحَيُّ مَن سَعِدٍ^(١٠) ذُوَابَةُ^(١١) قَوْمِهِمْ
 وَالْمَانِعُونَ مَنَ الْعَدُوِّ ذِمَارِهِمْ^(١٣)
 وَالنَّاكِحُونَ بَنَاتَ كُلِّ مَتَوَجٍّ

عَمَّنْ عَهْدْتُ بِهِ مَنَ الْأَحْرَارِ
 عَنَّا وَصَرَفُ مُقَحَّمٍ^(٣) مَغْيَارِ
 ظَنًّا فَكَانَ بِنَا عَلَى إِصْرَارِ
 عَنِّي مَقَالَةٌ عَالِمٍ مِفْخَارِ
 وَأَبُوَّةٌ لَيْسَتْ عَلَيَّ بِعَارِ
 وَالْعَمَّ بَعْدُ رَبِيعَةُ بْنُ نَزَارٍ^(٤)
 فِي كُلِّ يَوْمٍ تَعَانَتِي وَكَرَارٍ^(٦)
 أَوْ مِثْلَ عَنْتَرَةٍ^(٨) الْهَزْبَرِ الضَّارِي^(٩)
 وَالْفَخْرُ مِنْهُمْ وَالسِّنَامُ الْوَارِي^(١٢)
 وَالْمَدْرُكُونَ عَدُوَّهُمْ بِالثَّارِ
 يَوْمَ الْوَعْيِ غَضِبًا بِلَا إِمْهَارِ

(١) غرار: من جبال تهامة.

(٢) صرف النوى: ما قدره البعد.

(٣) صرف مقحم: ما كان طارئاً من المصائب.

(٤) قيس: هو قيس بن الياس، وهو عيلان بن مضر بن نزار، وخندف: هي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، زوجة الياس بن مضر.

(٥) دريد: هو دريد بن الصمة، فارس العرب في الجاهلية، من بني جُشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان.

(٦) الكرار: هو من يكرّ بفروسه على الأعداء ليعمل قتلاً بهم.

(٧) زياد: هو زياد بن الربيع من بني عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان.

(٨) عنتره: هو عنتره بن شداد العبسي، من مشاهير شعراء الجاهلية وفرسانها، من أصحاب المعلقات. اشتهر بطولته في الغزوات. كان أسود اللون، كريم الأخلاق. قتل نحو ستة ٦١٥ م.

(٩) الهزبر: من أسماء الأسد، والضاري: الشرس في القتال.

(١٠) سعد: هم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرّ بن أد بن طابخة بن عيلان بن مضر.

(١١) ذؤابة كلّ شيء: ذروته وأعلاه.

(١٢) الواري: الشحم السمين.

(١٣) الذمار: الحوزة والحياض والديار.

وبنو سُليم ثُكلٌ^(١) مَن عاداهم وحيّا^(٢) العُفاة^(٣) ومَعقل^(٤) الفُرّارِ
ليسوا بأنكاسٍ^(٥) إذا حاستهم^(٦) الـ موت العداة وصمموا للمغار^(٧)
[الكامل]

قدومه بغدادَ وتشوقه إلى المدينة وشعره :

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثنا الزبير بن بَكَار عن عمه ، قال :
كان ابن أبي الزوائد وفد إلى بغداد في أيام المهدي ، فاستوخمها ، فقال يتشوّق
إلى المدينة ويُخاطب أبا غَسَّانَ محمد بن يحيى ، وكان معه نازلاً .

يا ابن يحيى ماذا بدالك ماذا أمُقامٌ أم قد عزمَت الخِياذًا^(٨)
فالبراغيثُ قد تشوّرَ^(٩) منها سامرٌ^(١٠) مانلوذ^(١١) منها ملاذا
فنحكُّ الجلود طورا فتدمى ونحكُّ الصدور والأفخاذ
فسقى الله طيبة^(١٢) الوبل سحاً وسقى الكرخ^(١٣) والصّراة^(١٤) الرّذاذ^(١٥)
بلدة لا ترى بها العين يوماً شارباً للنبيذ أو نبأذا^(١٦)
أو فتّى ماجناً يرى اللهو والبّا طل مجدداً أو صاحباً لوأذا^(١٧)
هذه الذال فاسمعوها وهاتوا شاعراً قال في الرّويّ على ذا
قالها شاعرٌ لو أنّ القوافي كنّ صخرًا أطارهن جُذاذا^(١٨)
[الخفيف]

(١) ثكل من عاداهم : المسيبون موت أعدائهم .

(٢) الحيا : المسيبون رفاية وخصب من طلب رفدهم وعطاياهم .

(٣) العُفاة ، الواحد عافٍ : طالب الرّفد .

(٤) معقل الفرار : حماة من فرّ من ظلم أعدائه .

(٥) الأنكاس ، الواحد نكس : الضعيف الجبان .

(٦) حاستهم : حمّستهم وشجّعتهم ، فكانوا كثيري القتل للرجال .

(٧) المغار : الإغارة على الأعداء . (٨) الخياذ : الفراق .

(٩) تشوّر : تهيج . (١٠) السامر : الساهر الذي لم ينم .

(١١) نلوذ : نلجأ . (١٢) طيبة : المدينة المنورة .

(١٣) الكرخ : محلة في بغداد ، اشتهرت بخماراتها ودور الملاهي .

(١٤) الصراة : من أنهار بغداد . (١٥) الرّذاذ : المطر الخفيف .

(١٦) النّباذ : صانع النبيذ وبائعه . (١٧) اللّوآذ : اللاجيء ، المستعيز .

(١٨) الجُذاذ ، بضم الجيم : القطع .

شعره حين شرب خمراً:

قال الزبير: وأنشدني له أبو غسان محمد بن يحيى، وكان قد دخل إلى رجلين من أهل الحجاز يقال لأحدهما أبو الجوّاب، والآخر أبو أيوب، فسقياه نبيذاً على أنه طري لا يُسكر، فأسكره؛ فقال:

سقاني شربةً فسكرتُ منها وعاونهُ أبو أيوبَ فيها
فلَمَّا أن تمشَّت في عظامي علمتُ بأنني قد جئتُ أمراً
فدَعهم - لا أبا لك - واجتنبهم فإِنَّ خليطهم^(٢) لهو اللويث^(٣)
[الوافر]

وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين المذكورين:

كالشمس في شرقها إذا سفرت^(٤) عنها ومثل المهاة^(٥) ملثمة^(٦)
ما صوّر الله حين صوّرها في سائر الناس مثلها نسمة
كلّ بلاد الإله جئتُ فما أبصرتُ شبيهاً لها - وقد علمة -
أنثى من العالمين تُشبهها عابسةً هكذا ومُبتسمة
فتانة المقلتين مُخطفة الـ أحشاء^(٧) منها البنان^(٨) كالعنمة^(٩)
إذا تعاطت شيئاً لتأخذه قلت! غزال يعطو^(١٠) إلى برمة^(١١)
يا طيبَ فيها وطيبَ قُبلتها والقرب منها في الليلة الشبمة^(١٢)
إنّ من اللذة التي بقيت غشيانك^(١٣) الخود^(١٤) من بني سلمة

(١) تريث: تبطئ.

(٢) الخليط: المتردد عليهم باستمرار.

(٣) اللويث: الأحمق.

(٤) سفرت: كشفت.

(٥) المهاة: البقرة الوحشية.

(٦) الملتثمة من النسوة: التي تضع لثاماً.

(٧) مخطفة الحشا: والحشا ما انضمت عليه الضلوع، ومخطفة الحشا: ضامرة البطن.

(٨) البنان، الواحدة بنانة: الأصابع.

(٩) العنم: ضرب من الأشجار ثمره أحمر تشبه به أصابع الجوّاري.

(١٠) يعطو: يرفع رأسه ويديه.

(١١) البرمة، هي ثمرة الطلح أو ثمرة الأراك.

(١٢) الليلة الشبمة: الشديدة البرد.

(١٣) الغشيان على الأمكنة: التردد عليها باستمرار.

(١٤) الخود من النساء: الشابات منهن.

لا تهجر الخود إن تُغال بها^(١) بعد سُلُو، وقبل ذاك فمه
 آتي مُعداً لها الكلام فما أنطق من هيبة ولا كلمه
 أحب - واللّه - أن أزوركُم وحدي كذا أو أزوركُم بلُمة^(٢)
 هذا الجمال الذي سمعت به سبحان ذي الكبرياء والعظمة
 من أبصرت عينه لها شهباً حلّ عليه العذاب والنّقمه
 [المنسرح]

صوت

يا هندی یا هندی نُولی رجلاً وكيف تنویل من سفکت دمه
 أو تُدرکي نفسه فقد هلکت أو ترحمیه فمثلکم رحمہ
 [المنسرح]
 أخبرني حبيب بن نصر المهلبی. قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. قال:
 حدثني محمد بن جعفر بن قادم مولى بني هاشم. قال: حدثني عمي أحمد بن جعفر
 عن ابن دأب. قال:

خرجت أنا وأخي يحيى وابن أبي السّعاء ومعنا مُصعب بن عبد الله النوفلي^(٣)
 وثابت والزبير ابنا حبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وابن أبي الزوائد السعدي
 وابن أبي ذئب منتزهين إلى العقيق، وقد سأل يومئذ، إذ أتانا أت ونحن جلوس،
 فسألناه عن الخبر بالمدينة؟ فقال: ورد كتاب أمير المؤمنين المنصور أن لا تتزوج
 منافية^(٤) إلا منافياً. قال ابن أبي ذئب: إذن واللّه لا يخطب قرشي إلا من لا يحبّها،
 ولا يرغب فيمن لا يرغب فيها ممن لا فضل له عليها، وكان غير حسن الرأي في بني
 هاشم. وتكلم ابنا حبيب بمثل ذلك، وقال أحدهما. إن نسبنا من بني عبد مناف قد
 طال، فأدالنا^(٥) الله منهم. قال: فغضب مصعب النوفلي وكان أحول فازدادت عيناه
 انقلاباً، فقال: أمّا أنت يا ابن أبي ذئب فواللّه ما شرفتك جاهليّة ولا رفعك إسلام،
 فيقع في بال أحد أنك غنيت بما جرى. وأمّا أنتما يا بني حبيب فبغضكما لبني

(١) تُغالي: تشتري بأثمان مرتفعة.

(٢) اللّمة من الرجال، بضم اللام: الجماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة.

(٣) النوفلي: نسبة إلى عبد مناف بن قصي بن كلاب.

(٤) المنافية: المنسوبة إلى عبد مناف بن قصي بن كلاب، وهو الجدّ الثالث للنبي ﷺ.

(٥) أدالنا الله منهم: نصرنا عليهم وأذلهم.

عبد مناف تالّد موروث^(١)، ولا يزال يتجدّد كلما ذكرتم قتل الزبير^(٢)، وإنكم لمن طينتين مختلفتين: أما إحداكما فمن صفية، وهي الطينة الأبطحية السنية، تنزعان إليها إذا نافرتما^(٣)، وتفخران بها إذا افتخرتما، والأخرى الطينة العوامية التي تعرفانها، ولو شئت أن أقول لقلت، ولكنّ صفية تحجزني، فأحسننا الشكر لمن رفعكما، ولا تميلا عليه بمن وضعكما. فقالا له: مهلاً، فوالله لقديمنا في الإسلام أفضل من قديمك، ولحظنا فيه بالزبير أفضل من حظك. فقال مصعب: والله ما تفخران في نسبكما إلاّ بعمّتي، ولا تفضلان في دينكما إلاّ بآبن عمي ﷺ؛ فمفاخره لي دونكما. ثم تفرقوا؛ فقال ابن أبي الزوائد:

لعمركما يا ابنّي حبيب بن ثابت
وأنكرتما فضل الذين بفضلهم
فإنكما لم تعرفا إذ سموتما^(٤)
ولم تعرفا الفضل الذي قد فخرتما
فلولا الكرام الغر من آل هاشم
تجاوزتما في الفخر جهلاً مداكما
سمت بين أيدي الأكرمين يداكما
إلى العز من آل النبي أباكما
فليس من العوام حقاً أتاكما
- فلا تجهلا - لم تدفعا من رماكما
[الطويل]

صوت

مُحِبُّ صَدَّ آلفَه
فليس ليلته صُبْحُ
يقلّبه على مضض
مَواعِد مالها نُجْحُ
له في عينه غَرْبٌ^(٥)
وفي أحشائه^(٦) جُرْحُ
صحا عنه الذي يرجو
زيارته وما يصحو
[مجزوء الوافر]

الشعر لأبي الأسد، والغناء لعلّويه، هزج بالوسطى وخفيف ثقيل بالوسطى.

(١) التالّد: الموروث.

(٢) الزبير بن العوام، ابن عمّة النبي ﷺ السيدة صفية بنت عبد المطلب: صحابي جليل شارك في سائر غزوات النبي ﷺ. اغتاله ابن جرموز سنة ٣٦هـ، وهو يصلي.

(٣) نافرتما: تفاخرتما وتنازعتما.

(٤) سموتما إلى العز: علا مقامكما ومرتبكما.

(٥) الغرب، بالفتح: الدمع.

(٦) الأحشاء، الواحدة حشى: ما انضمت عليه الضلوع.

أخبار أبي الأسد ونسبه

نسبه :

اسمه، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الورّاق عن عيسى بن إسماعيل تينة^(١) عن القحذمي، نباتة بن عبد الله الحِماني^(٢). وذكر أبو هفّان المهزّمي^(٣) أنه من بني شيبان. وهو شاعر مطبوع متوسط الشعر، من شعراء الدولة العبّاسية من أهل الدينور^(٤). وكان طبّاً^(٥) مليح النوادر مزّاحاً خبيث الهجاء، وكان صديقاً لعلّويه المغني الأعسر، يُنادمه ويواصل عشرته ويصله علّويه بالأكابر، ويعرّضه للمنافع، وله صنعة في كثير من شعره.

شعره في جارية ترقبها فأخلفت :

فأخبرني عمي : قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن محمد الأبراري^(٦) قال :

كان أبو الأسد الشاعر صديقاً لعلّويه، وكان كثيراً ما يغتني في شعره. فدعانا علّويه ليلة، ووعدته جارية لآل يحيى بن مُعاذ - وكانت تأخذ عنه الغناء - أن تزوره تلك الليلة، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً، وكان علّويه يهيم بها، فانتظرناها حتى أيسنا منها احتباساً، فقال علّويه لأبي الأسد: قل في هذا شعراً؛ فقال :

محبّ صدّ ألفه فليس ليلته ضبحُ

صحاعنه الذي يرجو زيارته وما يصحو

[مجزوء الوافر]

(١) تينة : لقب عيسى .

(٢) الحماني، نسبة إلى حمّان، من أحياء بني تميم، من سعد بن زيد مناة .

(٣) المهزّمي : نسبة إلى مهزم، من أسماء العلم .

(٤) دينور : مدينة من أعمال الجبل في فارس .

(٥) الطبّ : الذكي، الماهر في صنّعه .

(٦) الأبرازي : نسبة إلى أبراز، من قرى نيسابور .

قال: فصنع علّويه فيه لحناً من خفيف الثقيل هو الآن مشهورٌ في أيدي الناس، وغنّانا فيه؛ فلم نزل نشرب عليه حتى أصبحنا. وصنع في تلك الليلة بحضرتنا فيه الرّمل في شعر أبي وجدة السعدي:

قتلتني بغير ذنبٍ قَتولُ وحلالٌ لها دمي المَطْلُولُ^(١)
ما على قاتلٍ أصاب قتيلاً بدلالٍ ومُقلتين^(٢) سبيلُ
[الخفيف]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف. قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو هفّان قال:

كتب أبو الأسد، وهو من بني جَمّانٍ إلى موسى بن الضحّاك:
لموسى أعْبُدْ وأنا أخوه وصاحبه، ومالي غير عبدٍ
فلو شاء الإله وشاء موسى لآنس جانبي فرجٌ بسعدٍ
[الوافر]

سبب هجائه أحمد بن أبي دؤاد:

قال: و«فَرَجٌ» غلامٌ كان لأبي الأسد، و«سعدٌ» غلام كان لموسى فبعث إليه موسى بسعد، وقاسمه بعده بقيّة غلمانِه، فأخذ شطرهم وأعطاه شطرهم. أخبرني محمد الخزاعي قال: حدثني العبّاس بن ميمون طائع قال: هجا أبو الأسد أحمد بن أبي دؤاد. فقال:

أنت امرؤٌ غثُ الصنِيعَة^(٣) رثّها^(٤) لا تحسن النعمى^(٥) إلى أمثالي
نُعَمّاك لا تعدوك إلّا في امرئٍ في مَسكٍ^(٦) مثلك من ذوي الأشكالِ
وإذا نظرتَ إلى صنِيعك لم تجدُ أحداً سَمَوْتَ به إلى الإفضالِ
فاسلم بغير سلامةٍ تُرجى لها إلّا لسدّك خُلّة الأنذالِ^(٧)
[الكامل]

(١) المَطْلُول: المهدور الذي لم يُثأر له.

(٢) المقلتان: العينان، أو هو السواد والبياض منهما.

(٣) غث الصنِيعَة: سيّئ الصُحبة.

(٤) الرثّ من كلّ شيء: البالي.

(٥) النعمى: العطاء.

(٦) المَسك، بفتح الميم: الجلد.

(٧) خُلّة الأنذال: حاجة العامة الرعاع.

قال: فأدّى إليه سلامة، وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشة هذه الأبيات عن أبي الأسد، فبعث إليه ببرد واستكفّه^(١)، وبعث بأبن عائشة إلى مظالم ماسبذان^(٢)، وقال له: قد شركته في التوبيخ لنا فشركناك في الصّفقة، فإن كنتما صادقين في دَعَوَاكما كنتما من الأنذال، وإن كنتما كاذبين فقد جُزيتما بالقبيح حسناً. حدثني علي بن سليمان الأخفش. قال: حدثنا محمد بن الحسن بن الحرون. قال:

كان سبب هجاء أبي الأسد أحمد بن أبي دؤاد أنّه مدحه فلم يُثبه، ووعدّه بالثواب ومطله^(٣)؛ فكتب إليه:

ليتك إذ نُبتني بواحدة
تحلف ألا تبرّني أبداً
إشف فؤادي منّي فإنّ به
إن كان رزقي إليك فأرم به
قد عشتُ دهرًا وما أقدر أن
فكيف أخطأت! لا أصبت ولا
لو كنت حرّاً كما زعمتُ وقد
صبرتُ لما أسأت بي، فإذا
فإنني أهل ذاك في طمعي
أبعدني الله حين يحملني
الآن أيقنتُ بعد فعلك بي
فصرتُ من سوء ما رُميتُ به

تُقنعني منك آخر الأبد
فإنّ فيها برداً على كبدي
منّي جرحاً نكأته^(٤) بيدي
في ناظرِي حيّة على رصد^(٥)
أرضى بما قد رضيتُ من أحدٍ
نهضتُ من عشرة^(٦) إلى سدد^(٧)
كددتني^(٨) بالمِطال لم أَعِدِ
عُدتُ إلى مثلها فَعُد وعُدِ
وفي خطائي سبيل مُعتمدٍ
حرّصي على مثل ذا من الأود^(٩)
أنّي عبدٌ لأعبد قُفد^(١٠)
أُكنى أبا الكلب لا أبا الأسد
[المنسرح]

(١) استكفه: طلب منه ما يكفيه من إحسان.

(٢) ماسبذان: سؤفه وأمهله فلم يعطه.

(٣) مطله: سؤفه وأمهله فلم يعطه.

(٤) نكأ الجرح: قشره قبل أن يبرأ.

(٥) رصد الحية: مخبؤها.

(٦) العشرة: الكبوة.

(٧) السداد: الاستقامة وحسن التوفيق والرشاد.

(٨) كددتني: أتعبتني.

(٩) الأود: الإعوجاج.

(١٠) القُفد، بالضم، الواحد أفقد من الرجال: المسترخي العنق أو غليظ العنق.

أخبرني علي بن الحسين بن عبد السميع المروزي^(١) الورّاق. قال: حدثني عيسى بن إسماعيل تينة عن القحزمي. قال:

مدحه الفيض بن صالح:

كان أبو الأسد الشاعر - واسمه نُباتة بن عبد الله الحِماني - منقطعاً إلى الفيض بن صالح وزير المهديّ، وفيه يقول:

ولائمةٍ لامتك يا فيضُ في الندى^(٢) فقلت لها: لن يقدح^(٣) اللوم في البحرِ
أرادتُ لتنهى الفيض عن عادة الندى ومن ذا الذي يُثني السحاب عن القطرِ؟
مواقع جود الفيض في كلّ بلدة مواقع ماء المُزن في البلد القفرِ
كأن وفود الفيض لما تحمّلوا إلى الفيض لاقوا عنده ليلة القدرِ

[الطويل]

وكان أبو الأسد قبله منقطعاً إلى أبي دُلف مدّة، فلما قدّم عليه عليّ بن جبلة العُكوك غلب عليه، وسقطت منزلة أبي الأسد عنده، فانقطع إلى الفيض بعد عزله عن الوزارة ولزومه منزله، وذلك في أيام الرشيد. وفيه يقول:

أتيتُ الفيض مُشتكياً زمانِي فأعداني^(٤) عليه جودُ فيض
وفاضتُ كُفّه بالبذل منه كما كفّ ابن عيسى ذات غَيْض^(٥)

[الوافر]

مدحه حمدون بن إسماعيل وهجاؤه علي بن المنجم:

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني عليّ بن الحسن بن الأعرابي. قال:

سأل أبو الأسد بعض الكتّاب، وهو علي بن يحيى المنجم، حاجة يسأل فيها بعض الوزراء، فلم يفعل. وبلغ حمدون بن إسماعيل الخبر، فسأل له فيها مبتدأً ونجزها وأنفذها إليه. فقال أبو الأسد يهجو الرجل الذي كان سألته الحاجة، ويمدح حمدون بن إسماعيل:

صُنِعَ مِنَ اللَّهِ! أني كنت أعرفكم قبل اليسار وأنتم في التّبايين^(٦)

(١) المروزي: نسبة إلى مرو، إحدى مدن فارس.

(٢) فيض الندى: غزارة العطاء والكرم. (٣) يقدح: ينقص من قدره ويذمه.

(٤) أعداني: ساعدني وأعاني ونصرني. (٥) غيظ الماء: نقص حتى الجفاف.

(٦) التبايين، الواحد تباين: سروال صغير، مقداره شبر يستر العورة المغلطة يرتديه الفلاحون عادة.

فما مضت سنة حتى رأيتكم
وفي المشاريق^(٤) ما زالت نساًؤكم
فصرن يرفلن^(٦) في وشي العراق^(٧) وفي
أنسين قطع الحلاوي^(١١) من معادنها^(١٢)
حتى إذا أيسروا قالوا - وقد كذبوا - :
في أَسْتِ أم ساسان^(١٧) أيري إن أقرّبكم
لو سيل^(٢٠) أوضعهم^(٢١) قدراً وأنذلهم

تمشون في القز^(١) والقوهي^(٢) واللين^(٣)
يصحن تحت الدوالي بالوراشين^(٥)
طرائف الخز^(٨) من دكن^(٩) وطاروني^(١٠)
وحملهن كشوثاً^(١٣) في الشقابين^(١٤)
نحن الشّهاريج^(١٥) أولاد الدهاقين^(١٦)
وأير بغل مشط^(١٨) في أَسْتِ شيرين^(١٩)
لقال من فخره إني ابن شوبين^(٢٢)

(١) القز: الحرير.

(٢) القوهي: ضرب من الأردية البيضاء.

(٣) اللين: رفاة العيش وبحبوحة الغنى.

(٤) المشاريق، الواحد مشراق: حيث يجلس المرء طلباً لدفع الشمس في الشتاء.

(٥) الوراشين، الواحد ورشان من الطيور: شبيه بالحمام.

(٦) يرفلن: يخطرون في مشيهم ويجرون ذبولهن.

(٧) وشي العراق: الأثواب الموشاة صناعة العراق.

(٨) طرائف الخز: الجديد من مصنوعات حريرية جذابة.

(٩) الدكن من الأثواب: الأسود.

(١٠) الطاروني من الأثواب بضم الطاء: من أنواع الحرير والخز.

(١١) الحلاوي: ضرب من النباتات، أزهارها صفراء شوكية، ذوات ورق صغير مستدير.

(١٢) المعادن: المنابت.

(١٣) الكشوث من النباتات: يعرّش على أغصان الأشجار، أصفر اللون، من غير أن يضرب بعرقه في الأرض، ويجعل في النبيذ.

(١٤) الشقابين، الواحد شُقبان: شبك يصنعها الحشاشون من الليف والخص، يجعلون لها عرى واسعة يحملها الحشاش واضعاً فيها الحشائش.

(١٥) الشّهاريج، الواحد شهرج: الأعيان ونخبة القوم. فارسي معرّب.

(١٦) الدهاقين، الواحد دهقان: رئيس الإقليم. فارسي معرّب.

(١٧) ساسان: هو ساسان الأكبر أبو أردشير بابك رأس الدولة الساسانية التي حكمت فارس من سنة ٢٠٢م إلى سنة ٦٣٩م، فأزال المسلمون تلك الأسرة واحتلوا فارس.

(١٨) المشط: هو من جعل في الجوالق شظاظاً، وهي خشبة عقفاء تدخل في عروتي الجوالق.

(١٩) شيرين: زوجة كسرى برويز الذي حكم فارس من سنة ٥٩١ إلى سنة ٦٢٧م.

(٢٠) سيل: مخفف الهمزة من سئل.

(٢١) أوضعهم: أذلهم، أحقرهم.

(٢٢) شوبين: هو بهرام جوبين، قائد الجيش لدى هرمز بن أنوشروان.

وقال أقطعني^(١) كسرى وورثني
 من ذا يُخبر كسرى وهو في سقر^(٣)
 وأنهم زعموا أن قد ولدتهم
 فكان ينحز جوف النار واحدة
 أما تراهم وقد حطوا برادعهم^(١٠)
 وأفرجوا^(١٣) عن مشارات البقول إلى
 تغلي على العرب من غيظٍ مراجلهم^(١٤)
 فقل لهم وهم أهل لتزنية^(١٥)
 ما الناس إلا نزار في أرومتها^(١٨)
 والحي من سلفي قحطان إنهم
 فمن يُفاخرني أم من يُناويني^(٢)
 دعوى النبيت^(٤)، وهم بيض الشياطين
 كما ادعى الضب^(٥) إني نطفة النون^(٦)
 تفري^(٧) وتصدع^(٨) خوفاً قلب قارون^(٩)
 عن أتنهم^(١١) وأستبدوا بالبراذين^(١٢)
 دور الملوك وأبواب السلاطين
 عداوة لرسول الله في الدين
 شر الخليفة يا بُخر^(١٦) العثانين^(١٧)
 وهاشم سرجها^(١٩) الشم العرانيين^(٢٠)
 يزرون^(٢١) بالنبت الكن^(٢٢) الملاعين

(١) أقطعني: أعطاني أرضاً أملكها.

(٢) يناويني: يُعادي.

(٣) سقر: من أسماء جهنم.

(٤) النبيت: هم الأنباط الذين اتخذوا البطائح لهم موطناً بين العراقيين، وشياطينهم أولادهم.

(٥) الضب، من الدواب: شبيه بالورل من الحشرات.

(٦) النون: الحوت.

(٧) تفري: تفرق، تشق.

(٨) تصدع: تشق.

(٩) قارون: هو ابن خالة سيدنا موسى عليه السلام.

(١٠) البرادع، الواحدة بردعة: جلّ الحمار.

(١١) الأتن، بضم الهمزة، الواحدة أتان: الحمارة.

(١٢) البراذين: البغال، تنتج من اجتماع حمار وفرس.

(١٣) أفرجوا عن مشارات البقول: تركوا عمل الزراعة حيث مجاري المياه وسواقيها.

(١٤) مراجل، الواحد مرجل، بكسر الميم: القدور، ويقصد بذلك قلوبهم.

(١٥) التزنية: القذف بالزنى.

(١٦) بُخر، الواحد أبخر: من كانت رائحة فمه نتنة.

(١٧) العثانين، الواحد عثنون: اللحية أو ما نبت في ذفن الرجل، يقصد بذلك الأفواه.

(١٨) السرج، الواحد سراج: القناديل.

(١٩) الأرومة: الأصل.

(٢٠) شم العرانيين: الذين يشمخون بأنوفهم كبرياء.

(٢١) يزرون: يحيطون من شأنهم باحتقارهم.

(٢٢) الكن، الواحد أكن: العي والعجمة، وهي سمة من لا يحسن العربية.

فما على ظهرها خلَّق له حسبٌ
قَرْمٌ^(١) عليه شهنشاهيةٌ^(٢) ونبأٌ
وإن شككت ففي الإيوان صورته
مما يُناسب كسرى غير حمدون
يُنبيك عن كسروي الجدِّ ميمون^(٣)
فأنظر إلى حسبٍ بادٍ ومخزون
[البسيط]

عتابه لأبي دُلف لحجبه إياه :

أخبرني عمي . قال : حدثنا أحمد بن أبي طاهر .
أن أبا الأسد زار أبا دُلف في الكرج^(٤) ، فحجب عنه أياماً ، فقال يعاتبه وكتب
بها إليه :

ليت شعري أضاعت الأرض عني
أم أنا قانعٌ بأذنَى معاشٍ
مِقُولِي قاطعٌ وسيفي حُسامٌ
رُبَّ بابٍ أعزَّ من بابك اليو
قد ولجناه^(٦) داخلين غُدُوًّا
فاكفِ اليوم من حجابك إذ لست
واغترِبْ في فدافد^(٩) الصدِّ^(١٠) إذ لست
لا يُقيمُ العزيز في بلد الهُو
أم بفتحٍ^(٥) أنا الغداة طريدٌ؟
هِمَّتِي القوت والقليل الزهيدُ
ويدي حُرَّةٌ وقلبي شديدُ
مَ عليه عساكرٌ وجنودُ
ورواحاً وأنت عنه مَذودُ^(٧)
تَ أميراً ولا خميساً^(٨) تقودُ
تَ أسيراً ولا عليَّ قيودُ
ن^(١١) ولا يُكَبُّ^(١٢) الأريب^(١٣) الجليدُ^(١٤)
[الخفيف]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال : أنشدني أبو هفان لأبي الأسد في صديق
له يقال له بسطام كان برّاً به - قال : وهذا من جيد شعره ، وقد سرق البُحترى معناه منه
في شعر مدح به علي بن يحيى المنجم - :

-
- (١) القَرْم : السيد .
(٢) الشهنشاهية : نسبة إلى شاهنشاه : ملك الملوك .
(٣) ميمون : موفق .
(٤) الكرج : من فارس بين همذان وأصبهان .
(٥) الفج : الطريق الواسع بين جبلين .
(٦) ولجناه : دخلنا إليه .
(٧) مذود : مطرود ، لا يسمح له بدخوله .
(٨) الخميس : الجيش مؤلف من خمس فرق .
(٩) الفدافد : المفازة الموحشة لا أنيس فيها ولا ماء .
(١٠) الصد : المنع والدفاع .
(١١) بلد الهون : الذل والمهانة .
(١٢) يكب : يُذل .
(١٣) الأريب : الذكي القلب والعقل .
(١٤) الجليد : الصبور .

أعدُّو على مالٍ بسطامٍ فأنهبه كما أشاء فلا تُثنى إليَّ يدي
حتى كَأني بسطامٌ بما احتكمتُ فيه يداي وبسطامٌ أبو الأسدِ
[البسيط]

رثاؤه إبراهيم الموصلي :

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم . قال : حدثني أبو هفَّان ، وأخبرني به
يحيى بن علي بن يحيى قال : حدثني أبو أيوب المديني . قال : حدثنا أبو هفَّان . قال :
حدثني أبو دِعامَة . قال :

لَمَّا مات إبراهيم الموصليُّ قيل لأبي الأسد - وكان صديقه - ألا ترثيه؟ فقال
يرثيه :

تولَّى الموصليُّ فقد تولَّتْ بشاشات المزاهر^(١) والقيان^(٢)
وأني ملاحية بقيت فتبقى حياة الموصلي على الزمان
ستبكيه المزاهر والملاهي ويُسعدهنَّ عاتقة^(٣) الدنان^(٤)
وتبكيه الغوية^(٥) إذ تولَّى ولا تبكيه تالية القرآن^(٦)
[الوافر]

ف قيل له : ويحك فضحته ، وقد كان صديقك . فقال : هذه فضيحة عند من لا
يعقل ، أما من يعقل فلا . وبأي شيء كنت أذكره وأرثيه به؟ أبا لفقه أم بالزهد أم
بالقراءة؟ وهل يُرثى إلا بهذا وشبهه .

قال أبو الفرج : نسخت من كتاب لأحمد بن علي بن يحيى ، أخبرني أبو الفضل
الكاتب ، وهو ابن خالة أبي عمرو الطوسي . قال :

كنت مقيماً بالجبل^(٧) فمرَّ بي أبو الأسد الشاعر الشيباني ، فأنزلته عندي أياماً ،
وسألته عن خبره . فقال : صادفتُ شاهين بن عيسى بن أخي أبي دُلف ، فما احتبسني
ولا برَّني ولا عرض عليَّ المُقام عنده ، وقد حضرني فيه أبيات فكتبها ، ثم أنشدني :
إني مررتُ بشاهين وقد نفحت^(٨) ريحُ العشي وبردُ الثلج يؤذيني

(١) المزاهر، مِزهر: العود من آلات الطرب . (٢) القيان، الواحدة قينة: الجواري المغنيات .

(٣) العاتقة من الخمور: المعتقة القديمة .

(٤) الدنان، الواحد دن: الراقد العظيم لا يقعد إلا أن يحفر له .

(٥) الغوية من النسوة: الضالَّةُ منهن . (٦) القرآن، مخففة الهمزة من القرآن .

(٧) بلاد الجبل : بأرض فارس . (٨) تفخت: هبَّت ريح لطيفة .

فما وقى^(١) عرضه متي بكسوته
 إن لم يكن لبن الدايات غيره
 لا، بل ولا حسب^(٢) دان ولا دين
 عن طبع آبائه الشم العرانيين
 فربما غاب بعل^(٣) عن حليلته^(٤)
 فناكها بعض سواس البراذين^(٥)
 وما تحرك أير فامتلا شبقاً^(٦)
 إلا تحرك عرق في أست شاهين
 [البسيط]

ثم قال: لَمْزَقْهُ كُلَّ مَمْزَقٍ، ولأصيرنَّ إلى أبي دُلَفٍ فلا نشدنه. ومضى من فوره
 يريد أبا دُلَفٍ، فلم يصل إليه، حتى بلغ أبا دلف الشعر، فشقَّ عليه وغممه. وأتاه أبو
 الأسد فدخل عليه، فسأله عن قصته مع شاهين، فأخبره بها؛ فقال: هَبْه لي. قال: قد
 فعلت. وأمر له بعشرة آلاف درهم، فأمسك عنه.

قال أبو الفرج: هذا البيت الأخير لبشار وكان عرض له، فقال:

وما تحرك أير فامتلا شبقاً إلا تحرك عرق في أست... ..

ثم قال: في أست من؟ ومرَّ به تسنيم بن الحواري فسلم عليه، فقال: في أست
 تسنيم، واللَّه. فقال له: أيُّ شيء ويلك؟ فقال: لا تسل. فقال: قد سمعت ما أكره،
 فاذكر لي سببه. فأنشده البيت، فقال: ويلك! أيُّ شيء حملك على هذا؟ قال:
 سلامك علي. قال: لا سلَّم الله عليك ولا عليَّ إن سلَّمت عليك بعدها، وبشَّار
 يضحك. وقد مضى هذا الخبر بإسناده في أخبار بشَّار:

صوت

وقد جُمع معه كل ما يُغنى في هذه القصيدة:

أجْدَك إن تُعِمَّ نأت^(٧) أنت جازع^(٨) قد اقتربت لو أن ذلك نافع
 وحسبك من نأي ثلاثة أشهر ومن حزن أن شاق^(٩) قلبك رابع
 بكت عين من أبكاك ليس لك البكى ولا تتخالجك الأمور النوازع^(١٠)

- (١) وقى: حمى، دافع عن عرضه.
 (٢) الحسب: النسب العريق.
 (٣) البعل: الزوج.
 (٤) الحليلة: الزوجة.
 (٥) البراذين، الواحد برذون: البغال.
 (٦) الشبق: شدة الغلظة وطلب الجماع.
 (٧) نأت: بعدت.
 (٨) جازع: حائف، مضطرب.
 (٩) شاق: أحزن واشتدَّ فيه الشوق.
 (١٠) النوازع: الأمور التي تنزع النفوس من صدورها.

فلا يسمعن سِرِّي وسرِّك ثالثٌ ألا كلَّ سرٍّ جاوز اثنين شائعٌ
وكيف يشيع السرُّ مِنِّي ودونه حجابٌ ومن فوق الحجاب الأضالعُ
كأنَّ فؤادي بين شقَّين من عصاً حذارِ وقُوعِ البَيْنِ والبَيْنِ واقعُ
وقالت وعيناها تفيضان عَبرةً بأهلي، بيِّن لي متى أنت راجعُ؟
فقلت لها: بالله يدري مُسافرٌ إذا أضمرته^(١) الأرض ما الله صانعُ؟
فشَدَّتْ على فيها اللثام^(٢) وأعرضتُ^(٣) وأقبلن بالكحل السحيق^(٤) المدامعُ
[الطويل]

عروضه من الطويل . الشعر لقيس بن الحُدادية ، والغناء لإسحاق في الأول والثاني من الأبيات خفيف رملٍ بالوسطى ، وفي الثالث وما بعده أربعة .

(١) أضمرته الأرض: أخففته وضيَّعته .

(٢) اللثام: ما يوضع على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب .

(٣) أعرضت: تمتعت .

(٤) الكحل السحيق: المسحوق .

أخبار قيس بن الحُدادية ونسبه

هو قيس بن مُنقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حبشة بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة، وهو خزاعة بن عمرو وهو مُزَيقياء^(١) بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف^(٢) بن امرئ القيس البَطريق^(٣) بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وهو «رداء»، ويقال: «ردني»، وقد مضى نسبه متقدماً؛ والحُدادية أمه، وهي امرأة من مُحارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضَر، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو حُداد. شاعر من شعراء الجاهلية، وكان فاتكاً شجاعاً صُعلوكاً خليعاً، خلعتَه خُزاعة بسوق عكاظ، وأشهدت على نفسها بخلعتها إيَّاه، فلا تحتمل جريرة له، ولا تطالب بجريرة يجزها أحدٌ عليه.

أغار على بني قُمير وقتل ابن عَش:

قال أبو الفرج: نسخت خبره من كتاب أبي عمرو الشيباني: لما خلعت خزاعة ابن عمرو - وهو مُزَيقياء بن عامر، وهو ماء السماء بن الحارث - قيس بن الحُدادية، كان أكثرهم قولاً في ذلك وسعيًا، قوم منهم يقال لهم: بنو قُمير بن حبشية بن سلول، فجمع لهم قيس شُدَّاذاً^(٤) من العرب وفُتاكاً من قومه، وأغار عليهم بهم، وقتل منهم رجلاً يقال له ابن عَش، واستاق أموالهم، فلحقه رجل من قومه كان سيِّداً، وكان ضلعه^(٥) مع قيس فيما جرى عليه من الخلع، يقال له ابن محرق، فاقسم عليه أن يرد ما أستاقه، فقال: أمّا ما كان لي ولقومي فقد أبررتُ قسَمَك فيه وأمّا ما اعتورته^(٦) أيدي هذه الصعاليك فلا حيلة لي فيه، فردَّ سهمه وسهم عشيرته، وقال في ذلك:

فأقسم لولا أسهم ابن مُحرقٍ مع الله ما أكثرتُ عدَّ الأقاربِ

(١) مزَيقياء: أحد ملوك اليمن، لُقّب بذلك لأنه كان يرتدي يوماً ثوبين نسجا بالذهب، فإذا كان المساء خلعهما ومزَقهما.

(٢) الغطريف من السادة: الكريم النبيل. (٣) البطريق من الرجال: الجميل المتكبر.

(٤) الشُدَّاذ: هم شتيت من قبائل شتى يمتازون بالفتك والبطش.

(٥) ضلعه: ميله وهواه. (٦) اعتورته: تناولته.

تركت ابن عُشٍّ يرفعون برأسه ينوء^(١) بساقٍ كعبها غير راتب^(٢)
وأنهاهم خلعي على غير ميرة^(٣) من اللحم حتى غُيِّبوا في الغوائب
[الطويل]

وقال أبو عمرو: أغار أبو بُردةَ بن هلال بن عُويمِر، أخو بني مالك بن
أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن امرئ القيس على هوازن في بلادها، فلقي
عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبني نصر بن معاوية بن بكر بن
هوازن، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فأنهزمت بنو عامر^(٤) وبني نصر، وقتل أبو بُردةَ قيس بن
زهير أخا خدّاش بن زهير الشاعر؛ وسبى نسوةً من بني عامر: منهنّ صخرة بنت
أسماء بن الضريبة النَّصري، وامرأتين منهم يقال لهما: بَيْقر وريّا، ثم انصرفوا
راجعين، فلما انتهوا إلى هَرشى^(٥) خنقَت صخرة نفسها فماتت، وقسم أبو بُردة السبي
والنَّعم والأموال في كل من كان معه، وجعل فيه نصيباً لمن غاب عنها من قومه وفرقه
فيهم.

ثم أغارت هوازن على بني ليث، فأصابوا حياً منهم يقال لهم: بنو الملوّح بن
يعمر بن عوف، ورعاء لبني ضاطر بن حبشية، فقتلوا منهم رجلاً وسبوا منهم سبياً
كثيراً واستاقوا أموالهم، فقال في ذلك مالك بن عوف النَّصري^(٦):

نحن جلبنا الخيل من بطن ليّة^(٧) وجلدان^(٨) جرداً^(٩) مُنعلات^(١٠) ووَقَحاً^(١١)
فأصبحن قد جاوذن مرّاً^(١٢) وجُحفةً^(١٣) وجاوزن من أكناف نخلة^(١٤) أبطحاً^(١٥)

(١) ينوء: يتعب متحملاً ثَقَلاً عظيماً. (٢) الراتب: المنتصب.

(٣) الميرة، بكسر الميم: المؤنة.

(٤) هم: بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

(٥) هَرشة: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة.

(٦) كان قائد المشركين في غزوة حنين. (٧) بطن ليّة: من نواحي الطائف.

(٨) جِلدان: موضع قرب الطائف بين ليّة وسبل، مسكن بني نصر بن معاوية من هوازن.

(٩) الجُرد من الخيول، الواحد أجرد: القصار الشعور، وهذا ما يفضلُه العرب في جيادهم.

(١٠) منعلات: شديدة الحوافر.

(١١) وُقَح الحوافر، الواحد وقح: صلبها.

(١٢) بطن مر، أو مَر الظهران: موضع بينه وبين مكة المكرمة خمسة أميال.

(١٣) الجحفة: موضع يبعد عن مكة المكرمة ثلاث مراحل في طريق المدينة المنورة.

(١٤) نخلة الشامية واليمانية: واديان يجتمعان ببطن مر يبعدان عن مكة المكرمة مقدار ليلتين.

(١٥) الأبطح: سيل واسع فيه دقاق الحصى.

تلقّطن ضيطاري^(١) خُزاعة بعد ما
 قتلناهم حتى تركنا شريدهم
 فإنك لو طالعتهم^(٦) لحسبتهم
 أبْرَنَ^(٢) بصحراء الغميم^(٣) الملوّح^(٤)
 نساء وأيتاماً ورجلاً مُسدّحاً^(٥)
 بمنعرج^(٧) الصّفراء^(٨) عتراً مُذبّحاً^(٩)
 [الطويل]

أغار على هوازن وقتل أبا زيد وعروة:

فلما صنعت هوازن بني ضاطر ما صنعت، جمع قيس بن الخُدّادية قومه، فأغار
 على جُموع هوازن، فأصاب سيياً ومالاً، وقتل يومئذٍ من بني قشير: أبا زيد وعروة
 وعامراً ومروّحاً، وأصاب أبياتاً من كلاب خلوفاً^(١٠)، واستاق أموالهم وسبياً، ثم
 انصرف، وهو يقول:

نحن جلبنا الخيل قُبّاً^(١١) بطونها
 بكلّ خزاعيٍّ إذا الحرب شمّرت
 قرعنا قُشيراً في المحلّ عشيّة
 قتلنا أبا زيد وزيداً وعامراً
 وأبنا^(١٤) بإبل القوم تُحدّى، ونسوة
 غداة سقينا أرضهم من دمائهم
 تراها إلى الدّاعي المثوّب جُنّحاً^(١٢)
 تسربل فيها برده وتوشّحاً
 فلم يجدوا في واسع الأرض مسرحاً
 وعروة أقصدنا^(١٣) بها ومروّحاً
 يبْكِين شِلْوا^(١٥) أو أسيراً مجرّحاً
 وأبنا بأدم^(١٦) كنّ بالأمس وضّحاً^(١٧)

(١) الضيطار من الرجال: اللثيم الضخم لا خير فيه.

(٢) أبر: أهلك.

(٣) صحراء الغميم: موضع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة بين رابغ والجحفة.

(٤) الملوّح: البادي من بعيد.

(٥) المسدّح: الممدّد على أديم التراب.

(٦) طالعتهم: اطلعت عليهم.

(٧) المنعرج: المنحنى.

(٨) الصّفراء: قرية تمتاز بكثرة النخيل والمزارع، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة.

(٩) العتر المذبّح: هي الشاة تذبح تقرباً للآلهة الوثنية في شهر رجب، وكانوا يصبون دماءها على رأسها.

(١٠) الخلوف: الحيّ إذا خرج الرجال منه وخلّفوا نساءهم فيه.

(١١) الخيل القبّ: الدقيقة الخصور، الضامرة البطون.

(١٢) الجُنّح، الواحدة جانحة: المائلة إليه المتوجّهة نحوه.

(١٣) أقصدنا: طعنا ولم نخطئه.

(١٤) أبنا: رجعنا، عدنا.

(١٥) الشلو: كلّ ما سلخ وأكل منه وبقيت منه بقية.

(١٦) الأدم من النساء، الواحدة أدماء: السمراوات منهن.

(١٧) الوضّح من النساء، الواحدة واضحة: اللواتي يمتزّن ببياضهن.

ورُعنّا^(١) كلاباً قبل ذاك بغارة
لقد علمتُ أفناءً^(٤) بكر بن عامر
وأنا بلا مَهْرٍ سوى البيض^(٨) والقنا^(٩)
فُسُقنا جِلاداً^(٢) في المبارك قُرْحاً^(٣)
بأنا ندود^(٥) الكاشح^(٦) المتزحزح^(٧)
نُصيب بأفناء القبائل مَنكحاً^(١٠)

[الطويل]

وقال أبو عمرو: وزعموا أن قيس بن عيلان رغب في البيت، وخُزاعة يومئذٍ تليه، وطمعوا أن ينزعه منهم، فساروا ومعهم قبائل من العرب ورأسوا عليهم عامر بن الظرب العدواني، فساروا إلى مكة في جمع لُهام^(١١)، فخرجت إليهم خُزاعة فاقتتلوا، فهزمت قيس، ونجا عامر على فرس له جواد^(١٢)، فقال قيس بن الحُدادية في ذلك:

لقد سُمِتَ نفسك يا ابن الظرب
وحملتهم مركباً باهظاً^(١٤)
بحرب خُزاعة أهل العلا
هم المانعو البيت والذائدون
نفوا جُرهم ما ونفوا بعدهم
وسمر الرماح^(١٨) وجُرد الجياد^(١٩)
وهم ألحقوا أسداً عَنوةً^(٢٠)
خُزاعة قومي فإن أفتخر
هم الرأس والناس من بعدهم
وجسَّمتهم^(١٣) منزلاً قد صَعُبَ
من العِبِ^(١٥) إذ سُقتهم للشَّغْبِ^(١٦)
وأهل الشَّناء وأهل الحسب
عن الحرمت جميع العرب
كِنانة غصباً ببيض القضب^(١٧)
عليها فوارس صدق نُجْبُ
بأحياء طيٍّ وحازوا السلب^(٢١)
بهم يَزْكُ^(٢٢) مُعتصري^(٢٣) والنسب
دُنابى، وما الرأس مثل الذنب

(١) رُعنّا: أفرعنّا، أرعنّا.

(٢) الجِلاد من الإبل: الغزيرات الألبان.

(٣) القوارح، الواحدة قارح: الناقة أول ما تحمل.

(٤) أفناء بكر: الأخلاط فيهم.

(٥) ندود: نمنع، ندفع.

(٦) الكاشح: الكاره عداوة.

(٧) المتزحزح: المتماذي في عداوته.

(٨) البيض: السيوف.

(٩) القنا الواحدة قناة: الرماح.

(١٠) المنكح: الزواج، المجامعة.

(١١) الجمع للهام: العظيم العدد.

(١٢) الجواد من الخيول: الجميل، الرائع.

(١٣) جسّم: كلّف مشقة.

(١٤) باهظاً: مكلفاً.

(١٥) العِب: الحمل الثقيل.

(١٦) الشَّغْب: العصيان والتمرد.

(١٧) بيض القضب: السيوف الفاطمة.

(١٨) سمر الرماح: القنا اللدنة.

(١٩) جُرد الجياد: قصار الشعور منها.

(٢٠) عنوة: غصباً، قهراً.

(٢١) السلب: متاع القتلى.

(٢٢) يزك: ينمو، يكبر.

(٢٣) المعتصر من الرجال: الكريم.

يُوَاسَى لَدَى الْمَحَلِّ^(١) مَوْلَاهُمْ^(٢) وَتُكْشَفُ عَنْهُ غَمُومُ الْكَرْبِ^(٣)
فَجَارَهُمْ أَمِنْ دَهْرِهِ يَلْبُثُونَ فِي الْحَرْبِ خَوْفَ الْهَجَاءِ
وَلَوْ لَمْ يَنْجُكَ مِنْ كَيْدِهِمْ لَزَرْتَ الْمَنَايَا، فَلَا تَكْفُرَنَّ
فَإِنْ يَلْتَقُوا يَزُرُّكَ الْحَمَامُ
بِهِمْ أَنْ يُضَامَ^(٤) وَأَنْ يُغْتَصَبَ
وَيَبْرُونَ أَعْدَاءَهُمْ بِالْحَرْبِ
أَمِينَ^(٥) الْفُصُوصِ^(٦) شَدِيدِ الْعَصَبِ^(٧)
جَوَادُكَ نِعْمَاهُ يَا ابْنَ الظَّرْبِ
مَ^(٨) أَوْ تَنْجُ ثَانِيَةً بِالْهَرَبِ
[المتقارب]

قال أبو الفرج: هذه القصيدة مصنوعة، والشعر بين التوليد.

وقال أبو عمرو: أغارت هوازن على خُزاعة وهم بالمحصَّب^(٩) من مِئى.
فأوقعوا ببطن منهم يُقال لهم بنو العنقاء، ويقوم من بني ضاطر، فقتلوا منهم عبداً
وعوفاً وأقوم وغبشان، فقال ابن الأحبّ العدواني يفخر بذلك:

غداة التقينا بالمحصَّب من مِئى فلاقى بنو العنقاء إحدى العظائم
تركنا بها عوفاً وعبداً وأقوماً وغبشان سُوراً^(١٠) للنسور القشاعم^(١١)
[الطويل]

فأجابه قيس بن الخُدّادية، فقال يعيّره أن فخر بيوم ليس لقومه:

فخرت بيوم لم يكن لك فخره أحاديث طسم^(١٢) إنما أنت حالم
تفاخر قوماً أطردتك^(١٣) رماحهم أكعب بن عمرو: هل يُجاب البهائم؟

(١) المحل: الجذب.

(٢) مولا هم: سيدهم.

(٣) الكرب، الواحدة كربة، بضم الكاف: الأحزان.

(٤) يُضام: يظلم.

(٥) الأمين: المنافح القوي.

(٦) الفصوص، الواحد فصّ: ملتقى كلّ عظيمين.

(٧) شديد العصب: مجتمع الجسد، قويّة.

(٨) الحِمام، بكسر الحاء: الموت، الهلاك.

(٩) المحصَّب: موضع رمي الجمار في مِئى من مكة المكرمة.

(١٠) سُور كل شيء: بقية منه.

(١١) القشاعم، الواحد قشعم: النسور المعمّر الضخم.

(١٢) طسم: من قبائل العرب البائدة.

(١٣) أطردتك: أبعدتك، فكنت طريداً.

فلو شهدت أم الصبيّين حملنا وركضهم لابيضّ منها المقادُ
غداة تولّيتُم وأدبر^(١) جمعكم وأبنا^(٢) بأسراكم كأنّا ضراغم^(٣)
[الطويل]

قال أبو عمرو: وكان ابن الحُدّادية أصاب دماً في قوم من خُزاعة هو وناس من أهل بيته، فهربوا فنزلوا في فراس بن غنم، ثم لم يلبثوا أن أصابوا أيضاً منهم رجلاً، فهربوا فنزلوا في بجيلة على أسد بن كرز، فأواهم وأحسن إلى قيس وتحمل عنهم ما أصابوا في خُزاعة وفي فراس، فقال قيس بن الحُدّادية يمدح أسد بن كرز:

لا تعذليني سلمى اليوم وانتظري أن يجمع الله شَملاً طالما افترقا
إن شئت الدهر شَملاً بين جيرتكم فطال في نعمة يا سَلَم ما اتّفقا
وقد حللنا بقسريّ أخي ثقة كالبدريجلو دجى الظلماء والأفقا
لا يجبر الناس شيئاً هاضه^(٤) أسدّ يوماً ولا يرتقون^(٥) الدهر ما فتقا^(٦)
كم من ثناء عظيم قد تداركه وقد تفاقم فيه الأمر وانخرقا
[البسيط]

قال أبو عمرو: وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيين، وغيرهم يزعم أنها مصنوعة، صنعها حمّاد الراوية لخالد القسري^(٧) في أيام ولايته، وأنشده إياها فوصله، والتوليد بين فيها جدّاً.

وقال أبو عمرو: غزا الضريس القُشيريّ بني ضاطر في جماعة من قومه، فثبتوا له وقاتلوه حتى هزموه، وانصرف ولم يفز بشيء من أموالهم، فقال قيس بن الحُدّادية في ذلك:

فدّى لبني قيس وأفناء^(٨) مالك لدى الشُّسع^(٩) من رجلي إلى الفرق^(١٠) صاعداً

(١) أدبر: فرّ، هرب.

(٢) أبنا: عدنا، رجعنا.

(٣) الضراغم، الواحد ضرغام: من أسماء الأسود.

(٤) هاضه: كسره، حطّمه.

(٥) يرتقون: يُعيدون لحمته.

(٦) فتق: مزّق، شقّ.

(٧) خالد القسري: هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري، أمير العراق في عهد هشام بن عبد الملك، عزل ومات مسجوناً سنة ١٢٦هـ = ٧٣٨م خلفه يوسف بن عمر الثقفي.

(٨) الأفناء: الجموع من مختلف القبائل.

(٩) الشُّسع: أحد سيور النعل.

(١٠) الفرق: موضع المفرق من رأس بني آدم، حيث يفرق الشعر.

غداة أتى قوم الضريس كأنهم
 فلم أر جمعاً كان أكرم غالياً
 رميناهم بالحوّ^(٣) والكُمّت^(٤) والقنا^(٥)
 قطا الكُدر^(١) من ودّان^(٢) أصبح وارادا
 وأحمى غلاماً يوم ذلك أطردا
 وببيض خفاف^(٦) يختلين السواعد^(٧)
 [الطويل]

مدحه بني عدي بن عمرو من خُزاعة:

قال أبو عمر: ولما خلعت خُزاعة قيساً، تحوّل عن قومه، ونزل عند بطن من
 خُزاعة، يقال لهم بنو عدي بن عمرو بن خالد، فأوّه وأحسنوا إليه، وقال يمدحهم:
 جزى الله خيراً عن خليع مطرّد^(٨)
 فليس كمن يغزو الصديق بنوكه^(٩)
 عليكم بعرضات^(١١) الديار فيأني
 ألاوذتُم^(١٤) حتى إذا ما أمّنتُم
 تجئني^(١٧) عليّ المازنان كلاهما
 رجالاً حموه آل عمرو بن خالد
 وهمته في الغزو كسب المزود^(١٠)
 سواكم عديّ حين تُبلى^(١٢) مشاهدي^(١٣)
 تعاورتُم^(١٥) سجّعا كسجّع الهداهد^(١٦)
 فلا أنا بالمغضي^(١٨) ولا بالمساعد

- (١) قطا الكُدر: القطا: ضرب من الطيور شبيه بالحمام، أغبر اللون، والكدر: من أنواع القطا.
- (٢) ودّان: قرية تقع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، قريبة من الجحفة.
- (٣) الحوّ من الخيول، الواحد أحوى: ما كان لونه يميل من الحمرة إلى السواد.
- (٤) الكمت من الخيول، الواحد كمت: ما كان لونه يميل من الحمرة والسواد.
- (٥) القنا: الرماح.
- (٦) البيض الخفاف: السيوف الرقيقة الشفار.
- (٧) يختلين السواعد: يقطعن أعضاد الأعداء.
- (٨) الخليع المطرّد: هو من طرد من قبيلته وتخلّت عنه وخلعت حمايتها له.
- (٩) النوك: الحمق.
- (١٠) المزود، الواحد مزود: الوعاء حيث يُوضع الزاد.
- (١١) العرضات، الواحدة عرصة: كلّ بقعة بين الدور وليس فيها بناء.
- (١٢) تُبلى: تُختبر، تمتحن.
- (١٣) مشاهدي: وقائعي الحربية المشهورة.
- (١٤) لاوذ: اختبأ، احتتمى.
- (١٥) تعاور: تداول.
- (١٦) السجّع: هديل الحمام؛ وسجّع الهداهد: غناؤها.
- (١٧) تجئني عليه ذنباً لم يفعله: اتهمه به.
- (١٨) المغضي: المتغافل عمّا حدث.

وقد حدثت^(١) عمرو عليّ بعزّها وأبنائهما من كل أروع ماجد^(٢)
مصالي^(٣) يوم الرّوع^(٤) كسبهم العلا عظام مقيل الهام شعر السواعد^(٥)
أولئك إخواني وجُلّ عشيرتي وثروتهم^(٦) والنصر غير المحارِد^(٧)
[الطويل]

أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي، والحرمي بن أبي العلاء. قال: حدثنا الزبير بن بكار. قال: أخبرني عمي أن خُزاعة أغارت على اليمامة^(٨)، فلم يظفروا منها بشيء، فهزموا وأسر منهم أسرى، فلما كان أوان الحج، أخرجهم من أسرههم إلى مكة في الأشهر الحرم لبيتاعهم قومهم، فغدوا جميعاً إلى الخلاء^(٩)، وفيهم قيس بن الحُدادية، فأخرجوهم وحملوهم، وجعلوهم في حظيرة ليحرقوهم، فمرّ بهم عدي^(١٠) بن نوفل، فاستجاروا به، فابتاعهم^(١١) وأعتقهم، فقال قيس يمدحه:

دعوت عدياً والكبول^(١٢) تكبني^(١٣) ألا يا عديّ يا عديّ بن نوفل
دعوت عدياً والمنايا^(١٤) شوارع^(١٥) ألا يا عديّ للأسير المكبّل
فما البحرُ يجري بالسّفين إذا غدا بأجودَ سَيّا^(١٦) منه في كل محفل^(١٧)
تداركت أصحاب الحظيرة بعدما أصابهم منّا حريق المحلّل^(١٨)

(١) حدثت: عطفت.

(٢) الأروع الماجد من الرجال: المثير للإعجاب لشجاعته وحسن سمته.

(٣) المصاليّ من الرجال، الواحد مصلات: الماضون في الأمور لا يعيقهم شيء.

(٤) يوم الرّوع: يوم المعركة.

(٥) شعر السواعد، الواحد أشعر: كثير شعر أيديهم.

(٦) الثروة في الرجال: كثرتهم العددية.

(٧) غير المحارِد: المتواصل على الدوام فلا ينقطع.

(٨) اليمامة: موضع شرقي الحجاز، جزء من نجد.

(٩) الخلاء من ديار بني تميم في الدهناء في نجد.

(١٠) عديّ: هو عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة.

(١١) إبتاعهم: إشتراهم.

(١٢) الكبول، الواحد كبّل، بالفتح: أعظم ما يكون من الأقياد.

(١٣) تكبني: تقلبني وتصرعني.

(١٤) المنايا، الواحدة منية: الموت، الهلاك.

(١٥) شوارع، الواحدة شارة: موجه بالرماح إليه.

(١٦) السيب: العطاء.

(١٧) المحفل: الجمع الغفير، الحشد الهائل.

(١٨) المحلل: الذي يحلّل ما يُحرّم في الأشهر الحرم.

وأتبعت بين المشعرين^(١) سقايةً لحجاج بيت الله أكرم منهل
[الطويل]

هجرة خزاعة لجذب أصابهم وشعر له في ذلك :

قال أبو عمرو: وكان قيس بن الخُدّادية يهوى أم مالك بنت ذؤيب الخزاعي، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالين^(٢) إلى مصر والشام لأنهم أجذبوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، رأوا البوارق خلفهم، وأدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث والمطر وغزارته، فرجع عمرو بن عبد مناة في ناس كثير إلى أوطانهم، وتقدم قبيصة بن ذؤيب ومعه أخته أم مالك، واسمها نغم بنت ذؤيب، فمضى، فقال قيس بن الخُدّادية هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور:

أجِدْكَ إن نَعَمْ نأت^(٣) أنت جازع^(٤) قد اقتربت لو أن ذلك نافع
قد اقتربت لو أن في قرب دارها نوالاً، ولكن كل من ضنّ^(٥) مانع
وقد جاورتنا في شهور كثيرة فما نولت^(٦)، والله راءٍ وسامع
فإن تلقَيْنَ نَعْمَى هُدَيْتَ فحِيَّها وسل كيف تُرعى بالمغيب الودائع
وظنّي بها حفظٌ لغيبي، ورعية لما استرعيّت، والظن بالغيب واسع
وقلت لها في السرّ بيني وبينها على عجل: أيان من سار راجع؟
فقلت: لقاء بعد حول وحجّة وشحط النوى^(٧) إلا لذي العهد قاطع
وقد يلتقي بعد الشتات^(٨) أولو النوى ويسترجع الحيّ السحاب اللوامع^(٩)
وما إن خذول^(١٠) نازعت حبل حابل لتنجو إلا استسلمت، وهي ظالع^(١١)
بأحسن منها ذات يوم لقيتها لها نظرٌ نحوي كذي البثّ^(١٢) خاشع^(١٣)

(١) المشاعر: المعالم حيث تجري شعائر الحج من المناسك والأعمال.

(٢) جالين: راحلين.

(٣) نأت: بعدت، رحلت.

(٤) جازع: خائف، مرتعب.

(٥) ضنّ: بخل.

(٦) نولت: أعطت.

(٧) شحط النوى: البعد المتماذي في البعد.

(٨) الشتات: البعد والتفرّق.

(٩) السحب اللوامع: الغيوم المصحوبة بالبروق.

(١٠) الخذول من الظباء والبقر: التي تترك القطيع وتنزل مع صغيرها عنه.

(١١) الظالع من الماشية: ما يغمز في مشيه.

(١٢) البثّ: الحزن وحرقة القلب.

(١٣) الخاشع: الخاضع.

رَأَيْتُ لَهَا نَاراً تُشَبُّ^(١)، ودونها
 فقلت لأصحابي: اصطَلُّوا النار^(٥) إنها
 فيا لك من حادٍ^(٦) حبوت مقيّداً
 أغيظاً أرادت أن تخبَّ^(٨) جمالها
 فما نُطفة^(١١) بالطود^(١٢) أو بضريّة^(١٣)
 يطيف^(١٤) بها حرّان صادٍ^(١٥) ولا يرى
 بأطيب من فيها إذا جئت طارقاً^(١٦)
 وحسبك من نأي ثلاثة أشهر
 سعى بينهم واشٍ بأفلاق^(١٩) برمة^(٢٠)
 بكت من حديث بثّه^(٢١) وأشاعه
 بكت عين من أبكاك لا يعرف البكا
 فلا يسمعن سرّي وسرّك ثالثٌ
 وكيف يشيع السرُّ منّي ودونه
 وحبٌّ لهذا الرّبع يمضي أمامه

طويل القرا^(٢) من رأس ذروة^(٣) فارغ^(٤)
 قريبٌ، فقالوا: بل مكانك نافعٌ
 وأنحى على عرينين أنفك جادعٌ^(٧)
 لتفجع بالإنّظعان^(٩) من أنت فاجعٌ^(١٠)
 بقية سيلٍ أحرزتها الوقائعُ
 إليها سبيلاً غير أن سيطالعُ
 من الليل واخضلتُ^(١٧) عليك المضاجعُ^(١٨)
 ومن حَزَنٍ أن زاد شوقك رابعٌ
 ليفجع بالأظعان من هو جازعُ
 ورصفه واشٍ من القوم راصعُ^(٢٢)
 ولا تتخالجك الأمور النوازعُ
 ألا كلّ سرٍّ جاوز اثنين شائعُ
 حجاب ومن دون الحجاب الأضالعُ!
 قليل القلي^(٢٣) منه جليل^(٢٤) ورادعُ^(٢٥)

(١) تشبّ: تشتعل.

(٣) ذروة: اسم جبل.

(٥) اصطَلُّوا النار: طلبوا دفاها.

(٧) أنفك جادع: مقطوع.

(٩) الأظعان، الواحدة ظعينة: الراحلة في هودجها.

(١٠) فجع: أحزن برحيله.

(١٢) الطود: الجبل العالي.

(١٤) يطيف: يسعى إليها.

(١٦) الطارق: الضيف ينزل ليلاً على القوم.

(١٨) المضاجع، الواحد مضجع: المنام.

(١٩) الأفلاق، الواحد فلق: المطمئن من الأرض بين ربوتين.

(٢٠) برمة: عرض من أعراض المدينة بين خيبر ووادي القرى.

(٢١) بثّه الخبر: أشاعه ونشره بين الخلق.

(٢٢) راصع: من أحسن صوغه وجبكه.

(٢٣) القلي، بكسر القاف: البغض.

(٢٤) الجليل: العظيم.

(٢٥) الرادع: المانع، الحامي.

(٢) القرا: الظهر.

(٤) الفارع: المرتفع.

(٦) الحادي: التابع.

(٨) تخبّ جمالها: تسرع وتعدو عدو الخبب السريع.

(١١) النطفة من المياه: الصافي النмир، قلّ أو كثر.

(١٣) الضريّة: البئر.

(١٥) الصادي: الشديد العطش.

(١٧) اخضلت: نديت.

وبَيَّن منه للحبيب المخادعُ
 وذو السر ما لم يحفظ السر ماذعُ
 وقد يجمع الأمر الشّيت^(١) الجوامعُ
 فيسلى، وقد تُردى المطيَّ المطامعُ
 وإلا الرواغي^(٤) غُدوةً والقعاقعُ^(٥)
 لأخبرها كلّ الذي أنا صانعُ
 إليك ولا مثلاً لفقركَ راقعُ
 من الحرّ ذو طمرين^(٦) في البحر كارعُ^(٧)
 وعُضُّض^(٨) مما قد فعلتُ الأصابعُ
 حزين على إثر الذي أنا وادعُ^(٩)
 وإذراء^(١٠) عيني مثله الدمع شائعُ^(١١)
 بهم طُرُق شتّى^(١٣) وهنّ جوامعُ
 بينونة^(١٤) السُّفلى وهبت سوافعُ^(١٥)
 حذارٍ وقوع البين، والبين واقعُ
 ومُعَرى عن الساقين والثوب واسعُ
 فإن الهوى يا نُعم والعيش جامعُ

لهوْتُ به حتى إذا خِفْتُ أهله
 نزعت فما سرّي لأوّل سائل
 وقد يحمّد الله العزاء من الفتى
 ألا قد يُسألَى ذو الهوى عن حبيبه
 وما راعني^(٢) إلا المنادي ألا اظعنوا^(٣)
 فجئت كأني مستضيفٌ وسائل
 فقالت: تزحزح ما بنا كُبر حاجة
 فما زلتُ تحت الستر حتى كأنني
 فهزّت إليّ الرأس منّي تعجُّباً
 فأيهما منها أتبعْتُ فإنني
 بكى من فراق الحيّ قيس بن مُنقذ
 بأربعة تنهل^(١٢) لمّا تقدّمت
 وما خلت بين الحيّ حتى رأيتهم
 كأن فؤادي بين شقّين من عصاً
 يحثُّ بهم حادٍ^(١٦) سريعٌ نجاؤه^(١٧)
 فقلت لها: يا نُعم حُلّي محلّنا

(٢) راعني: أخفني، أرعبني.

(١) الأمر الشّيت: المفزق.

(٣) اظعنوا: تحمّلوا، ارحلوا.

(٤) الرواغي من الإبل، الواحدة راغية: التي تصدر صوتاً.

(٥) القعاقع، الواحدة قعقعة: تتابع أصوات تقويض الأخبية استعداداً للرحيل.

(٦) الطمر، بكسر الطاء: الثوب البالي.

(٧) كارع: من يتناول المياه بفيه دون الاستعانة بكفيه، أو بإناء.

(٨) عُضُّض: أي عُضٌّ كثيراً.

(٩) وادع: تارك.

(١٠) إذراء: انصباب الدموع.

(١١) شائع: باد، ظاهر.

(١٢) تنهل: تنهمر.

(١٣) طرق شتّى: متفرقة.

(١٤) بينونة: موضع بين عمان والبحرين.

(١٥) السوافع من الرياح: التي تلعج الوجوه فتغيّر لشدتها.

(١٦) الحادي: هو من يسوق الإبل ويغني لها لتسرع.

(١٧) النجاء: ضرب من السير السريع.

فَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عَبْرَةً بِأَهْلِي بَيْنَ لِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ؟
فَقُلْتُ لَهَا: تَاللَّهِ يَدْرِي مَسَافِرُ إِذَا أَضْمَرْتَهُ^(١) الْأَرْضَ مَا اللَّهُ صَانِعُ
فَشَدَّتْ عَلَى فِيهَا اللَّثَامَ وَأَعْرَضَتْ وَأَمَعْنَ بِالْكَحْلِ السَّحِيقِ الْمَدَامِعُ^(٢)
وَإِنِّي لَعَهْدُ الْوَدِّ رَاحٍ، وَإِنِّي بِوَصْلِكَ مَا لَمْ يَطُونِي الْمَوْتُ طَامِعُ
[الطويل]

قال أبو عمرو: فأنشدت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة، فاستحسنتها وبحضرتها جماعة من الشعراء. فقالت: من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويدخل في معناها فله حلتي هذه، فلم يقدر أحد منهم على ذلك.

قال أبو عمرو: وقال قيس أيضاً يذكر بين الحيّ وتفرقهم وينسب بنعم:

سَقَى اللَّهُ أَطْلَالَ بَنُوعٍ تَرَادَفَتْ^(٣) بِهِنِ النَّوَى^(٤) حَتَّى حَلَلْنَ الْمَطَالِيَا^(٥)
فَإِنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ يَا أُمَّ مَالِكِ تَسْلِيكُمْ عَنِّي وَتُرْضِي الْأَعَادِيَا
فَلَا يَأْمَنُنْ بَعْدِي امْرُؤٌ فَجَعَ لَذَّةً مَنِ الْعَيْشِ أَوْ فَجَعَ الْخُطُوبِ الْعَوَافِيَا^(٦)
وَبَدَّلَتْ مِنْ جَدْوَالِكِ^(٧) يَا أُمَّ مَالِكِ طَوَارِقَ هَمٍّ يَحْتَضِرْنَ وَسَادِيَا
وَأَصْبَحْتَ بَعْدَ الْأَنْسِ لَا بَسَ جُبَّةً أَسَاقِي الْكَمَاةَ^(٨) الدَّارِعِينَ^(٩) الْعَوَالِيَا^(١٠)
فِيَوْمَايَ يَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ مُسْرِبَلًا^(١١) وَيَوْمَ مَعَ الْبَيْضِ الْأَوَانِسِ لَا هِيَا
فَلَا مَدْرَكَأَ حَظًّا لَدَى أُمَّ مَالِكِ وَلَا مُسْتَرِيحًا فِي الْحَيَاةِ فَقَاضِيَا^(١٢)
خَلِيلِي إِنْ دَارَتْ عَلَى أُمَّ مَالِكِ صُرُوفُ^(١٣) اللَّيَالِي فَابْعَثْ لِي نَاعِيَا
وَلَا تَتْرَكَانِي لَا لَخِيرٍ مَعْجَلٍ وَلَا لِبَقَاءٍ تَنْظُرَانِ بَقَائِيَا
وَإِنْ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْ أُمَّ مَالِكِ أَشَابَ قَذَالِي^(١٤) وَاسْتَهَامَ فَوَادِيَا^(١٥)

(١) أضمرته: أخفته، أضاعته.

(٢) المدامع: العيون.

(٣) ترادفت: تواتت.

(٤) النوى: البعد.

(٥) المطالي من الأراضي: السهلة اللينة حيث ينبت العضاء.

(٦) الخطوب العوافي: المصائب المدمرة التي تطمس سعادة المرء.

(٧) الجدوى: العطاء.

(٨) الكماة، الواحد كمي: البطل المدجج بالسلاح.

(٩) الدارعين: الذين يرتدون الدروع.

(١٠) العوالي: رؤوس الرماح.

(١١) مسربل: مرتد، لابس.

(١٢) صروف الليالي: مصائبها.

(١٣) القذال: جماع مؤخر الرأس.

(١٤) أشاب قذالي: ذهب على غير هدئ.

(١٥) استهام فؤادي: ذهب على غير هدئ.

فليت المنايا^(١) صَبَحْتَنِي غُدَيَّةً
 نظرت ودوني يذبل وعماية^(٣)
 شكوت إلى الرحمن بُعد مزارها
 وقلت ولم أملك أعمر بن عامر
 وقد أيقنت نفسي عشيّة فارقوا
 إذا ما طواك الدهر يا أمّ مالك
 بذبح ولم أسمع لبين^(٢) مناديا
 إلى آل نَعَمَ مَنْظَرًا مُتَنَائِيَا^(٤)
 وما حَمَلْتَنِي وانقطاع رجائيا
 لحتف بذات الرّقميتين^(٥) يرى ليا
 بأسفل وادي الدّوح أن لا تلاقيا
 فشأن المنايا القاضيات وشانها
 [الطويل]

قال أبو عمرو: وقد أدخل الناس أبياتاً من هذه القصيدة في شعر المجنون.
 قال أبو عمرو: وكان من خبر مقتل قيس بن الخُدّادية أنه لقي جمعاً من مُزينة
 يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غرة، فقالوا له: استأسر، فقال: وما ينفعكم
 مني إذا استأسرت وأنا خليع؟ والله لو أسرتموني ثم طلبتم بي من قومي عنزاً جرباء
 جَذَماء^(٦) ما أعطيتموها، فقالوا له: استأسر لا أم لك! فقال: نفسي عليّ أكرم من
 ذاك، وقاتلهم حتى قتل. وهو يرتجز ويقول:

أنا الذي تخلعه مواليه وكلُّهم بعد الصفاء قاليه^(٧)
 وكلُّهم يُقسم لا يُباليه أنا إذا الموت ينوب غاليه^(٨)
 مختلط أسفله بعاليه قد يعلم الفتيان أنني صاليه
 إذا الحديد رفعت عواليه

[الرجز]

وقيل: إنه كان يتحدث إلى امرأة من بني سليم، فأغاروا عليه وفيهم زوجها،
 فأفلت فنام في ظلّ، وهو لا يخشى الطلب، فاتبعوه فوجدوه، فقاتلهم، فلم يزل
 يرتجز وهو يقاتلهم حتى قُتل.

(١) المنايا، الواحدة منية: الموت.

(٢) البين: الفراق، البعد.

(٣) يذبل وعماية: من جبال نجد.

(٤) متنائياً: بعيداً.

(٥) ذات الرّقميتين: روضتان، إحداهما قرب البصرة، والثانية في نجد.

(٦) جذماء: مقطوعة اليد.

(٧) قالية: مبغضة، مقصية.

(٨) غالية: مغتالة صاحبها، مهلكته.

صوت

صَرَّمَتْنِي ثُمَّ لَا كَلَّمَتْنِي أَبَدًا إِنْ كُنْتُ خَنْتُكَ فِي حَالٍ مِنْ الْحَالِ
وَلَا اجْتَرَمْتُ^(١) الَّذِي فِيهِ خِيَانَتُكُمْ وَلَا جَرَتْ خَطَرُهُ^(٢) مِنْهُ عَلَى بَالِي
فَسَوَّغَتْنِي الْمَنَى كَيْمَا أَعِيشَ بِهَا وَأَمْسَكِي الْبَذْلَ مَا أَطْلَعْتَ آمَالِي
أَوْ عَجَّلِي تَلْفِي إِنْ كُنْتَ قَاتَلْتِي أَوْ نَوَّلِيْنِي بِإِحْسَانٍ وَإِجْمَالٍ
[البسيط]

الشعر لابن قُنبَر، والغناء ليزيدَ بنِ حوراءَ خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة، وذكر إسحاق أنه لسليم ولم يذكر طريقته.

* * *

(١) اجترم: أذنب.

(٢) الخطرة: الفكرة الطارئة.

أخبار ابن قنبر ونسبه

هو الحكم بن محمد بن قنبر المازني مازن بني عمرو بن تميم، بصريّ شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشمية، وكان يُهاجي مسلم بن الوليد الأنصاري مدّة، ثم غلبه مسلم.

هجاؤه مسلم بن الوليد:

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب جدي يحيى بن محمد بن ثوبة بخطه: حدثني الحسن بن سعيد. قال: حدثني منصور بن جهور. قال: لمّا تهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر، أمسك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانه، فجاء مسلماً ابن عم له فقال: أيّها الرجل، إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر، وقد بعثت عليه لسانك ثم أمسكت عنه، فإما أن قاذعته^(١)، وإما أن سالمته؛ فقال له مسلم: إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجّد^(٢) فيه، وله دعوات يدعوها، ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته في كفايتنا إياه، فأطرق الرجل ساعة، ثم قال:

غلب ابن قنبر، واللّيم مغلب^(٣) لما اتّقيت هجاء بدعاء
ما زال يقذف بالهجاء ولذعه حتى اتقوه بدعوة الآباء
[الكامل]

قال: فقال له مسلم: واللّه ما كان ابن قنبر ليبلغ منّي هذا، فأمسك عني لسانك وتعرّف خبره بعد، قال: فبعث الرجل، واللّه عليه من لسان مسلم ما أسكته.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مَهْرويه. قال: حدثني محمد بن عبد الله العبدى القسري. قال: رأيت مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر في مسجد الرّصافة^(٤) في يوم جمعة، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه، وكانا يتهاجيان، فبدأ مسلم فأنشد قصيدته:

أنا النار في أحجارها مستكنّة فإن كنت ممن يقدح النار فاقدح
[الطويل]

(١) أقذع: أساء القول الفاحش.

(٣) المغلب: المحكوم عليه بالغلبة.

(٤) الرّصافة: من محال الجانب الشرقي من بغداد.

(٢) يتهجّد: يقوم الليل ويصلي.

وتلاه ابن قنبر فأنشد قوله:

قد كِدْتُ تهوي وما قوسي بموترة^(١) فكيف ظنُّك بي والقوس في الوترِ

[البسيط]

فوثب مسلم وتواخزا^(٢) وتواثبا حتى حجز الناس بينهما ففتفرقا، فقال رجل لمسلم - وكان يتعصب له - : ويحك! أعجزت عن الرجل حتى واثبته؟ قال: أنا وإياه لكما قال الشاعر:

هنيئاً مريئاً أنت بالفُحش أبصرُ

وكان ابن قنبر مستعلياً عليه مدة، ثم غلبه مسلم بعد ذلك، فمن مناقضتهما قول

ابن قنبر:

ومن عجب الأشياء أنَّ لمسلم إليّ نزاعاً^(٣) في الهجاء وما يدري

ووالله ما قيسْتُ عليّ جُودَه لذي مفخر في الناس قوساً ولا شعري

[الطويل]

ولابن قنبر قوله:

كيف أهجوك يا لئيمٌ بشعري أنت عندي فاعلم هجاء هجائي

يا دعني الأنصار بل عبدها النذ ل تعرّضت لي لدرك الشقاء

[الخفيف]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. قال:

حدثني أبو توبة، عن محمد بن جُبَيْر عن الحسين بن مُحَرِّز المغنّي المدني قال:

دخلت يوماً على المأمون في يوم نوبتي، وهو ينشد:

صوت

فما أقصر اسم الحبّ يا ويحّ ذي الحبّ وأعظم بلواه على العاشق الصبّ^(٤)

يمرّ به لفظ اللسان مشمّراً ويغرق من ساقاه في لجج الكرب^(٥)

[الطويل]

فلما بصر بي قال: تعال يا حسين، فجئت، فأنشدني البيتين، ثم أعادهما عليّ

(٢) تواخزا: وخز كلّ منهما الآخر.

(٤) الصب: الهائم حباً.

(١) أوتر القوس: جعل له وترأ.

(٣) النزاع: الميل إلى الخصام.

(٥) لجج الكرب: بحر الحزن.

حتى حفظتهما، ثم قال: اصنع فيهما لحناً، فإن أجدت سررتك، فخلوت وصنعت فيهما لحنِي المشهور، وعدتُ فغنَّيته إيَّاه، فقال: أحسنت، وشرب عليه بقيَّة يومه، وأمر لي بألف دينار، والشعر لحكم بن قنبر.

أخبرني محمد بن الأزهر. قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سَلَام قال: أنشدني ابن قنبر لنفسه:

ويَلي على مَنْ أطار النوم وأمتنعا وزاد قلبي على أوجاعه وجعا
ظبيُّ أغرُّ ترى في وجهه سُرجاً^(١) تُعشي العيون^(٢) إذا ما نورُه سطعا
كأنما الشمس في أثوابه بزغت حُسنًا، أو البدر في أردائه^(٣) طلعا
فقد نسيْتُ الكرى^(٤) من طول ما عطلتُ منه الجفون وطارت مهجتي قطعاً
[البسيط]

قال ابن سَلَام: ثم قال ابن قنبر: لقيتني جوارٍ من جواري سليمان بن علي في الطريق الذي بين المبرد وقصر أوس، فقلن لي: أنت الذي تقول:

ويَلي على مَنْ أطار النوم وأمتنعا

فقلت: نعم. فقلن: أمع هذا الوجه السَّمج تقول هذا؟ ثم جعلن يجذبني ويلهون بي حتى أخرجنني من ثيابي، فرجعت عارياً إلى منزلي. قال: وكان حسن اللباس.

أخبرني محمد بن الحسين الكندي مؤدبي. قال: حدثني علي بن محمد النوفلي قال: حدثني عمي. قال: دخل الحكم بن قنبر على عمي - وكان صديقاً له - فبش به ورفع مجلسه، وأظهر له الأَنس والسرور، ثم قال: أنشدني أبياتك التي أقسمت فيها بما في قلبك. فأنشده:

وحقَّ الذي في القلب منك فإنه عظيم لقد حصَّنت سرَّك في صدري
ولكنما أفسَّاه دمعِي، وربما أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدري
فهب لي ذنوب الدمع، إنِّي أظنُّه بما منه يبدو إنما يبتغي ضري

(١) السُّرج، بضم السين والراء، الواحد سراج: القنديل.

(٢) تعشي العيون: تبهرها لشدة إشعاعها وضئائها.

(٣) الأردن، الواحد ردن: أصل الكم.

(٤) الكرى: النوم.

ولو يبتغي نفعي لخلّي ضمائري يردّ على أسرار مكنونها ستري
[الطويل]

رواية محمد بن سلام لشعره واعتراضه عليه :

فقال لي : يا بنيّ اكتبها واحفظها، ففعلت وحفظتها يومئذٍ وأنا غلام .
أخبرني اليزيدي قال : أخبرني عمي عن ابن سلام، وأخبرني به أحمد بن عباس
العسكري عن القنبري عن محمد بن سلام قال : أنشدني ابن فُنبر لنفسه قوله :
صرّمتني ثم لا كلّمتني أبداً إن كنت خنتك في حالٍ من الحالِ
ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ولا جرثُ خطرة منه على بالي
[البسيط]
قال : فقلت له وأنا أضحك : يا هذا لقد بالغت في اليمين . فقال : هي عندي
كذاك، وإن لم تكن عندك كما هي عندي .
قال اليزيدي : قال عمي وهو الذي يقول (وفيه غناء) :

صوت

ليس فيها ما يُقال له كملت لو أنّ ذا كمالا
كلّ جزء من محاسنها كائنٌ في فضله مثلاً
لو تمنّيت في ملاحظتها لم تجد من نفسها بدلاً
[المديد]

شعر منسوب إليه أو للعتابي :

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني ابن مهرويه . قال : قال لي إبراهيم بن
المدبّر : أتعرف الذي يقول :
إن كنت لا ترهب ذمّي لما تعرف من صفحي عن الجاهلِ
فاخشَ سُكوتي فطناً مُنصتاً فيك لتحسين خنا^(١) القائلِ
مقاله السوء إلى أهلها أسهل من منحدر سائلِ
ومن دعا الناس إلى ذمه ذمّوه بالحقّ وبالباطلِ
[السريع]

(١) الخنا : أفحش القول .

فقلت: هذه للعتابي، فقال: ما أنشدتها إلا لابن قنبر، فقلت له: من شاء منهما فليقلها، فإنه سرقة من قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:

وإن أنا لم أمر ولم أنه عنكما سكتُ له حتى يلج^(١) ويستشري^(٢)
[الطويل]

أخبرني الحسن بن علي. قال: حدثنا ابن مهوريه. قال: حدثني أبو مسلم يعني محمد بن الجهم. قال:

أطعم رجل من ولد عبد الله بن كُريز صديقاً له ضيعة، فمكثت في يده مدة، ثم مات الكُريزي، فطالب ابنه الرجل بالضيعة، فمنعه إيّاها، فاختصما إلى عبيد الله بن الحسن، ف قيل له: ألا تستحي! تُطالب بشيء إن كنت فيه كاذباً أثمت، وإن كنت صادقاً فإنما تريد أن تنقض مكرمةً لأبيك، فقال له ابن الكُريزي - وكان ساقطاً -: الشحيح أعظم من الظالم أعزك الله، فقال له عبيد الله بن الحسن: هذا الجواب والله أعز من الخصومة ويحك، وهذا موضع هذا القول، اللهم أردد على قريش أخطارها^(٣)، ثم أقبل علينا فقال: لله درّ الحكم بن قنبر حيث يقول:

إذا القرشي لم يشبه قريشاً بفعلهم الذي بذّ الفعّالا
فجرمي^(٤) له خلُق جميل لدى الأقوام أحسن منه حالا
[الوافر]

أخبرني محمد بن الحسين الكندي. قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا مسعود بن بشر، قال: شكّا العباس بن محمد إلى الرشيد أن ربيعة الرقيّ هجاه. فقال له: قد سمعت ما كان مدحك به، وعرفت ثوابك إياه، وما قال في ذمك بعد ذلك، فما وجدته ظلمك به، ولله درّ ابن قنبر حيث قال:

ومن دعا الناس إلى ذمه ذمّوه بالحق وبالباطل
[السريع]

وبعد، فقد اشتريت عرضك منه، وأمرته بأن لا يعود لذكّ تعريضاً ولا تصريحاً.

شعره في مرض موته:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي. قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة. قال:

(١) يلج في الأمل: يبالغ في مسعاه القبيح.

(٢) يستشري: يعظم شره.

(٣) أخطارها: أقدارها ومعالها.

(٤) جرمي: نسبة إلى جرم بن زبان، أحد بطون قضاة.

حدثنا محمد بن سَلام قال: مرض ابن قُتَبر فأتوه بخصيب الطيب يُعالجه، فقال فيه:

ولقد قلت لأهلي إذ أتوني بخصيبٍ
ليس واللّه خصيبٌ للذي بي بطيبٍ
إنما يعرف دائي من به مثل الذي بي

[مجزوء الرمل]

قال: وكان خصيب عالماً بمرضه، فنظر إلى مائه. فقال: زعم جالينوس إن صاحب هذه العلّة إذا صار ماؤه هكذا لم يعيش، ف قيل له: إن جالينوس ربّما أخطأ، فقال: ما كنت إلى خطئه أحوج ممّي إليه في هذا الوقت. قال: ومات من علته.

صوت

خليليّ من سعد المّافسلّمَا على مريم، لا يبعد اللّه مريما
وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوالٍ قبل ذاك فنعلما

[الطويل]

الشعر للأسود بن عُمارة النوفلي، والغناء لدحمان ثاني ثقييل بالوسطى.

أخبار الأسود ونسبه

نسبه وأخباره:

هو - فيما أخبرني به الحرمي بن أبي العلاء والطوسي، عن الزبير بن بكار، عن عمه - الأسود بن عمار بن الوليد بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وكان الأسود شاعراً أيضاً.

شعره في معشوقته هند:

قال الزبير - فيما حدثنا به شيخنا المذكوران عنه - : وحدثني عمي . قال : كان عمار بن الوليد النوفلي أبو الأسود بن عمار شاعراً، وهو الذي يقول :

صوت

تلك هند تُصدُّ للبين^(١) صدًا
أم لتَنكأ به قروح^(٢) فؤادي
قد براني وشفَّني^(٣) الوجد^(٤) حتى
أيها الناصح الأمين رسولاً
عَلِمَ اللَّهُ أن قد أُوتيت مِنِّي
ما تقربْتُ بالصفاء لأدنو
أدلاً أم هندُ تهجر جداً
أم أرادت قتلي ضاراً وعمدا
صرتُ مما ألقى عظاماً وجلدا
قل لهندي عني إذا جئتَ هنداً
غير منْ بذاك نصحاً ووذا
منك إلا نأيت^(٥) وازددت بعدا
[الخفيف]

الغناء لعبادل خفيف رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وفي كتاب حكم:

(١) البين : البعد .

(٢) تنكأ قروح فؤادي : تُفسر جراح قلبي قبل شفائها .

(٣) شفَّني : أصاب شغاف قلبي .

(٤) الوجد : الحب وأشواقه .

(٥) نأيت : بعدت .

الغناء له خفيف رمل، وفي كتاب يونس: فيه لحن ليونس غير مجنّس، وفيه ليحيى المكي أو لابنه أحمد بن يحيى ثقیل أول:

ولايته بيت المال:

قال الزبير: قال عمي ومن لا يعلم: يروى هذا الشعر لعمارة بن الوليد النوفلي، قال: وكان الأسود يتولى بيت المال بالمدينة، وهو القائل:

خليلي من سعد المّافسلّمَا على مريم، لا يبعد الله مريما
وقولا لها هذا الفراق عزمته^(١) فهل من نوال قبل ذاك فنعلما؟
[الطويل]

قال: وهو الذي يقول لمحمد بن عبيد الله بن كثير بن الصلت:

ذكرناك شُرطيّاً فأصبحت قاضياً وصرت أميراً، أبشري قحطاناً
أرى نزوات^(٢) بينهن تفاوت وللدهر أحداث وذا حدثان^(٣)
أقيمي بني عمرو بن عوف أو أربعي^(٤) لكل أناس دولة وزمان
[الطويل]

قال: وإنما خاطب بني عمرو بن عوف هاهنا لأن الكثيري كان تزوج إليهم، وإنما قال: «أبشري قحطان» لأن كثير بن الصلت من كِنْدَة حليف لقريش.

قصته مع محبوبته مريم:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن سليمان النوفلي أحد بني نوفل بن عبد مناف قال: كان أبي يتعشّق جارية مولّدة مغنّية لامرأة من أهل المدينة، ويقال للجارية مريم، فغاب غيبة إلى الشام، ثم قَدِمَ فنزل في طرف المدينة، وحمل متاعه على حمّالين، وأقبل يريد منزله، وليس شيء أحبّ إليه من لقاء مريم، فبينما هو يمشي إذ هو بمولاة مريم قائمة على قارعتها^(٥)، وعيناها تدمعان، فسألها وسألته، فقال للعجوز: ما هذه المصيبة التي أصبت بها؟ قالت: لم أصب بشيء إلا مَبِيعي مريم، قال: وممن بعته؟ قالت: من رجل من أهل العراق، وهو على الخروج، وإنما ذهبت بها حتى ودّعت أهلها، فهي تبكي من أجل ذلك، وأنا أبكي من أجل فراقها، قال: الساعة تخرج؟ قالت: نعم الساعة تخرج، فبقي متبلّداً حائراً، ثم

(١) عزمته: صممت عليه.

(٢) نزوات، الواحدة نزوة: وثبات، قفزات.

(٣) حدثان الدهر: مصائبه وويلاته.

(٤) أربعي: إنتظري.

(٥) قارعتها: أي أعلى طريق المدينة.

أرسل عينيه يبكي، وودّع مريم وانصرف، وقال قصيدته التي أولها:

خليلي من سعد ألمّا فسَلِّما على مريم، لا يُبعد الله مريما
وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوالٍ قبل ذاك فنعلما
[الطويل]

قال: وهي طويلة؛ وقد غنّى بعض أهل الحجاز في هذين البيتين غناء زيانياً. هكذا قال ابن عمّار في خبره.

قصته في بيتين من شعره:

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف قال: حدثني ابن مهرويه. قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. قال: حدثني أبو العباس أحمد بن مالك اليماني، عن عبد الله بن محمد البواب. قال: سألت الخيزران^(١) موسى الهادي أن يولي خاله العُطريف اليمَن، فوعدها بذلك ودافعها^(٢) به، ثم كتبت إليه يوماً رُقعةً تتنجزه فيها أمره، فوجه إليها برسولها يقول: خيريه بين اليمَن وطلاق ابنته، أو مُقامي عليها ولا أوليهِ اليمَن، فأَيُّهما أختار فعلته، فدخل الرسول إليها - ولم يكن فهم عنه ما قال - فأخبرها بغيره، ثم خرج إليه فقال: تقول لك: ولاية اليمَن، فغضب وطلق ابنته وولاه اليمَن، ودخل الرسول فأعلمه بذلك، فارتفع الصياح من داره، فقال: ما هذا؟ فقالوا: من دار بنت خالك، قال: أو لم تختَر ذلك! قالوا: لا، ولكن الرسول لم يفهم ما قلت فأدّى غيره، وعجلت بطلاقها، ثم ندم ودعا صالحاً صاحب المصلى وقال له: أقم على رأس كل رجل بحضرتي من الندماء رجلاً بسيف، فمن لم يطلق امرأته منهم فلتضرب عنقه، ففعل ذلك، ولم يبرح من حضرته أحد إلا وقد طلق امرأته، قال ابن البواب: وخرج الخدم إليّ فأخبروني بذلك، وعلى الباب رجل واقف متلفّع بطيلسانه يراوح^(٣) بين رجله، فخطر ببالي:

خليلي من سعد ألمّا فسَلِّما على مريم، لا يُبعد الله مريما
وقولا لها، هذا الفراق عزمته فهل من نوالٍ قبل ذاك فنعلما؟
[الطويل]

(١) الخيزران: جارية المهدي، ولدت له هارون الرشيد والهادي تأمرت على الهادي فقتل. توفيت سنة ١٧٣هـ = ٧٩٨م.

(٢) دافعها: ماطلها ولم يقض حاجتها.

(٣) يراوح بين رجله: أي يقوم على إحديهما ثم ينتقل إلى الأخرى.

فأنشدته فيعلما بالياء، فقال لي: فنعلما بالنون، فقلت له: فما الفرق بينهما؟ فقال: إن المعاني تحسّن الشعر وتفسده، وإنما قال: «فنعلما» ليعلم هو القصة، وليس به حاجة إلى أن يعلم الناس سره، فقلت: أنا أعلم بالشعر منك، قال: فلمن هو؟ قلت: للأسود بن عمارة، قال: أو تعرفه؟ قلت: لا، قال: فأنا هو، فاعتذرت إليه من مراجعتي إياه، ثم عرّفته خبر الخليفة فيما فعله، فقال: أحسن الله عزاءك، وانصرف، وهو يقول: «هذا أحقّ منزل يُنزل».

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: كان محمد بن عبيد الله بن كثير بن الصلت على شرطة المدينة، ثم ولي القضاء، ثم ولّاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصمد بن علي، فقال الأسود بن عمارة:

ذكرتك شُرطياً، فأصبحت قاضياً فصرت أميراً، أبشري قحطاناً
أرى نزواتٍ بينهنّ تفأوتُ وللدهر أحداثٌ وذا حدثانُ
أرى حدثاً ميطاناً^(١) منقطعٌ له ومنقطع من بعده ورقان^(٢)
أقيمي بني عمرو بن عوف أو أربعي لكل أناس دولّة وزمانُ
[الطويل]

صوت

شعر لعلي بن الخليل:

هل لدهر قد مضى من مَعادٍ أو لهمّ داخلٍ من نفاذٍ
أذكرتني عيشةً قد تولّت هاتفت^(٣) نحن في بطن وادي
هجن لي شوقاً وألهبن ناراً للهوى في مستقرّ الفؤاد
بان^(٤) أحبابي وغودرتُ فرداً نُصب ماسرّ عيون الأعادي
[المديد]

الشعر لعلي بن الخليل، والغناء لمحمد الرف، ولحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة.

(١) ميطان: من جبال المدينة المنورة.

(٢) ورقان: جبل أسود يقع إلى يمين المصعد من المدينة إلى مكة المكرمة.

(٣) هاتفت: نائحات.

(٤) بان أحبابي: رحلوا.

أخبار علي بن الخليل

نسبه وأخباره:

هو رجل من أهل الكوفة مولى لمعن بن زائدة الشيباني، ويكنى أبا الحسن، وكان يُعاشِر صالح بن عبد القدّوس لا يكاد يفارقه، فاتُّهم بالزُّندقة، وأخذ مع صالح ثم أطلق لما انكشف أمره.

قال محمد بن داود بن الجراح: حدثني محمد بن الأزهر عن زياد بن الخطاب عن الرشيد، أنه جلس بالرافقة^(١) للمظالم، فدخل عليه علي بن الخليل، وهو متوكئ على عصا، وعليه ثياب نظاف، وهو جميل الوجه حسن الثياب، في يده قصة، فلما رآه أمر بأخذ قصته، فقال له يا أمير المؤمنين: أنا أحسن عبارة لها، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت. قال: اقرأها، فاندفع ينشده فيها قصيدته:

يا خيرَ من وَحَدَتَ^(٢) بأرحله نجبُ^(٣) الرّكّاب بمهممه^(٤) جَلَسَ^(٥)
[الكامل]

فاستحسنها الرشيد، وقال له: من أنت؟ قال: أنا علي بن الخليل الذي يقال فيه إنه زنديق، فضحك وقال له: أنت آمن، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخص به بعد ذلك وأكثر مدحه.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش. قال: حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب. قال: كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدّوس وعلي بن الخليل في الزندقة - وكان علي بن الخليل استأذن أبا نواس في الشعر - فأنشده علي بن الخليل:

يا خيرَ من وَحَدَتَ بأرحله نجبُ تخبُّ بمهممه جَلَسَ

(١) الرافقة: بلد متصل الأبتية بالرقّة على ضفة الفرات، بناه المنصور سنة ١٥٥هـ ليكون معسكراً لجند خراسان.

(٢) وخذ البعير: أسرع وصار يرمي بقوائمه كالنعام.

(٣) النجب من الإبل، الواحدة نجبية: القوية السريعة.

(٤) المهمه: المفازة الموحشة لا ماء فيها ولا أنيس.

(٥) الجلس، بفتح الجيم: ما غلظ من الأرض.

تطوي السباسب^(١) في أزمّتها^(٢) لما رأتك الشمس إذ طلعت
خير البرية^(٤) أنت كلّهم وكذلك لن تنفك خيرهم
لله ما هارون من ملك ملك عليك عليه لرّبه نعم
تحكي خلافته ببهجتها من عترة^(٧) طابت أرومتهم^(٨)
نُطّق إذا احتضرت مجالسهم إني إليك لجأت من هرب
واخترت حكمك لا أجاوزه لما استخرت الله في مهل
كم قد قطعت إليك مدّرعاً^(١٣) إن هاجني من هاجس جزع^(١٥)
ما ذاك إلا أنني رجل بقر أو انس لا قرون لها
ردع العبير^(١٦) على ترائبها^(١٧)

طَيَّ التَّجَارِ عَمَائِمِ الْبَرَسِ^(٣) كسفت بوجهك طلعة الشمس
في يومك الغادي وفي أمسِ ثمسي وتصبح فوق ما تُمسي
برّ السريرة طاهر النفس تزداد جدّتها^(٥) على اللبس
أنق^(٦) السرور صبيحة العرس أهل العفاف ومنتهى القدس
وعن السفاهة والخنا^(٩) خرس قد كان شرّدي ومن لبس^(١٠)
حتى أوسد في ثرى رمسي^(١١) يَمَمْتُ نحوك رحلة العنس^(١٢)
ليلاً بهيم اللون كالنّفس^(١٤) كان التوكل عنده تُرسي
أصبو إلى بقر من الإنس نُجل العيون نواعم لُعي
يُقبلن بالترحيب والخلس^(١٨)

(١) السباسب، الواحدة سباسب: المفازة الموحشة لا ماء فيها ولا بشر.

(٢) الأزمة، الواحد زمام: المرسن، المقود. (٣) البرس: القطن.

(٤) البرية: البشر. (٥) الجدة: الثوب الجديد.

(٦) الأنق: البهجة، المسرة.

(٧) العترة، بكسر العين: نسل المرء من أولاد وأحفاد.

(٨) الأرومة: الأصل. (٩) الخنا: الفحش قولاً وفعلاً.

(١٠) اللبس: ما غمض من الأمر، المبهم. (١١) ثرى رمس: تراب قبري.

(١٢) العنس من النياق: البيضاء الصلبة القوية. (١٣) مدّرعاً: مرتدياً الليل درعاً لي.

(١٤) النفس: المداد الأسود. (١٥) هاجس جزع: خاطر مرعب.

(١٦) ردع العبير: المزيج من الطيب وأثره.

(١٧) الترائب، الواحدة تريبة: عظم الصدر وما يغطيه من لحم.

(١٨) الخلس: مسارقة النظر.

وأشاهد الفتیان بينهم صفراء عند المزج كالورس^(١)
 للماء في حافاتهما حب^(٢) نُظِم كرقم صحائف الفرس
 واللّه يعلم في بقيته^(٣) ما إن أضعّت إقامة الخمس
 [الكامل]

فأطلقه الرشيد، وقتل صالح بن عبد القدوس، واحتجّ عليه في أنه لا يقبل له
 توبة بقوله:

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يُوارى في ثرى رمسه^(٤)
 [السريع]

وقال: إنما زعمت ألا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبداً.

شعره في يعقوب بن داود وابن علّثة:

أخبرني محمد بن خلف بن وكيع، قال: حدثني أحمد بن زهير بن حرب،
 قال: كان عافية بن يزيد^(٥) يصحب ابن علّثة^(٦)، فأدخله على المهدي، فاستقضاه
 معه بعسكر المهدي وكانت قصة يعقوب مع أبي عبيد الله^(٧) كذلك، أدخله إلى
 المهدي ليعرض عليه، فغلب عليه، فقال علي بن الخليل في ذلك:

عجباً لتصرف الأمو ر مسرّة وكراهيه
 رثت^(٨) ليعقوب بن داود حبال معاويه
 وعدت على ابن علّثة الـ قاضي بوائق عافيه^(٩)
 أدخلته فعلا عليـ ك كذاك شؤم الناصيه
 وأخذت حتفك^(١٠) جاهداً بيمينك المتراخيه

(١) الورس من النباتات: نبات كالسمسم أصفر يُصنع به وتتخذ منه الغمرة أي الزعفران.

(٢) الحَبَب: الفقايق الصغيرة التي تطفو على سطح الكأس.

(٣) بقية الله: طاعته وثوابه في الآخرة. (٤) ثرى رمسه: تربة قبره.

(٥) عافية بن يزيد قاض استقضاء المهدي سنة ١٦١هـ فكان يقضي في مسجد الرصافة.

(٦) ابن علّثة: هو محمد بن عبد الله بن علّثة الكلابي قاض استقضاء المهدي سنة ١٦١هـ إلى
 جانب عافية بن يزيد الأودي، فكان يقضي في جامع الرصافة.

(٧) هو أبو عبيد الله معاوية بن يسار من موالي الأشعرين استكتبه المهدي مات سنة ١٧٠هـ.

(٨) رثت حبال: بليت، ضعفت، ومعاوية هو الوزير أبو عبيد الله.

(٩) بوائق عافية، الواحدة بائقة: المصيبة، وبوائق عافية: المصائب المدمرة.

(١٠) الحتف: الموت.

يعقوبُ ينظر في الأمو ر، وأنت تنظر ناحيته
[مجزوء الكامل]

أخبرني عمي الحسن بن محمد. قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. قال: حدثني محمد بن عمرو بن فراس الذُّهلي عن أبيه. قال: قال لي محمد بن الجهم البرمكي: قال لي المأمون يوماً: يا محمد: أنشدني بيتاً من المديح جيّداً فاحراً عربياً لمحدث حتى أوليك كورةً تختارها. قال. قلت: قول علي بن الخليل:

فمَعَ السَّماءِ فروعَ نبعَتِهِم^(١) ومَعَ الحَضِيضِ^(٢) منابتَ العَرسِ
متَهَلِّلِينَ^(٣) على أَسْرَتِهِم ولدى الهَيَاجِ مصاعِبِ شُمسِ^(٤)
[الكامل]

فقال: أحسنت، وقد وليتك الدِّيَنَورَ، فأنشدني بيت هجاء على هذه الصفة حتى أوليك كورةً أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

قُبُحْتُ مناظرهم فحين خَبِرْتَهُم حُسُنْتُ مناظرهم لقبِحِ المَخْبِرِ^(٥)
[الكامل]

فقال: قد أحسنت، قد وليتك همذان، فأنشدني مرثيةً على هذا حتى أزيدك كورةً أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوّه فطِيبُ ترابِ القبرِ دَلَّ على القبرِ
[الكامل]

فقال: قد أحسنت، قد وليتك نَهاوَنَدَ، فأنشدني بيتاً من الغزل على هذا الشرط حتى أوليك كورةً أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

تعالِي نَجَدِّدْ دَارِسَ العِلْمِ^(٦) بيننا كالنا على طول الجفَاءِ مَلُومُ
[الطويل]

فقال: قد أحسنت، قد جعلت الخيار إليك فاختر، فاخترت السوس من كور الأهواز، فولاني ذلك أجمع، ووجهت إلى السوس بعض أهلي.

(١) النبعة: ضرب من الشجر، تستعمل أغصانه للسهم والرمح.

(٢) الحضيض: المنخفض من الأرض. (٣) متهللين: وجوههم مشرقة بالنور.

(٤) مصاعب شمس، الواحد مصعب من الفحول التي لم تروّض ولم تتركب، وشمس، الواحد شمس: الذي لا يلين ولا يقهر لقوة بأسه وأنفته.

(٥) قبح المخبر: ما بدا من أخلاقهم.

(٦) دارس العلم: ما انمحي من عهود الودّ السالفة.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش . قال : حدثنا محمد بن يزيد ، عن التَّوْزِي . قال : نزل أبو دُلَامَةَ بدهقان^(١) يُكنى أبا بشر ، فسقاه شراباً أعجبه ، فقال في ذلك :

سقاني أبو بشر من الراح شربةً لها لذّة ما ذُقتها لشراب
وما طبخوها غير أنّ غلامهم سعى في نواحي كرمها بشهاب^(٢)
[الطويل]

قال : فأنشده علي بن الخليل هذين البيتين . فقال : أحرقة العبد أحرقة الله :

أخبرني الحسن بن علي ، وعمي الحسن بن محمد ، قالوا : حدثنا ابن مهرويه . قال : حدثني محمد بن عمران الضبي عن علي بن يزيد قال : ولد ليزيد بن يزيد ابن ، فأناه علي بن الخليل . فقال : اسمع أيها الأمير تهنئةً بالفارس الوارد ، فتبسم . وقال : هات ، فأنشده :

يزيدُ يا ابن الصّيد^(٣) من وائلٍ أهل الرياسات وأهل المعال^(٤)
يا خير من أنجبّه^(٥) والد لي هنك الفارس ليث النزال
جاءت به غراء ميمونة والسعد يبدو في طلوع الهلال
عليه من معن ومن وائل سيما^(٦) تبشير وسيما جلال^(٧)
والله يُبقيه لنا سيّداً مدافعاً عنّا صروف الليال^(٨)
حتى نراه قد علا منبراً وفاض في سؤاله بالنوال^(٩)
وسدّ ثغراً^(١٠) فكفى شرّه وقارع^(١١) الأبطال تحت العوال^(١٢)
كما كفّنا ذاكَ أباءه فيحتذي أفعالهم عن مثال
[السريع]

فأمر له عن كل بيت بألف دينار .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار . قال : حدثني ابن مهرويه . قال : حدثني

(١) الدهقان : رئيس الإقليم ، فارسي معرّب . (٢) الشهاب : القبس من النار .

(٣) الصيد ، الواحد أصيد : السادة ، الملوك . (٤) المعالي : الأمجاد .

(٥) أنجبّه : أولده . (٦) سيما : العلامة .

(٧) الجلال : العظمة . (٨) صروف الليالي : مصائب الزمن الكئيب .

(٩) النوال : العطاء .

(١٠) الثغر من بلاد الإسلام : البلد المقابل لبلاد الأعداء .

(١١) قارع الأبطال : ناضلهم وقتلهم . (١٢) العوالي ، الواحدة عالية : رؤوس الرماح .

ابن الأعرابي المنجّم الشيباني، عن علي بن عمرو الأنصاري، قال: دخل علي بن الخليل علي المهدي فقال له: يا علي، أنت علي معاقرتك الخمر وشريك لها؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ذاك؟ قال: تبت منها. قال: فأين قولك؟

أولعت نفسي بلذتها ما ترى عن ذاك إقصارا
[المديد]

وأين قولك؟

إذا ما كنت شاربها فسرّاً ودع قول العواذل واللوحي^(١)
[الوافر]

قال: هذا شيء قلته في شبابي، وأنا القائل بعد ذلك:

على اللذات والراح السلام تقضى العهد وانقطع الزمام
مضى عهد الصبا، وخرجت منه كما من غمده خرج الحسام
وُثِرْتُ على المشيب فليس منّي وصال الغانيات^(٢) ولا المدام^(٣)
وولّى اللهو والقينات عني كما ولّى عن الصبح الظلام
حلبت الدهر أشطّره^(٤) فعندي لصرف الدهر محمود وذام^(٥)
[الوافر]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون، عن علي بن عبيدة الشيباني، قال: دخل علي بن الخليل ذات يوم إلى معن بن زائدة فحادثه وناشده، ثم قال له معن: هل لك في الطعام؟ قال: إذا نشط الأمير، فأتيا بالطعام، فأكلا، ثم قال: هل لك بالشراب؟ قال: إن سقيتني ما أريد شربت، وإن سقيتني من شرباك فلا حاجة لي فيه، فضحك ثم قال: قد عرفت الذي تريد، وأنا أسقيك منه، فأتي بشراب عتيق، فلما شرب منه وطابت نفسه أنشأ يقول:

يا صاح قد أنعمت إصباحي ببارد السلسال^(٦) والراح^(٧)

(١) العواذل واللوحي: اللائمين.

(٢) الغانيات، الواحدة غانية: التي اغتنت بجمالها عن التزين، أو التي اغتنت بزوجها عن سائر الرجال.

(٣) المدام: من أسماء الخمرة.

(٤) أشطر الدهر: حلاته.

(٥) الذام من الدهر: المذموم منه.

(٦) السلسال: السهل اللين الذي تُسَيِّغه الحلوق.

(٧) الراح: من أسماء الخمرة.

قد دارت الكأس برقراقية^(١) تجري على أغيد^(٢) ذي رونق
ليس بفحاش على صاحب
تسرّه الكأس إذا أقبلت
يسعى بها أزهر^(٥) في قرطق^(٦)
كأنها الزهرة في كفّه
حياة أبدان وأرواح
مهذب الأخلاق جحجاح^(٣)
ولا على الراح بفصّاح
بريح أترج^(٤) وتنفّاح
مقلّد الجيد بأوضح^(٧)
أو شعلة في ضوء مصباح
[السريع]

حدثنا علي بن سليمان الأخفش . قال : حدثنا محمد بن يزيد . قال : كان
لعلي بن الخليل الكوفي صديق من الدهاقين يُعاشره ويبرّه ، فغاب عنه مدّة طويلة وعاد
إلى الكوفة وقد أصاب مالا ورفعة ، وقويت حاله ، فأدعى أنه من بني تميم ، فجاءه
علي بن الخليل فلم يأذن له ، ولقيه فلم يسلم عليه ، فقال يهجوّه :

يروح بنسبة المولى ويصبح يدّعي العربا
فلا هذا ولا هذا ك يدركه إذا طلبا
أتيناه بشبّوط^(٨) ترى في ظهره حديبا
فقال : أما لبخلك من طعام يُذهب السّغبا^(٩) ؟
فصد لأخيك يربوعا^(١٠) وضبا^(١١) واترك اللعبا
فرشت له قريح^(١٢) المس لك والنسرين والغربا^(١٣)

(١) الرقاقة : الخمرة . (٢) الأغيد : الميأس برقته وقامته .

(٣) الجحجاح : السيد .

(٤) الأترج من الثمر : ما نسميه بالكباد ، فارسي معرّب .

(٥) الأزهر : الجميل الوجه الأبيض .

(٦) القرطق من الأردية عند الفرس ، يشبه القباء . فارسي معرّب .

(٧) الأوضح ، الواحد وضع : ضرب من الحلّي الفضية .

(٨) الشبوط : ضرب من الأسماك يمتاز بدقة الذنب وصغر الرأس وعرض وسطه .

(٩) السّغب : الجوع .

(١٠) اليربوع : ضرب من القوارض شبيه بالفأر .

(١١) الضبّ : ضرب من صغار القوارض يشبه الحرباء شكلا وتلوناً .

(١٢) القريح : الخالص .

(١٣) الغرب : ضرب من الأشجار .

فأَمْسَكَ أَنْفَهُ عَنْهَا وَقَامَ مَوْلِيّاً هَرَبَا
يَشْمُ الشَّيْخَ وَالْقَيْصُورَ م^(١) كِي يَسْتَوْجِبُ النِّسْبَا
وَقَامَ إِلَيْهِ سَاقِيْنَا بِكَأْسٍ تَنْظُمُ الْحَبَا
مَعْتَقَةً مَرْوَقَةً تَسْلِي هَمَّ مَنْ شَرَبَا
فَالَى^(٢) لَا يُسْلِسُهَا^(٣) وَقَالَ أَصَبُّ لَنَا حَلْبَا^(٤)
وَقَدْ أَبْصَرْتَهُ دَهْرًا طَوِيلاً يَشْتَهِي الْأَدْبَا
فَصَارَ تَشَبُّهًا بِالْقَوِ مِ جِلْفًا جَافِيًا^(٥) جَشْبَا^(٦)
إِذَا ذُكِرَ الْبَرِيرُ^(٧) بِكِي وَأَبْدَى الشُّوقَ وَالطَّرْبَا
وَلَيْسَ ضَمِيرُهُ فِي الْقَوِ مِ إِلَّا التَّيْنَ وَالْعَنْبَا
جَحَدَتْ أَبَاكَ نَسْبَتَهُ وَأَرْجُو أَنْ تَفِيدَ أَبَا

[مجزوء الوافر]

قال علي بن سليمان: وأنشدني محمد بن يزيد، وأحمد بن يحيى جميعاً
لعلي بن الخليل في هذا الذكر، وذكر ثعلب أن إسحاق بن إبراهيم أنشد هذه الأبيات
لعلي، قال:

يَا أَيُّهَا الرَّاغِبُ عَنْ أَصْلِهِ مَا كُنْتُ فِي مَوْضِعٍ تَهْجِينِ^(٨)
مَتَى تَعَرَّبْتَ وَكُنْتَ أَمْرًا مِنْ الْمَوَالِي صَالِحِ الدِّينِ
لَوْ كُنْتَ إِذْ صُرْتَ إِلَى دَعْوَةٍ^(٩) فَزَتْ مِنْ الْقَوْمِ بِتَمَكِينِ
لَكَفَّ مِنْ وَجْدِي^(١٠)، وَلَكِنِّي أَرَاكَ بَيْنَ الضُّبِّ وَالنُّونِ
فَلَوْ تَرَاهُ صَارِفًا أَنْفَهُ مِنْ رِيحِ خَيْرِي^(١١) وَنَسْرِينِ^(١٢)
لَقُلْتُ: جِلْفٌ مِنْ بَنِي دَارِمٍ حَنَّ إِلَى الشَّيْخِ بَيْبَرِينِ^(١٣)

(١) الشيخ والقيصوم: من نباتات الصحراء.

(٢) فالى: يسلسلها: يجريها برقة وليونة.

(٣) الجلف: السيئ الخلق، وهو الجافي.

(٤) الحب: اللبن المحلوب.

(٥) الجشب: الخشن الطباع مسلماً ومعاملة.

(٦) الجشب: الخشن الطباع مسلماً ومعاملة.

(٧) البرير: ثمر الأراك.

(٨) التهجين: التقييح.

(٩) الدعوة، بكسر الدال: أي أن ينسب الإنسان إلى غير عشيرته ووالده.

(١٠) الوجد: الحزن.

(١١) الخيري: من النباتات العطرية: المشور الأصفر.

(١٢) النسرين: من الورود: فارسي معرب.

(١٣) بيرين: رمال ممتدة الأطراف في أصقاع البحرين.

دُعْمَوْصُ^(١) رَمَلَ زَلَّ عَنْ صَخْرَةٍ يَعَافُ^(٢) أَرْوَاحَ^(٣) الْبَسَاتِينَ
تَنْبُو عَنْ النَّاعِمِ أَعْطَافَهُ وَالْخَزَّ وَالسَّنَجَابَ^(٤) وَاللَّيْنَ
[السريع]

أخبرني جحظة ومحمد بن مزيد جميعاً، قالاً: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه
قال: كان علي بن الخليل جالساً مع بعض ولد المنصور، وكان الفتى يهوى جارية
لعتبة مولاة المهدي، فمرت به عتبة في موكبها والجارية معها، فوقفت عليه وسلمت،
وسألت عن خبره، فلم يوفها^(٥) حق الجواب، لشغل قلبه بالجارية، فلما أنصرفت
أقبل عليه علي بن الخليل، فقال له:

رَاقِبْ بِطَرْفِكَ^(٦) مَنْ تَخَا ف إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْخَلِيلِ
فَإِذَا أَمِنْتَ لِحَاظِهِمْ^(٧) فَعَلَيْكَ بِالنَّظَرِ الْجَمِيلِ
إِنَّ الْعَيُونَ تَدُلُّ بِالْأَنْظَرِ الْمَلِيحِ عَلَى الدَّخِيلِ
إِمَّا عَلَى حَبٍّ شَدِيدٍ بِدٍ أَوْ عَلَى بُغْضٍ أَصِيلٍ

[مجزوء الكامل]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة. قال:
كان علي بن الخليل يصحب بعض ولد جعفر بن المنصور، فكتب إليه والبه بن
الحُبَاب يدعوه، ويسأله ألا يشتغل بالهاشمي يومه ذلك عنه، ويصف له طيب مجلسه
وغناء حصّله وغلاماً دعاه، فكتب إليه علي بن الخليل:

أَمَّا وَلِحَاظِ جَارِيَةٍ تُذِيبُ حُشَاشَةَ^(٨) الْمُهَجِ^(٩)
وَسَحَرِ جَفُونِهَا الْمُضْنِيَّكَ^(١٠) بَيْنَ الْفَتْرِ^(١١) وَالْدَّعَجِ^(١٢)
مَلِيحَةٍ كُلِّ شَيْءٍ مَا خَلَا مِنْ خُلُقِهَا السَّمَجِ^(١٣)

(١) الدعْمَوْص: دودة سوداء تكون في الغدران إذا نشأت والعامّة تسميها البلعط.

(٢) يعاف: يكره.

(٣) أرواح، الواحد ريح.

(٤) السنجاب: ضرب من القوارض، يمتاز بجمال جلده، فيصاد لذلك.

(٥) لم يوفها: لم يعطها ما تستحق من إجابة.

(٦) الطرف، بسكون الراء: النظر.

(٧) لحاظهم: نظراتهم الفاحصة.

(٨) الحشاشة: بقية الروح من مريض أو جريح.

(٩) المهج، الواحدة مهجة: الروح.

(١٠) الفتر: الكسل الجسدي.

(١١) الدعج: سواد العين مع سعتها.

(١٢) السمع من الأخلاق: القبيح.

(١٣) السمع من الأخلاق: القبيح.

وَحُرْمَةٌ دَنْكَ^(١) الْمَبْزُورِ لِالصَّهْبَاءِ^(٢) مِنْهُ تَجِي
كَأَنَّ مَجِيئَهَا فِي الْكَأ سَ حِينَ تَصُبُّ مِنْ وَدَجٍ^(٣)
لَوْ أَنْعَرَجَ الْأَنْامُ^(٤) إِلَى بِشَاشَةٍ مَجْلِسٍ بَهَجٍ
وَكُنْتَ بِجَانِبِ جَدِّ لَكَانَ إِلَيْكَ مُنْعَرَجِي
وَصَارَ إِلَيْهِ فِي إِثْرِ الرِّقْعَةِ.

* * *

(١) الدن: وعاء الخمرة.
(٢) الصهباء: من أسماء الخمرة.
(٣) الودج: عرق في العنق.
(٤) الأنام: البشر، الناس.

أخبار محمد الزف

نسبه وبعض أخباره:

هو محمد بن عمرو مولى بني تميم، كوفي الأصل والمولد والمنشأ؛ والزف: لقب غلب عليه، وكان مغنياً ضارباً طيب المسموع، صالح الصنعة، مليح النادرة، أسرع خلق الله أخذاً للغناء، وأصحبهم أداءً له، وأذكاهم، إذا سمع الصوت مرتين أو ثلاثاً أدّاه لا يكون بينه وبين من أخذه عنه فرق، وكان يتعصب على ابن جامع، ويميل إلى إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، فكانا يرفعان منه ويُقدّمانه ويجتلبان له الرfid والصلات من الخلفاء، وكانت فيه عريضة^(١) إذا سكر، فعربد بحضرة الرشيد مرة فامر بإخراجه، ومنعه من الوصول إليه، وجفاه وتناساه، وأحسبه مات في خلافته أو في خلافة الأمين.

أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل.

أخبرني ابن جعفر جحظة. قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد:

صوت

جسورٌ على هجري، جبانٌ على وصلي
مقدم رجلٍ في الوصال مؤخر
يهمم بنا حتى إذا قلتُ قد دنا
يزيد امتناعاً كلما زدت صبوة^(٤)
كذوب غدا يستتبع الوعد بالمطل
لأخرى، يشوب^(٢) الجد في ذاك بالهزل
وجاد ثنى عطفاً^(٣) ومال إلى البخل
وأزداد حرصاً كلما ضنَّ^(٥) بالبذل
[الطويل]

(١) العريضة: الخلق السيئ عندما تُشرب الخمرة.

(٢) يشوب: يمزج، يخلط. (٣) ثنى عطفاً: مال برقبته إعراضاً.

(٤) الصبوة: الشوق إلى المحبوب.

(٥) ضنَّ: بخل.

فأحسن فيه ما شاء وأجمل، فغمزت عليه محمداً الزَّفَّ، وفَطِنَ لما أردت، واستحسنه الرشيد، وشرب عليه، واستعاده مرتين أو ثلاثاً، ثم قمت للصلاة وغمزت الزف وجاءني، وأومأت إلي مخارق وعَلُويه وعقيد فجاءوني، فأمرته بإعادة الصوت، فأعاده وأدّاه كأنّه لم يزل يرويّه، فلم يزل يكرره على الجماعة حتى غنّوه ودار لهم، ثم عدت إلى المجلس، فلما انتهى الدّور إليّ بدأت فغنّيته قبل كل شيء غنيته، فنظر إليّ ابن جامع محدداً نظره، وأقبل عليّ الرشيد فقال: أكنت تروي هذا الصوت؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال ابن جامع: كذب والله، ما أخذه إلا مني الساعة. فقلت: هذا صوت أرويّه قديماً، وما فيمن حضر أحد إلا وقد أخذه مني، وأقبلت عليه، فغنّاه علويه ثم عقيد ثم مخارق، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبطلاق امرأته أن اللحن صنعه منذ ثلاث ليال، ما سُمع منه قبل ذلك الوقت، فأقبل عليّ فقال: بحياتي أصدقني عن القصة، فصدّقته، فجعل يضحك ويصفق ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامع الزَّفَّ.

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أوّل بالبنصر، والصنعة لابن جامع من رواية الهشامي وغيره.

قوة حفظه وبراعته في الغناء:

قال أبو الفرج: وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد، عن حماد عن أبيه بخلاف هذه الرواية، فقال فيه قال: محمد الزفّ أروى خلق الله للغناء، وأسرعهم أخذاً لما سمعه منه، ليست عليه في ذلك كلفة، وإنما يسمع الصوت مرّة واحدة وقد أخذه، وكثراً معه في بلاء إذا حضر، فكان من غنى منا صوتاً فسأله عدوّ له أو صديق أن يلقيه عليه، فبخل ومنعه إياه، سأل محمداً الزفّ أن يأخذه، فما هو إلا أن يسمعه مرة واحدة حتى قد أخذه وألقاه على من سأله، فكان أبي يبرّه ويصله ويجديه^(١) من كل جائزة وفائدة تصل إليه، فكان غناؤه عنده حمى مصوناً لا يقربه، ولم يكن طيّب المسموع، ولكنه كان أطيب الناس نادرة، وأملحهم مجلساً، وكان مغرى بابن جامع خاصة من بين المغنّين لبخله، فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلا وضع عينه عليه، وأصغى^(٢) سمعه إليه، حتى يحكيه، وكان في ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببرّ ورّفد، فغنى يوماً بحضرة الرشيد:

(١) يجديه: يمنحه عطاءً.

(٢) أصغى: استمع إليه.

صوت

أرسلتُ تُقرئ السلام الرَّبابُ في كتابٍ وقد أتانا الكتابُ فيه: لو زُرتنا لزرناك ليلاً بمئى حيث تستقلُّ الركابُ^(١) فأجبتُ الرَّباب: قد زرت لكن لي منكم دون الحجاب حجابُ إنما دهرك العتاب وذمّي ليس يُبقي على المحبِّ عتابُ [الخفيف]

ولحنه من الثقل الأول، فأحسن فيه ما شاء، ونظرتُ إلى الزف فغمزته وقمت إلى الخلاء، فإذا هو قد جاءني، فقلت له: أي شيء عملت؟ فقال: قد فرغت لك منه، قلت: هاتيه، فردّه عليّ ثلاث مرات، وأخذته وعدت إلى مجلسي، وغمزت عليه عقيداً ومخارقاً، فقاما، وتبعهما فألقاه عليهما، وابن جامع لا يعرف الخبر، فلما عاد إلى المجلس أومأت إليهما أسألهما عنه، فعرفاني أنهما قد أخذه، فلما بلغ الدور إليّ كان الصوت أول شيء غنّيته، فحدّد الرشيد نظره إليّ، ومات ابن جامع وسقط^(٢) في يده، فقال لي الرشيد: من أين لك هذا؟ قلت: أنا أرويه قديماً، وقد أخذه عني مخارق وعقيد، فقال: غنّياه. فغنّياه، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثاً بأنه صنعه في ليلته الماضية، ما سبق إليه ابن جامع أحد، فنظر الرشيد إليّ، فغمزته بعيني أنه صدق، وجدّ الرشيد في العبث به بقيّة يومه، ثم سألتني بعد ذلك عن الخبر، فصدّقته عنه وعن الزف، فجعل يضحك ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامع الزف، قال حماد: وللزف صنعة يسيرة جيّدة منها في الرمل الثاني:

صوت

لمنّ الطعائن^(٣) سيرهنّ تزحف^(٤) عوم السفين^(٥) إذا تقاذف مجدّف مرّت بذي حُسم^(٦) كأنّ حُمولها^(٧) نخل بيثرب^(٨) طلعتها متزحف

(١) الركاب: المطايا، واستقلوا الركاب: رحلوا بمطاياهم.

(٢) سقط في يده: إرتبك وتحير فلم يُحسن جواباً.

(٣) الطعائن، الواحدة طعينة: الراحلة في هودجها.

(٤) تزحف: تمشي زحفاً بطيئاً، وكأنّها تمشي على بطنها.

(٥) عوم السفين، الواحدة سفينة، وعوم السفين: سباحتها وخوضها في الماء.

(٦) ذو حسم: موضع في البادية.

(٧) الحمول: الهودج تحملها الإبل.

(٨) يثرب: اسم المدينة المنورة قبل الإسلام.

فلئن أصابتني الحروب لرَبِّما أَدْعَى إِذَا مُنِعَ الرَّدَافُ فَأَرْدَفُ^(١)
فأثير غاراتٍ وأشهد مَشْهداً قلب الجبان به يطيش فيرجفُ
[الكامل]

قال: ومن مشهور صنعته في هذه الطريقة:

صوت

إِذَا شِئْتَ غَنَّتَنِي بِأَجْرَاعٍ^(٢) بِيَشَةٍ^(٣) أَوْ النَخْلَ مِنْ تَثْلِيثٍ^(٤) أَوْ مِنْ يَلْمَلَمٍ^(٥)
مَطْوِقَةٌ^(٦) طَوْقاً وَلَيْسَ بِحَلِيَّةٍ وَلَا ضَرْبَ صَوَّاعٍ بِكَفِّهِ دَرَهْمَا
تَبْكِي عَلَى فَرْخٍ لَهَا ثَمَّ تَغْتَدِي مَدْلَهَةٌ^(٧) تَبْغِي لَهُ الدَّهْرَ مَطْعَمَا
تَوْمَلُ مِنْهُ مَوْئِئاً لَأَنْفِرَادِهَا وَتَبْكِي عَلَيْهِ إِنْ رَقَا أَوْ تَرْنَمَا^(٨)
[الطويل]

ومن صنعته في هذه الطريقة:

صوت

يَا زَائِرِينَامَنْ الْخِيَامِ حَيَّاكُمَا اللَّهُ بِالسَّلَامِ
يُحْزِنُنِي أَنْ أَطْعَمَانِي وَلَمْ تَنَالَا سِوَى الْكَلَامِ
بُورْكُ هَارُونُ مِنْ إِمَامٍ بِطَاعَةِ اللَّهِ ذِي اعْتِصَامِ
لَهُ إِلَى ذِي الْجَلَالِ قَرَبَى لَيْسَتْ لِعَدَلٍ وَلَا إِمَامِ
[مخلع البسيط]

وله في هذه الطريقة:

- (١) أَرْدَفُ: أَتَبَعَ وَأَرْكَبَ خَلْفَهُ سِوَاهُ.
- (٢) الْأَجْرَاعُ، الْوَاحِدُ جَرَعٌ: الْأَرْضُ الرَّمْلِيَّةُ اللَّيْنَةُ السَّهْلَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ الْمُنْتَبِتَةُ لِلنَّبَاتَاتِ.
- (٣) بِيَشَةٌ: مِنْ أَعْمَالِ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ مِمَّا يَلِي الْيَمْنَ.
- (٤) تَثْلِيثٌ: مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ قَرِبَ مَكَّةَ.
- (٥) يَلْمَلَمٌ: مَوْضِعٌ يَبْعُدُ عَنْ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ مَقْدَارَ لَيْلَتَيْنِ، وَهُوَ مِيقَاتُ أَهْلِ الْيَمَنِ إِذَا أَرَادُوا الْحَجَّ أَوْ الْعِمْرَةَ.
- (٦) الْمَطْوِقَةُ: ضَرْبٌ مِنَ الْحَمَامِ الَّذِي يَسْتَعْمَلُ لِنَقْلِ الرِّسَالِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرٍ.
- (٧) الْمَدْلَهَةُ: الَّتِي فَقَدَتْ عَقْلَهَا لَشِدَّةِ وَلَهْهَا وَحُبِّهَا.
- (٨) رَقَا وَتَرْنَمَ: صَاحَ وَغَنَى.

صوت

بان الحبيب فلاح الشَّيب في راسي وبْتُ منفرداً وحدي بوسواسٍ
 ماذا لقيتُ فدتكِ النفس بعدكم من التبرم بالدنيا وبالناسِ
 لو كان شيء يُسلي^(١) النفس عن شجن^(٢) سلَّت فؤادي عنكم لذَّة الكاسِ
 [البسيط]

صوت

بأبي ريم^(٣) رمى قلـ بي بألحاظٍ مِراضٍ^(٤)
 وحمى عيني أن تلـ تذَّ طيب الإغتماض
 كلما رُمت انبساطاً كفَّ بسطي بانقباض
 أو تعالَى أملي فيـ هـ رماءُ بانخفاض
 فمتى ينتصف المظـ لوم والظالم قاضي؟!
 [مجزوء الرمل]

الشعر لأبي الشَّبل البرجُمي، والغناء لعثعث الأسود، خفيف ثقيل أول
 بالوسطى، وفيه لكثير رمل ولبنان خفيف رمل.

(١) يُسلي: ينسي، يفرِّج الهموم.

(٢) الشجن: الحزن، الهم.

(٣) الريم: الظبي.

(٤) ألحاظ مراض: كسالى.

أخبار أبي الشبل ونسبه

أبو الشبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم، مولده الكوفة، ونشأ وتأدب بالبصرة.

أخبرني بذلك الحسن بن علي، عن ابن مهرويه، عن علي بن الحسن الأعرابي.

وقدِم إلى سُرٍّ مَنْ رأى في أيام المتوكل ومدحه، وكان طِبًّا^(١) نادراً، كثير الغزل ماجناً، فنفق^(٢) عند المتوكل بإيثاره العبث، وخدمه، وخُصَّ به، فأثرى وأفاد، فذكر لي عمي عن محمد بن المرزبان بن الفيرزان عن أبيه أنَّه لما مدحه بقوله:

أقبلني فالخير مقبلٌ واتركي قول المعلل^(٣)
وثقي بالتُّجج إذ أبـ صرت وجه المتوكل
ملكٌ يُنصف يا ظا لمتي فيك ويعدل
فهو الغاية والمأ مول يرجوه المؤمل

[مجزوء الرمل]

أمر له بألف درهم لكل بيت، وكانت ثلاثين بيتاً، فانصرف بثلاثين ألف درهم. الغناء في هذه الأبيات لأحمد المكي رمل بالنصر.

أخبرني يحيى بن علي، عن أبي أيوب المدني، عن أحمد بن المكي. قال: غنيت المتوكل صوتاً شعره لأبي الشبل البرجمي وهو:

أقبلني فالخير مقبلٌ ودعي قول المعلل

[مجزوء الرمل]

فأمر لي بعشرين ألف درهم، فقلت: يا سيدي أسأل الله أن يبلغك الهنيءة، فسأل عنها الفتاح فقال: يعني مائة سنة، فأمر لي بعشرة آلاف أخرى.

(١) الطب: الماهر الذكي.

(٢) نفق: راج سوقه.

(٣) المعلل من الأحداث: ما يشغل صاحبه عن وجهه.

وحدثني الحسن بن علي عن هارون بن محمد الزيات، عن أحمد بن المكي مثله .

حدثني الحسن بن علي . قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثني أبو الشبل عاصم بن وهب الشاعر ، وهو القائل :

أقبلني فالخير مقبلٌ ودعي قول المعلل
[مجزوء الرمل]

قال : كانت لي جارية اسمها سُكَّر ، فدخلت يوماً منزلي ولبست ثيابي لأمضي إلى دعوة دُعيت إليها ، فقالت : أقيم اليوم في دعوتي أنا ، فأقمتُ وقلت :

أنا في دعوة سُكَّر والهوى ليس بمنكُر
كيف صبري عن غزال وجهه دلو مُقيّر^(١)

[مجزوء الرمل]

فلما سمعتِ الأوّل ضحكت وسُرّت ، فلما أنشدتها البيت الثاني قامت إليّ تضربني وتقول لي : هذا البيت الأخير الذي فيه «دلو» لمالك ، لولا الفضول ؛ فما زالت - يعلم الله - تضربني حتى غشي عليّ .

وذكر ابن المعتز أن أبا الأغر الأسدي حدّثه قال : مدح أبو الشبل مالك بن طوق بمدح عجيب ، وقدّر منه ألف درهم ، فبعث إليه صُرّةً مختومة فيها مائة دينار ، فظنها دراهم ، فردّها وكتب معها قوله :

فليت الذي جادت به كفّ مالكٍ ومالك مدسوسان في أَسْتِ أم مالكٍ
فكان إلى يوم القيامة في أَسْتها فأيسرُ مفقودٍ وأيسرُ هالكٍ

[الطويل]

وكان مالك يومئذٍ أميراً على الأهواز ، فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره ، فأحضر ، فقال له : يا هذا ظلمتنا واعتديت علينا ، فقال : قد قدّرتُ عندك ألف درهم فوصلتني بمائة درهم ، فقال : افتحها ، ففتحها فإذا فيها مائة دينار ، فقال : أقِلني أيّها الأمير . قال : قد أفلتكَ ، ولك عندي كل ما تحبّ أبداً ما بقيت وقصدتني .

رثاؤه لطبيب :

حدثنا الحسن بن علي . قال : حدثنا ابن مهرويه . قال : قال لي أبو الشبل

(١) المقيّر: المطلى بالقار وهو القطران .

البرجمي: كان في جيرانني طبيب أحقق، فمات فرثيته فقلت:

قد بكاه بول المريض بدمع
ثم شقّت جيوبهنّ القوارير
يا كساد الخيار شنبّر والأقد
كنتَ تمشي مع القويّ فإن جا
لهف نفسي على صنوف رقاعا
واكف فوق مقلتيه ذروف^(١)
ر^(٢) عليه ونُحْن نوح الـلهيف^(٣)
راص طراً ويا كساد السّفوف
ء ضعيفٌ لم تكثرث بالضعيف
ت^(٤) تولّت منه وعقلٍ سخيف
[الخفيف]

عبثه بخالد بن يزيد:

حدثنا الحسن. قال: حدثنا ابن مهرويه. قال: حدثنا أبو الشبل. قال: إن خالد بن يزيد بن هُبيرة، كان يشرب النبيذ، فكان يغشانا، وكانت له جارية صفراء مغنيّة يقال لها لهب، فكانت تغشانا معه، فكنت أعبث بهما كثيراً ويشتماني، فقام مولاهما يوماً إلى الخابية يستقي نبیذاً، فإذا قميصه قد أنشَق، فقلت فيه:

قالت له لهبٌ يوماً وجادلها
أمّا القميص فقد أودى الزمان به
بالشعر في باب فعلانٍ ومفعولٍ
فليت شعري ما حال السراويل؟
[البسيط]

فبلغ الشعر أبا الجهم أحمد بن يوسف. فقال:

حال السراويل حالٌ غير صالحة
وتحتّه حفرة قوراء^(٥) واسعة
تحكي طرائقه نسج الغرابيل
تسيل فيها ميازيب^(٦) الأحاليل^(٧)
[البسيط]

قال أبو الشبل: وكانت أم خالد هذا ضراًطة، تضطرب على صوت العيدان وغيرها في الإيقاع، فقلت فيه:

في الحيّ من لا عِدْمْتُ خُلْتَه^(٨) فتّى إذا ما قطعته وصلا

(١) واكف فوق مقلتيه ذروف: دمع ينهمر من عينيه.

(٢) القوارير من النساء، الواحدة قارورة.

(٣) الـلهيف: المتحرق شوقاً.

(٤) الرقاعات، الواحدة رقاعة: الحمامات.

(٥) القوراء: الواسعة.

(٦) الميازيب، الواحدة ميزاب: المزاب.

(٧) الأحاليل، الواحد إحليل: مخرج البول من ذكر الرجل.

(٨) الخلّة: الصداقة، شدة المحبة.

له عجزوز بالحبق^(١) أبصر من أبصرته ضارباً ومرتجالاً^(٢)
 نادمتها مرّةً وكنت فتّى ما زلت أهوى وأشتهي الغزلاً
 حتى إذا ما أمالها سَكَّرُ يبعث في قلبها لها مثلاً
 تتكأث يسرةً وقد حرقّت^(٣) أشراجها^(٤) كي تقوم الرّملاً
 فلم تزل بأستها تطارحني أسمع إلى من يسومني العِللاً
 [المنسرح]

عرض شعره على المازني فذمه :

حدثني الحسن قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثني أبو الشبل قال : لما عرض لي الشعر أتيت جارا لي نحوياً، وأنا يومئذ حديث السن - أظنه قال إنه المازني - فقلت له : إن رجلاً لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاش صدره بشيء من الشعر، فكره أن يظهره حتى تسمعه . قال : هاته ، وكنت قد قلت شعراً ليس بجيد ، إنما هو قول مبتدئ ، فأنشدته إيّاه ، فقال : من العاض بظر أمّه القائل لهذا؟ فقمّت خجلاً ، فقلت لأبي الشبل : فأی شيء قلت له أنت؟ قال : قلت في نفسي : أعضك الله بظر أمك وبهضك^(٥) .

أخبرني عمي عن محمد بن المرزبان بن الفيرزان . قال : كنت أرى الشبل كثيراً عند أبي ، وكان إذا حضر أضحك التكلّي بنوادره ، فقال له أبي يوماً : حدثنا ببعض نوادرك وطرائفك؟ قال : نعم ، من طرائف أموري أنّ ابني زنى بجارية سندية لبعض جيرانني ، فحبلت وولدت ، وكانت قيمة الجارية عشرين ديناراً ، فقال : يا أبت ، الصبيّ والله ابني ، فساومتُ به ، فقبل لي : خمسون ديناراً ، فقلت له : ويلك ! كنت تخبرني الخبر ، وهي حُبلى فأشتريتها بعشرين ديناراً ، ونربح الفضل بين الثمنين ، وأمستُ عن المساومة بالصبيّ حتى اشتريته من القوم بما أرادوا . ثم احبلها ثانياً فولدت له ابناً آخر ، فجاءني يسألني أن أبتاعه ، فقلت له : عليك لعنة الله ، ما يحملك على أن تحبل هذه؟ فقال : يا أبت لا أستحبّ العزل^(٦) ، وأقبل على جماعة عندي يعجبهم مني ،

(١) الحبق : الضراط .

(٢) الارتجال : القول المرتجل .

(٣) حرقّت : حككت بعضه ببعض .

(٤) الأشراج ، الواحد شرج : مجمع حلقة الدُّبر .

(٥) بهض : بهضني الأمر وأبهضني أي فدحني ، وبالطاء أكثر .

(٦) العزل : عملية يعتمد إليها الرجل إذا أراد أن ينزل منيّه خارج فرج المرأة .

ويقول: شيخ كبير يأمرني بالعزل ويستحله! فقلت له: يا ابن الزانية، تستحلّ الزنا وتتحرج من العزل! فضحكنا منه.

خبره مع خمار يهودي:

وقلت له: وأي شيء أيضاً؟ قال: دخلت أنا ومحمود الورّاق إلى حانة يهودي خمار، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً، فظنّناه خمرأ بنت عشر، قد أنضجها الهجير^(١)، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً وشربنا، فقلت له: اشرب معنا، قال: لا أستحلّ شرب الخمر، فقال لي محمود: ويحك! رأيت أعجب مما نحن فيه. يهودي يتحرّج من شرب الخمر، ونشربها ونحن مسلمون! فقلت له: أجل، واللّه لا نُفْلِح أبداً، ولا يعبأ اللّه بنا، ثم شربنا حتى سكرنا، وقمنا في الليل فنكنا بنته وامراته وأخته، وسرقنا ثيابه، وخربنا في نقيرات نبذ له وأنصرفنا.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي. قال: أخبرنا عون بن محمد الكندي، قال: وقعت لأبي الشبل البرجمي إلى هبة اللّه بن إبراهيم بن المهدي حاجة فلم يقضها فهجاه، فقال:

صَلَفٌ تَنْدُقُ مِنْهُ الرَقْبَةُ وَمَسَاوٍ لَمْ تُطَقِّهَا الْكُتْبَةُ
كَلِمَا بَادَرَهُ رَكْبٌ بِمَا يَشْتَهِيهِ مِنْهُ نَادَى يَا أَبُهِ
لَيْتَهُ كَانَ التَّوَى الْفَرْجُ بِهِ لَمْ يَزِدْ فِي هَاشِمٍ هَذَا هِبَةُ
[الرملة]

يعني غلاماً لهبة اللّه كان يسمى بدرأ، وكان غالباً على أمره.

حدثني الصولي. قال: حدثني القاسم بن إسماعيل، قال: قال: رأى أبو الشبل إبراهيم بن العباس يكتب، فأنشأ يقول:

يَنْظُمُ اللَّوْلُو الْمَنْشُورَ مَنْطِقُهُ وَيَنْظُمُ الدَّرُّ بِالْأَقْلَامِ فِي الْكُتُبِ
[البسيط]

حدثنا الحسن بن علي. قال: حدثنا ابن مهبويه. قال: حدثني أبو الشبل البرجمي قال: حضرت مجلس عبيد اللّه بن يحيى بن خاقان، وكان إليّ محسناً، وعليّ مُفضلاً، فجرى ذكر البرامكة، فوصفهم الناس بالجود، وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثرُوا، فقمّت في وسط المجلس، فقلت لعبيد اللّه: أيها

(١) الهجير: حرّ الشمس عند ظهيرة الصيف.

الوزير، إني قد حكمتُ في هذا الخطب حكماً نظمته في بيتي شعرٍ لا يقدر أحد أن يرده عليّ، وإنما جعلته شعراً ليدور ويبقى، فيأذن الوزير في إنشادهما. قال: قل، فربّ صوابٍ قد قلته، فقلت:

رأيتُ عبيد الله أفضل سؤدداً وأكرم من فضلٍ ويحيى بن خالدٍ
أولئك جادوا والزمان مُساعدٌ وقد جاد ذا والدهر غير مُساعدٍ
[الطويل]

فتهلّل وجه عبيد الله وظهر السرور فيه، وقال: أفرطت أبا الشبل، ولا كل هذا، فقلت: والله ما حابيتك أيها الوزير، ولا قلت إلا حقاً، واتبعتني القوم في وصفه وتقريظه، فما خرجت من مجلسه إلا وعليّ الخلع، وتحتي دابةٌ بسرجه ولجامه، وبين يديّ خمسة آلاف درهم.

قصته مع جاريتين:

حدثني الحسن. قال: حدثنا ابن مهوريه قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني قال: حدثني أبو الشبل الشاعر قال: كنت أختلف إلى جاريتين من جواري النخاسين^(١) كانتا تقولان الشعر، فأتيت إحداهما فتحدّثتُ إليها، ثم أنشدتها بيتاً لأبي المستهل شاعر منصور بن المهدي في المعتصم:

أقام الإمام منار الهدى وأخرس ناقوس عموريّة^(٢)
[المتقارب]

ثم قلت لها أجيزي؛ فقالت:

كساني المليك جلابيبه ثيابٌ علاها بسموريّة^(٣)
[المتقارب]

ثم دعت بطعام فأكلنا، وخرجتُ من عندها، فمضيتُ إلى الأخرى، فقالت: من أين يا أبا الشبل؟ فقلت: من عند فلانة، قالت: قد علمتُ أنك تبدأ بها - وصدقْتُ، كانت أجملهما فكنت أبدأ بها - ثم قالت: أما الطعام فأعلم أنه لا حيلة لي في أن تأكله، لعلمي بأن تلك لا تدعُك تنصرف أو تأكل. فقلت: أجل. قالت: فهل لك في الشراب؟ قلت: نعم، فأحضرتَه وأخذنا في الحديث، ثم قالت: فأخبرني ما دار

(١) النخاسون، الواحد نخّاس: تاجر الجواري والأرقاء.

(٢) عمورية: بلدة من بلاد الروم غزاها الخليفة المعتصم وأعمل فيها إحراقاً.

(٣) سمورية: نسبة إلى أحد القوارض من الحيوانات، وهو السمور الذي يمتاز بفرائه الثمين.

بينكما؟ فأخبرتها، فقالت: هذه المسكينة كانت تجد البرد، وبيتها أيضاً هذا الذي جاءت به يحتاج إلى سمورية، أفلا قالت:

فأضحى به الدين مستبشراً وأضحت زنادهما^(١) واريه^(٢)

[المتقارب]

فقلت: أنت والله أشعر منها في شعرها، وأنت والله في شعرك فوق أهل عصرك. والله أعلم.

شعره في الشيب:

أخبرنا الحسن. قال: حدثنا ابن مهيويه. قال: أنشدني أبو الشبل لنفسه:

عذيري من جوارى الحي إذ يرغبني عن وصلي^(٣)

رأين الشيب قد ألبسني أبهة الكهل

فأعرضن وقد كنّ إذا قيل أبو الشبل

تساعين فرقعن الـ كوى^(٤) بالأعين النجل^(٥)

[الهج]

قال: وهذا سرقة من قول العتيبي:

رأت الغواني الشيب لاح بمفرقي فأعرضن عني بالخدود النواضر

وكنّ إذا أبصرنني أو سمعنني سعين فرقعن الكوى بالمحاجر^(٦)

[الطويل]

حدثني الحسن. قال: حدثني ابن مهيويه. قال: حدثني أبو الشبل. قال: كان

حاتم بن الفرّج يُعاشرنني ويدعوني، وكان أهتم، قال أبو الشبل: وأنا أهتم؛ وهكذا

كان أبي وأهل بيتي، لا تكاد تبقى في أفواههم حاكّة^(٧)، فقال أبو عمر أحمد بن

المنجم:

لحاتم في بخله فطنة أدقّ حساً من خطا النمل

(١) الزناد: العود الأعلى الذي يقتدح به النار.

(٢) وارية: مشتعلة. (٣) وصلي: لقائي.

(٤) الكوى، الواحدة كوة، بالضم: المشكاة في الحائط، وهو عبارة عن فتحة صغيرة.

(٥) الأعين النجل: الواسعات.

(٦) المحاجر، الواحد محجر: فتحة العين.

(٧) الحاكّة: السن.

قد جعل الهُتمان ضيفاً له ليس على خبز امرئ ضيعةً
ما قدر ما يحمله كُفُّه فحاتم الجود أخو طيء
فصار في أَمِنٍ مِنَ الأكلِ أكيله عُصمٌ أَبُو الشبلِ^(١)
إلى فَمٍ من سِنَّةٍ عَطِلِ^(٢) مضى وهذا حاتم البخل
[السريع]

شعره في جارية سوداء يحبها:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان. قال: حدثني أبو العيناء. قال: كانت
لأبي الشبل البرجمي جارية سوداء، وكان يحبها حباً شديداً، فعوتب فيها، فقال:
غدث بطول الملام عاذلةً ويحك كيف السلو عن غرر
يحملن بين الأفخاذ أسنمة لا عذب الله مسلماً بهم
فإنني بالسواد مبتهج وتلومني في السواد والدعج^(٣)
مفترقات الأرجاء^(٤)، كالسبج^(٥) تحرق أوبارها من الوهج^(٦)
غيري ولا حان منهم فرجي وكنت بالببيض غير مبتهج
[المنسرح]

هجاؤه جارية لهاشم النحوي:

حدثني عمي. قال: حدثني أحمد بن الطيب. قال: حدثني أبو هريرة البصري
النحويّ الضرير قال: كان أبو الشبل الشاعر البرجمي يُعابث قينة لهاشم النحوي يقال
لها خساء، وكانت تقول الشعر، فعبث بها يوماً فأفرط حتى أغضبها، فقالت له: ليت
شعري، بأي شيء تُدِل؟ أنا والله أشعر منك، لئن شئت لأهجوئك حتى أفضحك،
فأقبل عليها. وقال:

حسناء قد أفرطت علينا فليس منها لنا مجير
تاها بأشعارها علينا كأنما ناكها جريـر
[مخلع البسيط]

(١) عُصم: من أسماء الأعلام.

(٢) سِنَّة عَطِل: قد تعطلت عن عملها لخلعها من لثتها.

(٣) الدّعج: سواد العين مع اتساعها.

(٤) الأرجاء: النواحي.

(٥) السبج: خرز أسود. فارسي معرب.

(٦) الوهج: اشتداد اللهب.

قال: فخرجت حتى بان ذلك عليها وأمسكت عن جوابه.

شعره في ذم المطر:

قال عمي: قال أحمد بن الطيّب: حدثني أبو هريرة هذا. قال: حدثني أبو الشبل أنها وعدته أن تزوره في يوم بعينه كان مولاه غائباً فيه، فلما حضر ذلك اليوم جاء مطرٌ منعها من الوفاء بالموعد، قال: فقلت أذم المطر:

دع المواعيد لا تعرض لوجهتها إن المواعيد والأعياد قد مُنيتْ
منه بأنك ما يُمنى^(١) به بشرٌ صحوٌ شديد ولا شمس ولا قمرٌ
وإن تبيّت فذاك الفالج الذكر وفي الشخصوص له نوؤ^(٢) وبارقة^(٣)
وإن هممت بأن تدعو مغنيّة فالغيث لا شكّ مقرونٌ به السّحرُ

[البسيط]

حدثني عمي. قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر. قال: كان لعبيد الله بن يحيى بن خاقان غلام يقال له نسيم، فأمره عبید الله بقضاء حاجة كان أبو الشبل البرجمي سألته إياها، فأخراها نسيم، فشكاه إلى عبید الله، فأمر عبید الله غلاماً له آخر فقضاها بين يديه، فقال أبو الشبل يهجو نسيماً:

قل لنسيم أنت في صورة رعت دهرأ بعد أعفاجها^(٤)
في سَلح^(٥) مخمور ومخمورة حتى بدا رأسك من صدعها^(٦)
زانية بالفسق مشهورة لا تقرب الماء إذا أجنب^(٧)
درازيناً^(٩) حول مقصورة ترى نبات الشعر حول أستها

[السريع]

(١) يُمنى: يُبتلى.

(٢) بارقة: لمع وإشعاع وتألؤ.

(٣) السَلح: التغوط وهو خاص بالطير والبهائم واستعماله للإنسان من باب التساهل على التشبيه.

(٤) الصدع: الشق، والمقصود بذلك الفرج.

(٥) أجنب: كانت في معادها، العادة الشهرية.

(٦) التورة: مادة تستعملها المرأة لتزيل شعر فرجها، وهي ضرب من كلس مصنع.

(٧) داربين: هو عبارة عن عازل خشبي أو معدني يحول دون وقوع المرء من الدرج يصنع من خشب أو معدن طويلاً وعرضاً. فارسي معرّب.

هجاؤه محمد بن حماد:

حدثني عيسى بن الحسين الوراق. قال: حدثني ابن مهرويه. قال: كان أبو الشبل يُعاشر محمد بن حماد بن دنقيش، ثم تهاجرا بشيء أنكره عليه، فقال أبو الشبل فيه:

لابن حمَّاد أيَّادٍ	عندنا ليست بدونِ
عنده جارية تشـ	في من الداء الدفينِ
ولها في رأس مولا	ها أكاليل قرونِ
ذات صَدعٍ حاتمي الـ	فعل في كَنٍّ مَكِينٍ ^(١)
لا يرى مَنع الذي يحـ	وي ولو أم البنينِ

[مجزوء الرمل]

شعره في كبش كسر قنديله:

حدثني عمي. قال: حدثني أحمد بن الطيب. قال: حدثني أبو هريرة النحوي قال: كان أبو الشبل البرجمي قد اشترى كبشاً للأضحى، فجعل يعلفه ويسمّنه، فأفلت يوماً على قنديل له كان يُسرجه بين يديه، وسراج وقارورة للزيت، فنطحه فكسره، وانصب الزيت على ثيابه وكتبه وفراشه، فلما عاين ذلك ذبح الكبش قبل الأضحى، وقال يرثي سراحه:

يا عينُ بكّي لفقد مسرجةٍ	كانت عمود الضياء والنور
كانت إذا ما الظلام ألبسني	من جندس ^(٢) الليل ثوب ديجور ^(٣)
شقت بنيرانها غياطله ^(٤)	شقاً دعا الليل بالدياجير ^(٥)
صينية الصين حين أبدعها	مصور الحسن بالتصاوير
وقبل ذا بدعة أُتيح لها	من قبل الدهر قرن يعفور ^(٦)
وصكّها ^(٧) صكةً فمالبتت	أن وردت عسكر المكاسير ^(٨)

(١) كَنٍّ مَكِينٍ: المقصود فرج المرأة.

(٢) جندس الليل، بكسر الحاء: عتمة الليل وظلمته.

(٣) الديجور: العتمة.

(٤) غياطة الليل: شدة ظلمته.

(٥) الدياجير، الواحد ديجور: الظلمة والعتمة. (٦) يعفور من الأطباء: ما كان لون جلده ترابياً.

(٧) صكّ: ضرب بعنف.

(٨) المكاسير: الواحد مكسور: أي تحولت إلى محطمة نتيجة نطحها.

وإن تولّت فقد لها تركتُ
 من ذا رأيت الزمان يأسره^(٢)
 ومن أباح الزمان صفوته
 مسرجتي لو فديت ما بخلتُ
 ليس لنا فيك ما نقدّره
 مسرجتي كم كشفت من ظلم
 وكم غزال على يديك نجاً
 من لي إذا ما النديم دبّ إلى الـ
 وقام هذا يَبوس^(٥) ذاك، وذا
 وأزدوج القوم في الظلام فما
 فما يُصلُّون عند خلوتهم
 أوحشت الدار من ضيائك والبيت إلى مطبخ وتُور^(٧)
 إلى الرواقين^(٨) فالمجالس فالمربد^(٩) مذ غبت غير معمر
 قلبي حزين عليك إذ بخلتُ
 إن كان أودى^(١١) بك الزمان فقد
 دغ ذكرها واهجُ قرنَ ناطحها
 كان حديثي أني اشتريت فما
 فلم أزل بالنوى أسمنه
 ذكرأ سيبقى على الأعاصير^(١)
 فلم يشب يُسرّه بتعسير
 فلم يشب صفوه بتكدير
 عنك يدُ الجود بالدنانير
 لكنما الأمر بالمقادير
 جلّيت ظلماءها بتنوير
 من دقّ خُصّيه بالطوامير^(٣)
 ندمان في ظلمة الديّاجير^(٤)
 يُعنيق هذا بغير تقدير
 تسمع إلّا الرشاء^(٦) في البير
 إلّا صلاةً بغير تطهير
 عليك بالدمع عين تنمير^(١٠)
 أبقيت منك الحديث في الدُور
 وأسردُ أحاديثه بتفسير
 اشتريت كبشاً سليل خنزير
 والتبن والقَتّ^(١٢) والأثاجير^(١٣)

- (١) الأعاصير، الواحد عصر: الدهور.
 (٢) يأسره: يسرّ له بحبوحه العيش.
 (٣) الطوامير، الواحد طومار: الصحف.
 (٤) ظلمة الدياجير: شدة الظلمة، الجندس.
 (٥) يَبوس: يُقبل، فارسي معرّب.
 (٦) الرشاء: الجبل.
 (٧) التتور: ضرب من الأفران يخبز به، غالباً ما كان يستعمل في القرى.
 (٨) الرواق: المدخل الضيق إلى البيت، مسقوف بما يحول دون سقوط المطر.
 (٩) المربد: حظيرة يُوضع فيها أصناف الماشية، وبخاصة الإبل.
 (١٠) تنمير: غاضبة سيئة الخلق، عابسة.
 (١١) أودى الزمان: أهلك.
 (١٢) القَتّ: الرطبة من علف الدواب.
 (١٣) الأثاجير: ثقل كل شيء يعصر.

وَأَتَّقِي فِيهِ كُلَّ مُحْذُورٍ
خِدْمَةِ عَبْدٍ بِالذَّلِّ مَأْسُورٍ
فَصِيحٍ إِلَّا بَعْدَ تَفْكِيرٍ
ثَوْبًا مِّنَ الزَّفْتِ أَوْ مِّنَ الْقَيْرِ^(٢)
حَوْرَاءٍ فِي غَيْرِ خِلْقَةِ الْحَوْرِ^(٥)
مَخْرُونَ فِي عَيْشَةٍ كَمَسْرُورٍ
يَكْفُرُ نُعْمَى بِقَرَبِ تَغْيِيرٍ
تُعَدُّ فِي صَوْنِ كُلِّ مَذْخُورٍ
مَعُودٍ لِلنُّطَاحِ مَشْهُورٍ
صَلْدٌ^(٧) مِّنَ الشَّمْخِ^(٨) الْمَذَاكِيرِ^(٩)
أَرْقٌ مِّنَ جَوْهَرِ الْقَوَارِيرِ
وَمَا صَحِيحُ الْهُوَى كَمَكْسُورٍ
بِالرُّوعِ^(١٢) وَالشَّلْوِ^(١٣) غَيْرِ مَقْتُورٍ
مِّنَ الْمَنَايَا بِحَدِّ مَطْرُورٍ^(١٥)
تَلْتَهَبُ النَّارُ فِي الْمَسَاعِيرِ^(١٧)
كَفُّ الْقَرَى^(١٩) مِنْهُ غَيْرِ تَعْسِيرٍ^(٢٠)

أَبْرَدَ الْمَاءِ فِي الْقِلَالِ^(١) لَهُ
تَخْدِمُهُ طَوْلَ كُلِّ لَيْلَتِهَا
وَهِيَ مِّنَ التَّيِّهِ مَا تَكَلَّمَنِي الـ
شَمْسُ كَأَنَّ الظَّلَامَ أَلْبَسَهَا
مِنْ جِلْدِهَا خُفُّهَا^(٣) وَبَرَقَعَهَا^(٤)
فَلَمْ يَزَلْ يَغْتَذِي السَّرُورَ، وَمَا الـ
حَتَّى عَادَ طَوْرَهُ، وَحُقَّ لِمَنْ
فَمَدَّ قَرْنِيهِ نَحْوَ مَسْرَجَةٍ
سَدَّ عَلَيْهَا بِقَرْنِ ذِي حَنْقٍ
وَلَيْسَ يَقْوَى بِرُوقِهِ^(٦) جَبَلٌ
فَكَيْفَ تَقْوَى عَلَيْهِ مَسْرَجَةٌ
تَكَسَّرَتْ كَسْرَةً لَهَا أَلَمٌ
فَأَدْرَكَتْهُ شَعُوبٌ^(١٠) فَاِنْشَعَبَتْ^(١١)
أُدِيلُ^(١٤) مِنْهُ فَأَدْرَكَتْهُ يَدٌ
يَلْتَهَبُ الْمَوْتَ فِي ظُبَاهِ^(١٦) كَمَا
وَمَزَّقَتْهُ الْمُدَى^(١٨) فَمَا تَرَكْتَ

(١) القِلَال، بكسر القاف، الواحدة قُلَّة: وعاء يُبْرَد فيه المياه.

(٢) القير: القطران.

(٤) البرقع: اللثام يغطي به الرأس والوجه.

(٥) الحور، الواحدة حوراء: المرأة ذات العينين الواسعتين الشديدي سوادهما وبياضهما.

(٦) الروق: القرن.

(٧) صلد: قاس، صلب.

(٨) الشامخ: المرتفع.

(٩) المذاكير، الواحد ذكر.

(١٠) الشَّعُوب: الموت.

(١١) إنشعبت: تفرقت.

(١٢) الروع: القلب.

(١٣) الشَّلْو، بكسر الشين: الجسد.

(١٤) أديل منه: جعلت الغلبة عليه.

(١٥) الحد المطرور: شفرة السكين المسنونة جيداً.

(١٦) ظبي السيف: حدّه المسنون.

(١٧) المساعير، الواحد مسعور: الملتهب.

(١٨) المُدَى، الواحدة مِدْية، بكسر الميم: السكين.

(١٩) القرى: الضيافة.

(٢٠) التعسير: التضيق.

وَأَغْتَالَهُ بَعْدَ كَسْرِهَا قَدْرٌ
فَمَزَّقَتْ لَحْمَهُ بِرَأْتِنِهَا^(٣)
وَاخْتَلَسَتْهُ^(٥) الْجِدَاءُ^(٦) خَلْسًا مَعَ الدِّ
وَصَارَ حَظُّ الْكِلَابِ أَعْظَمُهُ
كَمْ كَاسِرٍ نَحْوَهُ وَكَاسِرَةٍ
وَخَامِعٍ^(٩) نَحْوَهُ وَخَامِعَةٍ
قَدْ جَعَلَتْ حَوْلَ شِلْوِهِ^(١١) عُرْسًا
وَلَا مَغْنٌ سِوَى هَمَاهِمِهَا^(١٢)
يَا كَبِشْ ذُقْ إِذْ كَسَرْتَ مَسْرَجَتِي
بَغِيَتْ ظُلْمًا وَالْبَغْيُ مَصْرُوعٌ مَنْ
أُضْحِيَّةَ مَا أَظَنَ صَاحِبُهَا

صِيرَهُ نُهْزَةً^(١) السَّنَانِيرِ^(٢)
وَبَذَّرَتْهُ أَشَدَّ تَبْذِيرٍ^(٤)
غَرِبَانَ لَمْ تَزْدَجِرْ^(٧) لَتَكْبِيرِ
تَهْشِمُ أَنْحَاءَهَا بِتَكْسِيرِ
سَلَاخُهَا فِي شِفَا الْمَنَاقِيرِ^(٨)
سَلَاخُهَا فِي شِبَا^(١٠) الْأَظْفَارِ
بَلَا أَفْتَقَارٍ إِلَى مَزَامِيرِ
إِذَا تَمَطَّطَتْ^(١٣) لَوَارِدِ الْعِيرِ^(١٤)
لَمَدِيَةِ الْمَوْتِ كَأْسِ تَنْحِيرِ^(١٥)
بَغَى عَلَى أَهْلِهِ بِتَغْيِيرِ
فِي قَسَمِهِ لَحْمَهَا بِمَاجُورِ
[المنسرح]

أخبرني الحسن بن علي الشيباني، قال: دخلتُ على أبي الشبل يوماً فوجدتُ
تحت مخدّته ثلثَ قرطاس، فسرقته منه ولم يعلم بي، فلما كان بعد أيام جاءني
فأنشدني لنفسه يرثي ذلك الثلث القرطاس.

فَكَرَّ تَعْتَرِي وَحُزْنٌ طَوِيلٌ وَسَقِيمٌ^(١٦) أَنْحَى^(١٧) عَلَيْهِ النَّحُولُ^(١٨)
لَيْسَ يَبْكِي رَسْمًا وَلَا طَلَلًا مَحَّ^(١٩) كَمَا تُنْدِبُ الرُّبَا وَالطُّلُولُ^(٢٠)

- (١) النهزة: الفرصة.
(٢) السنانير، الواحد سنور: الققط.
(٣) البرائن، الواحد برثن: الأظفار.
(٤) التبذير: التفريق.
(٥) اختلسته: سرقته خلسة.
(٦) الجداء: ضرب من جوارح الطير.
(٧) لم تزدجر: لم ترعو، لم ترتدع.
(٨) شفا المناقير، الشفا: حدّ كلّ شيء، والمناقير، الواحد منقار.
(٩) خامع: يمشي ويعرج في مشيته.
(١٠) الشبا، الواحد شبة: حدّ كلّ جارح.
(١١) الشلو، بكسر الشين: الجسد.
(١٢) الهمام، الواحدة همهمة: ترديد الصوت في صدر الإنسان.
(١٣) تمطّطت: تمدّدت.
(١٤) العير: الإبل تحمل الميرة.
(١٥) تنحير: ذبح.
(١٦) سقيم: مريض.
(١٧) أنحى: قصد ومال.
(١٨) النحول: الضعف والهزال.
(١٩) محّ: درس، محى.
(٢٠) الطلول، الواحد طلل: ما بقي من الآثار.

إنما حزنه على ثلثٍ كان
 كان للسر والأمانة والكت
 كان مثل الوكيل في كل سوق
 كان لهم إن تراكم في الصد
 لم يكن يبتغي الحجاب من الحجد
 إن شكاً حاجباً تشدد في الإذ
 يُرفع الخير عنه والرزق والكُس
 كان يُثنى في جيب كل فتاة
 يقف الناس، وهو أول من يد
 فإذا أبرزته باح به في الـ
 وله الحب والكرامة ممن
 ليس كالكتاب الذي بأبي الخط
 ذا كريم يُدعى، وهذا طفـ
 ذاك بالبشر^(٨) والجماعة يُلقى
 لم يفد وفده الزمان على الأـ
 كان مع ذا عدل الشهادة مقبو
 وإذا ما ألتوى الهوى بالأليـ
 فهو الحاكم الذي قوله بيـ
 فلئن شئت الزمان به شمـ
 لقديماً ما شئت^(٩) البين^(١٠) والألـ

ن لحاجاته فغالته غول^(١)
 حمان إن باح بالحديث الرسول
 إن تلکاً أو ملّ يوماً وکیل
 ر فلم يُشف من علیل^(٢) غلیل^(٣)
 اب إن قيل ليس فيها دخول
 ن فللحاجب الشقيّ العویل^(٤)
 وة، فهو المطرود وهو الذلیل
 دونها خندق وسور طویل
 خله القصر عادة^(٥) عطبول^(٦)
 قصر مسك وعنبر معلول
 بات صبا^(٧) والشم والتقبيل
 اب يُكنى قد شابه التطفيل
 لي وهذا وذا جميعاً دليل
 ولهذا الحجاب والتنكيل
 سن منه عطف ولا تنويل
 لا إذا عزّ شاهداً تعدیل
 ن فلم يزع واصلاً موصول
 ن الأليفين جائز مقبول
 ل دواتي وحان منه رحيل
 فة من صاحب، فصبر جميل

(١) غالته غول: أهلكته مصيبة عظيمة.
 (٢) العلیل: الشديد المرض.
 (٣) الغلیل: الشديد حرارة الجوف.
 (٤) العویل: التفجع والبكاء العظيم.
 (٥) الغادة: المرأة اللينة الغيد في مطلع شبابها.
 (٦) العطبول من النساء: السمينّة الطويلة العنق.
 (٧) صبا: عاشقاً، مُتيمّاً.
 (٨) البشر، بكسر الباء: بشاشة الوجه.
 (٩) شئت: فرّق.
 (١٠) البين: الفراق.

لا تُلْمِني على البكاء عليه إن فقد الخليل^(١) خطبُ جليل^(٢)
[الخفيف]

قال: فرددته عليه، وكان اتَّهَم به أبا الخطَّاب الذي هجاه في هذه القصيدة، فقال لي: ويلك، نُجِّيت ووقع أبو الخطَّاب بلا ذنب، ولو عرفتُ أنك صاحبها لكان هذا لك، ولكنك قد سلمت.

* * *

(١) الخليل: الصديق، الصاحب.

(٢) خطب جليل: مصيبة عظيمة.

أخبار عثث ونسبه

كان عثث أسود مملوكاً لمحمد بن يحيى بن مُعاذ، ظهر له منه طبع وحُسن أخذٍ وأداء، فعَلَّمه الغناء، وخرّجه وأدّبه، فبرع في صناعته، ويكنى أبا دُليجة وكان مأبوناً^(١)؛ واللّه أعلم.

أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن ميمون بن هارون. قال: حدثني عثث الأسود، قال: مخارق كُتّاني بأبي دُليجة، وكان السبب في ذلك أن أوّل صوت سمعني أغنّيه:

أبا دُليجةَ مَنْ تُوصي بأرملةٍ أم من لأشعث^(٢) ذي طمرين^(٣) مِمحَالِ^(٤)
[البسيط]

فقال لي: أحسنت يا أبا دُليجة، فقبلتها وقبّلت يده، وقلت: أنا يا سيدي أبا المُهنّا؛ أتشرّف بهذه الكُنية إذا كانت نِحلة^(٥) منك. قال ميمون: وكان مخارق يشتهي غناه ويُحزنه إذا سمعه.

قال أبو الفرج: نسختُ من كتاب علي بن محمد بن نصر بخطّه، حدثني يعني ابن حمدون. قال: كُتّا يوماً مجتمعين في منزل أبي عيسى بن المتوكل، وقد عزمنا على الصبوح ومعنا جعفر بن المأمون، وسليمان بن وهب، وإبراهيم بن المدبر، وحضرتُ عريب وشاريةٌ وجواريهما، ونحن في أتم سرور، فغنّت بدعةً جارية عريب:

أعاذلتني أكثرت جهلاً من العذلِ على غير شيءٍ من ملامي وفي عذلي
[الطويل]

والصنعة لعريب؛ وغنّت عرفان:

إذا رام قلبي هجرها حال دونه شفيعان من قلبي لها جدلان
[الطويل]

(٢) الأشعث: المغبر الرأس.
(٤) مِمحَال: لا خير فيه لبخله وفقره.

(١) مأبوناً: متهمّاً، معاباً.
(٣) الطمر، بكسر الطاء: الرداء البالي.
(٥) النحلة، بكسر النون: العطية.

والغناء لشارية، وكان أهل الطَّرف والمتعاونون في ذلك الوقت صنفين: عربية وشارية، فمال كل حزب إلى من يتعصب له منهما من الاستحسان والطرب والاقتراح، وعريب وشارية ساكتان لا تنطقان، وكل واحدة من جواريهما تغني صنعة ستها لا تتجاوزها، حتى غنَّت عرفان:

بأبي من زارني في منامي فدنا مني وفيه نفاً

[المديد]

فأحسنت ما شئت، وشربنا جميعاً، فلما أمسكت قالت عريب لشارية: يا أختي لمن هذا اللحن؟ قالت: لي، كنت صنعته في حياة سيدي، تعني إبراهيم بن المهدي، وغنيته إياه فاستحسنه، وعرضته على إسحاق وغيره فاستحسنوه، فأسكتت عريب، ثم قالت لأبي عيسى: أحب يا بني - فديتك - أن تبعث إلي عثت فتجيني به، فوجه إليه، فحضر وجلس، فلما اطمأن وشرب وغنى، قالت له: يا أبا دليجة أو تذكر صوت زبير بن دحمان عندي وأنت حاضر، فسألته أن يطرحه عليك؟ قال: وهل تنسى العذراء أبا عذرها^(١)، نعم، والله إني لذاكره حتى كأننا أمس افترقنا عنه. قالت: فغنّه، فاندفع فغنى الصوت الذي أدعته شارية حتى استوفاه وتضاحكت عريب، ثم قالت لجواريها: خذوا في الحق، ودعونا من الباطل، وغنوا الغناء القديم. فغنَّت بدعة وسائر جوارى عريب، وخجلت شارية وأطرقت وظهر الانكسار فيها، ولم تنتفع هي يومئذ بنفسها، ولا أحد من جواريهما ولا متعصبيها أيضاً بأنفسهم.

قال: وحدثني يحيى بن حمدون قال: قال لي عثم الأسود: دخلت يوماً على المتوكل، وهو مصطبح وابن المارق يغني قوله:

أقاتلتي بالجد والقدر والخذ وباللون في وجه أرق من الورد

[الطويل]

وهو على البركة جالس، وقد طرب واستعاده الصوت مراراً وأقبل عليه، فجلست ساعة ثم قمت لأبول، فصنعت هزجاً في شعر البحري الذي يصف فيه البركة:

صوت

إذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سماء رُكبت فيها

(١) العذرة، بضم العين: البكارة، وأبو عذرها: هو من أفقدها عذريتها.

وإن علّتها الصبا أبدت لها حُبُكاً مثل الجواشن^(١) مصقولاً حواشيها^(٢)
وزادها زينةً من بعد زينتها أن اسمه يوم يدعى من أساميها
[البسيط]

فما سكت ابن المارقِي سكوتاً مستوجباً حتى اندفعتُ أغني هذا الصوت، فأقبل
عليّ وقال لي: أحسنت وحياتي، أعد، فأعدتُ، فشرب قدحاً، ولم يزل يستعيدني
ويشرب حتى اتكأ، ثم قال للفتح: بحياتي أدفع إليه الساعة ألف دينار وخِلعة تامّة
وأحمله على شهري^(٣) فارِه^(٤) بسرجه ولجامه، فانصرفتُ بذلك أجمع:

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

أعاذلتني أكثرت جهلاً من العذل على غير شيء من ملامي ولا عذلي
نأيت^(٥) فلم يحدث لي النأي سلوة^(٦) ولم ألف طول النأي عن خُلة^(٧) يُسلي
[الطويل]

عروضه من الطويل، الشعر لجميل، والغناء لعريب، ثقیل أول بالبنصر، ومنها:

صوت

إذا رام قلبي هجرها حال دونه شفيعان من قلبي لها جدلان
إذا قلت: لا، قالوا: بلى، ثم أصبحا جميعاً على الرأي الذي يريان
[الطويل]

عروضه من الطويل، والناس ينسبون هذا الشعر إلى عروة بن حزام، وليس له:

الشعر لعلي بن عمرو الأنصاري، رجل من أهل الأدب والرواية، كان بسر من
رأى كالمنقطع إلى إبراهيم بن المهدي، والغناء لشارية، ثقیل أول بالوسطى، وقيل إنه
من صنعة إبراهيم، ونحلها إياه، وفيه لعريب خفيف رمل بالبنصر.

(١) الجواشن، الواحد جوشن: الدروع.

(٢) الحواشي، الواحدة حاشية: الجانب من الثوب.

(٣) الشَّهري: ضرب من البراذين، والبراذين: البغال.

(٤) الفارِه: الجيد السير. (٥) نأيت: بعدت.

(٦) سلوة: مسرة وراحة ونسيان.

(٧) الخُلة، بضم الخاء: الصاحبة.

ومنها:

صوت

بأبي من زارني في منامي فدنّا مَنّي وفيه نِفَارُ
 ليلةٌ بعد طلوع الثريّا^(١) وليالي الصَّيف بُتِر^(٢) قِصارُ
 قلت: هُلَكي أم صلاحي فعطفاً دون هذا منك فيه الدَّمَارُ
 فدنّا مني وأعطى وأرضى وشفى سُقمي^(٣) ولذَّ المزارُ
 [المديد]

لم يقع إلينا لمن الشعر، والغناء لزبير بن دحمان، ثقیل أول بالوسطى، وهو من جيّد صنعته وصدور أغانيه.

أخبرني ابن علي قال: حدثنا ابن مَهرويه قال: حدثنا أحمد بن طيفور. قال: كتب صديق لأحمد بن يوسف الكاتب في يوم دجن: «يومنا يومٌ ظريف النواة، رقيق الحواشي، قد رعدت سماؤه وبرقت، وحنت وأرجحت^(٤)، وأنت قطب السرور، ونظام الأمور، فلا تُفردنا منك فنقل، ولا تنفرد عنا فنذل، فإن المرء بأخيه كثير، وبمساعده جدير». قال: فصار أحمد بن يوسف إلى الرجل، وحضرهم عثت الأسود، فقال أحمد:

صوت

أرى غيماً يؤلفه جنوبُ وأحسبه سيأتينا بهطلِ
 فعينُ الرأي أن تأتي برطلِ فتشربه وتدعولي برطلِ
 وتسقيه ندامانا جميعاً فينصرفون عنه بغير عقلِ
 فيوم الغيم يومُ الغم إن لم تبادر بالمدامة كلَّ شغلِ
 ولا تكره محرّمها عليها فإنني لا أراه لها بأهلِ
 [الوافر]

(١) الثريا: مجموعة كواكب في عنق الثور سميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل.

(٢) بتر: مقطوعة لقصر مداها.

(٣) سُقمي: مرضي، علتي.

(٤) أرجحت الغيوم: مالت لعظم مطرها.

قال: وغنى فيه عثث اللحن المشهور الذي يغنى به اليوم.

صوت

ترى الجند والأعراب يغشون بابه كما وردت ماء الكلاب^(١) هوامله^(٢)
إذا ما أتوا أبوابه قال: مرحباً ليجوا الدار حتى يقتل الجوع قاتله
[الطويل]

عروضه من الطويل. الهوامل: التي لا رعاء لها، وليجوا: ادخلوا، يقال: وليج
يلج وليجاً. وقوله: «حتى يقتل الجوع قاتله»: أي يطعمكم فيذهب جوعكم، جعل
الشبع قاتلاً للجوع.

الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدي، والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى
الوسطى عن إسحاق.

(١) الكلاب: من أيام العرب المشهورة.

(٢) الهوامل من الإبل: التي لا راعي لها المتروكة في المرعى.

أخبار عبد الله بن الزبير ونسبه

عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن مُنقذ بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة .

أخبرني بذلك أحمدُ عن الخراز عن ابن الأعرابي ؛ وهو شاعر كوفي المنشئ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان من شيعة بني أمية وذوي الهوي فيهم والتعصب والنصرة على عدوهم ، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أُوتِيَ به أسيراً فمنّ عليه ووصله وأحسن إليه ، فمدحه وأكثر ، وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قُتل مصعب ، ثم عمي عبد الله بن الزبير بعد ذلك ، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان ، ويكنى عبد الله أبا كثير ، وهو القاتل يعني نفسه :

فقلت : ما فعلت أبا كثير أصحّ الودّ أم أخلفت بعدي ؟
[الوافر]

وهو أحد الهجّائين للناس ، المرهوب شرهم .

قال ابن الأعرابي : كان عبد الرحمن بن أمّ الحكم على الكوفة من قبل خاله معاوية بن أبي سفيان ، وكان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلاً من بني الأشيم ، من رهط عبد الله بن الزبير دنية^(١) ، فخرج عبد الرحمن بن أمّ الحكم وافداً إلى معاوية ، ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بني أسد ، يقال لأحدهما أكل بن ربيعة من بني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين ، وعديّ بن الحرث أحد بني العدان^(٢) من بني نصر ، فقال عبد الرحمن بن أمّ الحكم لابن الزبير : خذ من بني عمك ديتين لقتيلك ، فأبى ابن الزبير ، وكان ابن أمّ الحكم يميل إلى أهل القاتل ، فغضب عليه عبد الرحمن وردّه عن الوفد من منزل يقال له فياض ، فخالف ابن الزبير الطريق إلى يزيد بن معاوية ، فعاذ به ، فأعاده وقام بأمره ، وأمره يزيد بأن يهجو ابن أمّ الحكم ، وكان يزيد يُبغضه وينتقصه ويعيبه ، فقال فيه ابن الزبير قصيدة أولها قوله :

(١) دنية ، بكسر الدال : لَحاً لاصق النسب .

(٢) العدان : من قبائل بني أسد .

أبى الليلُ بالمرَّان^(١) أن يتصرَّما^(٢) ورُدَّ بثنيَّيه^(٤) كأن نجومه إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني وسوق نساء يسلبون ثيابها على أي شيء يالوئي بن غالب^(١١) وهاتوا فقصوا آية تقرأونها وإلا فاقصى^(١٣) الله بيني وبينكم وقد شهدتنا من ثقيف رضاءة بنو هاشم لو صادفوك تجدها^(١٦) ستعلم إن زلت بك النعل زلة بأنك قد ما طلت أنياب حيَّة^(١٩) كأي أسوم^(٣) العين نوماً محرَّماً صوار^(٥) تناهى من إران^(٦) فقوما أمص بنات الدر^(٧) ثدياً مصرَّماً^(٨) يُهادونها همدان رقا^(٩) وخثعما^(١٠) تُجيبون من أجرى عليّ وألجما^(١٢) أحلت بلادي أن تُباح وتظلمنا وولّى كثير اللؤم من كان ألأما وغيب عنها الحوم^(١٤) قوام زمزما^(١٥) مججت^(١٧) ولم تملك حيازيمك^(١٨) الدما وكل امرئ لاقى الذي كان قدما ترجي^(٢٠) بعينها شجاعاً^(٢١) وأرقما^(٢٢)

(١) المرَّان: موضع على ليلتين من مكة المكرمة على طريق البصرة.

(٢) يتصرَّم: يمضي أو ينتضي.

(٤) ثني الحبل: طرفه.

(٥) الصوار، بكسر الصاد: القطيع من البقر الوحشي.

(٦) تناهى من إران: بلغ أقصى حد نشاطه وقوته.

(٧) الدر: اللبن.

(٩) الرق: العبودية، الاستعباد.

(١٠) همدان وخثعم: من قبائل عرب اليمن الكبار من بني كهلان.

(١١) لؤي بن غالب: أي عشيرة معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية.

(١٢) ألجم الدابة: ألبسها اللجام.

(١٣) أقصى: أبعد.

(١٤) الحوم: العطاش.

(١٥) قوام زمزم: هم القائمون على السقاية من زمزم، نبع مكة المكرمة العظيم الذي أجراه الله تعالى لجعل مكة المكرمة مثابة للناس في الحج والعمرة.

(١٦) تجدها: تقسمها وتقطعها.

(١٧) مججت: تفلت من فمك الشراب ورميت به.

(١٨) الحيازيم، الواحد حيزوم: وسط الصدر وما يضم عليه الحزام.

(١٩) يقصد الشاعر بالحية: نفسه.

(٢٠) ترجي: تسوق.

(٢١) الشجاع من الحيات: الذكر، وهو أخبث أنواع الحيات.

(٢٢) الأرقم من الحيات: ذكر الحيات والخبيث منها، يخالط جلده سواد وبياض.

وكم من عدوّ قد أراد مساءتي
وأنتم بني حام بن نوح أرى لكم
فإن قلت: خالي من قريش فلم أجد
صغيراً ضغاً^(٣) في خرقه فأمضه^(٤)
رأى جلدة من آل حام متينة
وكنتم سقيطاً^(٥) في ثقيف، مكانكم
بغيبٍ ولو لاقيته لتندما
شفهاً كأذنب المشاجر^(١) ورماً
من الناس شراً من أبيك والأما^(٢)
مُربيه حتى إذ أهما وأفطما
ورأساً كأمثال الجريب^(٥) مؤوماً^(٦)
بني العبد، لا توفي دماؤكمو دما
[الطويل]

شعره حين عزل عبد الرحمن عن الكوفة:

قال ابن الأعرابي: ثم عزل ابن أم الحكم عن الكوفة، ووليها عبيد الله بن زياد، فقال ابن الزبير:

أبلغ عبيد الله عني فإنني
على قفرة^(٨) إذ هابه^(٩) الوفد كلهم
وكان يماري من يزيد بوقعة
فتقصيه^(١٢) من ميراث حرب ورهطه^(١٣)
وأصبح لمّا أسلمته جبالهم
رمى ابن عوذ إذ بدت لي مقاتله
ولم أك أشوي القرن^(١٠) حين أناضله^(١١)
فما زال حتى استدرجته حباله
وأل إلى ما ورثته أوائله
ككلب القطار حلّ عنه جلاجله^(١٤)
[الطويل]

ونسخت من كتاب جدّي لأمي يحيى بن محمد بن ثوبة، قال يحيى بن حازم
وحدثنا علي بن صالح صاحب المصلى عن القاسم بن معدان: أن عبد الرحمن ابن أم
الحكم غضب على عبد الله بن الزبير الأسدي لما بلغه أنه هجاه، فهدم داره، فأتى
معاوية فشكاه إليه، فقال له: كم كانت قيمة دارك؟ فاستشهد أسماء ابن خارجة، وقال

(١) المشاجر، الواحد مشجر: عود الهودج.

(٢) والده هو عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحرث الثقفي.

(٣) ضغاً: صاح بوصت عالٍ جداً.

(٤) أمضه: آذاه وآلمه.

(٥) الجريب من المكايل: مقداره أربعة أقفزة. (٦) مؤوم: مشوه.

(٧) السقيط: الأحقق الفاقد العقل.

(٨) هابه: خافه واضطرب منه.

(٩) أشوي القرن: أصيب شوى البطل المماثل لي ولا أقتله.

(١٠) أناضله: أقارعه، أقاتله.

(١١) تقصيه: تبعده.

(١٢) رهطه: عشيرته وآله.

(١٣) الجلاجل، الواحد جلجل: الأجراس.

(١٤) الجلاجل، الواحد جلجل: الأجراس.

له: سَلِه عنها؛ فسأله؛ فقال: ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها، ولكنه بعث إلى البصرة بعشرة آلاف درهم للساج^(١) فأمر له معاوية بألف درهم، قال: وإنما شهد له أسماء كذلك ليُرفده^(٢) عند معاوية، ولم تكن داره إلا خصاص قصب.

وكان عبد الرحمن بن أمّ الحكم لمّا ولي الكوفة أساء بها السيرة، فقدم قادم من الكوفة إلى المدينة، فسألتها امرأة عبد الرحمن عنه، فقال لها: تركته يسأل إلحافاً^(٣)، وينفق إسرافاً، وكان محمّلاً^(٤)، ولاه معاوية خاله عدّة أعمال، فذمه أهلها وتظلموا منه، فعزله واطّرحه، وقال له: يا بني، قد جهدت أن أنفقك وأنت تزدد كساداً.

وقالت له أخته أمّ الحكم بنت أبي سفيان بن حرب: يا أخي، زوّج ابني بعض بناتك، فقال: ليس لهنّ بكفء؛ فقالت له: زوّجني أبو سفيان أباه، وأبو سفيان خير منك، وأنا خير من بناتك، فقال لها: يا أختي: إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذٍ يشتهي الزبيب، وقد كثر الآن الزبيب عندنا، فلن نزوّج إلا كُفئاً^(٥).

حدثنا الحسن بن الطيّب البلخي قال: حدثني أبو غسان قال: بلغني أن أول من أخذ بعينه^(٦) في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفّان، أتاه عبد الله بن الزبير الأسدي، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رثاً، فدعا وكيله وقال: اقترض لنا مالاً؛ فقال: هيهات! ما يُعطينا التجار شيئاً. قال: فأربحهم ما شاؤوا، فاقترض^(٧) له ثمانية آلاف درهم، وثانياً عشرة آلاف، فوجّه بها إليه مع تحت^(٨) ثياب، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك:

سأشكر عمرًا إن تراخت منيَّتي^(٩) أيادي لم تُمنن وإن هي جلّت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلّت
رأى خلّتي^(١٠) من حيث يخفى مكانها فكانت قذى^(١١) عينيه حتى تجلّت^(١٢)

[الطويل]

(١) الساج من الأخشاب يشبه الأبنوس، يستورد من الهند.

(٢) يرفده: يعينه.

(٣) إلحافاً: إضراراً به ليذهب شيئاً من ماله.

(٤) محمّلاً: منسوباً إلى الحمق.

(٥) الكفء: المساوي، المثل، المشابه.

(٦) العينة: الربا.

(٧) اقترض له: استدان له.

(٨) تحت ثياب: وعاء تحفظ فيه.

(٩) خلّة: ضيق اليد، الفقر.

(١٠) القذى، الواحدة قذاة: ما يقع في العين أو في الشراب من تبنة ونحوها.

(١١) تجلّت: انقضت، انكشفت.

مدحه أسماء بن خارجة:

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازةً. قال: حدثني أحمد بن عرفة المؤدّب قال: أخبرني أبو المصباح عادية بن المصباح السلولي. قال: أخبرني أبي. قال: كان عبد الله بن الزبير الأسدي قد مدح أسماء^(١) بن خارجة الفزاري. فقال:

صوت

تراه إذا ما جئته متهللاً^(٢) كأنك تعطيه الذي أنت نائله^(٣)
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتنق الله سائله
[الطويل]

فأثابه أسماء ثواباً لم يرضه، فغضب، وقال يهجو:

بنت لكم هند بتلذيع بظرها^(٤) دكاكين من حصّ عليها المجالس
فوالله لولا رهز^(٥) هند بظرها لعدّ أبوها في اللئام العوابس
[الطويل]

فبلغ ذلك أسماء، فركب إليه، فاعتذر من فعله بضيقه شكاهها، وأرضاه وجعل على نفسه وظيفة^(٦) في كل سنة، واقتطعه جنتيه، فكان بعد ذلك يمدحه ويفضّله. وكان أسماء يقول لبنيه: والله ما رأيت قطّ جصاً في بناء ولا غيره إلا ذكرت بظّر أمكم هند فخرجت.

أخبرني عمي عن ابن مَهرويه، عن أبي مسلم، عن ابن الأعرابي. قال: حبس ابن أمّ الحَكَم عبد الله بن الزبير، وهو أمير في جنّاية وضعها عليه، وضربه ضرباً مبرحاً لهجائه إياه، فاستغاث بأسماء بن خارجة، فلم يزل يُلطف في أمره، ويُرضي خصومه ويشفع إلى ابن أمّ الحَكَم في أمره حتى يخلّصه، فأطلق^(٧) شفاعته، وكساه أسماء ووصله وجعل له ولعياله جِراية^(٨) دائمة من ماله، فقال فيه هذه القصيدة التي أولها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزبير، يقول فيها:

(١) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري.

(٢) متهللاً: مشرق الوجه بشراً وفرحاً. (٣) نائله: حاصل عليه منه.

(٤) تلذيع بظرها: ألم فرجها كأنه يتحرّق. (٥) رهزها: حركتها عند الجماع.

(٦) الوظيفة: ما يترتب عليه دفعه من مال. (٧) أطلق شفاعته: لم يستثن فيها شيئاً.

(٨) جِراية دائمة: عطاء مستمرّاً.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجُودَ أَرْسَلَ فَاَنْتَقَى^(١) تَخْيِرَ أَسْمَاءَ بَنِ حِصْنٍ فَبُطِنَتْ وَلَا مَجْدَ إِلَّا مَجْدُ أَسْمَاءَ فَوْقَهُ وَمَحْتَمَلٍ ضِغْنًا^(٣) لَأَسْمَاءَ لَوْ جَرَى عَوَى يَسْتَجِيشُ النَّابِحَاتِ^(٦) وَإِنَّمَا وَأَقْصَرَ عَنْ مَجْرَاةِ أَسْمَاءَ سَعْيُهُ وَفَضَّلَ أَسْمَاءَ بَنِ حِصْنٍ عَلَيْهِمْ فَمَنْ مِثْلَ أَسْمَاءَ بَنِ حِصْنٍ إِذَا غَدَتِ وَكُنْتَ إِذَا لَاقَيْتَ مِنْهُمْ حَطِيطَةً^(١٣) تَضِيْفُهُ غَسَّانٌ يَرْجُونَ سَيْبَهُ^(١٦) فَتَى لَا يَزَالُ الدَّهْرَ مَا عَاشَ مَخْصَبًا فَأَصْبَحَ: مَا فِي الْأَرْضِ خَلَقَ عِلْمَتَهُ تَرَاهُ إِذَا مَا جِئَتْهُ مَتَهَلَّلًا^(٢٢)

حَلِيفَ صَفَاءٍ وَأَتَلَى لَا يُزَايِلُهُ^(٢)! بِفَعْلِ الْعَلَا أَيْمَانُهُ وَشَمَائِلُهُ وَلَا جَرَى إِلَّا جَرَى أَسْمَاءَ فَاضِلُهُ بِسَجْلِينَ^(٤) مِنْ أَسْمَاءَ فَارَتْ أَبَا جُلَّةَ^(٥) بِأَنْيَابِهِ ضُمُّ الصَّفَا^(٧) وَجَنَادِلُهُ^(٨) حَسِيرًا^(٩) كَمَا يَلْقَى مِنَ التَّرْبِ نَاخِلُهُ سَمَاحَةً أَسْمَاءَ بَنِ حِصْنٍ وَنَائِلُهُ^(١٠) شَابِيبَهُ^(١١) أَمْ أَيُّ شَيْءٍ يَعَادِلُهُ^(١٢) لَقِيتُ أَبَا حَسَانَ^(١٤) تَنْدَى أَصَائِلُهُ^(١٥) وَذُو يَمَنِ أَحْبُوشَهُ^(١٧) وَمَقَاوِلُهُ^(١٨) وَلَوْ كَانَ بِالْمَوْمَاةِ^(١٩) تَخْدِي^(٢٠) رَوَاحِلُهُ^(٢١) مِنَ النَّاسِ إِلَّا بَاغَ أَسْمَاءَ طَائِلُهُ كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ^(٢٣)

- (١) انتقى: اختار.
 (٣) الضغن: الحقد، الكراهية.
 (٥) الأباجل، الواحد أبجل: عرق في باطن الذراع.
 (٦) يستجيش النابحات: يثيرها لتنبج.
 (٧) صم الصفا، واحد صفاة: الحجر العظيم الصلب.
 (٨) الجنادل، الواحد جندل: الحجار الضخمة القاسية.
 (٩) حسيراً: كليلاً.
 (١١) الشايب، الواحد شؤبوب: الدفعة من المطر.
 (١٢) يُعادله: يساويه.
 (١٤) أبو حسان: كنية الممدوح.
 (١٥) تندى أصائله: يلطف وقت ما قبل مغيب الشمس.
 (١٦) السيب: العطاء.
 (١٧) الأحوش: جماعة الجيش.
 (١٨) المقاول، الواحد مقول: ملك من ملوك حمير، وهودون الملك الأعلى.
 (١٩) المومماة: المفازة الموحشة، لا أنيس فيها ولا ماء.
 (٢٠) تخدي: تسرع.
 (٢١) الرواحل، الواحدة راحلة: الإبل المركوبة.
 (٢٢) متهللاً وجهه: مشرقاً ومستبشراً.
 (٢٣) سائله: طالب رفده.

ترى الجند والأعراب يغشون^(١) بابه
إذا ما أتوا أبوابه قال: مرحباً
ترى البازل^(٥) البُختي^(٦) فوق خوانه^(٧)
إذا ما أتوا أسماء كان هو الذي
تراهم كثيراً حين يغشون بابه
كما وردت ماء الكلاب^(٢) نواهل^(٣)
لجوا الباب^(٤) حتى يقتل الجوع قاتله
مقطعةً أعضاؤه ومفاصله
تحلب كفاه الندى وأنامله
فتسترهم جدرانهم ومنازل^(٨)
[الطويل]

قال: فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفي درهم.

أخبرني هاشم بن محمد. قال: حدثنا العباس بن ميمون طائع. قال: حدثني
أبو عدنان عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، وقال ابن الأعرابي أيضاً: دخل
عبد الله بن الزبير على عبيد الله بن زياد بالكوفة وعنده أسماء بن خارجة حين قدم
ابن الزبير من الشام، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

حنت قلوصي^(٨) وهنأ^(٩) بعد هدأتها^(١٠)
حنت إلى خير من حنّ المطي^(١١) له
تذكرت بقُرى البلقاء^(١٢) نائله^(١٣)
والله ما كان بي لولا زيارته
حنت لثرجعني خلفي فقلت لها:
لا يحسب الشرّ جاراً لا يفارقه
من خير بيت علمناه وأكرممه
فهيجت مغرماً صَبّاً على الطرب
كالبدري بين أبي سفيان والعتب
لقد تذكرته من نازح^(١٤) عزب^(١٥)
وأن ألقى أبا حسان من أرب
هذا أمامك فالقيته فتى العرب
ولا يعاقب عند الحلم بالغضب
كانت دماؤهم تشفي من الكلب^(١٦)
[البسيط]

(١) يغشون بابه: يلمون بابه، يقصدونه.

(٢) ماء الكلاب: موضع.

(٣) نواهل: القاصدون رفته وعطاءه.

(٤) لجوا الباب: ادخلوه بقلوب مطمئنة.

(٥) البازل من الجمال: ما كان في عامه التاسع.

(٦) البختي من الجمال: الطويل العنق.

(٧) الخوان: المائدة عليها طعام.

(٨) القلوص من الإبل: الفتية.

(٩) الوهن: الليل.

(١٠) هدأة الليل: سكونه.

(١١) حنّ المطي: حُمِل على الإسراع.

(١٢) البلقاء: موضع تابع لدمشق.

(١٣) نائله: عطاؤه.

(١٤) نازح: بعيد.

(١٥) عزب: بعيد أيضاً.

(١٦) الكلب: داء يصيب المرء إذا عضه كلب.

قال ابن الأعرابي: كانت العرب تقول: من أصابه الكلب والجنون لا يبرأ منه إلى أن يسقى من دم ملك، فيقول: إنه من أولاد الملوك.

بقية أخبار عبد الله بن الزبير

شعره حين قتل هانئ بن عروة:

أخبرني أحمد بن عيسى العجلي بالكوفة. قال: حدثنا سليمان بن الربيع البرجمي، قال: حدثنا مضر بن مزاحم، عن عمرو بن سعد، عن أبي مخنف، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود، وأخبرني الحسن بن علي. قال: حدثنا الحارث بن محمد قال: حدثنا ابن سعد عن الواقدي، وذكر بعض ذلك ابن الأعرابي في روايته عن المفصل، وقد دخل حديث بعضهم في حديث الآخرين، أن المختار بن أبي عبيد خطب الناس يوماً على المنبر. فقال: «لتنزلن نار من السماء، تسوقها ريح حالكة دهماء»^(١)، حتى تحرق دار أسماء وآل أسماء» وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذكرٌ قبيح عند الشيعة، يعدونه في قتلة الحسين عليه السلام، لما كان من معاونته عبيد الله بن زياد على هانئ بن عروة المرادي حتى قتل، وحرسته في نصرتة على مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وقد ذكر ذلك شاعرهم فقال:

أيركب أسماءُ الهماليج^(٢) آمناً وقد طلبته مذحج^(٣) بقتيل!
[الطويل]

يعني بالقتيل هانئ بن عروة المرادي، وكان المختار يحتال ويدبر في قتله من غير أن يغضب قيساً فتنصره، فبلغ أسماء قول المختار فيه، فقال: أو قد سجع^(٤) بي أبو إسحاق! لا قرار على زار من الأسد، وهرب إلى الشام، فأمر المختار بطلبه ففاته، فأمر بهدم داره، فما تقدّم عليها مضريّ بته لموضع أسماء وجلالة قدره في قيس، فتولّت ربيعة واليمن هدمها، وكانت بنو تيم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل كان على شرطة المختار، فقال في ذلك عبد الله بن الزبير:

تأؤّب^(٥) عين ابن الزبير سهودها^(٦) وولّى على ما قد عراها هُجودها^(٧)

(١) دهماء: حالكة الظلمة.

(٢) الهماليج، الواحد هملاج من البراذين أي البغال التي تحسن السير.

(٣) مذحج: فرع من بني كهلان، وهي قبيلة هانئ بن عروة، أحد بطون مذحج.

(٤) سجع بي: أنشد مشهراً بأعلى صوته. (٥) تأؤّب: عاود.

(٦) السهود: الأرق، السهر. (٧) الهجود: النوم.

وعاودها مما تذكر عيدها^(١)
لوى بجناحيها وليد^(٢) يصيدها
أذاعت به الأرواح^(٣) يذري^(٤) حصيدها
نشير جمان^(٥) بان عنها فريدها^(٦)
شبا^(٧) حرها القنديل، ذاك^(٨) وقودها
كذاك الليالي نحسها وسعودها
أرى سنة^(٩) لم يبق إلا شريدها
أحاديث والأنباء ينمي^(١٠) بعيدها
لكيز^(١١) سعت فساقها وعبيدها
ولا أصبحت إلا بشر جودها^(١٢)
ولا خائفاً إن جاء يوماً طريدها
ومسألة ما إن ينادى وليدها
جماعات أقوام كثير عيدها
جوار على الأعناق منها عقودها
مَجوس القرى في داركم ويهودها!

كأن سواد العين أبطن نحلة
مخصرة^(١) من نحل جيحان^(٢) صعبة
من الليل وهناً، أو شظية^(٣) سنبل^(٤)
إذا طُرفت^(٥) أذرت^(٦) دموعاً كأنها
وبت كأن الصدر فيه ذبالة^(٧)
فقلت أناجي النفس بيني وبينها
فلا تجزعي^(٨) مما أَلَم فإنني
أتاني وعُرض الشام بيني وبينها
بأن أبا حسان تُهدم داره
جزت مُضراً عني الجوازي^(٩) بفعلها
فما خيركم؟ لا سيّداً تنصرونه
أخذلانه^(١٠) في كل يوم كريهة^(١١)
لأمكم الويلات أنى أتيتم
فيا ليتكم من بعد خذلانكم له
ألم تغضبوا تبّاً لكم^(١٢) إذ سطت^(١٣) بكم

(١) العيد: ما اعتاد عليه المرء من قلق أو مرض.

(٢) المخصرة من النساء: الضامرة الخصر.

(٣) جيحان: نهر في المصيصة في دمشق.

(٤) الوليد: الصبي.

(٥) الشظية: ما انفصل عن أصله.

(٦) سنبل: برج في السماء.

(٧) يذري: ينثر، يُشتت.

(٨) طُرفت العين: أصابها شيء ما يحملها على الدمع.

(٩) أذرت دموعاً: بكت.

(١٠) فريدها: أفضلها، وأعظمها نفاسة.

(١١) شبا حرها: شب نارها.

(١٢) لا تجزعي: لا تخافي.

(١٣) ينمي: يشيع وينتشر.

(١٤) لكيز: هو لكيز بن أفصى بن عبد القيس من ربيعة.

(١٥) الجوازي، الواحدة جازية: المكافأة.

(١٦) الجدد، الواحد جدّ، بفتح الجيم: الحظوظ.

(١٧) الخذلان: التخلي عن المساعدة والنصح.

(١٨) يوم كريهة: يوم شدة الحرب.

(١٩) سبط بكم: وثبت عليكم.

(٢٠) أذرت دموعاً: بكت.

(٢١) فريدها: أفضلها، وأعظمها نفاسة.

(٢٢) شبا حرها: شب نارها.

(٢٣) لا تجزعي: لا تخافي.

(٢٤) ينمي: يشيع وينتشر.

(٢٥) لكيز: هو لكيز بن أفصى بن عبد القيس من ربيعة.

(٢٦) الجوازي، الواحدة جازية: المكافأة.

(٢٧) الجدد، الواحد جدّ، بفتح الجيم: الحظوظ.

(٢٨) الخذلان: التخلي عن المساعدة والنصح.

(٢٩) يوم كريهة: يوم شدة الحرب.

(٣٠) سبط بكم: وثبت عليكم.

تركتهم أبا حسان تُهدم داره
يهدمها العجلي فيكم بشرطة
لعمري لقد لف اليهودي ثوبه
فلو كان من قحطان أسماء شمّرت
ففي رجب أو غرة الشهر^(٤) بعده
ثمانون ألفاً دين عثمان دينهم
فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت
مشيدة أبوابها وحديدُها
كما نب^(١) في شبل التيوس عتودها^(٢)
على غدره شنعاء باق نشيدها
كتائب من قحطان صعر خدودها^(٣)
تزوركم حمر المنايا وسودها
كتائب فيها جبرئيل يقودها
ففي النار سقياه هناك صديدها

[الطويل]

وقال ابن مهرويه: أخبرني به الحسن بن علي عنه، حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي: أن مصعب بن الزبير لما ولي العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة إلى الشام، وبها يومئذ عبد الملك بن مروان، قد ولي الخلافة، وقتل عمرو بن سعيد، وكان أسماء أموي الهوى، فهدم مصعب بن الزبير داره وحرّقها، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك:

تأؤب^(٥) عين ابن الزبير سهودها

وذكر القصيدة بأسرها، وهذا الخبر أصح عندي من الأول، لأن الحسن بن علي حدثني. قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب. قال: لما ولي مصعب بن الزبير العراق، دخل إليه عبد الله بن الزبير الأسدي، فقال له: إيه يا ابن الزبير، أنت القائل:

إلى رجب السبعين^(٦) أو ذاك قبله
تصبّحكم حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفاً نصر مروان دينهم
كتائب فيها جبرئيل يقودها

[الطويل]

فقال: أنا القائل لذلك، وإن الحقيّر ليأبى الغدرة، ولو قدرت على جحده لجحدته، فاصنع ما أنت صانع؛ فقال: أما إني ما أصنع بك إلا خيراً، أحسن إليك

(١) نب التيس: صاح عند هياجه.

(٢) العتود من صغار المعز: ما رعى وقوي وأتى عليه عام من عمره.

(٣) صعر خدودها: كناية عن التكبر والأنفة.

(٤) غرة الشهر: أوله.

(٥) تأؤب: عاود.

(٦) إلى رجب السبعين: أي إلى شهر رجب من العام السبعين.

قوم فأحببتهم وواليتهم ومدحتهم، ثم أمر له بجائزة وكُسوة، وردّه إلى منزله مكرّماً، فكان ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ويُشيد بذكره، فلما قتل مصعب بن الزبير اجتمع ابن الزبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيان في مجلس، فعرف ابن الزبير خبره - وكان عبيد الله هو الذي قتل مصعب بن الزبير - فاستقبله بوجهه وقال له:

أبا مطرٍ شلت يمينَ تفرّعت^(١) بسيفك رأس ابن الحواري^(٢) مصعبٍ
[الطويل]

فقال له ابن ظبيان: فكيف النجاة من ذلك؟ قال: لا نجاة، هيهات! «سبق السيف العذل»، قال: فكان ابن ظبيان بعد قتله مصعباً لا ينتفع بنفسه في نوم ولا يقظة، كان يهولُ عليه^(٣) في منامه فلا ينام، حتى كلَّ^(٤) جسمه ونُهِك^(٥)، فلم يزل كذلك حتى مات.

وقال ابن الأعرابي: لما قدم ابن الزبير من الشام إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانتة وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدراار عطائه، فأوصله إليه، ثم استأذنه في الإنشاد، فأذن له، فأنشده قصيدته التي أولّها:

صوت

أَصْرَمُ^(٦) بليلى حادثٌ أم تجنُّبُ أم الحبل منها واهنٌ متقَضُّبُ^(٧)
أم الودّ من ليلي كعهدي مكانه ولكنّ ليلي تستزيد وتعتبُ
[الطويل]

غنى في هذين البيتين حُنين ثاني ثقيل عن الهشامي:

ألم تعلمي يا ليلَ أُنِّي لَيِّنٌ هُضُومٌ^(٨) وأني عنبسُ^(٩) حينَ أَعْضُبُ؟!
وأني متى أنفق من المال طارفاً^(١٠) فإني أرجو أن يشوب المَثُوبُ^(١١)

(١) تفرّعت: علت، ارتفعت.

(٢) الحواري: هو مناصر النبي ﷺ، إنه الزبير بن العوام رضي الله عليه.

(٣) يهولُ عليه: يثير فزعَه.

(٤) كلَّ جسمه: تعب.

(٥) نُهِك: استنفدت كلّ قدرته.

(٦) أَصْرَمُ: أقطيعة صِلَة.

(٧) متقَضُّب: متقطع.

(٨) الهُضُوم: المتلف لِماله لشدة كرمه.

(٩) العنيس: من أسماء الأسد.

(١٠) الطارف من المال: المستحدث، الجديد.

(١١) المَثُوب: العائد.

أَنَّ تَلِيفَ الْمَالِ التَّلَادُ^(١) بِحَقِّهِ
 عَشِيَّةً قَالَتْ وَالرَّكَابُ مُنَاخَةٌ^(٣)
 أَفِي كُلِّ مَصْرِ نَازِحٌ^(٤) لَكَ حَاجَةٌ
 فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ تُلَبِّثُ نَاقَتِي
 دَعِينِي مَا لِلْمَوْتِ عَنِّي دَافِعٌ
 إِلَيْكَ عَبِيدَ اللَّهِ تَهْوِي رِكَابُنَا^(٦)
 وَقَدْ ضَمَرْتُ حَتَّى كَأَنَّ عَيُونَهَا
 فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَشْتَكِي الْأَيْنَ^(١٢) إِنَّهُ
 إِذَا ذَكَرُوا فَضْلَ أَمْرِي كَانَ قَبْلَهُ
 وَأَنْكَ لَوْ يُشْفَى بِكَ الْقَرْحُ^(١٦) لَمْ يُعَدِّ
 تَصَافَى عَبِيدَ اللَّهِ وَالْمَجْدَ صَفْوَةَ الدِّ
 وَأَنْتِ إِلَى الْخَيْرَاتِ أَوَّلُ سَابِقِ
 أَعْنِي بِسَجَلٍ^(١٩) مِنْ سَجَالِكَ نَافِعِ
 فَإِنَّكَ لَوْ إِيَّاي تَطْلُبُ حَاجَةً
 تَشْمَسُ^(٢) لَيْلَى عَنْ كَلَامِي وَتَقْطُبُ
 بِأَكْوَارِهَا مَشْدُودَةً: أَيْنَ تَذْهَبُ؟
 كَذَلِكَ مَا أَمْرُ الْفَتَى الْمَتَشَغِبِ^(٥)
 وَتَقْسِمُ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ تَغْرُبُ
 وَلَا لِلَّذِي وَلَّى مِنَ الْعَيْشِ مَطْلَبُ
 تَعَسَّفُ^(٧) مَجْهُولُ الْفَلَاةِ^(٨) وَتَدَأْبُ^(٩)
 نِطَافُ^(١٠) فَلَاةٍ مَاؤَهَا مَتَصِيبُ^(١١)
 أَمَامَكَ قَرْمٌ^(١٣) مِنْ أَمِيَّةٍ مُصْعَبُ^(١٤)
 فَفَضْلُ عَبِيدِ اللَّهِ أَثَرِي^(١٥) وَأَطْيَبُ
 وَأَنْتِ عَلَى الْأَعْدَاءِ بَابٌ وَمِخْلَبُ
 حَلِيفِينَ مَا أَرَسَى^(١٧) ثَبِيرٌ وَيَثْرُبُ^(١٨)
 فَأَبْشُرْ، فَقَدْ أَدْرَكْتَ مَا كُنْتَ تَطْلُبُ
 فَفِي كُلِّ يَوْمٍ قَدْ سَرَى لَكَ مِحْلَبُ
 جَرَى لَكَ أَهْلٌ فِي الْمَقَالِ وَمَرْحَبُ
 [الطويل]

قال: فقال له عبيد الله - وقد ضحك من هذا البيت الأخير -: فإنني لا أطلب

- (١) المال التلاد: الموروث، القديم.
- (٣) الركاب مناخة: باركة على صدورها.
- (٤) المصر النازح: البلد البعيد.
- (٥) المتشعب: المرتحل بعيداً.
- (٦) تهوي ركائبنا: تسرع في عدوها.
- (٧) تعسف: تجري على غير هدى، لأنها لا تعلم وجهة سيرها.
- (٨) الفلاة: المفازة الموحشة، لا ماء فيها ولا أنيس.
- (٩) تدأب: تجهد دون طائل.
- (١٠) النطاف، الواحدة نطفة بالضم: الماء النмир الصافي، قلّ أو كثر.
- (١١) متصيب: منهمر.
- (١٢) الأين: الإرهاق الشديد.
- (١٣) القرم من الرجال: القوي، السيد المعظم.
- (١٤) المصعب: القوي الذي يصعب التغلب عليه.
- (١٥) أترى: أكثر سناءً أو علواً.
- (١٦) القرح: الجرح.
- (١٧) أرسى: أثبت.
- (١٨) يثرب: الاسم القديم قبل الإسلام للمدينة المنورة.
- (١٩) السجل من الدلاء: العظيمة المملوءة.

إليك حاجة، كم السَّجَل الذي يُرويك؟ قال: نوالك أيُّها الأميرُ يكفيني، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

قال ابن الأعرابي: كان نُعَيْم بن دُجَانَةَ بن شَدَّاد بن حُدَيْفَةَ بن بكر بن قيس بن مُنْقَذ بن طريف صديقاً لعبد الله بن الزُّبَيْر، ثم تغيَّر عليه، وبلغه عنه قول قبيح، فقال في ذلك:

ألا طرقتُ رُويمة^(١) بعد هَدْءٍ^(٢) تخطَّى هول أنمارٍ وأسدِ
تجوس رحالنا^(٣) حتى أتتنا طُروقاً^(٤) بين أعرابٍ وجُندِ
فقلت: ما فعلتَ أبا كثيرٍ أصحَّ الودِّ أم أخلفت عهدي؟
كأن المسك ضمَّ على الخُزامى^(٥) إلى أحشائها^(٦) وقضيبَ رندٍ^(٧)
ألا من مُبلغٍ عني نعيماً فسوف يجربُ الإخوان بعدي
رأيتك كالشمس تُرى قريباً وتمنع مسحَ ناصيةٍ^(٨) وخدِّ
فإنني إن أقع بك لا أهْلَلُ^(٩) كوقع السيف ذي الأثر الفرند^(١٠)
فأولى ثم أولى ثم أولى فهل للدرِّ^(١١) يُحلب من مرْدٍّ؟
[الوافر]

رثاؤه لصديقه:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال: حدثني عيسى بن إسماعيلَ تينة، وأخبرني عمي قال: حدثنا الكُراني قال: حدثني عيسى بن إسماعيلَ عن المدائني عن خالد بن سعيد عن أبيه. قال: كان عبد الله بن الزُّبَيْر صديقاً لعمرو بن الزُّبَيْر بن العوَّام، فلما أقامه أخوه^(١٢) ليقْتَصَّ منه بالغ كل ذي حقدٍ عليه في ذلك، وتدسَّس فيه من يتقرَّب إلى أخيه، وكان أخوه لا يسأل من ادَّعى عليه شيئاً بيَّنةً، ولا يُطالبه بحجَّة،

(١) رويمة: اسم امرأة. (٢) الهَدْء: سكون الليل.

(٣) تجوس رحالنا: تدور بين البيوت والدور. (٤) أتتنا طروقاً: جاءتنا في الليل تبغي الضيافة.

(٥) الخُزامى: نبت زهره أطيَّب الأزهار رائحة.

(٦) الأحشاء، الواحد حشا: ما انضمت عليه الضلوع.

(٧) الرند من الأشجار: يمتاز بطيب رائحته. (٨) ناصية الإنسان: مقدمة جبهته.

(٩) أهْلَل: أفرع.

(١٠) الفرند، بكسر الفاء: جوهر السيف ووشيه وهو ما يرى فيه شبه مدب النمل.

(١١) الدرّ: اللين.

(١٢) إنه عبد الله بن الزُّبَيْر.

وإنما يقبل قوله ثم يدخله إلى السجن ليقصص منه، فكانوا يضربونه والقيح ينتضح من ظهره وأكتافه على الأرض لشدة ما يمر به، ثم يُضرب وهو على تلك الحال، ثم أمر بأن يُرسل عليه الجعلان^(١)، فكانت تدب عليه فتثقب لحمه، - وهو مقيد مغلول^(٢) - يستغيث فلا يُغاث، حتى مات على تلك الحال، فدخل الموكل به على أخيه عبد الله بن الزبير وفي يده قدح لبن يريد أن يتسحر به وهو يبكي. فقال له: ما لك؟ أمات عمرو؟ قال: نعم، قال: أبعد الله، وشرب اللبن، ثم قال: لا تغسلوه ولا تكفّنوه، وادفنوه في مقابر المشركين، فدفن فيها، فقال ابن الزبير الأسدي يرثيه ويؤتب أخاه بفعله، وكان له صديقاً وخلاً ونديماً:

أيا راكباً إمّا عرضت^(٣) فبلّغن كبير بني العوام إن قيل من تعني^(٤)
ستعلم - إن جالت بك الحرب جولة إذا فوق الرامون^(٥) - أسهم من تغني^(٦)
فأصبحت الأرحام حين وليتها بكفّيك أكراشاً^(٧) تجرّ على دمن^(٨)
عقدتم لعمرو عُقدةً وغدرتم بأبيض كالمصباح في ليلة الدجن^(٩)
وكبّلته حولاً يجود بنفسه^(١٠) تنوء^(١١) به في ساقه حلق اللبن^(١٢)
فما قال عمرو إذ يجود بنفسه لضاربه - حتى قضى نحبه^(١٣) - : دعني
تحدث من لا قيت أنك عائد^(١٤) وصرّعت^(١٥) قتلى بين زمزم^(١٦) والركن^(١٧)

(١) الجعلان، الواحد جُعل من الحشرات: دويبة سوداء أكبر من الخنفساء.

(٢) مغلول: مقيد.

(٣) عرضت: أي أتيت إلى العروض، بفتح العين، وهو موضع يقع بين مكة والمدينة.

(٤) تعني: تقصد، تتوجّه إلى.

(٥) فوق الرامون: أي وضعوا نبالهم في سهامهم استعداداً للرمي.

(٦) تغني: تنفع. (٧) الأكراش، الواحد كرش.

(٨) الدمن، الواحدة دمنة، بكسر الدال: السريقين المتلبّد والبحر.

(٩) ليلة الدجن: الشديدة الظلمة.

(١٠) يجود بنفسه: يلفظ آخر أنفاسه.

(١١) تنوء به: تتعب كاهله، فلا يستطيع النهوض به.

(١٢) اللبن من الضرب: القاسي الذي لا يُحتمل.

(١٣) قضى نحبه: مات حتف أنفه.

(١٤) العائد: اللائذ، وكان عبد الله بن الزبير قد لجأ إلى الكعبة.

(١٥) صرّعت: قتلت.

(١٦) زمزم: بئر مكة المباركة.

(١٧) الركن من الكعبة المشرفة زاويتها، وهو الركن اليماني.

جعلتم لضرب الظَّهر منه عصيّكم
تُعذّر منه الآن لمّا قتلته
فلم أرَ وفداً كان للغدر عاقداً
وكنّت كذات الفسق لم تدرِ ما حوثُ^(٦)
جزى الله عني خالداً شرّاً ما جزى
قتلتهم أخاكم بالسياط سفاهةً
فلو أنكم أجهزتمْ إذ قتلتمْ!
وإنّي لأرجو أن أرى فيك ما ترى
قطعتْ من الأرحام ما كان واشجاً^(١١)
وأصبحتْ تسعى قاسطاً^(١٢) بكتيبةٍ
فلا تجز عن من سُنّةٍ قد سننتها

تُراوَحُه^(١)، والأُصْبَحِيَّةُ^(٢) للبطن
تَفَاوُتْ أَرْجاءَ القليبِ^(٣) من الشَّطْنِ^(٤)
كوفدك شدُّوا غير مُوفٍ ولا مُسني^(٥)
تخيّر حاليها أتسرق أم تنزي
وعُروّةً شرّاً، من خليلٍ^(٧)، ومن خِذْنِ^(٨)
فيا لك للرأي المضلل والأفْنِ^(٩)
ولكن قتلتم بالسياط وبالسَّجْنِ
به من عقاب الله ما دونه يُغني^(١٠)
على الشيب، وأبتعت المخافة بالأمن
تهدّم ما حول الحطيم^(١٣) ولا تبني
فما للدماء الدهر تُهَرِّق من حَقْنِ
[الطويل]

رثاؤه يعقوب بن طلحة :

أخبرني عمي قال : حدثني الخُرَّاز عن المدائني . قال : قتل يعقوب بن طلحة يومَ الحرّة^(١٤)، وكان يعقوبُ بنَ خالة يزيد بن معاوية . فقال يزيد : يا عجباً قاتلني كل أحد حتى ابن خالتي ! قال : وكان الذي جاء بنعيه إلى الكوفة رجل يقال له الكروّس ، فقال ابن الزبير الأسدي يرثيه :

لعمرك ما هذا بعيش فيبتغي هنيئ ولا موتٍ يُريح سريع

(١) تراوَحُه : تتعاقب عليه .

(٢) الأُصْبَحِيَّةُ : السوط ، ينسب إلى ذي أصبح أحد ملوك حمير .

(٣) القليب : البئر . (٤) الشطن : الجبل الطويل .

(٥) مسني : مرفوع . (٦) حوث المكاسب : حصلت عليها .

(٧) خليل : الصاحب ، الصديق ، الخدن . (٨) الخِذْن : الصاحب .

(٩) الأفْن : الكذب ، ضعف الرأي . (١٠) لا يُغني : لا ينفع .

(١١) الواشح : المترابط ، المتماسك . (١٢) القاسط : الظالم .

(١٣) الحطيم : موضع بين الركن والمقام وزمزم .

(١٤) يوم الحرّة : موقعة قتل فيها أمويون عدداً من أهل المدينة الذين خلعوا ولاية يزيد بن معاوية ، فوجه إليهم مسلم بن عقبة المرّي بالجيش الذي دخل عليهم من جهة الحرّة من ظاهر المدينة فسميت تلك الوقعة بذلك المكان . حدثت المعركة في ذي الحجة سنة ٦٣ هـ .

لعمري لقد جاء الكروّس كاظماً^(١) على أمرٍ سوءٍ حين شاع فظيع
نعى أسرةً يعقوبٌ منهم فأقفرت^(٢) منازلهم من رومة^(٣) فبقيع^(٤)
وكلهم غيثٌ^(٥) إذا قُحط الوري^(٦) ويعقوبٌ منهم للأنام ربيع
[الطويل]

وقال ابن الأعرابي: كان على ابن الزبير دين لجماعة، فلازموه ومنعوه التصرف
في حوائجه، وألح عليه غريم له من بني نهشل، يقال له: ذئب، فقال ابن الزبير:

أحابس كيد الفيل عن بطن مكة وأنت على ما شئت جمّ الفواضل^(٧)
أرحني من اللائي إذا حلّ دينهم يمشون في الدارات^(٨) مشي الأرامل
إذا دخلوا قالوا: السلام عليكم وغير السلام بالسلم يحاول
ألين إذا اشتدّ الغريم^(٩) وألتوي إذا اشتدّ حتى يُدرك الدين قابل^(١٠)
عرضت على «ذئب» ليأخذ بعض ما يحاوله قبل اشتغال الشواغل
تشاءب حتى قلت: داسع نفسه^(١١) وأخرج أنياباً له كالمعاول
[الطويل]

دخوله المدينة مع عبد الرحمن بن الحكم:

وقال ابن الأعرابي: استجار ابن الزبير بمروان بن الحكم وعبد الله بن عامر لما
هجا عبد الرحمن بن أمّ الحكم، فأجاراه وقاما بأمره، ودخل مع مروان إلى المدينة،
وقال في ذلك:

أجدي^(١٢) إلى مروان عدواً فقلّصي^(١٣) وإلا فروحي^(١٤) واغتدي^(١٥) لابن عامر

(١) كظم غيظه: أخفاه. (٢) أقفرت: بدت قفراء لا حياة فيها.

(٣) رومة من أراضي المدينة المنورة، حيث يوجد بئر رومة التي اشتراها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ووهبه لسائر المسلمين.

(٤) البقيع: مقبرة أهل المدينة. (٥) غيث: يفيضون كرمًا وعطاءً.

(٦) قحط الوري: أصاب الناس قحط ومحل وجفاف.

(٧) جمّ الفواضل: كثير النعم، عظيم الكرم.

(٨) الدارات، الواحدة دار: العرصة، أي ساحة الدار.

(٩) الغريم: الدائن. (١٠) القابل: أي العام القادم، التالي.

(١١) داسع نفسه: جعل نفسه تدسع ليتهيأ للانقضاء.

(١٢) أجدي: أسرع. (١٣) قلّصي: شمري واستمري بعدوك.

(١٤) رّوحي: انطلقني مع الصباح الباكر. (١٥) اغتدي: انطلقني مع الغدو من النهار.

إلى نفر حول النبيّ بيوتهم مكاريم للعافي^(١) رقاق المآزر^(٢)
 لهم سورة^(٣) في المجد قد علّمت لهم تُذبذب^(٤) باع المتعب المتقاصر^(٥)
 لهم عامر البطحاء من بطن مكة^(٦) ورومة^(٧) تسقي بالجمال القياس^(٨)

[الطويل]

وقال ابن الأعرابي: عرض قوم من أهل المدراء^(٩) لابن الزبير الأسدي في طريقه من الشام إلى الكوفة وقد نزل بقرقيسياء^(١٠) فاستعدوا^(١١) عليه زُفر بن الحارث الكلابي، وقالوا: إنه أموي الهوى، وكانت قيس يومئذ زُبيرية، وقرقيسياء وما والاها في يد ابن الزبير، فحبسه زفر أياماً وقيدته، وكان معه رفيق من بني أمية يقال له: أبو الحدراء، فرحل وتركه في حبسه أياماً، ثم تكلمت فيه جماعة من مضر، فأطلق، فقال في ذلك:

أغاد^(١٢) أبو الحدراء أم متروخ؟ كذاك النوى^(١٣) مما تجد وتمزح
 لعمري لقد كانت بلاد عريضة لي الروح^(١٤) فيها عنك والمنتسرخ^(١٥)
 ولكنه يدنو البغيض ويبعد الـ حبيب وينأى^(١٦) في المزار وينزح^(١٧)
 ألا ليت شعري هل أتى أم واصل كبول^(١٨) أعضوها بساقي تجرح
 إذا ما صرفت الكعب صاحت كأنها صريف خطاطيف^(١٩) بدلوين تمتح^(٢٠)

(١) العافي: طالب الإحسان والعون والعتاء. (٢) المآزر، الواحد مئزر: الملحفة.

(٣) السورة في المجد: علامته ودلائله البادية. (٤) تذبذب: تلوح لشدة تحركها واضطرابها.

(٥) المتقاصر: المقصر، العاجز.

(٦) البطحاء من بطن مكة: مسيلها حيث يكثر الحصى الدقيق.

(٧) رومة: أي بئر المدينة المعروفة بهذا الاسم.

(٨) القيسري من الجمال: القوي العظيم الجسم.

(٩) أهل المدراء: المتحضرين، ساكنو المدن.

(١٠) قرقيسياء: من مدن العراق، تقع على نهر الفرات.

(١١) استعدوا عليه: استعانوا عليه، واستنصروا به.

(١٢) أغاد: هل أنت سائر في الغداة. (١٣) النوى: البعد.

(١٤) الروح: راحة البال والطمأنينة. (١٥) المنسرخ: زوال الغم والهَم.

(١٦) ينأى: يبعد. (١٧) ينزح: يرحل.

(١٨) كبول، الواحد كيل: القيد العظيم.

(١٩) صريف خطاطيف، واحد الخطاطيف، خطاف: حديدة حجناء في جانبي البكرة فيها المحور،

وصريف خطاطيف: صوتها لدى استعمالها.

(٢٠) تمتح الماء من البئر: تستخرج.

تُبَغِّي أباهما في الرفاق وتنشني
أمرت حلّ وفدُ العراق وعودت
فإنك لا تدرين فيما أصابني
أظنّ أبو الحدراء سَجَنِي تجارةً
وَأَلَوِي^(١) به في لَجَّة^(٢) البحر تمسحُ^(٣)
تحنُّ بأبواب المدينة صيدحُ^(٤)
أريثك^(٥) أم تعجيل سَيرِكَ أنجحُ؟!
ترجى وما كان التجارة تُربحُ!
[الطويل]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي. قال: حدثنا الحسن بن عليل. قال: حدّثني محمد بن معاوية الأسدي. قال: لما قدم الحجاج الكوفة والياً عليها صعد المنبر، فخطبهم فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوىء الأخلاق، إن الشيطان قد باض وفرّخ في صدوركم، ودبّ ودرج في حجوركم^(٦)، فأنتم له دين، وهو لكم قرين^(٧)، ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ ثم حثّهم على اللحاق بالمهلب بن أبي صفرة، وأقسم ألا يجد منهم أحداً اسمه في جريدة المهلب بعد ثلاثة بالكوفة إلا قتله، فجاء عمير بن ضابئ البرجمي، فقال: أيّها الأمير، إني شيخ لا فضل فيّ، ولي ابن شابّ جلد^(٨)، فأقبله بدلاً مني؛ فقال له عنبسه بن سعيد بن العاص: أيّها الأمير، هذا جاء إلى عثمان، وهو مقتول، فرفسه وكسر ضلعين من أضلاعه، وهو يقول:

أين تركت ضابئاً يانعثل^(٩)

[الطويل]

فقال له الحجاج: فهلاً يومئذٍ بعثتَ بديلاً، يا حرسِي^(١٠)! اضرب عنقه، وسمع الحجاج ضوضاء، فقال: ما هذا؟ فقال: هذه البراجم جاءت لتنصر عميراً فيما ذكرت، فقال: اتحفوهم برأسه، فرموهم برأسه، فولوا هاربين، فازدحم الناس على الجسر للعبور إلى المهلب حتى غرق بعضهم، فقال عبد الله بن الزبير الأسدي:

أقول لإبراهيمَ لمّا لقيته أرى الأمر أمسى واهياً^(١١) متشعباً^(١٢)

(١) أَلَوِي به: ذهب به.

(٢) لَجَّة البحر: أعماقه.

(٣) تمسح: التمسح.

(٤) صيدح: اسم ناقة ذي الرقة.

(٥) الريث: التمهّل، الإبطاء.

(٦) الحجور، الواحد حجر: الأحضان.

(٧) قرين: صاحب، صديق، رفيق.

(٨) الجلد: القوي الصبور.

(٩) نعثل: رجل من أهل مصر، كان طويل اللحية، وكان عثمان رضي الله عنه إذا أرادوا أن يشنعوا عليه شبهه أعداؤه بنعثل تحقيراً.

(١٠) الحرسِي: من حرس السلطان.

(١١) واهياً: ضعيفاً.

(١٢) متشعباً: متفرقاً.

تخير فإما أن تزور ابن ضابئ
هما خُطّتا خَسَفٍ^(١) نجاؤك منهما
عميراً وإما أن تزور المهلباً
راكوبك حَولياً^(٢) من الثلج أشهباً^(٣)
رأها مكان السُّوق أو هي أقربا
فأضحى ولو كانت خراسان دونه
[الطويل]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني علي بن عثام الكلابيّ. قال: دخل عبد الله بن الزبير الأسديّ على مصعب بن الزبير بالكوفة لمّا وليها وقد مدحه، فاستأذنه الإنشاد، فلم يأذن له، وقال له: ألم تُسقط السماء علينا وتمنعنا قَطرها في مديحك لأسماء بنِ خارجة! ثم قال لبعض من حضر: أنشدها، فأنشده:

إذا مات ابن خارجة بن حصن
ولا رجع الوفود بغنم جيش
فلا مطرت على الأرض السماء
ولا حملت على الطُّهر النساء
ليوم منك خيرٌ من أناس
كثيرٍ حولهم نعمٌ وشاء
فبورك في بنيك وفي أبيهم
إذا ذكروا، ونحن لك الفداء
[الوافر]

فالتفت إليه مصعب، وقال له: اذهب إلى أسماء، فما لك عندنا شيء، فانصرف، وبلغ ذلك أسماء، فعوّضه حتى أرضاه، ثم عوّضه مصعب بعد ذلك، وخُصَّ به، وسمع مديحه، وأحسن عليه ثوابه.

قال ابن الأعرابي: لما ولي بشر بن مروان الكوفة أدنى عبد الله بن الزبير الأسديّ وبرّه وخصّه بأنسه، لعلمه بهواه في بني أمية، فقال يمدحه:

ألم ترني والحمد لله أنني
رعى ما رعى مروان منّي قبله
برئت وداواني بمعروفه بشر
فصَحَّتْ له مني النصيحة والشكر
ففي كل عام عاشه الدهر صالحاً
عليّ لربّ العالمين له نذر
إذا ما أبو مروان خلّى مكانه
فلا تهنأ الدنيا ولا يُرسل القطر
ولا يهنئ^(٤) الناس الولادة بينهم
ولا يبق فوق الأرض من أهلها شفر^(٥)

(١) الخسف: المهانة والذلّ.

(٢) الحولي من كلّ شيء: ما بلغ عمره سنة.

(٣) الأشهب: الأبيض، والثلج أبيض.

(٤) يهنئ: يسرّ.

(٥) شفر: واحد.

فليس البحور بالتي تخبرونني ولكن أبو مروان بشر هو البحر [الطويل]

وقال فيه أيضاً فذكر أمه قُطْبَةَ بنتِ بشر بن مالكٍ مُلاعب الأُسَّة :

جاءت به عُجْزٌ^(١) مقابلةٌ^(٢) ما هن من جَرم^(٣) ومن عُكَلٍ^(٤)
يا بشرُ يا ابن الجعفرية ما خَلَقَ الإله يديك للبخل
أنت ابن سادات لأجمعهم في بطن مكة عِزَّة الأصل
بحر من الأعياص^(٥) جُدن^(٦) به في مغرس للجود والفضل
متهلل^(٧) تندي^(٨) يدها إذا ضنَّ^(٩) السحاب بوابلٍ سَجَلٍ^(١٠)
[الطويل] [الكامل]

خبره مع الحجاج :

أخبرني عمي . قال : حدثنا الكُراني . قال : حدثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عيَّاش . قال : أخبرني مشيخة من بني أسد أن ابن الزبير الأسديّ لمّا قفل^(١١) من قتال الأزارقة صُوبَ^(١٢) بعثُ إلى الرِّيِّ ، قال : فكنت فيه ، وخرج الحجاج إلى القنطرة بعني قنطرة الكوفة التي بُزارة^(١٣) ليعرض الجيش ، فعرضهم ، وجعل يسأل عن رجلٍ رجلٍ من هو؟ فمر به ابن الزبير ، فسأله من هو؟ فأخبره ، فقال : أنت الذي تقول :

تخيّر فإما أن تزور ابن ضابئٍ عُميراً ، وإما أن تزور المهلبا [الطويل]

(١) العُجْزُ : الواحد عجوز .

(٢) المقابل : النبيل ذو الحسب من طرفه أمه وأبيه .

(٣) جَرم : بطنان من عرب اليمن ، بطن في قضاة ، وهم بنو جرم بن زبان ، والبطن الآخر في طيء ، وهم بنو ثعلبة بن عمرو بن الغوث بن طيء .

(٤) عُكَل : قبيلة يمتازون بقلّة عقولهم وغبائهم .

(٥) الأعياص من قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم أربعة : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ؛ ومنهم بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس .

(٦) جدن به : يُكرّم به . (٧) متهلّل : مشرق الوجه ضياءً وكرماً .

(٨) تندي يدها : تسيل عطاءً وكرماً . (٩) ضنَّ السحاب : بخل ، انقطع مطره .

(١٠) الوابل السجل : المنهمر بلا انقطاع . (١١) قفل : عاد ، رجع .

(١٢) صُوبَ : وجّه ، أرسل . (١٣) بزارة : موضع .

قال بلى، أنا الذي أقول:

ألم تر أني قد أخذتُ جعيلةً وكنت كمن قاد الجنيب^(١) فأسمحا^(٢)

[الطويل]

فقال له الحجاج: ذلك خير لك، فقال:

وأوقدت الأعداء يا مَيَّ فاعلمي بكلَّ شَرِّ^(٣) نارا فلم أرَ مجمحا^(٤)

فقال له الحجاج: قد كان بعض ذلك، فقال:

ولا يعدمُ الداعي إلى الخير تابعاً ولا يعدم الداعي إلى الشرِّ مجدحا^(٥)

[الطويل]

فقال له الحجاج: إن ذلك كذلك، فامضِ إلى بعثك، فمضى إلى بعثه فمات

بالرِّي .

مدح ابن أم الحكم فلم يعطه فهجاه:

أخبرني الحرَميُّ بن أبي العلاء. قال: حدثنا الزبير بن بكار. قال: حدثني عمي
قال: لما ولي عبد الرحمن بن أم الحكم الكوفة، مدحه عبد الله بن الزبير، فلم
يُثبِه^(٦)، وكان قدم في هيئة رثة، فلما اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتجرَّب فقال ابن الزبير
فيه:

تبَقَّلْتُ^(٧) لما أن أتيتَ بلادكم وفي مصرنا^(٨) أنت الهمام^(٩) القلمسُ^(١٠)

ألسْتُ ببغل أمه عربية أبوك حمار أدبر الظهر يُنخسُ^(١١)؟

[الطويل]

(١) الجنيب: كل طائع منقاد.

(٢) أسمح: انقاد بسلاسة دون صعوبة.

(٣) الشَرِّ: الناحية، الجانب.

(٤) المجمع: المفتر والمهرب والملاذ.

(٥) المجدح: المعين والمجيب دعوته.

(٦) لم يثبه: لم يمنحه جائزة على شعره.

(٧) تبَقَّلْتُ: خرجت طالباً الحصول على البقل، أي الرزق.

(٨) مصر: البلد.

(٩) الهمام: الملك العظيم.

(١٠) القلمس من الرجال: الواسع الحيلة في الملمات الصعبة.

(١١) يُنخس: يُهَيَّج، ويقال نخس الدابة أي غرز جنبها أو مؤخرها بعود أو نحوه، فهاجت.

قال: وكان بنو أمية إذا رأوا عبد الرحمن يلقبونه البغل، وغلبت عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلاً، يظنه يعرض به.

شعره في مقتل عبد الله بن الزبير:

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن العمري عن العُتبي. قال: لما قتل عبد الله بن الزبير صلب الحجاج جسده، وبعث برأسه إلى عبد الملك، فجلس على سريريه وأذن للناس فدخلوا عليه، فقام عبد الله بن الزبير الأسدي فاستأذنه في الكلام، فقال له: تكلم ولا تقل إلا خيراً، وتوخ الحق فيما تقوله، فأنشأ يقول:

مشى ابن الزبير القهقري فتقدمت أمية حتى أحرزوا القصبات
وجئت المجلي يا ابن مروان سابقاً أمام قريش تنفض العذرات^(١)
فلا زلت سباقاً إلى كل غاية من المجد نجاء^(٢) من الغمرات^(٣)
[الطويل]

قال: فقال له. أحسنت فسل حاجتك: فقال له: أنت أعلى عيناً بها وأرحب صدرأ يا أمير المؤمنين؛ فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة، ثم قال له: كيف قلت؟ فذهب يعيد هذه الأبيات، فقال: لا، ولكن أبياتك في المحل^(٤) في وفي الحجاج التي قلتها: فأنشده:

كأنني بعبد الله يركب ردعه^(٥) وفيه سنان زاعبي^(٦) محرب^(٧)
وقد فر عنه الملحدون وحلقت به وبمن آساه عنقاء مغرب^(٨)
تولوا فخلّوه فشال^(٩) بشلوه^(١٠) طويل من الأجداع^(١١) عار مشذب^(١٢)

(١) العذرات، الواحدة عذرة: الناصية.

(٣) الغمرات، الواحدة غمرة: الشدائد.

(٤) المحل: هو عبد الله بن الزبير الذي أباح القتال في الحرم المكي.

(٥) يركب ردعه: أي رُدع فلم يرتدع.

(٦) سنان زاعبي: رمح ممتلئ دماً.

(٧) محرب: محدّد.

(٨) العنقاء: الداهية، والعنقاء المغرب والمغربى: طائر مجهول الجسم لم يوجد ويقال في الأخبار عن هلاك الشيء وبطلانه، و«حلقت به في الجوّ عنقاء مغرب» أي هلك وبطل.

(٩) شال: رفع.

(١٠) الشلو: الجسد.

(١١) الأجداع، الواحد جذع.

(١٢) مشذب: مهذب حسن التذيب.

بَكْفِي غَلامٍ مِنْ ثَقِيفٍ نَمَتَ بِهِ قَرِيشٌ وَذُو الْمَجْدِ التَّلِيدِ^(١) مُعْتَبٌ
[الطويل]

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: لَا تَقُلْ غَلامٌ، وَلَكِنْ هُمَامٌ، وَكُتِبَ لَهُ إِلَى الْحِجَاكِ بِعَشْرَةِ
أَلْفِ دِرْهَمٍ أُخْرَى؛ وَاللَّهِ أَعْلَمُ.

هَجَاؤُهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ:

أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ. قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ
الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ مَجَالِدٍ. قَالَ: قَتَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ شِيعَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ قَوْمًا بَلَغَهُ أَنَّهُمْ
يَتَجَسَّسُونَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي ذَلِكَ يَهْجُوهُ وَيُعَيِّرُهُ بِفَعْلِهِ:

أَيُّهَا الْعَائِدُ^(٢) فِي مَكَّةَ كَمْ مِنْ دَمٍ أَهْرَقْتَهُ فِي غَيْرِ دَمٍ
أَيَّدُ عَائِدَةً مَعْصَمَةً وَيَدُ تَقْتُلُ مَنْ حَلَّ الْحَرَمَ!
[الرملي]

مدحه بشر بن مروان:

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: وَنَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ لِإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ فِيهِ إِصْلَاحَاتُ
بِخْطِهِ، وَالْكِتَابُ بِخَطِ النَّضْرِ بْنِ حَدِيدٍ مِنْ أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَشَعْرِهِ، قَالَ:
دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى بَشَرَ بْنِ مَرْوَانَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ كَانَ بِشَرٌّ خَلَعَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ
قَدْ بَلَغَ بِشَرًّا عَنْهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، فَجَفَاهُ^(٣)، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَجَعَلَ يَتَأَمَّلُ
مَنْ حَوَالِيهِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ، وَيُجِيلُ بَصَرَهُ فِيهِمْ كَالْمَتَعَجِّبِ مِنْ جَمَالِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ؛ فَقَالَ لَهُ
بَشَرٌ، إِنَّ نَظْرَكَ يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ لِيدَلُّ أَنْ وَرَاءَهُ قَوْلًا؛ فَقَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: قُلْ؛ فَقَالَ:

كَأَنَّ بَنِي أُمَيَّةٍ حَوْلَ بَشَرَ
هُوَ الْفَرْعُ الْمَقْدَّمُ مِنْ قَرِيشٍ
لَقَدْ عَمَتِ نَوَافِلُهُ^(٤) فَأُضْحَى
جَبَرَتْ مَهِيضُنَا^(٥) وَعَدَلَتْ فِينَا
نَجُومٌ وَسَطَهَا قَمَرٌ مَنِيرٌ
إِذَا أَخَذَتْ مَأْخَذَهَا الْأُمُورُ
غَنِيًّا مَنْ نَوَافِلِهِ الْفَقِيرُ
فَعَاشَ الْبَائِسُ الْكُلُّ^(٦) الْكَسِيرُ

(١) المجد التليد: الموروث عن الأجداد.

(٢) العائد: المحتمي، اللاجئ.

(٣) جفاه: نحاه وأبعده.

(٤) النوافل، الواحدة نافلة: العطاء.

(٥) المهيض: من كسرت جناحاه، فأصبح ضعيفاً لا معين له.

(٦) الكل: الضعيف، وهو من كان ثقیلاً على سواه ينتفع بماله ويحتمي بحماه.

فَأَنْتَ الْغَيْثُ^(١) قَدْ عَلِمْتُ قَرِيْشَ لَنَا، وَالْوَاكِفُ^(٢) الْجَوْنُ^(٣) الْمَطِيْرُ
[الوافر]

قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضي عنه، فقال ابن الزبير:

لِبِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى النَّاسِ نِعْمَةٌ تَرْوَحُ وَتَغْدُو لَا يُطَاقُ ثَوَابُهَا
بِهِ أَمَّنَ اللَّهُ النَّفْسَ مِنَ الرَّدَى وَكَانَتْ بِحَالٍ لَا يَقْرُ ذَبَابُهَا^(٤)
دَمَعَتْ^(٥) ذَوِي الْأَضْغَانِ^(٦) يَا بَشْرُ عُنُوَّةُ^(٧) بِسَيْفِكَ حَتَّى ذَلَّ مِنْهَا صِعَابُهَا^(٨)
وَكَنتَ لَنَا كَهْفًا^(٩) وَحِصْنًا وَمَعْقَلًا^(١٠) إِذَا الْفِتْنَةُ الصَّمَاءَ^(١١) طَارَتْ عُقَابُهَا^(١٢)
وَكَمَ لَكَ يَا بَشْرَ بْنَ مَرْوَانَ مِنْ يَدٍ مَهْدَبَةٍ بِيضَاءِ رَأْسِ ظِرَابُهَا^(١٣)
وَطَدْتَ^(١٤) لَنَا دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ بِحِلْمِكَ إِذْ هَرَّتْ^(١٥) سَفَاهَا^(١٦) كَلَابُهَا
وَسُدَّتْ ابْنَ مَرْوَانَ قَرِيْشًا وَغَيْرَهَا إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ^(١٧) قَلَّ سَحَابُهَا
رَأَيْتَ ثَانَا^(١٨) وَأَصْطَنَعْتَ أَيَادِيًا إِلَيْنَا وَنَارَ الْحَرْبِ ذَاكَ شِهَابُهَا^(١٩)
[الطويل]

شعره لبشر بن مروان:

قال النضر بن حديد في كتابه هذا: ودخل عبد الله بن الزبير إلى بشر بن مروان متعرّضاً له ويُسَمِّعُه بيتاً من شعره فيه، فقال له بشر: أراك متعرّضاً لأن أسمع منك، وهل أبقى أسماً بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودك شيئاً؟ لقد نزلت^(٢٠) فيه

- (١) الغيث: الخير، المطر.
(٢) الواكف: الممطر.
(٣) الجون من السحب: ما يختزن الماء.
(٤) لا يقرّ ذبابها: لا يسكن اضطرابها.
(٥) دمعت: فقت وعلوت.
(٦) الأضغان، الواحد ضغن: الأحقاد.
(٧) عنوة: غصباً، قهراً.
(٨) ذلّ صعبها: خضع لأكثر تمرّداً.
(٩) الكهف: الملجأ الحصين.
(١٠) المعقل: الحمى والمعتصم.
(١١) الفتنة الصماء: النكبة العظيمة التي لا يمكن التغلب عليها.
(١٢) العقاب، بضم العين: من جوارح الطير.
(١٣) الظراب، الواحد ظرب: الجبل المنبسط الذروة.
(١٤) وطدت: ثبتت.
(١٥) هرت الكلاب: أصدرت الكلاب صوتاً دون النباح.
(١٦) السفاه: الجهل.
(١٧) السنة الشهباء: التي لا غيم فيها، المنذرة بالجذب والمحل.
(١٨) الثآن: الإفساد.
(١٩) الشهاب: الاشتعال الشديد.
(٢٠) نزلت به بحرك: غيبته عن دياره غيبة بعيدة.

بحرك يا ابن الزبير؛ فقال: أصلح الله الأمير؛ إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً، وكانت له عندي أياد كثيرة، وكنت لمعروفه شاكراً، وأيادي الأمير عندي أجل، وأملي فيه أعظم، وإن كان قولي لا يحيط بها ففي فضل الأمير على أوليائه ما قبل به ميسورهم، وإن أذن لي في الإنشاد رجوت أن أوفق للصواب. فقال: هات، فقال:

تداركني^(١) بشر بن مروان بعد ما
غياث الضعاف المرملين^(٢) وعصمة الـ
قريع^(٣) قريش والهمام^(٤) الذي له
وقيس بن عيلان وخندف كلها
يداك ابن مروان يد تقتل العدا
إذا أمطرتنا منك يوماً سحابة
فلا زلت يا بشر بن مروان سيداً
فأنت المصطفى يا ابن مروان والذي
يرجئون فضل الله عند دعائكم
ولولا بنو مروان طاشت حلومنا^(٥)

تعاوت إلى شلوي^(٦) الذئب العواسل^(٧)
يتامى ومن تأوي إليه العباهل^(٨)
أقرت بنو قحطان طراً ووائل
أقرت وجن الأرض طراً وخابل^(٩)
وفي يدك الأخرى غياث ونائل^(١٠)
روينا بما جادت علينا الأنامل
يُهل^(١١) علينا منك طل^(١٢) ووابل^(١٣)
توافت^(١٤) إليه بالعطاء القبائل
إذا جمعتكم والحجيج المنازل
وكنّا فراشاً أحرقتها الشعائل
[الطويل]

شعره في أمير المؤمنين:

فأمر له بجائزة وكساه خلعة، وقال له: إني أريد أن أوفدك على أمير المؤمنين، فتهياً لذلك يا ابن الزبير، قال: أنا فاعل أيها الأمير، قال: فماذا تقول له إذا وفدت عليه ولقيته إن شاء الله. فارتجل من وقته هذه القصيدة، ثم قال:

- (١) تداركني: أسرع بإغاثتي ومساعدتي.
- (٢) العواسل، الواحد عاسل من الذئب: الذي يهز رأسه في عدوه المضطرب.
- (٣) المرملين: الفقراء الذين نفذ ما لديهم من زاد.
- (٤) العباهل، الواحد عبهل: هم الذين أخلصوا وفاءهم لملكهم فلا يبرحون عنه.
- (٥) قريع قريش: سيدها.
- (٦) الخابل: الجنى أو الشيطان.
- (٧) الهمام: الملك العظيم.
- (٨) غياث ونائل: عطاء قباض.
- (٩) يهل علينا: ينهمر، يسيل.
- (١٠) الوابل: المطر المستمر بغزارة.
- (١١) توافت: تسارعت إليه طالبة رفده.
- (١٢) طاشت حلومنا: ذهبت عقولنا.

(١) شلوي: جسدي.

أقول: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَصَمَتَنَا
وَأَطْفَأَتْ عَنَا نَارَ كُلِّ مَنَافِقٍ
نَمَتِهِ قُرُومٌ^(٥) مِنْ أُمِيَّةٍ لِلْعَلَا
هُوَ الْقَائِدُ الْمَيْمُونُ وَالْعِصْمَةُ الَّتِي
أَقَامَ لَنَا الدِّينَ الْقَوِيمَ بِحِلْمِهِ
أَخَوُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ بِهِ
إِذَا مَا سَأَلْنَا رَفَدَهُ^(٩) هَطَلَتْ لَنَا
حَلِيمٌ عَلَى الْجَهَّالِ مَنَا وَرَحْمَةٌ
بِشْرٍ مِنَ الدَّهْرِ الْكَثِيرِ الزَّلَازِلِ^(١)
بَأَبْيَضَ^(٢) بُهْلُولٍ^(٣) طَوِيلِ الْحِمَائِلِ^(٤)
إِذَا افْتَخَرَ الْأَقْوَامُ وَسَطَ الْمَحَافِلِ^(٦)
أَتَى حَقُّهَا فِينَا عَلَى كُلِّ بَاطِلٍ
وَرَأَى لَهُ فَضْلٌ عَلَى كُلِّ قَائِلٍ
نُجَادٌ وَنُسْقَى صَوْبَ^(٧) أَسْحَمِ هَاطِلِ^(٨)
سَحَابَةٍ كَفَّيْهِ بِجُودٍ^(١٠) وَوَابِلٍ
عَلَى كُلِّ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلٍ
[الطويل]

فقال بشر لجلسائه: كيف تسمعون؟ هذا والله الشعر، وهذه القدرة عليه! فقال له حَجَّارُ بْنُ أَبَجَرَ الْعَجَلِي، وكان من أشرف أهل الكوفة، وكان عظيم المنزلة عند بشر: هذا أصلح الله الأمير أشعر الناس وأحضرهم قولاً إذا أراد، فقال محمد بن عُمَيْرِ بْنِ عَطَّارِد - وكان عدواً لحَجَّار - أيها الأمير، إنه لشاعر، وأشعر منه الذي يقول:

لِبِشْرِ بْنِ مَرَوَانَ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
قَرِيعَ قَرِيشٍ وَالَّذِي بَاعَ مَالَهُ
يُنَافِسُ بِشْرٌ فِي السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى^(١٢)
فَكَمْ جَبَرْتُ^(١٣) كَفَّاكَ يَا بِشْرٌ مِنْ فَتَى
مَنْ الدَّهْرِ فَضْلٌ فِي الرِّخَاءِ وَفِي الْجَهْدِ
لِيَكْسِبَ حَمْدًا حِينَ لَا أَحَدٌ يَجْدِي^(١١)
لِيُحَرِّزَ غَايَاتِ الْمَكَارِمِ بِالْحَمْدِ
ضَرِيكَ^(١٤)، وَكَمْ عَيَّلْتُ^(١٥) قَوْمًا عَلَى عَمْدِ

(١) الزلازل، الواحد زلزال: المصائب المتتالية الشديدة.

(٢) الأبيض: السيف.

(٣) البهلُول، بضم الهاء: السيد الجامع لمكارم الأخلاق.

(٤) طويل الحمائل: كناية عن طول قامته، لاستطالة حمائل سيفه.

(٥) القروم، الواحد قروم: السادة الأبطال. (٦) المحافل، الواحد محفل: الجموع المحتشدة.

(٧) الصوب: المطر العميم.

(٨) أسحم هاطل: مطر أسود لكثرة غيومه المليئة بالماء.

(٩) الرفد: العطاء. (١٠) الجود: الكرم.

(١١) يُجْدِي: يُعْطِي. (١٢) السماحة والندى: الكرم، الجود.

(١٣) جبرت: أعانت وأصلحت. (١٤) الضريك من الفقراء: الشديد الفقر والبؤس.

(١٥) عيَّلت: أهملت قاصداً إعنات أعدائك.

وصيّرت ذا فقرٍ غنيّاً، ومثريّاً فقيراً، وكلاً قد حذوت^(١) بلا وعدٍ [الطويل]

فقال بشر: من يقول هذا؟ قال: الفرزدق، وكان بشر مغضباً عليه، فقال: ابعث إليه فأحضره، فقال له: هو غائب بالبصرة، وإنما قال هذه الأبيات وبعث بها لأنشدكها ولترضى عنه، فقال بشر: هيهات! لست راضياً عنه حتى يأتيني، فكتب محمد بن عمير إلى الفرزدق، فتهيأاً للقدوم على بشر، ثم بلغه أن البصرة قد جمعت له مع الكوفة، فأقام وانتظر قدومه، فقال عبد الله بن الزبير لمحمد بن عمير في مجلسه ذلك بحضرة بشر:

بني دارم^(٢) هل تعرفون محمداً^(٣) بدعوته^(٤) فيكم إذا الأمر حُققا
وساميتُم^(٥) قوماً كراماً بمجدكم وجاء سُكيتاً^(٦) آخر القوم مخفقاً^(٧)
فأصلك دُهمان بن نصرٍ فردّهم ولا تكُ وغداً في تميمٍ معلّقاً
فإن تميماً لست منهم ولا لهم أخاً يا ابن دُهمان فلا تكُ أحمقاً
ولولا أبو مروان لاقيت وإبلاً من السوط يُنسيك الرّحيق المعثّقاً^(٨)
أحين علاك الشيبُ أصبحت عاهراً وقلت: أسقني الصّهباء^(٩) صرفاً^(١٠) مروّقا^(١١)
تركت شراب المسلمين ودينهم وصاحبتُ وغداً من فزارة أزرقاً^(١٢)
تبيتان من شرب المدامة^(١٣) كالذي أتيج له حبلٌ فأضحى مخثّقاً^(١٤) [الطويل]

(١) حذوت: قدّرت.

(٢) دارم: هو دارم بن مالك بن حنظلة، بطن من تميم.

(٣) هو: محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زُرارة التميمي، سيد تميم الكوفة.

(٤) الدعوة، بكسر الدال: انتساب المرء إلى غير أبيه وعشيرته.

(٥) ساميتُم قوماً كراماً: تمكنتُم من التفوّق عليهم في أمجادكم.

(٦) السّكيت: الذي يصل إلى آخر حلبة السباق أخيراً.

(٧) مخفقاً: فاشلاً.

(٨) الرّحيق المعثّق: الخمرة التي عثّقت زماناً طويلاً في الدنّ.

(٩) الصّهباء: من أسماء الخمرة. (١٠) الصّرف، بكسر الصاد: الخالص.

(١١) المروّق من الخمرة: أطيبه.

(١٢) الأزرق: هو من كان أزرق العينين، وهو من يشبه بالروم، والعرب يكرهون ذلك.

(١٣) المدامة: من أسماء الخمرة.

(١٤) مخثّقاً: أي خنقه الحبل في رقبته.

فقال بشر: أقسمتُ عليك إلا كففتَ، فقال: أفعُلُ أصلحك الله، والله لولا مكانك لأنفذتُ حِصْنِيهِ^(١) بالحق، وكفَّ ابن الزبير وأحسن بشر جائزته وكُسوته، وشمّت^(٢) حَجَّار بن أبجر بمحمد بن عمير - وكان عدوّه - وأقبلت بنو أسد على ابن الزبير فقالوا: عليك غضب الله، أشمّت حَجَّاراً بمحمد، والله لا نرضى عنك حتى تهجّوه هجاء يرضى به محمد بن عمير عنك، أو لست تعلم أن الفرزدق أشعرُ العرب؟ قال: بلى، ولكن محمداً ظلمني وتعرّض لي، ولم أكن لأحلم عنه إذا فعل، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حَجَّاراً، فقال:

سليلاً النصرارى سُدت عَجلاً ولم تكن
ولكنهم كانوا لئاماً فسدتهم
وكيف بعجلٍ إن دنا الفصح^(٤) واغتدت
وعندك قسّيس النصرارى وُصّلبها
لذلك أهلاً أن تسود بني عجل^(٣)
ومثلك من ساد اللئام بلا عقل
عليك بنو عجل ومرجلكم^(٥) يغلي
وعانيّة^(٦) صهباء^(٧) مثل جنى النحل
[الطويل]

قال: فلما بلغ حَجَّاراً قوله شكاه إلى بشر بن مروان، فقال له بشر: هجوت حَجَّاراً؟ فقال: لا والله أعزّ الله الأمير، ما هجوته، لكنه كذب عليّ، فأتاه ناس من بني عجل وتهددوه بالقتل، فقال فيهم:

تهدّدني عجلٌ، وما خِلْتُ^(٨) أنني
وما خِلتني والدهر فيه عجائبٌ
وتوعدني بالقتل منهم عصابةٌ
وعجلٌ أسود في الرخاء، ثعالبٌ
خلاة^(٩) لعجلٍ والصليب لها بعل^(١٠)
أعمر حتى قد تهدّدني عجلٌ
وليس لهم في العزّ فرعٌ ولا أصلٌ
إذا التقت الأبطال واختلف النّبل

(١) الحِصْن: الجانب.

(٢) شمت: فرح بمصائب عدوّه.

(٣) بنو عجل: قبيلة من ربيعة، وهو عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

(٤) الفصح: من أعياد النصرارى، يكون بعد طول صيام، محلاً لفطرتهم.

(٥) المرجل: وعاء عظيم يُطبخ فيه.

(٦) عانية: محبوسة في مخبئها.

(٧) الصّهباء من الخمور: ما كانت حمراء أو شقراء.

(٨) خلت: ظننت.

(٩) الخلاة من البقول: المقلوع.

(١٠) البعل من النخيل: ما شرب بعروقه من غير سقي ولا ماء سماء.

فإن تلقنا عجل هناك فما لنا ولا لهم م الموت منجى ولا وعل^(١)
[الطويل]

منعه عبد الرحمن من الخروج إلى الشام:

وقال النضر في كتابه: لما منع عبد الرحمن بن أم الحكم عبد الله بن الزبير الخروج إلى الشام، وأراد حبسه، لجأ إلى سويد بن منجوف، واستجار به، فأخرجه مع بني شيبان من بلادهم، وأجازه^(٢) عمل ابن أم الحكم، فقال يمدحه:

ليس ورائي إن بلاد تجهمت^(٣) سويد بن منجوف وبكر بن وائل
حصون براها^(٤) الله لم ير مثلها طوال أعاليها شداد الأسافل
هم أصبحوا كنزي الذي لست تاركاً ونبلي التي أعددتها للمناضل
[الطويل]

وقال أيضاً في هذا الكتاب: جاء عبد الله بن الزبير يوماً إلى بشر بن مروان، فحجبه حاجبه، وجاء حجار بن أبحر فأذن له، وانصرف ابن الزبير يومئذ، ثم عاد بعد ذلك إلى بشر، وهو جالس جلوساً، فدخل إليه، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

ألم تر أن الله أعطى فخصنا ألم تر أن الله أعطى فخصنا
طلوع ثنايا^(٥) المجد، سام بطرفه^(٦) إذا سئل المعروف ليس بأوعرا^(٧)
فلولا أبو مروان بشر لقد غدت ركابي في فيف^(٨) من الأرض أغبرا
سراعاً إلى عبد العزيز^(٩) دوائباً تخلل زيتوناً بمصر وعرعر^(١٠)
وحارب في الإسلام بكر بن وائل كحرب كليب أو أمر وأمقرا^(١١)
إذا قادت الإسلام بكر بن وائل فهب^(١٢) ذاك ديناً قد تغير مهترا^(١٣)
بأي بلاء أم بأي نصيحة تقدم حجاراً أمامي ابن أبجرا

(١) الوعل: الملاذ، الملجأ. (٢) أجازه: أوكل إليه القيام بعمل.

(٣) تجهمت: إستقبلت بوجه عبوس. (٤) برأ الله: خلقها.

(٥) الثنايا، الواحدة ثنية: الطريق في الجبل. (٦) الطرف، بسكون الراء: النظر.

(٧) الأوعر: الصعب المسلك.

(٨) الفيف: المفازة الموحشة لا ماء فيها ولا بشر.

(٩) هو: عبد العزيز بن مروان، أخو بشر، ولي إمارة مصر من قبل أخيه عبد الملك.

(١٠) العرعر من الشجر: شجر السرو. (١١) أمقر: أمر.

(١٢) هب: عد ذلك. (١٣) مهترأ: فاسداً.

وما زلت مذ فارقت عثمان صادياً^(١) وألا ليتني قُدمت واللّه قبلهم بهم جُمع الشمل الشّتيت^(٤)، وأصلح الـ قضى اللّه: لا ينفكّ منهم خليفة فاعتذر إليه بشرّ ووصله وحمله، وأنكر على حاجبه ما تشكّاه، وأمر أن يأذن له عند إذنه لأخصّ أهله وأوليائه.

ومروان مُلتاحاً^(٢) عن الماء أزورا^(٣) وأن أخي مروان كان المؤخرا إلىه، وداوى الصّدع^(٥) حتى تجبّرا^(٦) كريم يسوس^(٧) الناس يركب منبرا [الطويل]

وقال النضر في كتابه هذا: كان الزّبير بن الأشيم - أبو عبد الله بن الزّبير - شاعراً، وكان لعبد الله بن الزّبير ابن يقال له الزّبير شاعر، فأما أبوه الزّبير بن الأشيم فهو الذي يقول:

ألا يا لقومي للرقاد^(٨) المؤزّق وهمّ الفتى بالأمر من دون نيله ويوم بصحراء البديدين^(٩) قِلتَه وذلك عيش قد مضى كان بعده وغير ما استنكرت يا أمّ وأصل فراق حبيب أو تغيّر حالة على أنني جلد^(١٣) صبور مرزأ^(١٤)

وللربّ - بعد الغبطة^(٩) - المتفرّق مراتب صعبات على كلّ مُرتقي بمنزلة النعمان وابن محرقّ أموراً أشابت^(١١) كلّ شأن ومفرّق حوادث إلا تكسر العظم تعرق^(١٢) من الدهر أو رام لشخصي مُفوّق وهل تترك الأيام شيئاً لمشفق؟ [الطويل]

وأما ابنه الزّبير بن عبد الله بن الزّبير، فهو الفائل يمدح محمد بن عُيينة بن أسماء بن خارجة الفزاري.

قالت عبدة موهناً^(١٥) أين اعتراك الهمّ أيّنه

(١) صادياً: شديد العطش.

(٢) الملتاح: المبعّد.

(٣) الأزور: المائل.

(٤) الشّتيت: المتفرّق.

(٥) الصّدع: الانشقاق، التّكسر.

(٦) تجبّر: تصلح ما فسد.

(٧) يسوس: يحكم.

(٨) الرقاد: النوم.

(٩) الغبطة: السرور، وراحة البال.

(١٠) صحراء البديدين: موضع.

(١١) أشابت: جعلته أشيب.

(١٢) تعرّق العظم: أكل ما عليه من لحم.

(١٣) الجلد، بسكون اللام: الصبور.

(١٤) المرزأ: أصابته الكوارث.

(١٥) الموهن: الليل.

هل تـبـلـغـنَّ بـك المـنـى ما كنت تأمل في عُيـنـه
 بـدُرْ لـه الشَّـيـم^(١) الكـرا ثم كاملات فاعتلـيـنـه
 والجـوع يـقـتـلـه النـدى^(٢) منه إذا قـحـطُ^(٣) تـريـنـه
 فـهـنـاك يـحـمـدـه الـورى^(٤) أخلاق غيركم اشتكينه
 قال: وهو القائل في بعض بني عمه .

ومولـى^(٥) كـدائـ البـطن أو فـوق دائـه يـزـيـد مـوالـي الصـدق خـيـراً وـيـنـقـصُ
 تـلـوـمـتُ^(٦) أـرجـو أن يـثـوب^(٧) فـيرـعـوي^(٨) به الحـلـم حـتى اسـتـيـأس المـتـربـصُ
 [الطويل]

هروبه إلى معاوية:

وقال النضر في كتابه هذا: لما هرب ابن الزبير من عبد الرحمن بن أم الحكم إلى معاوية، أحرق عبد الرحمن داره، فتظلم منه، وقال: أحرق لي داراً قد قامت عليّ بمائة ألف درهم، فقال معاوية: ما أعلم بالكوفة داراً أنفق عليها هذا القدر، فمن يعرف صحة ما ادعيت؟ قال: هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك، فقال معاوية للمنذر: ما عندك في هذا؟ قال: إني لم آبه^(٩) لنفقتة على داره ومبلغها، ولكني لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها، أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجاً من البصرة، ففعلت، فقال معاوية: إن داراً اشتري لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم! وأمر له بها، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه، ثم قال لهم: أيّ الشيخين عندكم أكذب؟ والله إني لأعرف داره، وما هي إلا خصاص قصب، ولكنهم يقولون فنسمع، ويخادعوننا فننخدع، فجعلوا يعجبون منه .

مدحه إبراهيم بن الأشتر:

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى . قالوا: حدثنا محمد بن زكريا

(١) الشيم، الواحدة شيمة: الأخلاق الفاضلة. (٢) الندى: الكرم.

(٣) القحط: الجذب، المحل. (٤) الورى: الخلق.

(٥) المولى: ابن العم. (٦) تلومت: تربصت.

(٧) يثوب: يرجع. (٨) يرعوي: يرتدع.

(٩) لم آبه: لم أهتم.

الغلابي عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عديّ. قال: أتى عبد الله بن الزبير إبراهيم بن الأشتر التّخعي. فقال له: إني قد مدحتك بأبيات فأسمعهنّ، فقال: إني لست أعطي الشعراء، فقال: اسمعها مني وترى رأيك، فقال: هات إذاً، فأنشده قوله:

أَللهَ أعطاك المهابة والتُّقى وأقرّ عينك يوم وقعة خازر^(١)
والخيل تعثر بالقنا المتكسّر إني مدحتك إذ نبا^(٢) بي منزلي
وذممتُ إخوان الغنى من معشر وعرفتُ أنك لا تخيّب مدحتي
ومتى أكن بسبيل خير أشكر فهلّم نحوي من يمينك نفحةً
إن الزمان ألح يا ابن الأشتر
[الكامل]

فقال: كم ترجو أن أعطيك؟ فقال: ألف درهم أصلح بها أمر نفسي وعيالي، فأمر له بعشرين ألف درهم:

صوت

ما هاج شوقك من بكاء حَمَامَةٍ تدعو إلى فنن^(٣) الأراك^(٤) حَمَامَا
تدعو أخا فرخين صادف ضارياً ذا مِخْلِبِينَ مِنَ الصَّقُورِ قَطَامَا^(٥)
إلا تذكرك الأوانس بعد ما قطع المطي سباسباً^(٦) وهِيَامَا^(٧)
[الكامل]

الشعر لثابت قُطنة؛ وقيل إنه لكعب الأشقري، والصحيح أنه لثابت، والغناء ليحيى المكي، خفيف ثقیل أول بالنصر، من رواية ابنه والهشامي أيضاً.

(١) خازر: نهر بين إربل والموصل.

(٢) نبا بي منزل: تنكر لي وأبعدني.

(٣) الفنن: الغصن.

(٤) الأراك، الواحدة أراكة: شجر ذو شوك طويل الساق، كثير الورق والأغصان.

(٥) صقر قطام: الصقر الحديد البصر الرافع رأسه للصيد.

(٦) السباسب، الواحد سبب: المفازة الموحشة لا ماء فيها ولا بشر.

(٧) الهُيام: العشق.

أخبار ثابت قُطنة ونسبه

هو ثابت بن كعب، وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب، ويكنى أبا العلاء، أخو بني أسد بن الحارث بن العتيك^(١)، وقيل: بل هو مولى لهم، ولقب قُطنة لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب الترك، فكان يجعل عليها قُطنة، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية، وكان في صحابة يزيد^(٢) بن المهلب، وكان يولّيه أعمالاً من أعمال الثغور، فيحمد فيها مكانه لكفايته وشجاعته.

فأخبرني إبراهيم بن أيوب. قال: حدثنا عبد الله بن مسلم بن قُتيبة، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد. قال: كان ثابت قُطنة قد ولي عملاً من أعمال خراسان، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام، فتعذّر عليه وحصر، فقال: (سيجعل الله بعد عُسْرٍ يُسْراً)، وبعد عِيٍّ بياناً، وأنتم إلى أمير فعّال، أحوج منكم إلى أميرٍ قوّال:

وإلا أكن فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيبٍ
[الطويل]

فبلغت كلماته خالد بن صفوان - ويقال الأحنف بن قيس - فقال: واللّه ما علا ذلك المنبر أخطب منه في كلماته هذه، ولو أن كلاماً استخفّني، فأخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له، لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها، وهذا الكلام بخالد بن صفوان أشبه منه بالأحنف.

صلاته الجمعة بالناس:

أخبرني محمد بن خلف وكيع. قال: حدثني أحمد بن زهير بن حرب، عن دَعْبِل بن علي، قال: كان يزيد بن المهلب تقدّم^(٣) إلى ثابت قُطنة في أن يصلي

(١) العتيك: هو العتيك بن الأزد، فخذ من الأزد.

(٢) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، ولي خراسان بعد وفاة أبيه سنة ٧٢هـ في خلافة عبد الملك بن مروان، وعزل عنها سنة ٨٦هـ، ثم كان والياً على العراق من قبل سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦هـ، ثم أعاده إلى ولاية خراسان سنة ٩٧هـ.

(٣) تقدّم إليه بأمرها: عهد إليه القيام به.

بالناس يوم الجمعة، فلما صعد المنبر ولم يُطِق الكلام، قال حاجب الفيل يهجوهُ:

أبا العلاء لقد لُقِّيتَ معضلةً يومَ العروبة^(١) من كربٍ وتخنيقٍ^(٢)
 أمّا القران^(٣) فلم تخلق لمحكمه ولم تسدّد من الدنيا لتوفيقِ
 لما رمتك عيون الناس هبتهم فكدتَ تشرق لما قمتَ بالريقِ
 تلوي اللسان وقد رُمّت الكلام به كما هوى زلقٌ من شاهق النيقِ^(٤)
 [البسيط]

أخبرني عمي. قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. قال: حدثني علي بن الصباح قال: كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازني - وهو حاجب الفيل، والفيل لقبه به ثابت قُطنة وكعب الأشقري - أن حاجباً دخل على يزيد بن المهلب، فلما مثل بين يديه أنشده:

إليك امتطيتُ العيس^(٥) تسعين ليلة أرَجِّي ندى كَفِّيك يا ابن المهلَّبِ
 وأنت امرؤٌ جادت سماء يمينه على كل حيٍّ بين شرق ومغربِ
 فجد لي بطرف^(٦) أعوجي^(٧) مشهَرٍ سليم الشظا^(٨) عَبل^(٩) القوائم سَلَهَبِ^(١٠)
 سبوح^(١١) طموح الطرف يستنُّ^(١٢) مرجم^(١٣) أمرٌ كإمرار الرِّشاء^(١٤) المشدَّبِ^(١٥)

(١) يوم العروبة: يوم الجمعة في الجاهلية.

(٢) تخنيق: تضيق، وسوء العيش.

(٣) القران، بتخفيف الهمزة من القرآن.

(٤) شاهق النيق: أعلى موضع في الجبل.

(٥) العيس من النياق: البيضاء التي تخالطها شقرة.

(٦) الطرف، بكسر الطاء من الجياد: الكريم.

(٧) الأعوجي: نسبة إلى أعوج، من جياد الخيل في الجاهلية، كان لبني هلال، تنسب إليه الخيول الكريمة.

(٨) سليم الشظا، والشظا: عظم لاصق بالركبة.

(٩) العبل: الضخم.

(١٠) السلهب من الخيول: الطويل.

(١١) السبوح من الخيول: الذي يعدو وكأنه يسبح بيديه.

(١٢) يستنُّ في عدوه: يعدو على وتيرة واحدة.

(١٣) المرجم من الجياد: الذي يرجم الأرض لشدة نشاطه بحوافره.

(١٤) الرِّشاء: الحبل.

(١٥) المشدَّب: المنسَّق.

طوى الضمُرُ منه البطن حتى كأنه
تُبادر جُنح الليل^(٣) فرخين أقويا^(٤)
فلما رأت صيداً تدلّت كأنها
فشكت سواد القلب^(٩) من ذئب قفرة
وسابغة^(١٢) قد أتقن القين^(١٣) صنعها
وأبيض^(١٦) من ماء الحديد كأنه
وقل لي إذا ما شئت في حومة الوغى^(٢٠)
فإنني امرؤٌ من عُصبة مازنية
عُقاب تدلّت من شماريخ^(١) كبكب^(٢)
من الزاد في قفر^(٥) من الأرض مجذب^(٦)
دلاء^(٧) تهاوى مرقباً بعد مرقب^(٨)
طويل القرى^(١٠) عاري العظام معصب^(١١)
وأسمر خطي^(١٤) طويل مُحرب^(١٥)
شهاب^(١٧) متى يلق الضريبة^(١٨) يقضب^(١٩)
تقدّم أو أركب حومة الموت أركب
نماني أبّ ضخم كريم المركب
[الطويل]

قال: فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس، وقال له: قد عرفت ما شرطت لنا على نفسك؟ فقال: أصلح الله الأمير، حجّتي بينة، وهي قول الله عز وجل: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦]. فقال له ثابت فطنة: ما أعجب ما وفدت به من بلدك في تسعين ليلة! مدحت الأمير ببيتين، وسألته حوائجك في عشرة أبيات، وختمت شعرك ببيت تفخر عليه فيه، حتى إذا أعطاك ما أردت حدثت عما شرطت له على نفسك فأكذبت بها كأنك كنت تخدعه، فقال له يزيد: مه يا ثابت، فإنّا لا نُخدع، ولكننا نتخادع،

- (١) الشماريخ، الواحد شمراخ، بكسر الشين: رأس الجبل.
- (٢) كبكب: جبل بعرفات في مكة.
- (٣) جنح الليل: قسم منه.
- (٤) أقويا: إفتقرا.
- (٥) القفر: المفازة الموحشة لا ماء فيها ولا بشر.
- (٦) الأرض المجذبة: القاحلة.
- (٧) الدلاء: الدلو.
- (٨) تهاوى بعد مرقب: سقط من مرتفع حيث يعلو رقيب.
- (٩) سواد القلب: حبه.
- (١٠) القرى: الظهر.
- (١١) المعصب: المتصور جوعاً.
- (١٢) السابغة من الدروع: المناسبة طولاً لمن يرتديها.
- (١٣) القين: الحداد.
- (١٤) أسمر خطي: الرمح المنسوبة إلى الخطّ، والخطّ مرفأً سفن في البحرين، كان سوقاً للتجارة بالرماح.
- (١٥) المحرب: المحدّد.
- (١٦) الأبيض: السيف.
- (١٧) الشهاب: الشعلة.
- (١٨) الضريبة: الضحية من الأعداء.
- (١٩) يقضب: يقطع.
- (٢٠) حومة الوغى: ساحة المعركة.

وسوَّغُه^(١) ما أعطاه، وأمر له بألفي درهم. ولجَّ حاجب يهجو ثابتاً فقال فيه:

لا يعرفُ الناسُ منه غير قُطنتِه وما سواها من الأنساب مجهولُ
[البسيط]

قال: ودخل حاجب يوماً على يزيد بن المهلب، وعنده ثابت قُطنة وكعب الأشقر - وكانا لا يفارقان مجلسه - فوقف بين يديه، فقال له: تكلم يا حاجب، فقال: يا أذن لي الأمير أن أنشده أبياتاً، قال: لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك، قال أيُّها الأمير، إنه ليس أحد ولو أطنب^(٢) في وصفك موفيك حقك، ولكن المجتهد محسن، فلا تهجني بمنع الإنشاد، وتأذن لي فيه، فإذا سمعت فجودك أوسع من مسألتي. فقال له يزيد: هات، فما زلت مُجيداً محسناً مجملاً. فأنشده:

كم من كمي^(٣) في الهياج تركته يهوي لفيه مُجدلاً^(٤) مقتولا
جللت مفرق رأسه ذارونق غضب^(٥) المهزّة^(٦) صارماً مصقولا
فُدت الجياد وأنت غرّ يافع حتى أكتهلت ولم تزل مأمولا
كم قد حربت^(٧) وقد جبرت معاشراً وكم امتننت وكم شفيت غليلاً^(٨)

فقال له يزيد: سل حاجتك، فقال: ما على الأمير بها خفاء، فقال: قل، قال: إذا لا أقصر ولا أستعظم عظيماً أسأله الأمير أعزّه الله مع عظم قدره، قال: أجل، فقل يُفعل، فلست بما تصير إليه أغبط^(٩) منا، قال: تحملني وتخدمني^(١٠) وتجزل^(١١) جائزتي، فأمر بخمسة تخوت^(١٢) ثياب وغلّامين وجاريتين وفرس وبغل وبرذون وخمسة آلاف درهم، فقال حاجب:

شم الغيث^(١٣) وانظر ويك^(١٤) أين تبعجت^(١٥) كلاه^(١٦) تجدّها في يد ابن المهلب

(١) سوَّغَه له: أعطاه وتركه له خاصاً.

(٢) أطنب: أطال في مدحه.

(٣) الكمي: البطل المدجج بسلاحه.

(٤) مُجدلاً: مقتولاً.

(٥) الغضب من السيوف: القاطع.

(٦) المهزّة: الحركة.

(٧) حربت الخصم: جرّده من كلّ ما يملك.

(٨) الغليل: الجحد، العطش الشديد.

(٩) أغبط: أسعد، أكثر سروراً.

(١٠) تحملني وتخدمني: تعطيني ما يحملني من دابة وتمنحني خادماً يقوم بخدمتي.

(١١) تجزل جائزتي: تعظمها.

(١٢) التجزّت، الواحد تخت: وعاء تُصان فيه الأثواب.

(١٣) شم الغيب: استطلع المطر وتشوّف إليه.

(١٤) ويك: اسم فعل مضارع بمعنى أعجب.

(١٥) تبعجت الأمطار: أبدت الغيوم أمطارها الغزيرة.

(١٦) كلى الغيوم: أسفلها.

يداه يدٌ يُخزي بها الله من عصي وفي يده الأخرى حياة المعصب^(١)
[الطويل]

قال: فحسده ثابتٌ قُطنة. وقال: والله لو على قدر شعرك أعطاك لما خرجت
بملاء كفك نوى، ولكنه أعطاك على قدره، وقام مغضباً، وقال لحاجب يزيد بن
المهلب: إنما فعل الأمير هذا ليضع منّا بإجزاله العطية لمثل هذا، وإلا فلو أنا اجتهدنا
في مديحه ما زادنا على هذا، وقال ثابت قُطنة يهجو حاجباً حينئذ:

أحاجبٌ لولا أنّ أصلك زايِفٌ وأنتك مطبوعٌ على اللؤم والكفر
وأني لو أكثرُ فيك مقصراً رमितك رمياً لا يبيد مدى الدهر^(٢)
فقل لي ولا تكذب فياني عالمٌ بمثلِكَ هل في مازنٍ لك من ظهر^(٣)؟
فإنك منهم غير شكٍ ولم يكن أبوك من الغرّ الجحاجة^(٤) الزُهر^(٥)
أبوك ديافي^(٦) وأُمك حُرّةٌ ولكنها لا شكّ وافية البظر^(٧)
فلست بهاج لابن دُبيان إنني سأكرم نفسي عن سباب ذوي الهُجر^(٨)
[الطويل]

هجاء حاجب له:

فقال حاجب: والله لا أَرْضى بهجاء ثابتٍ وحده، ولا بهجاء الأزد كلها، ولا
أَرْضى حتى أهجو اليمن طراً؛ فقال يهجوهم:

دعوني وقحطاناً وقولوا لثابت تنحّ ولا تقرب مُصاولة^(٩) البُزل^(١٠)
فللزنَج خيرٌ حين تُنسب والداً من أبناء قحطان العفاشلة^(١١) الغرل^(١٢)
أناسٌ إذا الهيجاء^(١٣) شبت^(١٤) رأيتهم أذلّ على وطء الهوان من النعل

(١) المعصب من البشر: من ضاقت به الحال فجاج، لذا راح يتعصب بالخرق.

(٢) مدى الدهر: مدى الزمن الطويل. (٣) من ظهر: من معين يقوى به ظهرك.

(٤) الجحاجة، الواحد جحجج: السادة الكرام.

(٥) الزهر: البيض الأحرار. (٦) ديافي: نسبة إلى دياف: إحدى قرى الشام.

(٧) وافية البظر: طاهرة الذيل، لا تقرب الزنا. (٨) الهُجر، بضم الهاء: الفحش قولاً وفعلاً.

(٩) المصاولة: المجاورة، المقارعة.

(١٠) البزل، الواحد بازل من الرجال: ذو التجربة في حياته.

(١١) العفاشلة، الواحد عفشل من الرجال: الثقيل الظل والبليد.

(١٢) الغرل، الواحد أغرل من الرجال: من لم يختن.

(١٣) الهيجاء: الحرب. (١٤) شبت: اشتعل أوارها واشتد.

نساؤهم فوضى لمن كان عاهراً وجيرانهم نهبُ الفوارس والرجل
[الطويل]

شعره عن نفسه :

أخبرني وكيع . قال : حدّثنا أحمد بن زهير . قال : وحدثني دِعل . قال : بلغني
أن ثابت قُطنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوماً . فقال :

لا يعرف الناسُ منه غير قُطنته وما سواها من الأنساب مجهولُ
[البسيط]

وقال : هذا بيت سوف أهجي به أو بمعناه ، وأنشده جماعة من أصحابه وأهل
الرواية . وقال : اشهدوا أنني قائله ، فقالوا : ويحك ما أردت إلا أن تهجو نفسك به ،
ولو بالغ عدوك ما زاد على هذا . فقال : لا بدّ من أن يقع على خاطر غيري ، فأكون قد
سبقتَه إليه ، فقالوا له : أما هذا فشر قد تعجلته ، ولعله لا يقع لغيرك ، فلما هجاه به
حاجب الفيل استشهدهم على أنه هو قائله ، فشهدوا على ذلك ، فقال يردّ على
حاجب :

هيّهات^(١) ذلك بيتٌ قد سُبقت به فاطلب له ثانياً يا حاجبَ الفيل
[البسيط]

أخبرني أحمد بن عثمان العسكري المؤدّب . قال : حدثنا الحسن بن عُليل
العنزي . قال : حدثنا قُعب بن المحرز الباهلي عن أبي عُبيدة ، قال : كان ثابت قُطنة
قد جالس قوماً من الشراة^(٢) وقوماً من المرجئة^(٣) كانوا يجتمعون فيتجادلون
بخراسان ، فمال إلى قول المرجئة وأحبه ، فلما اجتمعوا بعد ذلك أنشدتهم قصيدة قالها
في الإرجاء .

يا هندُ إنني أظن العيشَ قد نفداً^(٤) ولا أرى الأمر إلا مُدبراً نكداً^(٥)
إنني رهينة يوم لستُ سابقه إلا يكن يومنا هذا فقد أفداً^(٦)
بايعتُ ربي بيعاً إن وفيتُ به جاورتُ قتلى كراماً جاوروا أحداً^(٧)

(١) هيّهات : اسم فعل ماضٍ ، بمعنى بُعد .

(٢) الشراة : الخوارج ، وهم من سمّوا أنفسهم بالشراة .

(٣) المرجئة : من الفرق الإسلامية ، وهم من يُرجئون جزاء البشر إلى يوم الميعاد .

(٤) نفد : إنتهى ، فني .

(٥) النكد : المحزن .

(٦) أفد : اقترب ، حلّ وقته .

(٧) أحد : جبل في المدينة ، حدثت عنده ثاني معركة بين الإسلام الوليد والشرك .

أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لَمْ نَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا
وَنَصْدُقُ الْقَوْلَ فَيَمْنُ جَارٌ أَوْ عِنْدَا^(١)
وَالْمَشْرُكُونَ أَشْتَوَا^(٢) دِينَهُمْ قَدَا^(٣)
مِ النَّاسِ شِرْكَاءَ إِذَا مَا وَحَدُوا الصِّمْدَا
سَفَكَ الدِّمَاءَ طَرِيقًا وَاحِدًا جَدَا^(٤)
أَجَرَ التَّقِي إِذَا وَفَى الْحِسَابَ غَدَا
رَدُّ، وَمَا يَقْضِي مِنْ شَيْءٍ يَكُنْ رَشْدَا
وَلَوْ تَعَبَّدَ فِيمَا قَالَ وَاجْتَهَدَا
عَبْدَانِ لَمْ يُشْرِكَا بِاللَّهِ مَذْ عَبْدَا
شَقَّ الْعَصَا، وَبَعَيْنَ اللَّهِ مَا شَهْدَا
وَلَسْتُ أَدْرِي بِحَقِّ أَيُّهُ وَرَدَا
وَكُلُّ عَبْدٍ سِيلْقَى اللَّهَ مِنْفَرْدَا

[البسيط]

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب بخط المُرهبِي الكوفي في شعر ثابت قُطْنَة، قال: لما ولي سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أُمِيَّة خراسانَ بعد عزل عبد الرحمن بن نُعَيْم. جلس يعرض الناس وعنده حميد الرُّؤَاسِي وعبادة المحاربي، فلما دُعي بثابت قُطْنَة تقدّم، وكان تامّ السلاح، جواد الفرس، فارساً منَ الفرسان، فسأل عنه، فقليل: هذا ثابت قُطْنَة، وهو أحد فرسان الثغور، فأَمْضَاهُ وأجاز على اسمه، فلما انصرف، قال له حميد وعبادة: هذا أصلحك الله الذي يقول:

إِنَّا لَضَرَّابُونَ فِي حَمَسِ الْوَعْيِ^(٦) رَأْسُ الْخَلِيفَةِ إِنْ أَرَادَ صَدُودَا^(٧)

[الكامل]

فقال سعيد: عليّ به، فردّوه وهو يريد قتله، فلما أتاه قال له: أنت القائل:

إِنَّا لَضَرَّابُونَ فِي حَمَسِ الْوَعْيِ

- (١) عَدَد: مال، إنحرف.
(٢) أَشْتَوَا: تفرّقوا، تَشَتَّتُوا.
(٣) قَدَا: قطع مبدّدة.
(٤) جَدَا: قويم، مستقيم.
(٥) الشَّغْب: الفوضى المؤدّية إلى الشرور.
(٦) حَمَسِ الْوَعْيِ: اشتداد نار الحرب.
(٧) الصَّدُود: التمتع.

قال: نعم، أنا القائل:

إنا لضرّابون في حَمَسِ الوغى رأس المـتـوَجِّ إن أراد صُدودا

[الكامل]

عن طاعة الرحمن أو خلفائه إن رام إفساداً وكرَّ^(١) عُنودا^(٢)

[الكامل]

فقال له سعيد: أولى لك، لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك، قال: وبلغ ثابتاً ما قاله حُميد وعُبادَة، فأناه عُبادة معتذراً، فقال له: قد قبلت عذرَكَ، ولم يأتِه حميد، فقال ثابت يهجوهُ:

وما كان الجُنيد ولا أخوه حميدٌ من رؤوس في المعالي

فإن يك دِغفلُ أمسى رهيناً وزيدٌ^(٣) والمقيم إلى زوال^(٤)

فعندكم ابن بشرٍ فأسألوه بمرورُ الرُودِ^(٥) يصدّق في المقال

ويُخبر أنه عبدٌ زنيماً^(٦) لئيم الجَدِّ من عمٍّ وخالٍ

[الوافر]

قال واجتاز ثابت قُطنة في بعض أسفاره بمدينة كان أميرُها محمد بن مالك بن بدر الهمداني ثم الخيواني، وكان يُغمز في نسبه، وخطب إلى قوم من كِنْدَةَ فردّوه، فعرف خبر ثابت في نزوله، فلم يكرمه، ولا أمر له بقِرَى^(٧)، ولا تفقده بُنزل^(٨) ولا غيره، فلما رحل عنه، قال يهجوهُ ويعيّره برد من خطب إليه:

لو أنّ بكيلاً^(٩) هم قومه وكان أبوه أباً العاقب^(١٠)

لأكرمنا إذ مررنا به كرامة ذي الحسب الثاقب

(١) كرّ: إنحدف إلى ساحة المعركة.

(٢) عُنود: معاندة.

(٣) زيد: هو زيد بن الكيس النمري من ولد عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط.

(٤) زوال: نهاية.

(٥) مرو الروذ: مدينة في خراسان، حيث مات المهلب بن أبي صفرة.

(٦) الزنيماً: الدعي. ومن يمتاز بلؤم طبعه ومسلكه.

(٧) القِرَى، بكسر القاف: الضيافة.

(٨) النزل: المضافة من منزل وسواه.

(٩) بكيلاً: هو بكيلى بن جشم بن خيوان بن نوف بن حمدان.

(١٠) العاقب: من يُعقب أولاداً على شاكلته رفعة أو مذلة.

ولكنَّ خيوانَ هم قومُهم فبئس همُ القومُ للصَّاحِبِ
 وَأَنْتَ سَنِيذٌ^(١) بِهِمْ مُلْصَقٌ^(٢) كَمَا أَلْصَقْتُ رُقْعَةَ الشَّاعِبِ^(٣)
 وَحَسْبُكَ حَسْبُكَ عِنْدَ النَّثَا^(٤) بِأَفْعَالٍ كِنْدَةً مِنْ عَائِبِ
 خَطَبْتَ فَجَازُوكَ لِمَا خَطَبْتَ جِزَاءَ يَسَارٍ مِنْ الْكَاعِبِ^(٥)
 كَذَبْتَ فَزَيَّفْتَ عَقْدَ النِّكَاحِ لِمَتَّكَ^(٦) بِالنَّسَبِ الْكَاذِبِ
 فَلَا تَخْطُبْنِ بَعْدَهَا حُرَّةً فَتَثْنِي^(٧) بِوَسْمٍ^(٨) عَلَى الشَّارِبِ
 [المتقارب]

هجاؤه لقتيبة بن مسلم :

قال أبو الفرج : ونسخت من هذا الكتاب . قال : كان لثابت قُطْنَةٌ راوية يقال له النضر ، فهجا ثابت قُطْنَةَ ، قُتَيْبَةَ بن مسلم وقومه ، وعيَّرههم بهزيمةٍ انهزموها عن الترك ، فقال :

تَوَافَتْ تَمِيمٌ فِي الطَّعَانِ وَعَرَّدَتْ^(٩) بُهَيْلَةً^(١٠) لَمَّا عَايَنْتِ مَعْشَرًا غُلْبًا^(١١)
 كُفَمَاةً^(١٢) كَفَاةً يَرْهَبُ النَّاسُ حَدَّهُمْ إِذَا مَا مَشَوْا فِي الْحَرْبِ تَحْسِبُهُمْ نُكْبًا^(١٣)
 تُسَامُونَ كَعْبًا فِي الْعَلَا وَكَلَابَهَا وَهِيَهَاتَ^(١٤) أَنْ تَلْقُوا كَلَابًا وَلَا كَعْبًا
 [الطويل]

قال : فأفشى عليه راويته ما قاله ، فقال ثابت فيه وقد كان استكتمه هذه الأبيات :

يَا لَيْتَ لِي بِأَخِي نَضْرٍ أَخَا ثَقَةٍ لَا أَرْهَبُ الشَّرَّ مِنْهُ غَابَ أَمْ شَهِدَا
 أَصْبَحْتُ مِنْكَ عَلَى أَسْبَابٍ مَهْلَكَةٍ وَزَلَّةٍ خَائِفًا مِنْكَ الرَّدَى^(١٥) أَبَدَا

(١) السنيذ : الدعي الانتساب إلى غير أبويه . (٢) المُلْصَقُ : المتسبب إلى قوم ليس منهم أصلاً .

(٣) الشاعب : المفارق .

(٤) النَّثَا : الإخبار بالمرء بما هو فيه من حسن السلوك أو سيئه .

(٥) الكاعب من الجواري : التي تكعب ثدياها ونهدا .

(٦) المَتَّ : الادعاء بقراءة النسب . (٧) تَثْنَى : ترد .

(٨) الوسم : أثر الكي . (٩) عَرَّدَتْ : أوغلت هرباً .

(١٠) بُهَيْلَةٌ : تصغير باهلة ؛ وهم قوم قتيبة . (١١) الغُلْبُ ، الواحد أغلب : أي الغليظ الرقبة .

(١٢) الكَمَاة ، الواحد كَمَيَّ : البطل الشاكي السلاح .

(١٣) النكب من الرياح ، الواحدة نكبَاء : التي تهب من كل جهة في نفس الوقت .

(١٤) هيَهَاتَ : اسم فعل ماضٍ بمعنى بُعد .

(١٥) الرَّدَى : الهلاك ، الموت .

ما كنتَ إلا كذّاب السوء عارضُهُ
أو كابن آدم^(٣) خلّى عن أخيه وقد
أهمّ بالصرف أحياناً فيمنعني
أخوه يدمى ففرّى^(١) جلده قِدا^(٢)
أدمى حشاه^(٤) ولم يبسط إليه يدا^(٥)
حيّاً ربّيعه والعقد الذي عقدا
[البسيط]

رثاؤه المفضل بن المهلب :

ونسخت منه أيضاً. قال : لما قتل المفضل^(٦) بن المهلب دخل ثابت قُطنة على
هند بنت المهلب ، والناس حولها جلوس يعزّونها ، فأنشدها :

يا هندُ كيف بنصب^(٧) بات يُبكييني
كأنّ ليلي والأصداء^(٩) هاجدة^(١٠)
لَمّا حنى الدهر من قوسي^(١١) وعدّرتني
إذا ذكرتُ أبا غسان أرقّني^(١٢)
كان المفضل عزّاً في ذوي يمن
ما زلتُ بعدك في همّ تجيش^(١٦) به
إنّي تذكّرت قتلى لو شهدتهم
وعائر^(٨) في سواد الليل يؤذيني
ليل السّليم ، وأعياء من يُداويني
شيبني وقاسيت أمر الغلظ واللين
همّ إذا عرّس^(١٣) السّارون يُشجيني^(١٤)
وعصمة وثمالاً^(١٥) للمساكين
نفسى وفي نصب^(١٧) قد كاد يُبلييني^(١٨)
في حومة الموت لم يصلوا^(١٩) بها دوني

- (١) فرّى جلده : كشف ، مزّق .
(٢) القد : القدح : القطع المبدّدة ، المفترقة .
(٣) ابن آدم قابيل الذي قتل أخاه هابيل .
(٤) أدمى حشاه : مزّق .
(٥) لم يبسط إليه يدا : لم يُسعفه ويُعنه .
(٦) المفضل بن المهلب ثار على الأمويين وجمع جموعاً تصدى لهم مسلمة بن عبد الملك الذي قضى على سلطان آل المهلب ، وأعمل فيهم قتلاً ، فكان المفضل من ضحاياه .
(٧) النصب : الضيق ، الحرج ، المرض .
(٨) العائر : من أصيب بما يُعيقه من الرؤية من رمد وقذى وسواهما .
(٩) الأصداء ، الواحد صدى : الأصوات . (١٠) هاجدة : نائمة .
(١١) القوس : القامة .
(١٢) أرقّني : أزعجني ونفى عني الكرى فلم أنم .
(١٣) عرّس السارون : نزلوا للضيافة آخر الليل والاستراحة .
(١٤) يُشجيني : يُحزنني .
(١٥) الثمال : من يلجأ إليه كلّ محتاج ويجد عنده العون .
(١٦) تجيش به نفسي : تفور لشدة حزني .
(١٧) النصب : التعب .
(١٨) يُبلييني : يضيئني ، يهلكني .
(١٩) لم يصلوا بها دوني : لم يُقس حرّ قتلهم سواي .

لا خيرَ في العيش إن لم أجن بعدهم حرباً تُبَيء^(١) بهم قتلي فيشفوني
[البسيط]

فقلت له هند: اجلس يا ثابت، فقد قضيتَ الحقَّ، وما منَ المَريثة بُدٌّ، وكم من
ميتةٍ ميّتَ أشرفُ من حياةٍ حيٍّ، وليستِ المصيبةُ في قتلِ مَنْ استشهد ذاباً عن دينه،
مطيعاً لربِّه، وإنما المصيبةُ فيمن قَلَّتْ بصيرتُهُ، وخملَ ذكره بعد موته، وأرجو ألاَّ
يكونَ المفضلُ عند الله خاملاً، يقال: إنه ما عَزَيَّ يومئذٍ بأحسن من كلامها.

قال أبو الفرج: ونسخت من كتابه أيضاً قال: كان ابن الكوَّاء الشكري معَ
الشُّرة، والمهلب يحاربهم، وكان بعض بني أخيه شاعراً فهجا المهلب وعمَّ الأزد
بالهجاء، فقال لثابت: أجبه فقال له ثابت:

كلُّ القبائل من بكرٍ^(٢) نعدُّهم واليشكريُّون منهم ألامُ العربِ
أثرى لجيمٍ^(٣) وأثرى الحصن^(٤) إذ قعدتْ بيشكرٍ أمُّه المعرورة^(٥) النسبِ
نحَاكمُ عن حياضِ المجد^(٦) والدُّكم فما لكم في بني البرشاء^(٧) من نسبِ
أنتم تحلُّون من بكرٍ إذا نسبوا مثل القُرَادِ^(٨) حَوَالِي عَكوة^(٩) الذَّنْبِ
نُبِّت أن بني الكوَّاء قد نبخوا فعل الكلاب تتلَّى الليث^(١٠) في الأشُبِّ^(١١)
يكوي الأبيجر^(١٢) عبد الله شيخكم ونحن نبري الذي يكوي من الكلبِ
[البسيط]

كتابه إلى يزيد بن المهلب:

ونسخت من كتابه أيضاً. قال: كتب ثابت قُطنة إلى يزيد بن المهلب يحرضه:

- (١) تُبَيء بهم قتلي: أُنْتَقِم بقتل من قتلهم.
- (٢) بكر: هم من بكر بن وائل، ومنهم بنو يشكر بن وائل.
- (٣) أثرى لجيم: اغتنى لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.
- (٤) أثرى الحصن: اغتنى ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.
- (٥) المعرورة النسب: نسبها الملطخ بالشور.
- (٦) نحاكم عن حياض المجد: أبعدكم عن بلوغ المجد.
- (٧) البرشا: البرصاء، وهو داء، والبرشاء لقب والدته ذهل وشيبان وقيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، لقبت بذلك لبرش أصابها.
- (٨) القُرَاد، الواحدة قرودة: دويبة تتعلّق بالبعير ونحوه وهي كالقمل للإنسان.
- (٩) عكوة الذنب: أصله.
- (١٠) تتلَّى الليث: تتبع الأسد.
- (١١) الأشُب: شدّة التفاف الشجر وكثرته حتى لا يُجاز فيه.
- (١٢) الأبيجر، تصغير الأبيجر، وهو من عظمت بطنه.

إن امرأً حذبت^(١) ربيعة حوله
لضعيف ما ضمت جوانح صدره^(٣)
أيزيدكن في الحرب إذ هيَّجتها
شاورت أكرم من تناول ماجداً
ما كان في أبويك قادح^(٥) هُجنة^(٦)
إنالضرَّابون في حَمس الوغى^(٨)
وَقُرُّ إذا كفر العجاج^(٩) ترى لنا
يا ليت أسرتك الذين تغيّبوا
وترى مواطنهم إذا اختلف القنا^(١١)
والحيُّ من يمنٍ وهاب كئودا^(٢)
إن لم يلفَّ إلى الجنود جنودا
كأبيك لا رِعرشاً ولا رعديدا^(٤)
فرأيتُ همك في الهموم بعيداً
فيكون زندك في الزناد صلودا^(٧)
رأس المتوَجَّ إن أراد صدودا
في كل معركة فوارس صيدا^(١٠)
كانوا ليومك بالعراق شهودا
والمشرفيّة^(١٢) يلتظين^(١٣) وقودا
[الكامل]

فقال يزيد لما قرأ كتابه: إن ثابتاً لغافل عمّا نحن فيه، ولعمري لأطيعته، وسيرى ما يكون، فاكتبوا إليه بذلك.

أخبرني عمي. قال: حدثنا الكِراني عن العمري عن الهيثم بن عديّ. قال: أنشد مسلمةُ بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب قول ثابت قُطنة:

يا ليت أسرتك الذين تغيّبوا كانوا ليومك يا يزيدُ شهودا
[الكامل]

فقال مسلمة: وأنا والله لوددت أنهم كانوا شهوداً يومئذٍ، فسقيتهم بكأسه، قال: فكان مسلمة أحد من أجاب شعراً بكلام منشورٍ فغلبه.

(١) حذبت له: عطفت عليه وتحننت.

(٢) كئود: صعب المرتقى.

(٣) ضمت جوانح صدره: ما أضمرت وأخفت.

(٤) الرعش والرعيد: الجبان.

(٥) القادح: المشعل النار، الموري.

(٦) هُجنة: بضم الهاء: ما كان أحد الزنديين واريأ والآخر صالداً.

(٧) صلود: هو الزند الذي يصوّت ولا يُوري. (٨) حمس الوغى: اشتعال نار الحرب.

(٩) كفر العجاج: علا الغبار في مساحة المعركة.

(١٠) الصيد، الواحد أصيد من الفرسان: من يرفع رأسه شموخاً وأنفة.

(١١) اختلف القنا: تشاجرت الرماح.

(١٢) المشرفية: السيوف المنسوبة إلى مشارف بلاد الشام.

(١٣) يلتظين وقوداً: يتحرّقن اشتعالاً.

خطب امرأة، فدفعه عنها جويبر بن سعيد:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان. قال: حدثني عبيد الله بن أحمد بن محمد الكوفي قال: حدثني محمد القحزمي عن سليمان بن ناصح الأسدي. قال: خطب ثابت قُطنة امرأةً كان يميل إليها، فجعل السفير بينه وبينها جويبر بن سعيد المحدث، فاندس فخطبها لنفسه، فتزوجها ودفع عنها ثابتاً، فقال ثابت حين بان له الأمر:

أفشى عليّ مقالةً ما قلتها وسعى بأمرٍ كان غير سديدٍ
إني دعوت الله حين ظلمتني ربّي وليس لمن دعا ببعيدٍ
أن لا تزال متيماً^(١) بخريدة^(٢) تسبي الرجال بمقلتين وجيدٍ
حتى إذا وجب الصّدق تلّستُ لك جلد أغضف^(٣) بارز بصعيد^(٤)
تدعو عليك الحاريات مبرة^(٥) فترى الطلاق وأنت غير حميدٍ
[الكامل]

قال: فلقني جويبر كلّ ما دعا عليه ثابت به، ولحقه من المرأة كلّ شرٍّ وضُرٍّ حتى طلقها بعد أن قبضت صداقها منه.

رثاؤه يزيد بن المهلب:

أخبرني جعفر بن قدامة. قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه. قال: كان ثابت قُطنة مع يزيد بن المهلب في يوم العُقر^(٦) فلما خذله أهل العراق وفروا عنه فقتل، قال ثابت قُطنة يرثيه:

كلّ القبائل بايعوك على الذي تدعو إليه وتابِعوك وساروا
حتى إذا حمس الوغى^(٧) وجعلتهم نصبَ الأسنّة أسلموك^(٨) وطاروا
إن يقتلوك فإنّ قتلَكَ لم يكن عاراً عليك، وبعضُ قتل عارٍ
[الكامل]

(١) متيماً: متعلّقاً قلبك، هائماً حبّاً. (٢) الخريدة من الفتيات: من لم تمسّ.

(٣) الأغضف: الكلب. (٤) الصعيد: وجه الأرض.

(٥) المبرة: الغالبة، القاهرة.

(٦) يوم العُقر، والعُقر: موضع ببابل قرب كربلاء من الكوفة، ويوم العُقر: موقعة دارت رحاها بين مسلمة بن عبد الملك ويزيد بن المهلب الذي قتل في المعركة.

(٧) حمس الوغى: اشتعال نار الحرب. (٨) أسلموك: تخلّوا عنك وفروا.

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب المرهبي قال: كانت ربيعة لما حلفت اليمن وحشدت مع يزيد بن المهلب تنزل حواليه هي والأزد، فاستبطأته ربيعة في بعض الأمر، فشغبت^(١) عليه حتى أرضاها فيه، فقال ثابت قُطنة يهجوهم:

عصافير تنزّو^(٢) في الفساد، وفي الوغى إذا راعها روع^(٣) جَمَامِيحَ بَرُوقِ
[الطويل]

الجماميح: ما نبت على رؤوس القصب مجتمعاً، وواحدة جماح، فإذا دُقّ تطاير. وبروق: نبت ضعيف.

أَحْلَمَ عَنْ ذِبَّان^(٤) بكر بن وائل ويعلق من نفسي الأذى كلَّ مَعْلَقِ
أَلَمْ أَكْ قَدْ قَلَّدْتُكُمْ طَوْقَ خِزْيَةٍ وَأَنْكَلْتُ عَنْكُمْ فَيْكُمُ كُلُّ مُلْصِقِ^(٥)
لِعَمْرُكَ مَا اسْتَخْلَفْتُ بَكَراً لِيَشْغَبُوا عَلَيَّ، وَمَا فِي جِلْفِكُمْ مِنْ مُعْلَقِ^(٦)
ضَمَمْتُكُمْ ضَمّاً إِلَيَّ وَأَنْتُمْ شَتَاتٌ^(٧) كَفَقَعَ الْقَاعَةُ الْمُتَفَرِّقِ
فَأَنْتُمْ عَلَى الْأَدْنَى أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ^(٨) وَأَنْتُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ خِزَّانٌ^(٩) سَمْلَقِ^(١٠)

[الطويل]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان. قال: حدثني أبو بكر العامري قال: قال القحذمي: دخل ثابت قُطنة على بعض أمراء خراسان - أظنه قُتَيْبَةَ^(١١) بن مسلم - فمدحه وسأله حاجة، فلم يقضها له، فخرج من بين يديه وقال لأصحابه: لكن يزيد بن المهلب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردني عنه، وأنشأ يقول:

أَبَا خَالِدٍ لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ سُوقَةٌ^(١٢) وَلَا مَلِكٌ مِمَّنْ يُعِينُ عَلَى الرَّفْدِ^(١٣)

(١) شغبت: هيّجت الشرّ عليه.

(٢) تنزو: تتواثب.

(٣) راعها روع: أخافها وأرعها.

(٤) الذبّان: الذباب.

(٥) أنكلت عنكم كل ملصق: أبعدته بقوة.

(٦) المعلق: أي من يعتمد عليه ويؤمل بنفعه وخيره.

(٧) الشتات: المتفرقون.

(٨) أسود خفّية، وخفّية أجمة في سواد الكوفة، تنسب إليها الأسود.

(٩) الخزان، الواحد خُزَز من الأرناب: الذكر، يمتاز بجبنه.

(١٠) السملق: الأرض المستوية الجرداء لا نبات فيها ولا شجر.

(١١) ولّى الحجاج قُتَيْبَةَ بن مسلم خراسان بعد يزيد بن المهلب سنة ٨٦هـ، وقتل سنة ٩٦هـ.

(١٢) السوقة: العامة من الناس.

(١٣) الرفد: العطاء.

ولا فاعلٌ يرجو المقلّون^(١) فضله ولا قائلٌ ينكا^(٢) العدو على حقدٍ
لو أنّ المنايا^(٣) سامحتْ ذا حَفِيْظَة^(٤) لأكرمته أو عُجن^(٥) عنه على عمدٍ
[الطويل]

شعره في قومه :

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد . قال : حدثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيْدَةَ . قال :
عتب ثابت قُطْنَة على قومه من الأزد في حال استنصر عليها بعضهم فلم ينصره فقال
في ذلك :

تعففتُ عن شتم العشيرة إنني وجدتُ أبي قد عفّ عن شتمها قبلي
حليماً إذا ما الحِلْم كان مروءةً وأجهل أحياناً إذا ألتمسوا جهلي
[الطويل]

أخبرني عمي قال : حدثني العنزّي عن مسعود بن بشر . قال : كان ثابت
قُطْنَة بخراسان ، فوليها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد لعبد الملك بن
مروان ، فأقام بها مدّة ، ثم كتب إلى عبد الملك : «إن خراج خُراسان لا يفي
بمطبخي» ، وكان أمية يحمّق ، فرفع ثابت قُطْنَة إلى البريد^(٦) رقعة . وقال :
أوصِل هذه معك ، فلما أتى عبد الملك أوصل إليه كتاب أمية ، ثم نثل كنانته^(٧)
بين يديه فقرأ ما فيها ، حتى أنتهى إلى رقعة ثابت قُطْنَة ، فقرأها ثم عزله عن
خراسان .

صوت

طربْتُ وهاج لي ذاك أذكّارا^(٨) بكشّ^(٩) وقد أطلت به الحصارا

(١) المقلّون : الفقراء ، العفاة .

(٢) ينكا العدو : يهزمه ويذله .

(٣) المنايا ، الواحدة منية : الموت .

(٤) الحفيظة : الحفاظ للذبّ عن المحارم والمنع لها .

(٥) عُجن عنه : انصرف عنه .

(٦) البريد : الرسول .

(٧) نثل كنانته : نشر ما فيها من النبال .

(٨) الأذكّار : الذكريات .

(٩) كشّ : إحدى قرى أصفهان بفارس .

وكنْتُ أَلذَّ بعض العيش حتى كبرتُ وصار لي همي شِعَارا
رَأَيْتُ الغانيات^(١) كرهن وصلي وأبدين الصَّريمة^(٢) لي جِهَارا^(٣)
[الوافر]

الشعر لكعب الأشقري، ويقال إنه لثابت قُطنة، والصحيح أنه لكعب، والغناء
للهدلي، ثاني ثقل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وذكر في نسخته الثانية أن هذا اللحن
لَقَفَا النَجَّار.

(١) الغانيات، الواحدة غانية: التي اغتنت بجمالها عن التزين، أو التي اغتنت بزوجهما عن سواه من الرجال.

(٢) الصريمة: القطيعة.

(٣) جهاراً: علانية.

أخبار كعب الأشقري ونسبه

هو كعب بن معدان الأشقريّ، والأشاعر^(١): قبيلة من الأزد، وأمه من عبد القيس، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان، من أصحاب المهلب والمذكورين في حروبه للأزارقة، وأوفده المهلب إلى الحجاج، وأوفده الحجاج إلى عبد الملك.

أخبرني محمد بن خلف وكيع. قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة. قال: حدثنا أبي قال حدثنا وهب بن جرير. قال: حدثنا أبي عن قتادة. قال: سمعت الفرزدق يقول: شعراء الإسلام أربعة: أنا، وجرير، والأخطل، وكعب الأشقريّ.

أخبرني وكيع. قال: حدثني أحمد بن أبي خيثمة. قال: حدثنا أبي. قال: حدثنا وهب بن جرير. قال: حدثنا أبي عن المتلمّس. قال: قلت للفرزدق: يا أبا فراس، أشعرت أنه قد نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له «كعب؟» فقال الفرزدق: «إي والذي خلق الشعر».

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد، وأخبرني عمي، قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن العُتبي - واللفظ له وخبره أتم - قال: أوفد المهلب بن أبي صُفرة كعباً الأشقريّ ومعه مَرّة بن التليد الأزدّي إلى الحجاج بخبر وقعة كانت له مع الأزارقة، فلما قدما عليه ودخلا داره بدر كعب بن معدان فأنشد الحجاج قوله:

يا حفص إني عداني^(٢) عنكم السفر
وقد سهرت فاذي عيني السهر
علقت يا كعب بعد الشيب غانية^(٣)
والشيب فيه عن الأهواء مزدجر^(٤)

(١) الأشاعر، الواحد أشعر: هم بنو عائذ بن دوس.

(٢) عداني عنكم: صرفني وشغلني السفر.

(٣) علقت غانية: تيمّنتني من اغتنت بجمالها عن التزّين.

(٤) مزدجر: منع ونهي.

أَمَمْسَكُ أَنْتَ مِنْهَا بِالَّذِي عَهَدْتُ ذَكَرْتُ خَوْدًا^(٤) بِأَعْلَى الطَّفِّ^(٥) مِنْزَلَهَا وَقَدْ تَرَكْتُ بِشَطَّ الزَّابِيَيْنِ^(٦) لَهَا وَاخْتَرْتُ دَارًا بِهَا قَوْمَ أُسْرُ بِهِمْ أَبَا سَعِيدٍ فَإِنِّي سَرْتُ مَنْتَجِعًا^(٧) لَوْلَا الْمَهْلَبُ مَا زُرْنَا بِلَادَهُمْ وَمَا مِنَ النَّاسِ مِنْ حَيٍّ عِلْمَتُهُمْ

أَم حَبْلَهَا^(١) إِذْ نَأَتْكَ^(٢) الْيَوْمَ مَنبَتُرُ^(٣)؟ فِي غُرْفَةٍ دُونَهَا الْأَبْوَابُ وَالْحِجْرُ دَارًا بِهَا يَسْعُدُ الْبَادُونَ وَالْحَضَرُ مَا زَالِ فِيهِمْ لِمَنْ تَخْتَارُهُمْ خَيْرُ وَطَالِبُ الْخَيْرِ مُرْتَادٌ وَمَنْتَظَرُ مَا دَامَتِ الْأَرْضُ فِيهَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ إِلَّا يُرَى فِيهِمْ مِنْ سَيْبِكُمْ^(٨) أَثَرُ

[البسيط]

وهي قصيدة طويلة قد ذكرها الرواة في الخبر، فتركت ذكرها لطولها^(٩)، يقول فيها:

فَمَا يَجَاوِزُ بَابَ الْجَسْرِ مِنْ أَحَدٍ كُنَّا نَهْوَنَ قَبْلَ الْيَوْمِ شَأْنَهُمْ لَمَّا وَهَنَّا^(١٢) وَقَدْ حَلُّوا بِسَاحَتِنَا نَادَى امْرُؤٌ لَا خِلَافَ فِي عَشِيرَتِهِ

قَدْ عَضَّتْ الْحَرْبُ أَهْلَ الْمَصْرِ فَانْجَحُوا^(١٠) حَتَّى تَفَاقَمَ^(١١) أَمْرٌ كَانَ يُحْتَقَرُ وَأَسْتَنْفَرَ النَّاسَ^(١٣) تَارَاتٍ فَمَا نَفَرُوا عَنْهُ وَلَيْسَ بِهِ مِنْ مِثْلِهَا قِصَرُ

[البسيط]

حتى انتهى إلى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهلب في بلدٍ بلد، فقال:

خَبُّوا كَمِينَهُمْ بِالسَّفْحِ إِذْ نَزَلُوا بَكَارَرُونَ^(١٤) فَمَا عَزَّوْا وَمَا نَصَرُوا

- (١) الحبل: أي العلاقة والقرب.
- (٢) نأتك: بعدت عنك.
- (٣) منبتُر: منقطع.
- (٤) الخود من الشابات: الجميلة الحسنة الخلق.
- (٥) الطف: موضع قرب الكوفة.
- (٦) الزابيان: نهران أسفل الفرات بين الموصل وتكريت.
- (٧) منتجعاً: قاصداً، طالباً الخير.
- (٨) سيبكم: رفقكم، عطاؤكم.
- (٩) وردت القصيدة كاملة في تاريخ الطبري وعدد أبياتها ثلاثة وثمانون بيتاً.
- (١٠) انجحوا: انكمشوا على أنفسهم، تقوقعوا على ذواتهم جنباً.
- (١١) تفاقم أمره: تعاضم شره.
- (١٢) هنّا: ضعفنا، وذلنا.
- (١٣) استنفر الناس: أثارهم لينجدوه وينصروه.
- (١٤) كازرون: من مدن فارس تقع بين البحرين وشيراز. أورد الطبري «عبوا جنودهم» بدلاً من «خبوا كمينهم».

باتت كتائبنا تَردي^(١) مسومةً^(٢) حول المهلب حتى نور القمر^(٣)
 هناك ولّوا خزايا بعد ما هُزموا وحال دونهم الأنهار والجُدُر^(٤)
 تأبى علينا حزازات النفوس فما نُبقي عليهم ولا يُبقون إن قدروا
 [البيط]

فضحك الحجاج، وقال له: إنك لمنصف يا كعب، ثم قال الحجاج: أخطيب أنت أم شاعر؟ فقال: شاعر وخطيب. فقال له: كيف كانت حالكم مع عدوكم؟ قال: كنا إذا لقيناهم بعفونا وعفوهم، فغفوههم تأنيسٌ منهم، فإذا لقيناهم بجهدنا وجهدهم طمعنا فيهم، قال: فكيف كان بنو المهلب؟ قال: حماة للحريم نهاراً، وفرسان بالليل أيقاظاً، قال: فأين السماع من العيان؟ قال: السماع دون العيان، قال: صفهم رجلاً رجلاً، قال: المغيرة فارسهم وسيدهم، نار ذاكية، وصعدة^(٥) عالية، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً، ليث غاب، وبحر جُم العباب، وجوادهم قبيصة، ليث المغار، وحامي الذمار^(٦) ولا يستحي الشجاع أن يفر من مُدرك، فكيف لا يفر من الموت الحاضر، والأسد الخادر^(٧) وعبد الملك سَمّ ناقع، وسيف قاطع، وحبیب الموت الذعاف^(٨)، إنما هو طود شامخ^(٩)، وفخر باذخ^(١٠)، وأبو عُيينة البطل الهمام، والسيف الحسام، وكفالك بالمفضل نجدة، ليث هُدّار، وبحر موار^(١١)، ومحمد ليث غاب، وحسام ضراب، قال: فأيتهم أفضل؟ قال: هم كالحلقة المفرغة لا يُعرف طرفاها، قال: فكيف جماعة الناس؟ قال: على أحسن حال، أدركوا ما رَجَوْا، وأمنوا مما خافوا، وأرضاهم العدل، وأغناهم النفل^(١٢)، قال: فكيف رضاهم عن المهلب؟ قال: أحسن رضا، وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد، ولا يعدم منهم برّ الولد؟

(١) تردي الخيول بحوافرها: ترجم الأرض.

(٢) الخيل المسومة: التي يقودها فرسانها ويوجهونها إلى حيث يريدون.

(٣) نور القمر: بدا نوره.

(٤) الجُدُر، الواحد جدار.

(٥) الصعدة العالية: القناة المستوية التي تنتصب قائمة.

(٦) الذمار: كل ما يتوجب على المرء حمايته، من مال وعرض وأرض.

(٧) الأسد الخادر: المقيم في عرينه رخي البال.

(٨) الموت الذعاف: السريع الشديد.

(٩) الطود الشامخ: الجبل العالي.

(١٠) فخر باذخ: مجد رفيع.

(١١) بحر موار: صاحب لشدة موجه.

(١٢) أغناهم النفل: جعلهم العطاء أغنياء.

قال: فكيف فاتكم قطري؟ قال: كدناه فتحول عن منزله ووطن أنه قد كادنا، قال: فهلاً تبعتموه! قال: حال الليل بيننا وبينه، فكان التحرز^(١) - إلى أن يقع العيان، ويعلم امرؤ ما يصنع - أحزم، وكان الحدّ عندنا أثر من الفلّ، فقال له المهلب: كان أعلم بك حيث بعثك وأمر له بعشرة آلاف درهم، وحمله على فرس، وأوفده على عبد الملك بن مروان فأمر له بعشرة آلاف أخرى.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار. قال: حدثني أبو عمرو بُندار الكرجي قال: حدثنا أبو غسان التميمي عن أبي عبيدة. قال: كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء: تشبهوني مرةً بالأسد، ومرةً بالبازي، ومرةً بالصقر، ألا قلت كما قال كعب الأشقرى في المهلب وولده!

براك الله^(٢) حين براك بحراً
بنوك السابقون إلى المعالي
كأنهم نجومٌ حول بدرٍ
ملوك ينزلون بكلّ ثغرٍ
رزان^(٧) في الأمور ترى عليهم
نجومٌ يهتدى بهم إذا ما
وفجر منك أنهاراً غزارا
إذا ما أعظم الناس الخطارا^(٣)
دراري^(٤) تكمل فاستدارا
إذا ما الهام^(٥) يوم الرّوع^(٦) طارا
من الشيخ الشمائل^(٨) والنجارا^(٩)
أخو الظلماء في الغمرات^(١٠) حارا
[الوافر]

وهذه الأبيات من القصيدة التي أولها:

طربتُ وهاج لي ذاك أذكارا

التي فيها الغناء:

أخبرني محمد بن الحسين الكندي. قال: حدثنا غسان بن ذكوان الأهوازي. قال: ذكر العتبي أن زياداً الأعجم هاجى كعباً الأشقرى، واتصل الهجاء بينهما، ثم غلبه زياد، وكان سبب ذلك أن شراً وقع بين الأزد وبين عبد القيس، وحرباً سكنها

(١) التحرز: الاحتراس.

(٢) براك الله: خلقك.

(٣) أعظم الناس الخطار: استعظموا المخاطرة والمحاولة.

(٤) النجوم الدراري: المشعة بنورها الساطع.

(٥) الهام، الواحدة هامة: الرؤوس.

(٦) يوم الرّوع: يوم المعركة.

(٧) رزان، الواحد رزين: عقلاء يُحسنون التصرف.

(٨) الشمائل، الواحدة شميلة: الأخلاق والصفات.

(٩) النجار: الأصول، الأنساب.

(١٠) الغمرات، الواحدة غمرة: المهالك والحروب.

المهلب وأصلح بينهم، وتحمل ما أحدثه كل فريق على الآخر، وأدى دياته، فقال كعب يهجو عبد القيس:

إني وإن كنت فرع الأزد قد علموا أخزى إذا قيل عبد القيس أخوالي
فيهم أبو مالك بالمجد شرفني ودنس^(١) العبد عبد القيس سربالي^(٢)
[البسيط]

قال: فبلغ قوله زياداً الأعجم فغضب وقال: يا عجباً للعبد بن العبد بن الحيتان والسرطان^(٣)، يقول هذا في عبد القيس، وهو يعلم موضعي فيهم! والله لأدعته وقومه غرضاً لكل لسان، ثم قال يهجو:

نبئت أشقر تهجوناً فقلت لهم: ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
لا يكثرون وإن طالت حياتهم ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا
قوم من الحسب الأدنى بمنزلة كالفقع بالقاع لا أصل ولا ورق
إن الأشاقر قد أضحوا بمنزلة لو يرهنون بنعلي عبدنا غلقوا^(٤)
[البسيط]

قال: وقال فيه أيضاً:

هل تسمع الأزد ما يقال لها في ساحة الدار أم بها صمم؟
إختن القوم^(٥) بعد ما هرموا واستعربوا ضلة^(٦) وهم عجم
[المنسرح]

قال: فشكاه كعب إلى المهلب وأنشده هذين البيتين، وقال: والله ما عني بهما غيرك، ولقد عمّ بالهجاء قومك، فقال المهلب: أنت أسمعنا هذا وأطلقت لسانه فينا به، وقد كنت غنياً عن هجاء عبد القيس وفيهم مثل زياد، فاكفف عن ذكره، فإنك أنت بدأته، ثم دعا بزياد فعاتبه، فقال: أيها الأمير، اسمع ما قال فيّ وفي قومي فإن كنت ظلمته فانتصر، وإلا فالحجة عليه، ولا حجة على امرئ انتصر لنفسه وحسبه وعشيرته، وأنشده قول كعب فيهم:

- (١) دنس: لطخ، وسخ.
- (٢) سربالي: ردائي، ثوبي.
- (٣) السرطان: دابة تسمى عقرب بالماء.
- (٤) لو يرهنون بنعلي عبدنا غلقوا: أي لغاز المرتهن بالرهن لأن صاحبه لم يوفق بفك ما رهن.
- (٥) إختن القوم: قاموا بعملية الاختتان، وذلك من طبيعة المسلمين.
- (٦) استعربوا ضلة: ادّعوا أنهم عرب وهم ضالّون في دعوهم.

لعلَّ عُبيد القيس تحسب أنها يضعضع عبد القيس في الناس منصب إذا شاع أمرُ الناس وانشقت العصا
كتغلب في يوم الحفيظة^(١) أو بكرٍ دنيءٌ وأحسابٌ جُبرن على كسرٍ
فإنَّ لُكيزاً^(٢) لا تريش^(٣) ولا تبرى [الطويل]

فقال المهلب: قد قلت له أيضاً، قال: لا والله ما انتصرت، ولولاك ما قصرت
وأيَّ انتصار في قولي له:

يا أيُّها الجاهل الجاري ليُدركني يا كعبُ لا تكُ كالعنز التي بحثت
أقصر فإنك إن أدركت مصروعُ عن حتفها وجناب الأرض مربوعُ
[البسيط]

وقولي:

لئن نصبت لي الرّوقين مُعترضاً إن المآثر والأحساب أورثني
لأرميَنَّك رمياً غيرَ ترفيعٍ منها المجاميع ذكراً غيرَ موضوع
[البسيط]

يعني مجاعة بن مرّة الحنفي، ومجاعة بن عمرو بن عبد القيس، فأقسم عليهما
المهلب أن يصطلحا، فاصطلحا وتكافأ، ومما هجا كعبُ الأشقرى عبد القيس به قوله:

ثوى^(٤) عامين في الجيف اللواتي أحبُّ إليَّ من ظلٍّ وكن^(٥)
مطرحة على باب الفصيل^(٦) لعبد القيس في أصل الفسيل^(٧)
إذا ثار الفسَاء بهم تغنّوا أَلَمْ تربع على الدّمن^(٨) المثلّ؟
تظلّ لها ضباباتٌ علينا موانعُ من مَبِيتٍ أو مقيل
[الوافر]

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب للنضر بن حديد: كانت ربيعة واليمن

(١) يوم الحفيظة: يوم تدعو الأمور للدفاع عن الأحساب والأعراض والوطن والأموال.

(٢) لكيز: هو لكيز بن أفصى بن عبد القيس.

(٣) لا تريش: إي لا تضع في السهام الريش لتقاتل لجنهم.

(٤) ثوى عامين: أقام، لبث في مكانه.

(٥) الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

(٦) الكن: السكن.

(٧) الفسيل: الواحدة فسيلة من النخل: الصغيرة.

(٨) الدمن: السرقيين والزبل.

متحالفَةً، فكان المهلب وابنه يزيد يُنزِلان هاتين القبيلتين في محلتهمَا، فقال كعبُ الأشقرِي ليزيد:

لا تَرْجُونِ هِنَائِيًّا^(١) لصالحةٍ وأَجْعَلُهُمْ وَهْدَادًا^(٢) أسوةَ الحمرِ^(٣)
حيَّانٍ مالهما في الأزْدِ ماثرةً^(٤) غير النواكة^(٥) والإفراط في الهذرِ^(٦)
واجعل لُكيزاً وراءَ الناس كلهم أهل الفسَاء وأهل النَّتن والقذرِ
قومٌ علينا ضابُّ من فُسائهم حتى ترانا له ميذاً^(٧) من السكرِ
أبلغُ يزيد بأنَّا ليس ينفعنا عيشٌ رغيذٌ ولا شيءٌ من العطرِ
حتى تحلَّ لُكيزاً^(٨) فوق مدرجةٍ^(٩) من الرياح على الأحياء من مُضرِ
ليأخذوا النزار حظَّ سُبَّتِها كما أخذنا بحظِّ الحلف والصهرِ
[البسيط]

أخبرني محمد بن خلف وكيع. قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب. قال: حدثنا أبي قال: كتب الحجاج بن يوسف إلى المهلب يأمره بمناجزة^(١٠) الأزارقة ويستبطئه ويضعفه، ويعجزه في تأخيرهِ أمرهم ومطاولتهم، فقال المهلب لرسوله: قل له: إنما البلاء أن الأمر إلى من يملكه لا إلى من يعرفه، فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم عليّ أن أدبرها كما أرى، فإن أمكنتني الفرصة انتهرتها، وإن لم تمكّني توقفت، فأنا أدبر ذلك بما يصلحه، وإن أردت مني أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب، فإن كان صواباً فلك، وإن كان خطأ فعليّ، فابعث من رأيت مكاني، وكتب من فوره بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك: لا تعارض المهلب فيما يراه ولا تُعجله، ودعه يدبر أمره، وقام الأشقرِي إلى المهلب فأنشده بحضرة رسول الحجاج:

(١) هنائي: نسبة إلى هناء، وهم بنو هناء بن عمرو بن الغوث بن طيء.

(٢) هداد: من أحياء اليمن.

(٣) أسوة الحمر: يساوون الحمير لغبائهم.

(٤) الماثرة: المفخرة.

(٥) النواكة: الحمافة، الغفلة.

(٦) الهذر: الثثرة بلا فائدة.

(٧) الميد: حالة من دوار ناتج عن الإكثار من شرب الخمر أو من دوار البحر.

(٨) هو: لكيز بن أفصى من عبد القيس، من سلالة ربيعة بن نزار أخي مضر بن نزار.

(٩) المدرجة: الطريق المطروقة السهلة.

(١٠) المناجزة: المقارعة، المقاتلة.

إن ابن يوسف غرّه من غزوكم
لو شاهد الصفّين حين تلاقيا
من أرض سابور^(١) الجنود، وخيلنا
من كلّ خنذيذ^(٢) يرى بلبانه^(٣)
ورأى معاودة الربّاع^(٤) غنيمة
فدع الحروب لشيبيها وشبابها
خفض المقام بجانب الأمصار
ضاقت عليه رحبة الأقطار
مثل القداح^(٥) بريتها بشفار
وقع الطّباة^(٦) مع القنا الخطّار^(٧)
أزمان كان محالف الإقتار^(٨)
وعليك كلّ خريدة^(٩) معطار^(١٠)
[الكامل]

فبلغت أبياته الحجاج، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقرى إليه، فأعلم المهلب كعباً بذلك، وأوفده إلى عبد الملك من تحت ليلته، وكتب إليه يستوهمه منه، فقدم كعب على عبد الملك، واستنشدته فأعجبه ما سمع منه، فأوفده إلى الحجاج، وكتب إليه يُقسم عليه أن يعفو عنه ويُعرض عمّا بلغه من شعره، فلما وصل إليه ودخل عليه قال: إيه يا كعب.

ورأى معاودة الربّاع غنيمة

فقال له: أيها الأمير، واللّه لقد ودّدت في بعض ما شاهدته في تلك الحروب وأزلماتها، وما يُوردناه المهلب من خطرهما، أن أنجو منها وأكون حجّاماً أو حائكاً، فقال له الحجاج: أولى لك، لولا قسم أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع، فالحقّ بصاحبك، وردّه من وقته.

هروبه إلى عُمان:

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب النضر بن حديد: لما عُزل يزيد بن المهلب عن خراسان ووليها قُتيبة بن مسلم، مدحه كعب الأشقرى، ونال من يزيد وثلبه، ثم بلغته ولاية يزيد على خراسان، فهرب إلى عُمان على طريق الطّبيين وقال:

- (١) أرض سابور: إحدى كور فارس.
- (٢) الخنذيذ: الشجاع.
- (٣) الطّباة، الواحدة طّبة: حدّ السيف، شفرته.
- (٤) القنا الخطّار الرمح اللّين الشديد الاهتزاز.
- (٥) الرباع: حسن الحال.
- (٦) الإقتار: البخل.
- (٧) الخريدة من الجوّاري: البكر لم تمس قطّ، الحيّة الطويلة السكوت الخافضة الصوت.
- (٨) المعطار من النسوة: التي تكثر الاهتمام بمظهرها فتتطيّب وتكثر من الطيب.

وإني تاركٌ مرواً^(١) ورائي إلى الطُبسين^(٢) معتماً^(٣) عُمانا
لأوي معقلاً فيها وحرزاً^(٤) فكُنّا أهل ثروتها^(٥) زمانا
[الوافر]

فأقام بعمان مدةً ثم اجتواها^(٦)، وساءت حاله بها، فكتب إلى المهلب معندراً:
بئسَ التبذل من مروٍ وساكنها أرضُ عُمانَ وسُكنى^(٧) تحت أطواد^(٨)
يُضحى السحاب مطيراً دون منصفها^(٩) كأنَّ أجبالها عُلت^(١٠) بفرصاد^(١١)
يا لهف نفسي على أمرٍ خطلت^(١٢) به وما شفيت به غمري^(١٣) وأحقادي
أفنيْتُ خمسين عاماً في مديحك ثم أغتررت بقول الظالم العادي
أبلغ يزيد قرين الجود مألكة^(١٤) بأنَّ كعباً أسيرٌ بين أصفاد^(١٥)
فإن عفوت فبيْتُ الجود بيتكم والدهر طوران^(١٦) من غيٍّ وإرشاد
وإن مننت بصفحٍ أو سمحت به نزعتُ نحوك أطنابي^(١٧) وأوتادي
[البسيط]

وذكر المدائني أنَّ يزيد بن المهلب حبسه ودسَّ إليه ابن أخ له فقتله:

شعره في مقتل بني الأهم:

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب النضر أيضاً أنَّ الحجاج كتب إلى يزيد بن
المهلب يأمره بقتل بني الأهم، فكتب إليه يزيد: إن بني الأهم أصحاب مقال وليسوا
بأصحاب فعال، فلا تقدّر أن نحدّث فيهم ضرراً، وفي قتلهم عار وسُبة؛ واستوهم
منه، فتغافل عنهم، ثم أنضموا إلى المفضل بن المهلب، فكتب إليه الحجاج يأمره

- (١) مرو: هي مرو الشاهجان، إحدى قصب خراسان وأشهر مدنها.
- (٢) الطبسين: هما اثنتان، طبس العناب، والأخرى طبس التمر. والعرب تسميها باب خراسان لأنهم
لما قصدوا فتح خراسان في خلافة عثمان كانت أول فتوحهم.
- (٣) المعتم: المختار.
- (٤) الحرز: الملجأ الأمين.
- (٥) الثروة: أي كثرة الأموال والأولاد.
- (٦) اجتداها: كرهها لفساد أجوائها.
- (٧) السكنى: الإقامة.
- (٨) الأطواد، الواحد طود: الجبل المرتفع.
- (٩) منصفها: وسطها.
- (١٠) عُلت: ضُمخت.
- (١١) الفرصاد: صبغ أحمر.
- (١٢) خطلت: هذست به نفسي، وحدثني.
- (١٣) غمري: حقدتي، حقتي.
- (١٤) مألكة: رسالة.
- (١٥) الأصفاد، الواحد صفد: القيود، الأغلال. (١٦) طوران: حالتان من غيٍّ وإرشاد.
- (١٧) الأطناب، الواحد طنّب: الحبال الطويلة يشدّ بها الخباء.

بقتلهم، فكتب إليه بمثل ما كتب به أخوه، فأعفاهم، ثم ولى قتيبة بن مسلم، فخرجوا إليه والتقوا معه، وذكروا بني المهلب فعابوهم؛ فقبلهم قتيبة واحتوى عليهم^(١)، فكانوا يُغرون^(٢) الجند عليه ويحملونهم على سوء الطاعة، فكتب يشكوهم إلى الحجاج، فكتب إليه يأمره بقتلهم، فقتلهم جميعاً، فقال كعب الأشقرى في ذلك:

قل للأهاتم من يعود بفضلـه بعد المفضل والأغرّ يزيد
ردّاً صحائف حَتَفكم بمعاذر رجعتْ أشائِم طيركم بسعود
ردّاً على الحجاج فيكم أمره فجزيتُم إحسانه بجحود^(٣)
فاليوم فاعتبروا فإعال أخيكـم إن القياس لجاهل ورشيد
[الكامل]

قال أبو الفرج: ونسخت من كتابه أيضاً قال: ولى يزيد بن المهلب رجلاً من اليعلم^(٤) يقال له عمر بن عُمير الزَّم، فلقبه كعب الأشقرى فقال له: أنت شيخ من الأزد يوليك الزَّم. ويولّي ربيعة الأعمال السنية، وأنشده:

لقد فازت ربيعةً بالمعالي وفاز اليعلمدي بعهد زَم^(٥)
فإن تك راضياً منهم بهذا فزادك رُبُّنا غمّاً بغم
إذا الأزدي وضّح عارضاه^(٦) وكانت أمّه من حيّ جرم
فثمّ حماقة لا شكّ فيها مُقابله فَمِنْ خالٍ وعم
[الوافر]

فردّ اليعلمدي عهد يزيد عليه، فحلف لا يستعمله سنة، فلما أجمعت^(٧) به المؤونة قال لكعب:

لو كنت خلّيتني يا كعب متّكئاً في دور زَم لما أقفرتُ من علف
ومن نبيلٍ ومن لحم أعلُّ به لكنّ شعرك أمرٌ كان من حرفي
إنّ الشقي بمرّو من أقام بها يُقارعُ السوق من بيع ومن حلف
[البسيط]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدثني الرياشي عن الأصمعي. قال: قال كعب الأشقرى يهجو زياداً الأعجم:

- (١) احتوى عليهم: جمعهم تحت كنفه.
- (٢) يُغرون: يُثيرون.
- (٣) الجحود: كفران الإحسان والتّكرّ له.
- (٤) اليعلم: أب لبطن من الأزد.
- (٥) الزَّم: بلد بشط جيحون.
- (٦) وضّح عارضاه: شاب جانباً وجهه.
- (٧) أجمعت به المؤونة: اقتربت منه.

وأُقلِف^(١) صَلَّى بعد ما ناك أمّه يرى ذاك في دين المجوس حالاً
[البسيط]

فقال له زياد: يا ابن النمامة أهى أخبرتك أني أقلِف؟ فغلبه زياد.
والقصيدة التي أولها:

طربْتُ وهاج لي ذاك أدكارا

شعر له فيه غناء:

وفيه الغناء المذكور بذكره خبر كعب الأشقر، يمدح بها المهلب بن أبي صفرة
ويذكر قتاله الأزارقة، وفيها يقول بعد الأبيات التي فيها الغناء:

غَرَضْن^(٢) بمجلسي وكرهن وصلي زرين عليّ حين بدا مشيبي
أتاني والحديث له نماءً أوفى ذمّةً وأعزّ جارا
سلوا أهل الأباطح^(٥) من قريش عن العزّ المؤبد^(٦) أين صاراً؟
ومن يحمي الثغور إذا استحرّت^(٧) حروبٌ لا ينون^(٨) لها غراراً^(٩)
لقومي الأزدي الغمرات أمضى وأوفى ذمّةً وأعزّ جارا
هم قادوا الجياد على وجاهها^(١٠) من الأمصار يقذفن المهاراً^(١١)
بكلّ مفازة وبكلّ سهب^(١٢) بسابس^(١٣) لا يرون لها مناراً^(١٤)
إلى كِرمَان^(١٥) يحملن المنايا^(١٦) بكلّ ثنية^(١٧) يوقدن ناراً

(١) الأُقلِف من الرجال: من لم يُختن.

(٢) غرضن بمجلسي: ضجرت ومللت منه.

(٣) الشمط: بياض الرأس يخالطه سواد.

(٤) العذار، بكسر العين: جانباً لحية الرجل.

(٥) الأباطح، الواحدة بطيحة: المسيل الواسع فيه رمل ودقاق الحصى.

(٦) العزّ المؤبد: المجد الدائم المستمر.

(٧) استحرّت حروب: اشتدّ أوارها ولهبها.

(٨) لا ينون لها: لا يفترون ولا يغفلون عنها.

(٩) غراراً: غافلين.

(١٠) الوجى: الحفاء.

(١١) المهار، بكسر الميم، الواحد مهر: ولد الحصان.

(١٢) المفازة والسهب: الفلاة الموحشة لا ماء فيها ولا بشر.

(١٣) البسابس، الواحدة بسبس: الفلاة.

(١٤) المنار: العلم يوضع في الطريق لهداية المسافرين.

(١٥) كِرمَان: بلد في فارس.

(١٦) المنايا، الواحدة منية: الموت.

(١٧) الثنية: الطريق في الجبل.

شواذب^(١) لم يصبن الثار حتى
 ويشجرن العوالي السمر^(٣) حتى
 غداة تركن مصرع عبد رب^(٦)
 ويوم الزحف بالأهواز^(٩) ظلنا
 فقرت أعين كانت حديثاً
 صنائعنا^(١١) السوابغ^(١٢) والمذاكي^(١٣)
 فهن يبحن كل حمى عزيز
 طولات المتون يصن^(١٦) إلا
 فلولا الشيخ بالمصري^(١٧) ينفي
 ولكن قارع الأبطال^(١٨) حتى
 إذا وهنوا^(١٩) وحل بهم عظيم

رددناها مكلّمة^(٢) مرارا
 ترى فيها عن الأسل^(٤) ازورارا^(٥)
 يُثرن عليه من رهج^(٧) عصارا^(٨)
 نروى منهم الأسل الحرارا^(١٠)
 ولم يك نومها إلا غرارا
 ومن بالمصري يحتلب العشارا^(١٤)
 ويحمين الحقائق والذمارا^(١٥)
 إذا سار المهلب حيث سارا
 عدوهم لقد تركوا الديارا
 أصابوا الأمن وأجتنبوا الفرارا
 يدق العظم كان لهم جبارا

(١) الشواذب، الواحد شاذب: الضامر من الخيل.

(٢) مكلّمة: مجرّحة.

(٣) يشجرن العوالي السمر: يطعن الرماح المستقيمة في الأعداء. الواحدة من العوالي عالية.

(٤) أسل الرمح: حده الرهيف.

(٥) الإزورار: الميل، الانحراف.

(٦) مصرع عبد رب: مقتل عبد ربه الصغير الذي ولي أمور الأزارقة بعد خلع قطري، فإذا بالمهلب يقضي عليه وعلى حركته، وبذلك إستكان الأزارقة.

(٧) الرهج: الغبار.

(٨) العصار: الغبار العظيم يغطي الميدان.

(٩) الأهواز: مدينة في جنوب غربي إيران على كارون، ٣٥٠٠٠٠ن، عاصمة خوزستان تمتاز بإنتاج النفط.

(١٠) الأسل الحرار: الرماح العطاش إلى دمائهم.

(١١) صنائعنا، الواحدة صنيغة: المعروف والإحسان.

(١٢) السوابغ، الواحدة سابغة من الدروع: الطويلة الحسنة الصنع.

(١٣) المذاكي من الخيول: التي التأمّت جروحها وشفيت بعد سنة أو سنتين.

(١٤) العشار، بكسر العين، الواحدة عشار من النياق: التي مضى على حملها عشرة أشهر.

(١٥) الذمار: كلّ ما يتوجب على المرء حمايته، من مال وعرض وأرض.

(١٦) يصن: يحفظن.

(١٧) المصران: البصرة والكوفة.

(١٨) قارع الأبطال: قاتلهم وانتصر عليهم.

(١٩) وهنوا: ضعفوا واستكانوا.

وَمُبْهَمَةٌ يَحِيدُ النَّاسَ عَنْهَا تَشَبُّ الْمَوْتَ شَدَّ لَهَا الْإِزَارَا
شِهَابٌ تَنْجَلِي الظُّلُمَاءَ عَنْهُ يَرَى فِي كُلِّ مِبْهَمَةٍ مَنَارَا
بَلِ الرَّحْمَانِ جَارِكُ إِذْ وَهْنًا^(١) بَدَفَعَكَ عَنْ مَحَارِمِنَا اخْتِيَارَا
بِرَاكِ اللَّهِ^(٢) حِينَ يَرَاكَ بِحَرًّا وَفَجَّرَ مِنْكَ أَنْهَارًا غِزَارَا
[الوافر]

وقد مضت هذه الأبيات متقدمةً فيما سلف من أخبار كعبٍ وشعره.

شعره في المهلب وولده:

أخبرني عمي . قال : حدثنا محمد بن سعد الكِراني قال : حدثني العمري عن العتبي . قال : قال عبد الملك بن مروان : يا معشر الشعراء ، تشبهوننا بالأسد الأبخري ، والجبل الوعري ، والملح الأجاج ؟ ألا قلت كما قال كعب الأشقري في المهلب وولده :
لَقَدْ خَابَ أَقْوَامٌ سَرَوْا ظُلْمَ الدَّجَى^(٣) يَوْمُونَ^(٤) عَمْرًا ذَا الشَّعِيرِ وَذَا الْبِرِّ
يَوْمُونَ مَنْ نَالَ الْغَنَى بَعْدَ شَيْبِهِ وَقَاسَى وَلِيدًا مَا يَقَاسِي ذُوو الْفَقْرِ
فَقُلْ لِلْجَيْمِ يَا بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ مَقَالَةٌ مِنْ يُلْحِي^(٥) أَخَاهُ وَمَنْ يُزْرِي^(٦)
فَلَوْ كُنْتُمْ حَيًّا صَمِيمًا نَفِيتُمْ بَخِيلَكُمْ بِالرَّغْمِ مِنْهُ وَبِالصُّغَرِ^(٧)
وَلَكِنْكُمْ يَا آلَ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ يَسُودُكُمْ مَنْ كَانَ فِي الْمَالِ ذَا وَفَرٍ
هُوَ الْمَانِعُ الْكَلْبَ النَّبَاحَ وَضَيْفَهُ خَمِيصَ الْحِشَا^(٨) يَرَعَى النُّجُومَ الَّتِي تَسْرِي^(٩)
[الطويل]

هجاؤه لأخيه وخبر ذلك :

قال : وكان بين كعب وبين ابن أخيه هذا^(١٠) تباعد وعداوة ، وكانت أمه سوداء فقال يهجوه :

إِنَّ السَّوَادَ الَّذِي سُرِبَتْ^(١١) تَعْرِفُهُ مِيرَاثُ جَدِّكَ عَنْ آبَائِهِ النَّوْبِ^(١٢)

(٢) براك الله : خلقك .

(٤) يَوْمُونَ : يلجؤون .

(٦) يُزْرِي : يحقر ويعيب .

(٨) الحشا : ضامر البطن لجوعه .

(١٠) يقصد الشاعر بذلك ابن أخيه الذي قتله .

(١) وهنا : ضعفنا .

(٣) ظلم الدجى : عتمة الليل المظلم .

(٥) يلحي : يلوم .

(٧) الصُّغَرُ : الذلُّ والمهانة والحقارة .

(٩) تسيري : تسير في الليل .

(١١) سُرِبَتْ : أُلْبِسَتْ بِهِ .

(١٢) النوب ، الواحد نوبي ، وهم سكان النوبة جنوبي صعيد مصر .

أشبهت خالك خال اللؤم مؤتسياً^(١) بهديه سالكاً في شر أسلوب^(٢)
[البسيط]

مقتله :

قال المدائني في خبره : وكان ابن أخي كعب هذا عدوًّا له يسعى عليه ، فلما سأل مجزأة بن زياد بن المهلب أباه في كعب فخلّاه ، دسّ إليه زياد بن المهلب بن أخيه الشاعر ، وجعل له مالا على قتله ، فجاءه يوماً ، وهو نائم تحت شجرة ، فضرب رأسه بفأس فقتله ، وذلك في فتنة يزيد بن المهلب ، وهو بعمان يومئذ ، وكان لكعب أخ غير أخيه الذي قتله ابنه ، فلما قتل يزيد بن المهلب فرّق مسلمة بن عبد الملك أعماله على عمّال شتى فولّى البصرة وعمّان عبد الرحمن بن سليمان الكلبي ، فاستخلف عبد الرحمن على عمان محمد بن جابر الراسبي ، فأخذ أخو كعب الباقي ابن أخيه الذي قتل كعباً ، فقدمه إلى محمد بن جابر ، وطلب القود^(٣) منه بكعب ، ف قيل له : قُتل أخوك بالأمس ، وتقتل قاتله وهو ابن أخيك اليوم ! وقد مضى أخوك وأنقضى ، فتبقى فرداً كقرن الأعضب^(٤) ! فقال : نعم إن أخي كعباً كان سيدنا وعظيمنا ووجهنا ، فقتله هذا ، وليس فيه خير ، ولا في بقائه عزّ ، ولا هو خلف من كعب فأنا أقتله به ، فلا خير في بقائه بعد كعب ، فقدمه محمد بن جابر فضرب عنقه . والله أعلم .

أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم . قال : حدثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي ولقيط وغيرهما ، قالوا : حاصر يزيد بن المهلب مدينة خوارزم في أيام ولايته ، فلم يقدر على فتحها ، واستصعب عليه ، ثم غزل ووُلّي قُتيبة بن مسلم ، فرحف إليها ، فحاصرها^(٥) ففتحها ، فقال كعب الأشقرى يمدحه ويهجو يزيد بن المهلب بقوله :

رمتك فيل^(٦) بما فيها وما ظلمت من بعد ما رامها الفجفاجة الصّلف^(٧)

(١) مؤتسياً : مقتدياً به .

(٢) الأسلوب : الطريق .

(٣) القود : الثأر بأن يطلب ولي الدم قتل القاتل بالمقتول .

(٤) الأعضب : المكسور أحد قرنيه .

(٥) كان ذلك سنة ٩٣هـ .

(٦) فيل اسم قديم لولاية خوارزم ، ولما افتتحها المسلمون دعيت بالمنصورة .

(٧) الفجفاجة الصلف : هو المتكبر الذي يصفّ يديه .

قيسٌ صريحٌ وبعض الناس يجمعهم قَرَى^(١) وريفٌ ومنسوبٌ ومقترفٌ^(٢)
 منهم شُناسٌ ومرداذاءٌ نعرفه وفسخراء، قبورٌ حَشُوها القلفُ
 لم يركبوا الخيل إلا بعدما هَرَموا فهم ثَقَالٌ على أكتافها عنفٌ
 [البسيط]

قال: الفيل الذي ذكره هو حصن خُوازِم يقال له الكهندر، والكهندر: الحصن
 العتيق، والفجفاجة: الكثير الكلام. وشُناس: اسم أبي صُفرة، فغيره، وتسمى ظالمًا،
 ومرداذاء: أبو أبي صُفرة، وسموه بسراق لَمَّا تعرَّبوا، وفسخراء: جدّه، وهم قوم من
 الخوز^(٣) من أهل عُمان، نزلوا الأزد، ثم ادَّعوا أنهم صليبةٌ صُرحاء منهم.

صوت

لأسماءَ رسمٌ أصبح اليوم دارسا وقفت به يوماً إلى الليل حابسا
 فجئنا بهيت^(٤) لا نرى غير منزلٍ قليل به الآثار إلا الروامسا^(٥)
 يدورون بي في ظلّ كل كنيسة فينسوني قومي وأهوى الكنائسا
 [الطويل]

البيت الأول من الشعر للعباس بن مرداس السُّلمي، وبيت العباس مصراعه
 الثاني:

توهَّمتُ منه رحرحان^(٦) فراكسا^(٧)

وغيره يزيد بن معاوية، فقال: مكان هذا المصراع:

وقفتُ به يوماً إلى الليل حابسا

والبيت الثاني للعباس بن مرداس، والثالث ليزيد بن معاوية، ذكر بعض الرواة
 أنه قاله على هذا الترتيب وأمر بُدِّحاً أن يغني فيه، ففعل؛ ولم يأت ذلك من جهة

(١) القَرَى، بكسر القاف: الضيافة.

(٢) المقترف: من رمي بالنقيصة وفعل المنكرات.

(٣) الخوز: هم جماعة من الناس. أعجمي معرب.

(٤) هيت: بلدة على الفرات.

(٥) الروامس من الرياح: التي تثير التراب لشدة هبوبها وتمحو الآثار.

(٦) رحرحان: جبل قرب عكاظ خلف عرفات.

(٧) راكس: وادٍ.

يوثقُ بها، والصحيح أن الغناء لمالك، خفيف ثقیل بالبنصر عن الهشامي ويحيى المكي، وهذا صوت زعموا أن مالكا صنع على لحن سمعه من الرهبان.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد بن إسحاق، عن أحمد المكي، عن أبيه، عن سباط، أن مالكا دخل مع الوليد بن يزيد ديرا، فسمع لحناً من بعض الرهبان فاستحسنه، فصنع عليه:

ليس رسمٌ على الدفين ببالي

فلما غناه الوليد قال له: الأول أحسنُ فعدُ إليه. اللحن الثاني الذي لمالك، ثقیل بالبنصر عن الهشامي وعمرو، وأوله:

درّ درّ الشباب والشعر الأسـ دود والضمائر تحت الرحال^(١)
والخناذيد^(٢) كالقداح^(٣) من الشوا حط^(٤) يحملن شكة الأبطال^(٥)
[الخفيف]

* * *

-
- (١) الضامرات تحت الرحال: الإبل الضامرة البطون لطول رحلتها.
(٢) الخناذيد، الواحد خنذيد، بكسر الخاء: أفضل الجياد الطوال.
(٣) القداح، الواحد قدح بكسر القاف: سهم الميسر.
(٤) الشواحط من الشجر: ما يتخذ من أغصانه القسي.
(٥) شكة الأبطال: أسلحتهم.

أخبار العباس بن مرداس ونسبه

نسبه :

العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رُفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، ويكنى أبا الهيثم، وإياه يعني أخوه سُراقة بقوله يرثيه :

أَعَيْنُ أَلَا أَبْكِي أَبَا الْهَيْثَمِ وَأَذْرِي الدَّمْعَ وَلَا تَسْأَلْنِي
[المتقارب]

وهي أبيات تذكر في أخباره، وأمّه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد، وكان العباس فارساً شاعراً شديداً العارضة^(١) والبيان، سيّداً في قومه من كلا طرفيه، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، ووفد إلى النبي ﷺ، فلما أعطى المؤلفة قلوبهم فضّل عليه عُيينة بن حصن والأقرع بن حابس، فقام وأنشده شعراً قاله في ذلك، فأمر بلالاً فأعطاه حتى رضي، وخبره في ذلك يأتي بعد هذا الموضع؛ واللّه أعلم.

أخبرني محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا محمد بن حميد. قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق عن منصور بن المعتمر، عن قبيصة، عن عمرو والخزاعي عن العباس بن مرداس بن أبي عامر أنه قال: كان لأبي صنم اسمه ضمار^(٢)، فلما حضره الموت أوصاني به وعبادته والقيام عليه، فعمدت إلى ذلك الصنم فجعلته في بيت، وجعلت آتيه في كلّ يوم وليلة مرّة، فلما ظهر أمر رسول الله ﷺ سمعتُ صوتاً في جوف الليل راعني^(٣)، فوثبتُ إلى ضمار، فإذا الصوت في جوفه يقول:

قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سَلِيمٍ كُلِّهَا هَلْكَ الْأَنْيَسِ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ

(١) شديد العارضة: هو من يحسن القول والعمل والرأي السديد.

(٢) ضمار: صنم عبده العباس بن مرداس وقبيلته.

(٣) راعني: أرعبني، أخافني.

إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النَّبُوَّةَ وَالْهُدَى بعد ابن مريمَ من قريشٍ مهتدي
أودى الضمار وكان يُعبد مَرَّةً قبل الكتاب إلى النبيِّ محمد
[الكامل]

قال: فكتمتُ الناس ذلك، فلم أحدث به أحداً حتى أنقضت غزوة الأحزاب، فبينما أنا في إبلي في طرف العقيق^(١) وأنا نائم، إذ سمعت صوتاً شديداً، فرفعت رأسي فإذا أنا برجل على حيالي^(٢) بعمامة. يقول: إن النور الذي وقع بين الإثنين وليلة الثلاثاء، مع صاحب الناقة العضاء^(٣)، في ديار بني أخي العنقاء^(٤)، فأجابه طائف عن شماله لا أبصره فقال: بشر الجن وأجناسها، أن وضعت المطي أحلاسها^(٥)، وكفّت السماء أحراسها، وأن يغصّ السّوق أنفاسها، قال: فوثبت مذعوراً وعرفت أن محمداً رسول الله ﷺ مصطفى، فركبت فرسي وسرت حتى أنتهيت إليه فبايعته وأسلمت، وانصرفت إلى ضمار فأحرقته بالنار.

خروجه إلى النبي ﷺ وإسلامه:

وقال أبو عبيدة: كانت تحت العباس بن مرداس حبيبة بنت الضحّاك بن سفيان السلمي أحد بني رعل^(٦) بن مالك، فخرج عباس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد النبي ﷺ، فبات بها، فلما أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله، وقال له: من سألك عني فحدثه أنني لحقت ببشر، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلا آتياً محمداً وكائناً معه، فإني أرجو أن نكون برحمة من الله ونور، فإن كان خيراً لم أسبق إليه، وإن كان شراً نصرته لخؤولته، على أنني قد رأيت الفضل البين وكرامة الدنيا والآخرة في طاعته ومؤازرته، واتباعه ومبايعته، وإيثار أمره على جميع الأمور، فإن مناهج سبيله واضحة، وأعلام ما يجيء به من الحق نيرة، ولا أرى أحداً من العرب ينصب^(٧) له إلا أعطي عليه الظفر والعلو، وأراني قد أُلقيت عليّ محبةً له، وأنا باذل نفسي دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والأرض، قال: ثم سار نحو النبي ﷺ، وانتهى الراعي

(١) العقيق: واد قرب المدينة المنورة، من روافد الحمض.

(٢) بحياي: بإزائي.

(٣) العضاء: اسم ناقة النبي ﷺ.

(٤) العنقاء: لقب ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء.

(٥) الأحلاس، الواحد جلس، بكسر الحاء: هو الكساء يوضع تحت البرذعة على ظهر البعير.

(٦) رعل، بكسر الراء: قبيلة من سليم.

(٧) ينصب له: يعاديه ويعانده.

نحو إبـله، فأتى امرأته فأخبرها بالذي كان من أمره ومسيره إلى النبي ﷺ، فقامت فقوّضت بيتها، ولحقت بأهلها، فذلك حيث يقول عباس بن مرداس، حين أحرق ضماراً ولحق بالنبي ﷺ:

لعمري إني يوم أجعل جاهداً وتركى رسول الله والأوس حوله
كتارك سهل الأرض، والحزن^(٢) يبتغي
فأمنت بالله الذي أنا عبده
ووجهت وجهي نحو مكة قاصداً
نبيّ أنا بعد عيسى بناطق
أميناً على الفرقان أول شافع
تلافى عرا الإسلام بعد انفصامها^(٤)
رايتك يا خير البرية كلها
سبقتهم بالمجد والجود والعلـا
فأنت المصطفى من قريش إذا سمت
ضماراً لرب العالمين مُشاركاً
أولئك أنصار له، ما أولئك^(١)؟
ليسلك في غيب الأمور المسالك
وخالفت من أمسى يُريد الممالك
وتابعت بين الأخشبين المبارك^(٣)
من الحق فيه الفصل منه كذلك
وآخر مبعوث يجيب الملائكا
فأحكمها حتى أقام المناسكا
توسّطت في القربى من المجد مالكا^(٥)
وبالغاية القصوى تفوت السنايبكا^(٦)
غلاصمها^(٧) تبغي القروم^(٨) الفواركا^(٩)
[الطويل]

قال: فقدم عباس على رسول الله ﷺ المدينة حيث أراد المسير إلى مكة عام الفتح، فواعد رسول الله ﷺ قديداً^(١٠)، وقال: القني أنت وقومك بقديد، فلما نزل رسول الله ﷺ قديداً، وهو ذاهب، لقيه عباس في ألف من بني سليم، ففي ذلك يقول عباس بن مرداس:

- (١) ما أولئك؟: سؤال يُقصد منه التعظيم والمدح.
- (٢) الحزن: ما غلظ من الأرض وقلما يكون إلا مرتفعاً.
- (٣) الأخشبان: جبلان مطيفان بمكة المكرمة، وهما قبيس والأحمر.
- (٤) انفصامها: انقطاعها.
- (٥) يقصد الشاعر مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار.
- (٦) السنايب، الواحد سنبك، وهو طرف الحافر.
- (٧) غلاصمها، الواحدة غلصمة، الجماعة السادة.
- (٨) القروم، الواحد قرم: السادة.
- (٩) الفوارك، الواحد فارك: الكارهون.
- (١٠) قديد: موضع قريب من مكة المكرمة.

بَلَّغَ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ مُحَمَّدًا
دَعَا قَوْمَهُ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ رَبَّهُ
عَشِيَّةً وَاعْدَنَّا قُدَيْدًا مُحَمَّدًا
حَلَفْتُ يَمِينًا بَرَّةً لِمُحَمَّدٍ
سَرَايَا يَرَاهَا^(٥) اللَّهُ، وَهُوَ أَمِيرُهَا
عَلَى الْخَيْلِ مَشْدُودًا عَلَيْنَا دُرُوعَنَا
أَطْعَنَّاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلَّهُمْ

رَسُولَ الْإِلَهِ رَاشِدَ أَيْنَ يَمُمَا^(١)
فَأَصْبَحَ قَدْ وَافَى^(٢) الْإِلَهِ وَأَنْعَمَا^(٣)
يَوْمَ بَنَّا أَمْرًا مِنَ اللَّهِ مُحْكَمًا
فَأَوْفَيْتَهُ أَلْفًا مِنَ الْخَيْلِ مُعْلَمًا^(٤)
يَوْمَ بَهَا فِي الدِّينِ مَنْ كَانَ أَظْلَمًا^(٦)
وَخِيَلًا كَدُفَّاعِ الْأَتِيِّ عَرْمَرَمًا^(٧)
وَحَتَّى صَبَحْنَا الْخَيْلَ أَهْلَ يَلْمَلَمًا^(٨)

[الطويل]

وهي قصيدة طويلة .

زوجته تَوْبَهُ عَلَى إِسْلَامِهِ :

قال : وَلَمَّا عَرَّفَ رَاعِي الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ زَوْجَتَهُ بِنْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ سَفْيَانَ خَبَرَهُ
وَإِسْلَامَهُ قَوَّضَتْ^(٩) بَيْتَهَا ، وَارْتَحَلَتْ إِلَى قَوْمِهَا ، وَقَالَتْ تَوْبَهُ :

أَلَمْ يَنْهَ عِبَّاسَ بْنَ مِرْدَاسٍ أَنْ يَنْي
أَتَاهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ كُلِّ سَمِيذَعٍ^(١١)
رَأَيْتِ الْوَرَى^(١٠) مَخْصُوصَةً بِالْفَجَائِعِ
مَنْ الْقَوْمِ يَحْمِي قَوْمَهُ فِي الْوَقَائِعِ^(١٢)
إِلَى الْمَوْتِ هَامَ^(١٣) الْمُقْرَبَاتِ^(١٤) الْبَرَائِعِ^(١٥)

(١) يمم : توجّه . (٢) وافى الإله المرء : أعطاه حقه كاملاً !

(٣) أنعم الإله المرء : تفضل عليه وزاده كرامة لإيمانه .

(٤) الخيل المعلمة : التي ميّزها فرسانها بعلامات تدلّ عليهم لشجاعتهم في الحروب .

(٥) يراها الله : يرعاها بحمايته ويكلؤها بحفظه .

(٦) أظلمنا : أي أشدّ ظلمًا .

(٧) الجيش العرمرم : العظيم عدداً وعدة .

(٨) يلملم : جبل على مرحلتين من مكة ، وهو ميقات أهل اليمن في الحجّ والعمرة .

(٩) قوّضت بيتها : هدمته بيدها .

(١٠) الورى : البشر ، الناس .

(١١) السميذع من الرجال : الشجاع ، الكريم .

(١٢) الوقائع ، الواحدة وقعة : المعارك .

(١٣) الهام ، الواحدة هامة : الرأس .

(١٤) المقربات ، الواحدة مقربة من الخيل : التي تُرعى وتكرّم من أصحابها لأصالتها والمحافظة على أصالتها .

(١٥) البرائع من النساء ، الواحدة بريعة : هي الجميلة ذات عقل راجح .

لعمري لئن تابعت دين محمد
لبدلت تلك النفس ذلاً بعزة
وقوم هم الرأس المقدم في الوغى
سيوفهم عز الدليل وخيلهم
وفارقت إخوان الصفا والصنائع^(١)
غداة أختلاف المرهفات القواطع^(٢)
وأهل الحجا^(٣) فينا وأهل الدسائع^(٤)
سهم الأعادي في الأمور الفظائع
[الطويل]

فأخبرني أحمد بن محمد بن الجعد. قال: حدثنا محمد بن إسحاق، المسيبي. قال: حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عتبة، عن ابن شهاب، وأخبرني عمر بن إسماعيل بن أبي عيلان الثقفي. قال: حدثنا داود بن عمرو الضبي. قال: حدثنا محمد بن راشد عن ابن إسحاق، وحدثني محمد بن جرير. قال: حدثنا محمد بن حميد. قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق - وقد دخل حديث بعضهم في حديث بعض - أن رسول الله ﷺ قسم غنائم هوازن، فأكثر العطايا لأهل مكة، وأجزل القسم لهم ولغيرهم ممن خرج إلى حنين، حتى إنه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة، والآخر ألف شاة، وزوى كثيراً من القسم عن أصحابه، فأعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس عطايا فضل فيها عيينة والأقرع على العباس، فجاءه العباس فأنشده:

وكانت نهاباً^(٥) تلافيتها
ويقاضي الحي أن يرقدوا
فأصبح نهبي ونهب العبيد
وقد كنت في الحرب ذا تُدرٍ^(٨)
وما كان حصن ولا حابس
وما كنت دون امرئٍ منهما
بكرّي على المهر في الأجرع^(٦)
إذا هجع القوم لم أهجع
د^(٧) بين عيينة والأقرع
فلم أعط شيئاً ولم أُمْنَع
يفوقان مرداس في مجمع
ومن تضع اليوم لا يُرفع
[المقارب]

(١) الصنائع، الواحدة صنعة: الإحسان.

(٢) اختلاف المرهفات القواطع: تصادم السيوف الرقيقة الشفار.

(٣) الحجا: العقول.

(٤) الدسائع: الواحدة دسيعة: العطايا.

(٥) النهاب: الغنائم.

(٦) الأجرع: رملة مستوية لا تنبت شيئاً.

(٧) العبيد: اسم جواد العباس بن مرداس.

(٨) كنت في الحرب ذا تُدرٍ: أي مدافعاً منعة وعزة.

فبلغ قوله رسول الله ﷺ، فدعاه فقال له: أنت القاتل: «أصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟» فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشعر، وما أنت براوية، قال: «فكيف قال؟» فأنشده أبو بكر رضي الله عنه، فقال: هما سواء، لا يضرك بأيهما بدأت: بالأقرع أم بعيينة، فقال رسول الله ﷺ: «اقطعوا عني لسانه»^(١)، وأمر بأن يعطوه من الشاء والتعم ما يرضيه ليمسك، فأعطي، قال: «فوجدت^(٢) الأنصار في أنفسهم»، وقالوا: نحن أصحاب موطن^(٣) وشدة، فآثر قومه علينا، وقسم قسماً لم يقسمه لنا، وما نراه فعل هذا إلا وهو يريد الإقامة بين أظهرهم، فلما بلغ قولهم رسول الله ﷺ أناهم في منزلهم فجمعهم، وقال: «من كان هاهنا من غير الأنصار فليرجع إلى أهله»، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا معشر الأنصار، قد بلغني مقالة قلتموها، وموجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضللاً فهداكم الله؟» قالوا: بلى. قال: «ألم آتكم قليلاً فكثركم الله؟» قالوا: بلى. قال: «ألم آتكم أعداءً فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى.

قال محمد بن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عيينة أنه قال: ألم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها؟ قالوا: بلى. قال: أفلا تُجيبون يا معشر الأنصار؟ قالوا: لله ولرسوله علينا المن والفضل، جئتنا يا رسول الله ونحن في الظلمات، فأخرجنا الله بك إلى النور، وجئتنا يا رسول الله، ونحن على شفا حفرة من النار، فأنقذنا الله، وجئتنا يا رسول الله ونحن أذلة قليلون فأعزنا الله بك، فرضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً. فقال ﷺ: «أما والله لو شئتم لأجبتُموني بغير هذا، فقلتم: جئتنا طريداً فأويناك، ومخذولاً فنصرناك، وعائلاً^(٤) فأغيناك، ومكذباً فصدقناك، وقبلنا منك ما رده عليك الناس، لقد صدقتم^(٥)». فقال الأنصار: لله ولرسوله علينا المن والفضل.

ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم، وبكى رسول الله ﷺ، وقال: «يا معشر الأنصار وجدتم في أنفسكم في الغنائم أن آثرت بها ناساً أنألفهم على الإسلام، ليسلموا، ووكلتكم إلى الإسلام، أولاً ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل، وترجعوا برسول الله إلى رحالكُم؟ والذي نفس محمد بيده لو سلك الناس شعباً^(٦) وسلك الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار،

(١) اقطعوا عني لسانه: أي أعطوه من المال ما هو بحاجة إليه حتى يسكت.

(٢) وجدت الأنصار في أنفسهم: غضبوا ولم يُبدوا غضبهم.

(٣) المواطن: الوقائع الحربية العظيمة.

(٤) العائل: الكثير العيال، المفتقر.

(٥) صدقتم: انصرفتم وملتم وأعرضتم.

(٦) الشعب، بكسر الشين: الطريق في الجبل، مسيل الماء في بطن أرض، ما انفرج بين جبلين.

ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار»، ثم بكى القوم ثانية حتى أخضلوا^(١) لحاهم، وقالوا: رضينا يا رسول الله بالله وبرسوله حظاً وقسماً، وتفرق القوم راضين، وكانوا بما قال لهم رسول الله ﷺ أشدَّ اغتباطاً^(٢) من المال.

وقال أبو عمرو الشيباني في هذا الخبر: أعطى رسول الله ﷺ جماعة من أشرف العرب عطايا يتألف بها قلوبهم وقومهم على الإسلام، فأعطى كل رجل من هؤلاء النفر - وهم: أبو سفيان بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحرث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وخويطب بن عبد العزى، وصفوان بن أمية، والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس - مائة من الإبل، وأعطى كل واحد من مخزومة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بني عامر بن لؤي وسعيد بن يربوع، ورجلاً من بني سهم دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقل، وأعطى العباس بن مرداس أباعر، فتسخطها^(٣) وقال الأبيات المذكورة، فأعطاه حتى رضي.

كتب عبد الملك كتاباً فيه شعر للعباس يتوعده:

حدثنا وكيع قال: حدثنا الكِراني قال: حدثنا عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان. قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد الله بن الزبير كتاباً يتوعده فيه وكتب فيه:

إني لعند الحرب تحمل شكّتي^(٤) إلى الروع^(٥) جرداء^(٦) السيالة ضامر^(٧)

[الطويل]

والشعر للعبّاس بن مرداس. فقال ابن الزبير: أبالشعر يقوى عليّ؟ واللّه لا أجيبه إلاّ بشعر هذا الرجل؛ فكتب إليه:

إذا فُرس العوالي^(٨) لم يخالج هُمومي غير نصرٍ واقترابٍ

(١) أخضلوا لحاهم: جعلوها مبتلة بدموعهم.

(٢) أشدَّ اغتباطاً: أكثر انشراحاً وفرحاً.

(٣) تسخطها: حملته على الغضب.

(٤) شكّتي: سلاحي.

(٥) الروع: الحرب، ميدان المعركة.

(٦) جرداء السيالة: أي فرسه التي لا شعر لها، والسيالة، الواحدة سيال من الشجر ما هو سبط

الأغصان ذو شوك أبيض. والمراد بذلك متن فرسه.

(٧) الضامر من الجياد: الهضم البطن، اللطيف الجسم.

(٨) العوالي، الواحدة عالية: رأس الرمح.

وإِنَّا وَالسَّوَابِحُ^(١) يَوْمَ جُمُعٍ وَمَا يَتْلُو الرُّسُولُ مِنَ الْكِتَابِ
هَزَمْنَا الْجَمْعَ جَمْعَ بَنِي قَيْسٍ^(٢) وَحَكَّتْ بَرْكُهَا^(٣) بَبْنِي رِئَابِ
[الوافر]

هذه الأبيات من قصيدة يفخر فيها العباس برسول الله ﷺ ونصره له، وفيها يقول:

بِذِي لَجِبٍ^(٤) رَسُولَ اللَّهِ فِيهِ كَتَيْبَتُهُ^(٥) تَعَرَّضَ لِلضُّرَابِ
وَلَوْ أَدْرَكَنَ صِرْمٌ^(٦) بَنِي هَلَالٍ لَأَمْ نَسَاؤُهُمُ وَالنَّقْعُ^(٧) كَابِي^(٨)
[الوافر]

خبر قتل أخيه هريم:

قال أبو عبيدة: وكان هريم بن مرداس مجاوراً في خُزاعةَ في جوار رجل منهم يقال له عامر، فقتله رجل من خُزاعةَ يقال له خُوَيْلِد، وبلغ ذلك أخاه العباس بن مرداس، فقال يحضّ عامراً على الطلب بثأر جاره، فقال:

إِذَا كَانَ بَاغٌ مِنْكَ نَالَ ظُلَامَةً فَإِنَّ شِفَاءَ الْبَغِيِّ سَيْفُكَ فَافْصِلِ
وَنَبَّئْتُ أَنْ قَدْ عَوَّضُوكَ أَبَاعِراً^(٩) وَذَلِكَ لِلجِيرَانِ غَزْلٌ بِمَغْزَلِ
فَخَذَهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِنَصْرَةٍ وَفِيهَا مَتَاعٌ لَامِرٌّ مُتَدَلِّلِ
[الطويل]

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لما دعاه علي عليه السلام إلى البيعة، وتحدث الناس أنه وعده أن يوليّه الشام إذا بايعه. قال: فلما بلغته هذه الأبيات ألى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغسل حتى يثأر بهريم، ثم إن أبا حُليّس النصريّ لقي خويلداً قاتل هريم فقتله، فقال بنو نصر: بؤ^(١٠) بدم فلان النصريّ -

(١) السوابح من الخيول، الواحد سابح: الذي يمدّ قائمته في عدوه كأنه يسبح.

(٢) بني قيس: أي بني ثقيف.

(٣) البرك: لكل البعير و صدره الذي يسند به إلى الأرض إذا برك.

(٤) بذى لجب: أي جيش عظيم دلّ عليه ما يحدثه من ضجيج وجلبة.

(٥) الكتيبة: الفرقة من الجيش.

(٦) الصرْم، بكسر الصاد من الناس: الفرقة القليلة العدد.

(٧) النقع: الغبار.

(٨) الكابي من الغبار: ما علا في الجوّ وعظم لكثرته.

(٩) الأباعر من الجمال، الواحد بعير: الجمل البازل للذكر والأنثى.

(١٠) بؤ بدم فلان النصري: أي خذ بثأره بقتل من يساويه قيمة ويعادله.

رجل كانت خُزاعة قتلته - فقال أبو الحُليس: لا، بل هو: بُؤ بدم هُرَيم بن مِرَداس،
وبلغ العباس، فقال يمدحه بقوله:

أتاني من الأنباء أن ابن مالك كفى ثائراً^(١) من قومه من تغيبا
ويلقاك ما بين الخميس خويلد أرى عجباً بل قتلته كان أعجبا
فدئ لك أمي إذ ظفرت بقتله وأقسم أبغي^(٢) عنك أمّا ولا أبا
فمثلك أدى نُصرة القوم عُنوة ومثلك أعيّا ذا السلاح المجربا
[الطويل]

خروجه لحرب بني نصر:

قال أبو عُبيدة: أغارت بنو نصر^(٣) بن معاوية على ناحية من أرض بني سليم،
فبلغ ذلك العباس بن مِرَداس، فخرج إليهم في جمع من قومه، فقاتلهم حتى أكثر
فيهم القتل، وظهرت عليهم بنو سليم، وأسروا ثلاثين رجلاً منهم، وأخذت بنو نصر
فرساً للعباس عائرة^(٤) يقال لها زِرّة، فانطلق بها عطية بن سفيان النصري - وهو يومئذ
رئيس القوم - فقال في ذلك العباس:

أبى قومنا إلا الفرار ومن تكن هوازن مولاة من الناس يُظلم
أغار علينا جمعهم بين ظالم وبين ابن عم كاذب الودّ أيهم^(٥)
كلاب وما تفعل كلاب فإنها وكعب^(٦) سراة^(٧) البيت ما لم تهدم
فإن كان هذا ضنعمكم فتجرّدوا^(٨) لألفين منّا حاسر^(٩) ومُلام^(١٠)
وحرب إذا المرء السمين تمرّست فأعطافه بالسيف لم يترمرم^(١١)

(١) ثائراً: أي أخذاً بالثار.

(٣) بنو نصر: هم بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة... إنهم أبناء عمومة مع بني سليم.

(٤) عائرة: أي شاردة، قد ضلّت ولم ترجع إلى الديار.

(٥) الأيهم من الناس: من لا عقل له ولا فهم.

(٦) كلاب وكعب: هما ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

(٧) سراة البيت: أعلاه وظهره ووسطه.

(٨) تجرّدوا: استعدّوا وتجهّزوا للقتال.

(٩) الحاسر من المقاتلين: من لا يتدرّج بدرع ولا يحمي رأسه ببيضة.

(١٠) الملام من المقاتلين: من يضع اللأمة، وهي عبارة عن درع وسلاح وما يلزم في المعركة.

(١١) لم يترمرم: لم يحرك فمه ليتكلّم.

ولم أحتسب سُفيان حتى لقيته
فقلت، وقد صاح النساء خلالهم
فما كان تهليلٌ لدن أن رميتهم
إذا هي صدّت^(٤) نحرها عن رماحهم
وما زال منهم رائغٌ عن سبيلها
لدنْ غُدوةٍ حتى أُستبيحوا عشيةً
فآبوا^(٧) بها عُرفاً^(٨) وألقيتُ كلكلي^(٩)
ولن يمنع الأقوام إلا مُشايع^(١١)

على مأقط^(١) إذ بيننا عطر منشم^(٢)
لخيلي شُدّي إنهم قوم لهذم^(٣)
بزرة ركضاً حاسراً غير مُلجم
أقدمها حتى تنعل^(٥) بالدم
وآخر يهوي لليدين وللهم
وذُلُوا فكانوا لحمة المتلخّم^(٦)
على بطل شاكي السلاح مكلّم^(١٠)
يُطارِد في الأرض الفضاء ويرتمي^(١٢)

[الطويل]

قال: ثم إن العباس بن مرداس جمع الأسارى من بني نصر - وكانوا ثلاثين رجلاً - فأطلقهم، وظنّ أنهم سيثيرونه بفعله، وأن سُفيان سيردّ عليه فرسه زرةً، فلم يفعلوا، فقال في ذلك:

أزرة خيرٌ أم ثلاثون منكم طليقاً رددناه إليكم مسلماً؟

[الطويل]

قال: وجعل العباس يهجو بني نصر، فبلغه أن سُفيان بن عبد يغوث يتوعدّه في ذلك، فلقيه عبّاس في المواسم، فقال له سُفيان: واللّه لتنتهين أو لأصرمّك، فقال عباس:

(١) المأقط: المضيق حيث تدور المعركة.

(٢) منشم: اسم امرأة تتاجر ببيع العطور، وكان من عادة القوم إذا تجردوا للقتال تطيبوا فيكثر فيهم القتل.

(٣) اللهزم: الحاد القاطع من السيوف والأسنة والأنياب.

(٤) صدّت نحرها: حمت.

(٥) تنعل بالدم: اصطبغت أجسادها بالدماء.

(٦) المتلخّم: هو من يشتهي اللحم فيطلبه.

(٧) آبوا: عادوا، رجعوا.

(٨) عُرفاً: معترفين بهزيمتهم.

(٩) كلكلي: صدري.

(١٠) بطل شاكي السلاح مكلّم: الكمي من الأبطال وقد امتلأ جسمه جراحاً دامية.

(١١) مشايح: مقاتل عازم على النضال.

(١٢) يرتمي: يندفع إلى المعركة يقاتل العدو ببسالة.

أتوعدني بالصُّرم^(١) إن قلت أوفني فأوف^(٢) وزد في الصُّرم لهزيمة النتن^(٣)

[الطويل]

وقال العباس أيضاً فيه :

ألا من مُبلغٌ سُفيانَ عني ومولاه عطية أن قـيـلا^(٤)
وظني أن سيبلغه الرسولُ خلا مني وأن قد بات قيلُ

وسئتم ربكم وكفرتموه ألا توفي كما أوفى شبيبُ
وذلكم بأرضكم جميلُ فحلّ له الولاية والشمولُ

أبوه كان خيركم وفاءً وخيركم إذا حُمد الجميلُ
ألام على الهجاء وكلّ يوم تلاقيني من الجيران غول^(٥)

سأجعلها لأجمعكم شعاراً وقد يمضي اللسان بما يقول
[الوافر]

وهذه الأبيات من شعر العباس بن مرداس التي ذكرنا أخباره بذكرها، وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها في غزاة غزاها بني زُبيد باليمن .

حربه مع بني زبيد :

قال أبو عمرو وأبو عُبيدة : جمع العباس بن مرداس بن أبي عامر - وكان يقال للعباس : مقطّع الأوتاد - جمعاً من بني سُليم فيه من جميع بطونها، ثم خرج بهم حتى صبح بني زبيد بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة، فقتل فيها عدداً كثيراً، وغنم حتى ملأ يديه، فقال في ذلك :

لأسماء رسمٌ أصبح اليوم دارساً وقفْتُ به يوماً إلى الليل حابساً
[الطويل]

يقول فيها :

فدعْ ذا ولكن هل أتاكَ مقادنا لأعدائنا نزجي الثقال الكوادسا^(٦)

(١) الصرم : القطيعة . (٢) أوف : زد .

(٣) اللهزيمة : هي عظم ناتئ في اللحية تحت الأذن، ينعى الشاعر على من يهدده بالقطيعة بأنه نتن الرأس .

(٤) القيل : القول في الشرّ .

(٥) الغول : الموت والداهية تنزل بالمرء .

(٦) الكوادس من الدواب : التي تسرع في عدوها فتركب بعضها بعضاً .

سمونا لهم تسعاً وعشرين ليلةً
فلم أرَ مثل الحيّ حيّاً مصبّحاً
إذا ما شددنا شدةً نصبوا لنا
وأحصننا منهم فما يبلغوننا
وجردُ كأن الأسد فوق مُتونها^(٥)
وكنْتُ أمام القوم أولَ ضاربٍ
ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت
نُجيز من الأعراض^(١) وحشا بسابسا^(٢)
ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
صدور المذاكي^(٣) والرماح المداعسا^(٤)
فوارس منّا يحبسون المحابسا
من القوم مرؤساً كميّاً^(٦) ورائسا
وطاعتُ إذ كان الطّعان مُخالسا^(٧)
ضياغُ بأكناف الأراك^(٨) عرائسا
[الطويل]

فأجابه عمرو بن معد يكرب عن هذه القصيدة بقصيدة أولها:

لمن طللٌ بالخيف^(٩) أصبح دارساً تبدّل آراماً^(١٠) وعيناً^(١١) كوانساً^(١٢)
[الطويل]

وهي طويلة، لم يكن في ذكرها مع أخبار العباس فائدة، وإنما ذكرت هذه الأبيات من قصيدة العباس لأن الغناء المذكور في أولها.

شعره في جلاء بني النضير وجواب خوات له:

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: : حدّثنا أبو غزّية عن فليح بن سليمان. قال: قال العباس يذكر جلاء بني النضير ويبكيهم بقوله:

- (١) الأعراض: قرى تقع بين الحجاز واليمن.
- (٢) البسابس، الواحد بسبس: المفازة الموحشة لا بشر فيها ولا ماء.
- (٣) المذاكي من الخيول: التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان.
- (٤) المداعس من الرماح: الغليظ الشديد الذي لا ينثني.
- (٥) المتون، الواحد متن: الظهر.
- (٦) الكمي: من الأبطال الشاكي السلاح.
- (٧) مخالساً: معاجلاً في الطعن.
- (٨) الأراك، الواحدة أراكة: شجر شوكي طويل الساق كثير الورق والأغصان، خوار العود تتخذ منه المساويك.
- (٩) الخيف: كلّ هبوط وارتقاء في سفح الجبل، ما ارتفع عن مسيل الماء.
- (١٠) الآرام، الواحد رثم من الظباء: الخالص البياض.
- (١١) العين: البقر الوحشي.
- (١٢) الكوانس من الظباء: ما دخل في كناسه واستتر بين الأشجار.

وجدت خلال الدار ملهًى وملعباً
سلكن على رُكن الشظاة^(٤) فميثبا^(٥)؟
أوانس يُصبين^(٧) الحليم المجرباً
له بوجوه كالدينانير: مرحباً
ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنّباً^(٨)
سلام ولا مولى حُيي بن أخطبا^(١٠)
[الطويل]

لَوَأَن قَطِين^(١) الدَّارَ لَمْ يَتَحْمَلُوا^(٢)
فإنك عمري هل رأيت ظعائنا^(٣)
عليهنَّ عَيْنٌ مِنْ ظِبَاءٍ تِبَالَةٍ^(٦)
إذا جاء باغي الخير قلن بشاشةً
وأهلاً فلا ممنوع خير طلبته
فلا تحسبني كنت مولى^(٩) ابن مشكم

فقال خوات بن جُبَيْر يجب العباس :

من الشَّجو^(١١) لو تبكي أحقَّ وأقرباً؟
بكيَتْ وما تبكي من الشَّجو مغضبا
وفي الدين صدّاداً وفي الحرب ثعلبا
لمن كان مِيناً^(١٢) مدّحه وتكذّبا
ولم تُلف فيهم قائلاً لك مرحباً
بنوا من ذُرا المجد المقدّم منصبا
ولم يُلف فيهم طالبُ الحق مُجدباً
تراهم وفيهم عِزّة المجد تُرتباً^(١٣)
[الطويل]

أتبكي على قتلى يهود وقد ترى
فهلاً على قتلى ببطن أواره
إذا السّلم دارت في الصديق رددتها
وإنك لما أن كلّفت بمدحة
وجئت بأمر كنت أهلاً لمثله
فهلاً إلى قوم ملوك مدحتهم
إلى معشر سادوا الملوك وكُرموا
أولئك أولى من يهود بمدحة

(١) قطين الدار: ساكنه.

(٢) لم يتحملوا: لم يرحلوا.

(٣) الطعائن، الواحدة طعينة: الراحلة على هودجها.

(٤) الشظاة: موضع قبل خيبر.

(٥) ميثب من خيبر: موضع صدقات رسول الله ﷺ.

(٦) ظباء تباله، وتباله: موضع في عسير جنوب شرق مكة المكرمة، وظباء تباله نساؤها.

(٧) يُصبن الحليم المجرب: يسبين الحليم العاقل فيقع مغرماً بهن.

(٨) تؤنّب: تلام.

(٩) المولى: الحليف، الصديق.

(١٠) حُيي بن أخطب: سيد بني النضير، كان يناصب الرسول ﷺ العداء.

(١١) الشجو: الحزن.

(١٢) المين: الكذب.

(١٣) تُرتباً: مقيماً مستقراً ثابتاً.

فقال عباس بن مرداس يجيبه :

هَجَوْتُ صَرِيحَ^(١) الكاهنين^(٢) وفيكم
أولئك أحرى إن بكيت عليهم
من الشكر إن الشكر خير مغبة^(٣)
فصرت كمن أمسى يقطع رأسه
فبك بني هارون واذكر فعالهم
لهم نعم كانت من الدهر ترتبا
وقومك لو أدوا من الحق موجبا
وأوفق فعلاً للذي كان أصوبا
ليبلغ عزاً كان فيه مركبا
وقتلهم للجوع إذ كنت مسغبا^(٤)

[الطويل]

قال الزبير: فحدثني محمد بن الحسن عن مُحرز بن جعفر . قال: التقى
عباس بن مرداس وخوات بن جبير يوماً عندَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال
خوات: يا عباس أنت الذي رثيت اليهود: وقد كان منهم في عداوة رسول الله ﷺ،
ما كان! فقال عباس: إنهم كانوا أخلائي^(٥) في الجاهلية، وكانوا أقواماً أنزل بهم
فيكرموني، ومثلي يشكر ما صنع إليه من الجميل، وكان بينهما قول حتى تجاذبا،
فقال له خوات: أما والله لئن استقبلت غرب^(٦) شبابي، وشبا أنيابي، وخشن جوابي،
لتكرهن عتابي. فقال عباس: والله يا خوات، لئن استقبلت عني وفتي^(٧) وذكاء سني،
لتفرن مني، إياي تتوعد يا خوات، يا عاني^(٨) السوات! والله لقد استقبلك اللؤم
فردعك^(٩)، واستدبرك فكسحك^(١٠)، وعلاك فوضعك، فما أنت بمهجوم عليك من
ناحية إلا عن فضل لؤم؛ إياي - ثكلتك^(١١) أمك - تروم؟ وعليّ تقوم؟ والله ما نُصبت
سوقك، ولأظهرن عليك بعد؛ فقال عمر لهما: إما أن تسكتا وإما أن أوجعكما ضرباً،
فصمتا وكفّا، أخبرني بذلك علي بن نصر. قال: حدثني الحسن بن محمد بن جرير،

(١) الصريح: الخالص النسب.

(٢) الكاهنان: أطلق النعت على قريظة والنضير من اليهود.

(٣) المغبة: العاقبة.

(٤) المسغب: المتضوّر من شدّة الجوع.

(٥) الأخلاء، الواحد خليل: الأصحاب، الأصدقاء.

(٦) غرب شبابي: أوجه وشدّته.

(٧) فتي: عدائي أو قدرتي على فنون الكلام.

(٨) عاني السوات: المفتش عن القائن.

(٩) ردعك: منعك ولطخك به.

(١٠) كسحك: ضرب دبرك به.

(١١) ثكلتك أمك: يدعو عليه بالموت لتبكيه أمه.

وحدثني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا عبد الرحمن بن الحسن عن أبيه مثل ذلك. وللعباس مع خوات مناقضات أخر في هذا المعنى، كرهت الإطالة بذكرها.

رثاه أخوه بشعر:

قال أبو عبيدة: وكان العباس وسُراقَة وحزن وعمرو بنو مرداس كلهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد، وكلهم كان شاعراً، وعباس أشعرهم، وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم، ومات في الإسلام، فقال أخوه سُراقَة يرثيه:

أعينَ ألا أبكي أبا الهيثم وأذري الدموعَ ولا تسأمي
وأثني عليه بآلائه بقول امرئ موجه مؤلم
فما كنتُ بائعته بامرئ أراه بببدو ولا موسم
أشد على رجل ظالم وأدهى لدهاية ميثم^(١)

[المتقارب]

وقالت أخته عمرة ترثيه:

لتبك ابنَ مرداسٍ على ما عراهم عشيرته إذ حُمَّ^(٢) أمس زوالها
لدى الخصم إذ عند الأمير كفاهم فكان إليه فصلها وجدالها^(٣)
ومُعْضلة للحاملين كفيتها إذا أنهلت^(٤) هوج الرياح^(٥) طلالها^(٦)

[الطويل]

دعاء النبي عليه السلام لأُمته:

وقد روى العباس بن مرداس عن النبي ﷺ، ونقل عنه الحديث.

حدثنا الحسين بن الطيّب الشجاعى البلخي بالكوفة. قال: حدثنا أيوب بن محمد الطلحي. قال: حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي. قال: حدثنا عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس السلمي أن أباه حدثه عن جدّه عباس بن مرداس أن النبي ﷺ دعا لأُمته عشية عَرَفَة. قال: فأجيبَ لهم بالمغفرة إلا ما كان من مظالم

(١) الميثم، بكسر الميم: الشديد الوطء من الرجال.

(٢) حُمَّ زوالها: حان موتها.

(٣) جدالها: حوارها.

(٤) أنهلت: أول انهمار الأمطار.

(٥) هوج الرياح: الشديدة التي تحمل الغيوم الغزيرة بالأمطار.

(٦) الطلال، بكسر الطاء، الواحد طَلَّ: المطر المنهمر بغزارة.

العِبَاد بعضهم لبعض، قال فإني آخذ للمظلوم من الظالم، قال: أي ربّ إن شئت أعطيتَ للمظلوم من الجنة، وغفرتَ للظالم، فلم يُجب في حينه، فلما أصبح في المزدلفة أعاد الدعاء، فأجيب لهم بما سأل، فضحك النبي ﷺ أو تبسم، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: بأبي أنت وأمي! إن هذه لساعةٌ ما كنتَ تضحك فيها أو تبسم، فقال: إن إبليس لما علم أن الله غفر لأمتي جعل يحثو التراب على رأسه، ويدعو بالويل والثبور، فضحكُ من جَزَعه^(١). تمت أخبار العباس.

صوت

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا يا أكرمَ الناس أعرافاً وعيدانا
أرجوك من بعده إذ بان سيّدنا عَنَّا ولولاك لاستسلمت إذ بانا
فأنت أكرم من يمشي على قدم وأنضرُ الناس عند المحل أغصانا
لو مَجَّ^(٢) عودٌ على قومٍ عُصارتِه لمَجِّ عودك فينا المسك والبان^(٣)
[البسيط]

الشعر لحَمَّاد عجرد، والغناء لحكم الوادي، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها.

(١) الجزع: الخوف.

(٢) مَجَّ: علك ثم تفل من فمه.

(٣) البان، الواحدة بانه من الشجرة يتميّز برقة أغصانه وليونها.

أخبار حماد عجرد ونسبه

هو حمّاد بن يحيى بن عمر بن كليب، ويكنى أبا عمر، مولى بني عامر بن صعصعة، وذكر ابن النطّاح أنه مولى بني سَراة، وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنه مولى بني عُقيل، وأصله ومنشؤه بالكوفة، وكان يبري النّبل، وقيل: بل أبوه كان نبّالاً، ولم يتكسب هو بصناعة غير الشعر.

وقال صالح بن سليمان: كان عمّ لحمّاد عجرد يقال له مؤنس بن كليب، وكانت له هيئة - وابن عمه عمارة بن حمزة بن كليب - انتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطاً، فكانوا بها، وحمّاد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، إلّا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته في أيام بني العباس، وكان خليعاً ماجناً، متّهماً في دينه، مرمياً بالزندقة.

كان أبوه مولى لبني هند، وهجاء بشار له:

أخبرني عمي. قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر. قال: قال أبو دِعامَة: حدثني عاصم بن أفلح بن مالك بن أسماء. قال: كان يحيى أبو حمّاد عجرد مولى لبني هند بنت أسماء بن خارجة، وكان وكيلاً لها في ضيعتها بالسواد^(١)، فولدت هند من بشر بن مروان، عبد الملك بن بشر، فجرّ عبد الملك ولاء موالى أمّه فصاروا مواليه. قال: ولما كان والد حمّاد عجرد بالسواد في ضيعتها نبّطه^(٢) بشّار لَمّا هجاه بقوله:

وأشدُّ يدِيك بحمّاد أبي عُمرٍ فإِنَّه نبطيٌّ من زنا بَيرِ^(٣)

[البسيط]

قال: وإما لقبه بعجرد عمرو بن سِنديّ مولى ثقيف لقوله فيه:

سبَحْتُ^(٤) بغلّة ركبتَ عليها عجباً منك خيبةً للمسيرِ

(١) أي سواد العراق.

(٢) نبّطه: نسبه إلى النبط، والنبط: قبائل بدوية عربية استوطنت جنوبي فلسطين القرن الرابع قبل الميلاد، اتخذوا البتراء عاصمة لهم.

(٣) زنا بَير: أرض في اليمن. (٤) سبحت بغلة: مدّت يديها في عدوها.

زعمت أنها تراه كبيراً
 إن دهرأ ركبت فيه على بغل
 لجديرألاً نرى فيه خيراً
 ما امرؤ ينتقيك يا عُقدة الكل
 لا ولا مجلس أجنك^(٢) للذا
 حملها عجرد الزنا والفجور
 ل وأوقفته بباب الأمير
 لصغير منأ ولا لكبير
 ب^(١) لأسراره بجد بصير
 ت يا عجرد الخنا^(٣) بستير^(٤)
 [السيط]

يعني بهذا القول محمد بن أبي العباس السفّاح، وكان عجرد في ندمائه، فبلغ هذا الشعر أبا جعفر، فقال لمحمد: ما لي ولعجرد يدخل عليك؟ لا يبلغني أنك أذنت له، قال: وعجرد مأخوذ من المعجرد، وهو العريان في اللغة، يقال: تعجرد الرجل إذا تعرّى فهو يتعجرد تعجراً: وعجرت الرجل أعجده عجرة إذا عرّيته.

أخبرني إسماعيل بن يونس. قال: حدثنا عمرو بن شبة، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، ونسخت من كتاب عبد الله بن المعتز، حدثني الثقف عن إبراهيم بن عمر العامري. قال: كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمّادون: حمّاد عجرد وحمّاد الراوية، وحماد بن الزبرقان، يتنادمون على الشراب، ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، يُرمون بالزندقة جميعاً وأشهرهم بها حمّاد عجرد.

أخبرنا الفضل بن الحّباب الجُمحيّ أبو خليفة إجازة عن التوزي: أن حمّاداً لُقّب بعجرد لأن أعرابياً مرّ به في يوم شديد البرد وهو عُريان يلعب مع الصبيان فقال له: تعجرت يا غلام؛ فسمّي عجرداً.

قال أبو خليفة: المتعجرد: المتعري؛ والعجرد أيضاً: الذهب.

سبب مهاجاة بشار:

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى، عن علي بن مهدي، عن عبد الله بن عطية، عن عبّاد بن الممّزق، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة قال: كان السبب في مهاجاة حمّاد عجرد بشاراً أن حمّاداً كان نديماً لنا نافع بن عُقبة، فسأله بشار تنجّز^(٥) حاجة له من نافع، فأبطأ عنها، فقال بشار فيه:

(١) عقدة الكلب: قضيبه.

(٢) أجنك: سترك، خبأك.

(٣) الخنا: الفحش، لفظاً وفعلاً.

(٤) الستير: المستور.

(٥) تنجّز: إنجاز أو إتمام.

مواعيد حمّاد سماءً مُخيّلةً^(١) تكشّف عن رعد ولكن ستبرّق
إذا جئته يوماً أحال على غدٍ كما وعد الكمّون ما ليس يصدّق
وفي نافع عني جفاءً، وإنني لأطرق أحياناً، وذو اللبّ يُطرق
وللنّقرى^(٢) قومٌ فلو كنت منهم دُعيتُ ولكن دوني الباب مغلق
أبا عُمرٍ خلّفتُ خلفك حاجتي وحاجتهُ غيري بين عينيك تبرّق
وما زلتُ أستاذنيك^(٣) حتى حسرتني^(٤) بوعدٍ كجاري الآل^(٥) يخفى ويخفق

[الطويل]

قال: فغضب حمّاد وأنشد نافعاً الشعر، فمنعه من «صلة» بشار، فقال بشار:

أبا عُمرٍ ما في طلابيك حاجةٌ ولا في الذي منّيتنا ثم أصحرا
وعدت فلم تصدّق وقلت: غداً غداً كما وعد الكمّون شرباً مؤخراً

[الطويل]

قال: فكان ذلك السبب في التهاجي بين بشار وحمّاد.

كان من كبار الزنادقة:

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار. قال: حدثني أبو إسحاق الطَّلحي. قال: حدثني أبو سُهَيْل. قال: حدثني أبو نُواس. قال: كنت أتوهم أن حمّاد عجرد إنما رمي بالزندقة لمجونه في شعره، حتى حُبستُ في حبس الزنادقة، فإذا حمّاد عجرد إمامٌ من أئمتهم، وإذا له شعر مزاج بيتين بيتين يقرؤون به في صلاتهم، قال: وكان له صاحب يقال له حريث^(٦) على مذهبه، وله يقول بشارٌ حين مات حمّاد عجرد على سبيل التعزية له:

بكى حريثٌ فوقه بتعزيةٍ مات ابن نهياً وقد كانا شريكين
تفاوضاً^(٧) حين شابا في نسائهما وحللاً كلّ شيء بين رجلين

(١) سماء مخيلة: الخُلب الخادعة بالمطر.

(٢) النقرى: أي دعوة الخاصة من الأصدقاء والأحباب.

(٣) أستاذنيك: انتظر مجيئك.

(٤) حسرتني: كشفتني.

(٥) الآل: السراب.

(٦) حريث: قصد بذلك حريث بن أبي الصلت الحنفي كما سيأتي في الأبيات التالية.

(٧) تفاوضاً: تشاركاً بما لديهما من نسائهما.

أَمْسَى حُرَيْثٌ بِمَا سَدَّى لَهُ غَيْرًا كَرَكَبِ اثْنَيْنِ يَرْجُو قُوَّةَ اثْنَيْنِ
حَتَّى إِذَا أَخَذَا فِي غَيْرِ وَجْهِهِمَا تَفَرَّقَا وَهَوَى بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ
[البسيط]

يعني أنه كان يقول بقول الثنوية^(١) في عبادة اثنين، فتفرقا وبقي بينهما حائراً، قال: وفي حماد يقول بشار أيضاً وينسبه إلى أنه ابن نهيّا:

يَا ابْنَ نَهْيَا رَأْسٌ عَلِيٌّ ثَقِيلُ واحتمالُ الرؤوسِ خطبٌ جليلُ
أُدْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ الْاِثْنَيْنِ نِ فإِنِّي بِوَاحِدٍ مَشْغُولُ
يَا ابْنَ نَهْيَا بَرْتُ مِنْكَ إِلَى اللَّـ هِ جِهَارًا، وَذَاكَ مِنِّي قَلِيلُ
[الخفيف]

قال: فأشاع حماد هذه الأبيات لبشار في الناس، وجعل فيها مكان «فإني بواحد مشغول»: «فإني عن واحد مشغول» ليصحح عليه الزندقة والكفر باللّٰه تعالى، فما زالت الأبيات تدور في أيدي الناس حتى انتهت إلى بشار، فاضطرب منها وتغيّر وجزع وقال: أشاط^(٢) ابن الزانية بدمي، واللّٰه ما قلت إلا «فإني بواحد مشغول» فغيّرها حتى شهرني في الناس بما يهلكني.

هجاء بشار له:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي. قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ. قال: حدثني صالح بن سليمان الخثعمي. قال: قيل لعبد اللّٰه بن ياسين: إن بشاراً المرعث^(٣) هجا حماداً فنبّطه، فقال عبد اللّٰه: قد رأيت جدّ حماد، وكان يسمّى كليباً، وكانت صناعته صناعة لا يكون فيها نبطي، كان يبري التّبال ويريشها، وكان يقال له: كليب التّبال، مولى بني عامر بن صعصعة.

هجاء بشار له ولصديقه سليم:

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدّب، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزّي. قال: حدثني أحمد بن خلّاد. قال: كان بشارٌ صديقاً لسليم بن سالم مولى بني سعد، وكان المنصور أيام أستير بالبصرة نزل على سليم بن سالم، فولّاه أبو جعفر

(١) الثنوية: هم الفرس الذين كانوا يعبدون إلهين، إلهاً للخير وإلهاً للشر.

(٢) أشاط دمه: أباحه ليكون عرضة للقتل.

(٣) المرعث: لقب بشار بن برد لأنه كان يعلّق في أذنه قرطاً.

حين أفضى الأمر إليه السُّوس وجُنْدَيْسابور، فانضمَّ إليه حماد عجرد، فأفسده على
بشار، وكان له صديقاً، فقال بشار يهجوها:

أمسى سُلَيْم بأرض السُّوس مُرتفقاً^(١) في خَزَّها بعد غربالٍ وأمدادٍ
ليس النعيم وإن كنَّا نُزَنَ^(٢) به إلا نعيم سُلَيْم ثمَّ حمَّادٍ
نيكا وناكا ولم يشعر بذا أحدٍ في غفلةٍ من نبيِّ الرحمة الهادي
[البسيط]

فنشب الشرُّ بين حمَّاد وبشار.

دخل بينه وبين بشار رجل بصري:

أخبرني عمي. قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، عن عمر بن شُبَّة،
عن أبي أيُّوب الزبالي، قال: كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حمَّاد وبشار على
اتفاق منهما ورضاً بأن ينقل إلى كل واحد منهما وعنه الشعر، فدخل يوماً إلى بشار
فقال له: إيه يا فلان، ما قال ابن الزانية فيّ؟ فأنشدته:

إن تاهَ بَشَّارٌ عليكم فقد أَمَكْنْتُ بَشَّاراً مِنَ التَّيِّهِ
[السريع]

فقال بَشَّار: بأيّ شيء ويحك؟ فقال:

وذاك إذ سَمَّيته باسمه ولم يكن حرّاً يسمُّيه
[السريع]

فقال: سخنتُ عينه^(٣)، فبأيّ شيء كنت أعرَفُ؟ إيه، فقال:

فصار إنساناً بذكري له ما يبتغي من بعد ذكريه؟
[السريع]

فقال: ما صنع شيئاً، إيه ويحك؟ فقال:

لم أهجُ بَشَّاراً ولكنني هجوْتُ نفسي بهجائيهِ
[السريع]

فقال: على هذا المعنى دار، وحوله حام، إيه أيضاً، وأي شيء قال؟ فأنشدته:

أنت ابن بُرْدٍ مُثْلُ بُرْدٍ دِفي النَّذالة والرَّذالة

(١) مرتفقاً: متكناً على مرفق يده.

(٢) نُزَنَ به: نتهم به بفعل الفاحشة.

(٣) سخنت عينه: دعاء بأن تدمع نتيجة مصيبة أو مرض.

من كان مثل أبيك يا أعمى أبوه فلا أباً له
[مجزوء الكامل]

فقال: جوّد ابن الزانية، وتمام الأبيات الأول:

لم أت شيئاً قط فيما مضى ولست فيما عشتُ آتية
أسوأ لي في الناس أحدىثة من خطيأ أخطأته فيه
فأصبح اليوم بسبيّ له أعظم شأناً من مواليه
[السريع]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري. قال: حدثنا عمر بن شبّة، عن خلاد الأرقط. قال: أنشد بشّاراً راويته قول عجرد فيه:

دُعيت إلى بُرد وأنت لغيره فهبك ابن بُردٍ نكت أمك من بُرد؟
[الطويل]

فقال بشّار لراويته: هاهنا أحد؟ قال: لا، فقال: أحسن، واللّه ما شاء ابن الزانية.

أخبرني أحمد بن العباس العسكري. قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي. قال: حدثني محمد بن يزيد المهلبّي. قال: حدثني محمد بن عبد الله بن أبي عيّنة. قال: قال حماد عجرد لمّا أنشد قول بشّار فيه:

يا ابنَ نهيا رأسٌ عليّ ثقیل واحتمال الرأسین أمرٌ جلیل
فادعُ غيري إلى عبادة ربّي من فإني بواحد مشغول
[الخفيف]

واللّه ما أبالي بهذا من قوله، وإنما يغيظني منه تجاهله بالزندقة، يؤهم الناس أنه يظن أن الزنادقة تعبد رأساً ليظنّ الجهال أنه لا يعرفها، لأن هذا قول تقوله العامة لا حقيقة له، وهو، واللّه، أعلم بالزندقة من ماني.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمّار وحبیب بن نصر المهلبّي، قالوا: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثنا أبو أيوب الزبالي. قال: قال بشّار لراويته حماد: ما هجاني به اليوم حماد؟ فأنشده:

ألا من مُبلِّغ عني الّذي والدّه بُردُ

[الهزج]

فقال: صدق ابن الفاعلة، فما يكون؟ فقال:

إذا ما نُسبَ الناسُ فلا قبل ولا بُعد

[الهج]

فقال: كذب ابن الفاعلة، وأين هذه العرصات من عُقيل؟ فما يكون؟ فقال:

وأعمى قَلْطَبانٍ ما على قاذفه حَدُّ

[الهج]

فقال: كذب ابن الفاعلة، بل عليه ثمانون جَلْدَةً، هيه، فقال:

وأعمى يشبه القرد إذا ما عمي القرد

[الهج]

فقال: والله ما أخطأ ابن الزانية حين شَبَّهني بقرد، حسبك حسبك، ثم صَفَّق

بيديه، وقال: ما حيلتي؟ يراني فيشَبِّهني ولا أراه فأشَبِّهه.

وقال: أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعي. قال: حدثنا أبو غَسَّان

دماذ فذكر مثله، وقال فيه: لَمَّا قال حمَّاد عَجَرِدٍ في بَشَّار:

شبيهه الوجه بالقرد إذا ما عمي القرد

[الهج]

بكى بَشَّار، فقال له قائل: أتبكي من هجاء حمَّاد؟ فقال: والله ما أبكي من

هجائه ولكن أبكي لأنه يراني ولا أراه، فيصفني ولا أصفه، قال: وتما هذه الأبيات:

ولو يَنكُه في صَليد^(١) صَفًّا لَانصَدع^(٢) الصَّلْدُ

دنيٍّ لم يَرُحْ يوماً إلى مجدٍ ولم يَغْد

ولم يحضر مع الحُضَّا ر في خيرٍ ولم يَبْد

ولم يُخَشَّ له ذمٌّ ولم يُرَجَّ له حَمْد

جرى بالنَّحس مذ كان ولم يَجِرْ له سَعْد

هو الكلب إذا ما ما ت لم يوجد له فَقد

[الهج]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز. قال: حدثنا عمر بن شَبَّة. قال: حدثني خَلَاد

الأرقط. قال: أشاع بشار في الناس أن حماد عَجَرِدٍ كان يُنشد شعراً ورجلٌ بإزائه يقرأ

(١) الصلْد: الصلب من الأحجار.

(٢) إنصَدع: إنشق.

القرآن وقد اجتمع الناس عليه، فقال حماد: علامَ اجتمعوا؟ فوالله لما أقول أحسن ممّا يقول.

قال: وكان بشار يقول: لمّا سمعتُ هذا من حماد مَقَّتُهُ عليه.

هجاء بشار له:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار. قال: أخبرني أبو إسحاق الطّلحي قال: حدثني أبو سهيل عبد الله بن ياسين أن بشاراً قال في حماد عجرد وسهيل بن سالم، وكان سهيلاً من أشرف أهل البصرة، وكان من عمّال المنصور، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب، وكان حمّاد وسهيل نديمين:

ليس النعيم وإن كنّا نَزَنَ به
ناكا ونیکا إلى أن لآح شيبهما
فَهْدَيْن طورا وفَهَّادَيْن^(١) آونةً
سبحانك الله لو شئت امتسختهما
إلا نعيم سهيل ثم حمّاد
في غفلة عن نبي الرحمة الهادي
ما كان قبلهما فهد بفهد
قردين فاعتلجا^(٢) في بيت قراد
[الهج]

قال: يعني بقوله:

ما كان قبلهما فهد بفهد

أي لم يكن الفهد فهداً، كما تقول: لم يكن زيد بظريف، ولم يكن زيد ظريفاً، قال ابن ياسين: وفيه يقول بشار أيضاً:

ما لمت حمّاداً على فسقه
وماهما من أيّره وأسته؟
مابات إلا فوقه فاسق
يلومه الجاهل والمائق^(٣)
ملّكه إيّاهما الخالق
ينيكه أو تحته فاسق
[السريع]

هجاؤه لبشار:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: أنشدني ابن أبي سعد لحمّاد عجرد في بشار - قال وهو من أغلظ ما هجاه به عليه -:

(١) الفهد: هو من يعلم الفهد على الصيد.

(٢) اعتلجا: تقاتلا وتصارعا.

(٣) المائق: الأحق.

نهارُهُ أَخْبِثُ مِنْ لَيْلِهِ وَيَوْمُهُ أَخْبِثُ مِنْ أَمْسِهِ
وَلَيْسَ بِالْمُقْلِعِ عَنْ غِيَّهِ حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ^(١)
[السريع]

قال: وكان أغلظ على بشار من ذلك كله وأوجعه له قوله فيه:

لَوْ طَلَيْتُ جَلْدُتَهُ عَنِيراً لِأَفْسَدْتُ جَلْدُتَهُ الْعَنِيراً
أَوْ طَلَيْتُ مَسْكَاً ذَكِيّاً إِذَا تَحَوَّلَ الْمَسْكُ عَلَيْهِ خِيراً
[السريع]

قال ابن أبي سعد: وقد بالغ بشار في هجاء حماد، ولكن حكم الناس عليه لحَمَاد بهذه الأبيات.

إتصالة بالربيع:

أخبرني محمد بن خلف وكيع. قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني أحمد بن إسحاق. قال: حدثني عثمان بن سفيان العطار. قال: إتصل حماد عجرد بالربيع^(٢) يؤدّب ولده، فكتب إليه بشار رقعة، فأوصلت إلى الربيع، فطرده لمّا قرأها، وفيها مكتوب:

يَا أَبَا الْفَضْلِ لَا تَنْمُ وَقَعَ الذَّنْبُ فِي الْغَنَمِ
أَنْ حَمَادٌ عَجْرِدٌ إِنْ رَأَى غَفْلَةً هَجَمَ
بَيْنَ فَخْذَيْهِ حَرْبَةٌ فِي غِلَافٍ مِنَ الْأَدَمِ^(٣)
إِنْ خَلَا الْبَيْتُ سَاعَةً مَجْمَعِ الْمَيْمِ بِالْقَلَمِ

[مجزوء الخفيف]

فلما قرأها الربيع. قال: صيّرتني حماد دريئة^(٤) الشعراء، أخرجوا عني حماداً، فأخرج.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة، عن علي بن مهدي، عن عبد الله بن عطية، عن عبّاد بن الممّزق أن حماد عجرد كان يؤدّب ولد العباس بن محمد الهاشمي، فكتب إليه بشار بهذه الأبيات المذكورة، فقال العباس: ما لي ولبشار؟ أخرجوا عني حماداً، فأخرج.

(١) الرمس: القبر.

(٢) الربيع: هو الربيع بن يونس وزير المنصور، مات سنة ١٧٠هـ.

(٣) الأدم: الجلد.

(٤) دريئة الشعراء: حلقة يُتعلّم عليها الطعن.

هجاؤه لبشار:

أخبرني يحيى بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم. قال: حدثني عبد الله بن طاهر بن أبي أحمد الزبيري. قال: لما أخرج العباس بن محمد حماداً عن خدمته، وانقطع عنه ما كان يصل إليه منه، أوجعه ذلك، فقال يهجو بشاراً:

لقد صار بشار بصيراً بدُّبره وناظره بين الأنام ضريرُ
له مُقلَّةٌ عمياءُ وأستٌ بصيرةٌ إلى الأير من تحت الثياب تُشيرُ
على وده أن الحمير تنيكه وأن جميع العالمين حميرُ
[الطويل]

شعره في قطرب:

قال أبو الفرج الأصفهاني: وقد فعل مثل هذا بعينه حماد عجردٍ بقطرب^(١).

أخبرني عمي عن عبد الله بن المعتز. قال: حدثني أبو حفص الأعمى المؤدّب، عن الزبالي. قال: إتخذ قطرب النحويّ مؤدّباً لبعض ولد المهدي، وكان حماد عجرد يطمع في أن يجعل هو مؤدّبه، فلم يتم له ذلك، لتهمته وشهرته في الناس بما قاله فيه بشار، فلما تمكن قطرب في موضعه صار حماد عجرد كالمُلقي على الرّصف^(٢)، فجعل يقوم ويقعد بقطرب في الناس، ثم أخذ رقعةً فكتب فيها:

قل للإمام - جزاك الله صالحاً -: لا تجمع الدهر بين السّخل^(٣) والذّيب
السّخل غرٌّ وهمّ الذّيب فُرصة والذّيب يعلم ما في السّخل من طيب
[البسيط]

فلما قرأ هذين البيتين قال: انظروا لا يكون هذا المؤدّب لو طياً، ثم قال: أنفوه عن الدار، فأخرج عنها، وجيء بمؤدّب غيره، ووكل به تسعون خادماً يتناوبون، يحفظون الصبي، فخرج قطرب هارباً مما شهر به إلى عيسى بن إدريس العجلي بن أبي دلف، فأقام معه بالكرخ إلى أن مات.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني. قال: لما قال حماد عجرد في بشار:

(١) هو: لقب أبي محمد بن المستنير، من نحاة البصرة، تتلمذ على سيبويه، والقطرب: ذكر الغيلان مات سنة ٢٠٦هـ.

(٢) الرصف: الحجارة المحماة بالشمس أو النار.

(٣) السخل والسخال، الواحدة سخلّة: ولد الشاة عند ولادته ذكراً كان أو أنثى.

ويا أقبح من قرد إذا ما عمي القرد

[الهج]

قال بشار: لا إله إلا الله، قد والله كنت أخاف أن يأتي به، والله لقد وقع لي هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة، فما نطقت به خوفاً من أن يسمع فأهجي به، حتى وقع عليه النبطي ابن الزانية.

كان أبو حنيفة صديقاً له :

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب عبد الله بن المعتز، حدثني العجلي. قال: حدثني أبو دهمان. قال: كان أبو حنيفة الفقيه صديقاً لحماة عجرد، فنسك أبو حنيفة وطلب الفقه، فبلغ فيه ما بلغ، ورفض حماداً وبسط لسانه فيه، فجعل حماد يلاطفه حتى يكف عن ذكره، وأبو حنيفة يذكره، فكتب إليه حماد بهذه الأبيات:

إن كان نسكك لا يتـ	م بغير شتمي وانتقاصي
أو لم تكن إلا به	ترجو النجاة من القصاص
فأعد وقم بي كيف شئت	ت مع الأداني والأقاصي
فلطالما زكيتـ	ني وأنا المقيم على المعاصي
أيام تأخذها وتنعـ	طي في أباريق الرصاص

[مجزوء الكامل]

قال: فأمسك أبو حنيفة. رحمه الله. بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه.

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع. قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن النضر بن حديد. قال: كان حماد عجرد صديقاً ليحيى بن زياد، وكانا يتنادمان ويجتمعان على ما يجتمع عليه مثلهما، ثم إن يحيى بن زياد أظهر تورعاً وقرأةً ونزوعاً عما كان عليه، وهجر حماداً وأشباهه، فكان إذا ذكر عنده ثلبه وذكر تهتكه ومجونه، فبلغ ذلك حماداً، فكتب إليه:

هل تذكرن دلجي ^(١) إليـ	ك على المضمرة ^(٢) القلاص ^(٣)
أيام تُعطيني وتأـ	خذ من أباريق الرصاص

(١) دلجي: سيري في الليل.

(٢) المضمرة من الإبل: المكتنزة لحماً.

(٣) القلاص من الإبل: الشابة القوية على السير.

إن كان نسكك لا يتـ
 أو كنت لست بغير ذا
 فعليك فأشتم آمناً
 وأقعد وقم بي ما بدا
 فلطالما زكّيتني
 أيام أننت إذا ذكّر
 وأنا وأنت على ارتكـ
 وبنا مواطن ما يُنا
 مّ بغير شتمي وانتقاصي
 ك تنال منزلة الخلاص
 كلّ الأمان من القصاص
 لك في الأداني والأقاصي
 وأنا المقيم على المعاصي
 تُ مناضلٌ عني مُناصي^(١)
 ب الموبقات^(٢) من الحِراس
 في البرّ أهلة العِراس^(٣)
 [مجزوء الكامل]

فاتّصل هذا الشعر بيحيى بن زياد، فنسب حماداً إلى الزندقة ورماه بالخروج
 على الإسلام، فقال حمّاد فيه:

لا مؤمنٌ يُعرف إيمانه
 منافقٌ ظاهره ناسكٌ
 وليس يحيى بالفتى الكافر
 مخالف الباطن للظاهر
 [السريع]

أخبرني محمد بن خلف وكيع. قال: حدثنا ابن أبي سعد، عن النضر بن عمرو
 قال: كان لحماد عجرد إخوانٌ ينادمونه، فانقطع عنه الشراب، فقطعوه، فقال
 لبعضهم:

لست بغضبان ولكنني
 أن فقدتُ الرّاح جانبتي
 قد كنت من قبل وأنت الذي
 وما أرى فِعلك إلا وقد
 أنت من الناس وإن عبتهم
 أعرف ما شأنك يا صاح
 ما كان حُبّيك على الراح
 يعنيك إمسائي وإصباحي
 أفسدني من بعد إصلاحي
 دونكها مني بإفصاح
 [السريع]

(١) مُناصي: الذي يجاذبني وأجاذبه.

(٢) الموبقات: المفاسد والرديلة.

(٣) العِراس، الواحدة عِرسة: ساحة الدار، سميت بذلك لاعتراض الصبيان فيها، كلّ بقعة ليس فيها
 بناء.

كان من ندماء الوليد بن يزيد :

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق . قال : حدثني ميمون بن هارون عن أبي محلّم أن الوليد^(١) بن يزيد أمر شراعة بن الرّندبوذ أن يسمي له جماعةً ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة ، فسَمَّى له مطيع بن إياس وحماد عجرد والمطيعيّ المغني ، فكتب في إشخاصهم إليه ، فأشخصوا ، فلم يزالوا في ندمائه إلى أن قُتل ، ثم عادوا إلى أوطانهم .

أخبرني عيسى بن الحسين . قال : حدثني حماد عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني . قال : تزوّج حمّاد عجرد امرأة ، فدخلنا إليه صبيحة بنائه بها نهئته ونسأله عن خبره ، فقال لنا : كنت البارحة جالساً مع أصحابي أشرب ، وأنا منتظرٌ لامرأتي أن يؤتى بها ، حتى قيل لي : قد دخلت ، فقامت إليها فوالله ما لبثتها حتى افتضضتها ، وكتبت من وقتي إلى أصحابي :

قد فتحت الحصن بعد أمتناع	بمشيخ ^(٢) فاتح للقلاع
ظفرت كفي بتفريق شمل	جاءنا تفريقه باجتماع
فإذا شعبي وشعب حبيبي	إنما يلتام ^(٣) بعد انصداع ^(٤)

[المديد]

اجتماعه بوجوه البصرة :

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن علي عن القاسم بن محمد الأنباري ، قال : حدثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أحمد بن الأسود بن الهيثم ، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الحميد ، قال : اجتمع عمي سهم بن عبد الحميد وجماعة من وجوه أهل البصرة عند يحيى بن حميد الطويل ، ومعهم حماد عجرد ، وهو يومئذ هارب من محمد بن سليمان ، ونازل على عُبّة بن سَلَم ، وقد أَمِن ، وحضر الغداء ، فقبل له : سهم بن عبد الحميد يصلي الضحى ، فانتظر ، وأطال سهم الصلاة ، فقال حماد :

ألا أيُّ هذا القانت^(٥) المتهجّد صلاتك للرحمن أم لي تسجد ؟

(١) الوليد : هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، ولي الخلافة سنة ١٢٥ هـ وقتل سنة ١٢٦ هـ ولسوء مسلكه .

(٢) المشيخ : الطويل .

(٣) يلتام : يلتحم ، يجتمع .

(٤) انصداع : تفرّق ، تشقّق .

(٥) القانت : العابد في الليل ، المتجهّد .

أما والذي نادى من الطور^(١) عبده
 فهلاً اتقيت الله إذ كنت والياً
 ويشهد لي أنني بذلك صادق
 وعند أبي صفوان فيك شهادة
 فإن قلت زدني في الشهود فإنه
 لمن غير ما برّ تقوم وتقع
 بصنعاء تبزي من وليت وتجرد
 حريت ويحيى لي بذلك يشهد
 وبكر، وبكر مسلم متهدد
 سيشهد لي أيضاً بذاك محمد
 [الطويل]

قال: فلما سمعها قطع الصلاة وجاء مبادراً، فقال له: قبحك الله يا زنديق،
 فعلت بي هذا كله لشركك في تقديم أكل وتأخيرته! هاتوا طعامكم فأطعموه لا أطمعه
 الله تعالى، فقدمت المائدة.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، عن أبيه، عن إسحاق الموصلي، عن
 محمد بن الفضل السكوني قال: لقيت حماد عجرد بواسط، وهو يمشي وأنا راكب،
 فقلت له: إنطلق بنا إلى المنزل، فإني الساعة فارغ لتحدث، وحبست عليه الدابة،
 فقطعني شغل عرض لي لم أقدر على تركه، فمضيت وأنسيته، فلما بلغت المنزل
 خفت شره، فكتبت إليه:

أبا عمرٍ أغفر هديت فإنني
 فلا تجدن^(٢) فيه عليّ فإنني
 وهبه لنا تفديك نفسي فإنني
 وعُد منك بالفضل الذي أنت أهله
 قد أذنبت ذنباً مخطئاً غير عامدٍ
 أقرُّ بإجرامي ولست بعائدٍ
 أرى نعمةً إن كنت لست بواجدٍ
 فإنك ذو فضل طريف^(٣) وتالد^(٤)
 [الطويل]

فكتب إليّ مع رسولي:

محمد يا ابن الفضل يا ذا المحامد
 وحقك ما أذنبت منذ عرفتني
 ولو كان، ما ألفيتني متسرّعاً
 ويا بهجة النادي وزين المشاهد
 على خطايا يوماً ولا عمداً
 إليك به يوماً تسرع واجد
 [الطويل]

(١) الطور: الجبل.

(٢) تجدن: تغضب.

(٣) الطريف: الحديث، الجديد من مال وسواه.

(٤) التالد، التليد: الموروث، القديم من مال وسواه.

أي لو كان لك ذنب ما صادفتني مسرعاً إليك بالمكافأة^(١):

ولو كان ذو فضل يسمّى لفضله بغير اسمه سُميت أمّ القلائد
[الطويل]

قال: فيينا رفعتة في يدي وأنا أقرؤها إذ جاءني رسوله برفعة فيها:

قد غفرنا الذنب يا ابن الـ	فضل والذنب عظيم
ومسيء أنت يا ابن الـ	فضل في ذاك مُليم ^(٢)
حين تخشاني على الذنـ	ب كما يُخشى اللئيم
ليس لي إن كان ما خفـ	ت من الأمر حريم
أنا واللّه - ولا أفـ	خر - للغيط كظوم
ولأصحابي ولأـ	ربّه برّ رحيم
وبما يُرضيهم عـ	ني ويُرضيني عليم

[مجزوء الرمل]

مديحه لجلّة من أبناء ملوك فارس:

أخبرني يحيى بن علي، عن أبيه عن إسحاق. قال: خرج حماد عجرد مع بعض الأمراء إلى فارس، وبها جلّة من أبناء الملوك، فعاشر قوماً من رؤسائها، فأحمد معاشرتهم، وسرّ بمعرفتهم، فقال فيهم:

رُبّ يوم بفساء ^(٣)	ليس عندي بذميم
قد قرعت العيش فيه	مع ندمان كريم
من بني صهيون في البيـ	ت المعلى والصميم
في جنان بين أنها	ر وتعرّيش كُروم
نتعاطى قهوة ^(٤) تُشـ	خص ^(٥) يقظان الهموم
بنت عشر تترك المُكـ	ثر منها كالأميم ^(٦)
فبها دأباً أحبي	ويحييني نديمي

(١) المكافأة: الجزاء الحسن.

(٢) مُليم: أتيت بما تلام عليه.

(٣) فسا: أنزه مدن فارس، تبعد عن شيراز مسافة أربع مراحل.

(٤) القهوة: من أسماء الخمرة.

(٥) تشخص: تخرج.

(٦) الأميم من الرجال: من أصيب بمرض في أم رأسه.

فِي إِنْاءٍ كَسْرُويَ مَسْتَخْفٍ لِلْحَلِيمِ
 شَرِبَةٌ تَعْدِلُ مِنْهُ شَرِبَتِي أَمْ حَكِيمِ
 عِنْدَنَا دِهْقَانَةٌ^(١) حُسَّانَةٌ ذَاتُ هَمِيمِ^(٢)
 جَمَعْتُ مَا شِئْتُ مِنْ حُسٍّ مِنْ وَمِنْ دَلٍّ^(٣) رَخِيمِ^(٤)
 فِي اعْتِدَالٍ مِنْ قَوَامٍ وَصَفَاءٍ مِنْ أَدِيمِ
 وَبَنَانٍ كَالْمَدَارِيِّ^(٥) وَثَنَايَا^(٦) كَالنَّجُومِ
 لَمْ أَنْلِ مِنْهَا سَوَى غَمٍّ زَرَّةٌ كَفٌّ أَوْ شَمِيمِ^(٧)
 غَيْرَ أَنَّ أَقْرَصَ مِنْهَا عُكْنَةً^(٨) الْكَشْحَ^(٩) الْهَضِيمِ^(١٠)
 وَبَلَى أَلْطَمَ مِنْهَا خَدَّهَا لَطَمَ رَحِيمِ
 وَبِنَفْسِي ذَاكَ يَا أَسَى وَدُّ مِنْ خَدِّ لَطِيمِ
 [مَجْرُوءُ الرَّمْلِ]

يعني الأسود بن خلف كاتب عيسى بن موسى .

حريث بن أبي الصلت يعيبه بالبخل :

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر . قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه عن أبي النضر قال : كان حريث بن أبي الصلت الحنفي صديقاً لحماد عجرد ، وكان يُعَابِثُهُ بالشعر ، ويعيبه بالبخل ، وفيه يقول :

حُرَيْثُ أَبُو الْفَضْلِ ذُو خُبْرَةٍ بِمَا يُصْلِحُ الْمَعْدَ الْفَاسِدَةَ
 تَخَوَّفَ تُخْمَةً أَضْيَافَهُ فَعَوَّدَهُمْ أَكْلَةَ وَاحِدَةٍ
 [الْمُتْقَارِب]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِي . قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة ، عن ابن عائشة . قال : ضَرَطَ رجل في مجلس فيه حماد عجرد ومطيع بن إياس ، فتجلد ،

(١) دهقانة ، زوجة الدهقان بكسر الدال : التاجر ، أو رئيس الإقليم في بلاد العجم . فارسي معرّب .

(٢) الهميم : الدبيب . (٣) الدلّ : الغنج النسائي .

(٤) الرخيم من الأصوات : الجميل تُسَيِّغُهُ الأذان .

(٥) المداري ، الواحدة مدرى : الأمشاط . (٦) الثنايا ، الواحدة ثنية : أسنان مقدم الفم .

(٧) الشميم : تشق العبير .

(٨) العكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن لشدة السمّة لدى المرأة .

(٩) الكشح : الخصر . (١٠) الهضم : النحيل .

ثم شرط أخرى متعمداً، ثم ثلث، ليظنوا أن ذلك كله تعمد، فقال له حماد: حسبك يا أخي فلو شرطت ألفاً لُعم بأن المُخلف الأول مُفلت^(١).

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي. قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ. قال: حدثني مُعاذ بن عيسى مولى بني تميم. قال: كان سليمان بن الفرات على كسكر^(٢)، ولأه أبو جعفر المنصور، وكان قريش مولى صاحب المصلى بواسط في ضياع صالح - وهو سندي^(٣) - فحدثني مُعاذ بن عيسى، قال: كنا في دار قريش، فحضرت الصلاة، فتقدم قريش فصلّى بنا وحمّاد عجرد إلى جنبي، فقال لي حماد حين سلم: اسمع ما قلت: وأنشدني:

قد لقيت العام جهداً	من هنات وهنات ^(٤)
من هموم تعتريني	وبلايا مطبقات ^(٥)
وجوى شيب رأسي	وحنى منى قناتي
وغدوي ورواحي	نحو سلم بن الفرات
وائتمامي بالقماري ^(٦)	قريش في صلاتي

[مجزوء الرمل]

خبره مع غلام أمرد:

أخبرني محمد بن خلف وكيع. قال: حدثنا أبو أيوب المديني عن مصعب الزبيري. قال: حدثني أبو يعقوب الخزيمي. قال: كنت في مجلس فيه حماد عجرد، ومعنا غلام أمرد، فوضع حمّاد عينه عليه وعلى الموضع الذي ينام فيه، فلما كان الليل اختلفت مواضع نومنا، فقامت فنمت في موضع الغلام، قال: ودب حمّاد إليّ يظنني الغلام، فلما أحسست به أخذت يده فوضعتها على عيني العوراء - لأعلمه أنني أبو يعقوب - قال: فنتر يده ومضى في شأنه، وهو يقول: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَنبِ عَظِيمٍ﴾ [الصفات: ١٠٧].

(١) المخلف المفلت: المكروه الرائحة.

(٢) كسكر: كورة واسعة مركزها واسط الواقعة بين البصرة والكوفة.

(٣) هو من ينسب إلى السند من بلاد الهند.

(٤) هنات وهنات: تتابع المصائب وتواليها.

(٥) مطبقات: مهلكات مفاجئات.

(٦) القماري: هو العود المشسوب إلى قمار من بلاد الهند.

شعره في جوهر:

أخبرني عمي قال: حدثني مصعب. قال: كان حماد عجرد ومطيع بن إياس يختلفان إلى جوهر جارية أبي عون نافع بن عون بن المقعد، وكان حماد يحبها ويُجن بها، وفيها يقول:

وُحِبَّ قَلْبِي قَلْبَهَا	إِنِّي لأَهْوَى جَوْهَرًا
مَنْ وَدَّهَا وَأَحَبَّهَا	وَأَحَبُّ مَنْ حَبِي لَهَا
تُخْفِي وَتَكْتُمُ ذَنْبَهَا	وَأَحَبُّ جَارِيَةٍ لَهَا
وَابْنُ الْخَبِيثَةِ رَبَّهَا	وَأَحَبُّ جِيرَانِهَا

[مجزوء الكامل]

رثاؤه للأسود بن خلف:

أخبرني عمي. قال: حدثني محمد بن سعد الكِراني. قال: حدثني أبيض بن عمرو قال: كان حماد عجرد يُعاشِر الأسود بن خلف ولا يكادان يفترقان، فمات الأسود قبله، فقال يرثيه - وفي هذا الشعر غناء -:

صوت

قَلْتُ لِحَنَانَةٍ ^(١) دَلُوح ^(٢)	تَسَحُّ ^(٣) مِنْ وَابِلٍ ^(٤) سَفُوح ^(٥)
جَادَتْ عَلَيْنَا لَهَا رِبَابٌ ^(٦)	بِوَائِفٍ ^(٧) هَاطِلٍ ^(٨) نَضُوح ^(٩)
أُمِّي ^(١٠) الضَّرِيحُ الَّذِي أَسْمَى	ثُمَّ اسْتَهْلَى عَلَى الضَّرِيحِ ^(١١)
عَلَى صَدَى أَسْوَدَ الْمُوَارَى	فِي اللَّحْدِ وَالتَّرْبِ وَالصَّفِيحِ ^(١٢)

(١) الحنّانة من السحب: التي تصوّت كحنين الإبل فتصدر ذلك الصوت.

(٢) الدلوح من السحب: الغزيرة المياه.

(٣) تسحّ: تسيل.

(٤) الوابل من المطر: الغزير.

(٥) السفوح: المنهمر الذي ينصبّ صبّاً.

(٦) الرباب، الواحدة ربابة: الغيمة التي قد عظمت لتلاحم بعضها فوق بعض.

(٧) الواكف من الأمطار: المنهمر.

(٨) الهاطل من الأمطار: الدافق بغزارة.

(٩) النضوح: أي الذي ينضح بالمطر.

(١٠) أمّي: توجّهي.

(١١) الضريح: القبر.

(١٢) الصفيح من الأحجار: العريض.

فاسقيه رِيّاً وأوطنيه^(١) ثم اغتدي نحوه وروحي
 أغدي بسُقَيَاي فاصبحيه ثم اغبقيه^(٢) مع الصبح
 ليس من العدل أن تشحي^(٣) على امرئ ليس بالشحيح
 [مخلع البسيط]

الغناء ليونس الكاتب ذكره في كتابه ولم يجنسه :

هجا أبا عون مولى جوهر بشعر :

أخبرني عمي ، قال : أنشدنا الكِراني قال : أنشد مصعبٌ لحماد عجردٍ يهجو أبا
 عون مولى جوهر ، وكان يُقَيَّن^(٤) عليها ، وكان حماد عجردٍ يميل إليها ، فإذا جاءهم
 ثقل ، ولم يمكن أحداً من أصدقائها أن يخلو بها ، فيضرّ ذلك بأبي عون ، فجاءه يوماً
 وعنده أصدقاء لجاريته ، فحجبها^(٥) عنه ، فقال فيه :

إن أبا عونٍ ولن يرعوِي ما رقّصت رمضاؤها^(٦) جُنْدُبا^(٧)
 ليس يرى كسباً إذا لم يكن من كسب شُفْرِي^(٨) جوهر طيّبا
 فسلط الله على ما حوى مئزرها^(٩) الأفعى أو العقربا
 يُنسب بالكشخ^(١٠) ولا يشتهي بغير ذاك الإسم أن يُنسبا
 [المديد]

وقال فيه أيضاً :

إن تكن أغلقتَ دوني باباً فلقد فتحتَ للكشخ بابا
 [المديد]

وقال فيه أيضاً :

قد تخرطمت^(١١) علينا لأنّا لم نكن نأتيك نبغي الصوابا

(١) أوطنيه : إتخذه وطناً لك .

(٢) إغبقيه : أي إسقيه الغبوق عند المساء .

(٣) تشحي : تبخلي ، والشحيح : البخيل .

(٤) يُقَيَّن عليها : أي يجعل منها قينة مغنية .

(٥) حجبها عنه : منعها من أن تتصدى له .

(٦) الرمضاء : شدة الحر .

(٧) الجُنْدب ، بضم الجيم : نوع من الجراد .

(٨) الشفر : حرف الفرج .

(٩) المئزر : الإزار .

(١٠) يُنسب بالكشخ : أي يُسمّى بالكشخان وهو الديوث

(١١) تخرطمت : غضبت .

إِنَّمَا تُكْرِمُ مَنْ كَانَ مَثًّا لِسَنَانِ الْحَقْوِ^(١) مِنْهَا قَرَابَا^(٢)
[المديد]
وقال فيه أيضاً:

يَا نَافِعُ ابْنَ الْفَاجِرَةِ يَا سَيِّدَ الْمُؤَاجِرَةِ^(٣)
يَا حِلْفَ كُلِّ دَاعِرٍ وَزَوْجَ كُلِّ عَاهِرَةٍ
مَا أَمَّةٌ تَمْلِكُهَا أَوْ حُرَّةٌ بَطَاهِرَةٍ
تَجَارَةٌ أَحْدَثْتُهَا فِي الْكَشِخِ غَيْرَ بَائِرَةٍ
لَوْ دَخَلْتَ عَفِيفَةً بَيْتَكَ صَارَتْ فَاجِرَةٍ
حَتَّى مَتَى تَرْتَعُ فِي الْـ خَسِرَانِ يَا ابْنَ الْخَاسِرَةِ؟
تَجْمَعُ فِي بَيْتِكَ بِيـ نِ الْعَرَسِ^(٤) وَالْبَرَابِرَةِ
[مجزوء الرجز]

وقال يهجوهُ:

أَنْتَ إِنْسَانٌ تَسْمَى دَارُهُ دَارَ الْـ زَوَانِي
قَدْ جَرَى ذَلِكَ بِالْكَر خِ^(٥) عَلَى كُلِّ لِسَانِقٍ
لَكَ فِي دَارٍ حَرِيْزٍ نِي وَفِي دَارٍ حِرَانِقٍ
[مجزوء الرمل]

وقال فيه:

تَفْرَحُ إِنْ نِيكَتَ، وَإِنْ لَمْ تُنْك بَتَّ حَزِينِ الْقَلْبِ مُسْتَعْبِرَا^(٦)
أَسْكُرَكَ الْقَوْمُ فَسَاهَلْتَهُمْ^(٧) وَكُنْتَ سَهْلًا قَبْلَ أَنْ تَسْكُرَا
[السريع]

وقال فيه:

قُلْ لِلشَّقِيِّ الْجَدِّ^(٨) غَيْرِ الْأَسْعَدِ أَتَحِبُّ أَنْكَ فَفَحَّةٌ^(٩) ابْنِ الْمُقْعَدِ؟

(١) الحقو، بكسر الحاء: الخصر.

(٢) القَرَاب، بكسر القاف: الوطْب أي وعاء يُجعل فيه الماء أو اللبن.

(٣) المؤاجرة: المؤاكرة.

(٤) العرس بكسر العين: الزوجة.

(٥) الكرج: محلة ببغداد، فيها كل أنواع اللهب.

(٦) مستعبراً: باكياً.

(٧) ساهلتهم: يأسرتهم.

(٨) الجد، بفتح الجيم: الحظ.

(٩) الفحفة: حلقة الدبر.

لو لم يجد شيئاً يسكنها به يوماً لسكنها بزُب المسجد
وقال فيه:

أبا عون لقد صَمَّر زُوَّارُكَ أذنيكاً؟
وعينناك ترى ذاك فأعمى الله عينيكاً
[الهج]

هجا بشاراً بيت من الشعر:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى. قال: حدثنا عُمر بن شَبَّة. قال: لما قال حماد
عجراً في بشار:

نُسبت إلى بُرد وأنت لغيره وهبك لبُردٍ نكت أمك من بُرد؟
قال بشار: تهياً له عليّ في هذا البيت خمسة معانٍ من الهجاء، قوله: «نُسبت
إلى بُرد» معنى؛ ثم قوله: «وأنت لغيره» معنى آخر، ثم قوله: «فهبك لبُرد» معنى
ثالث، وقوله: «نكت أمك» شتم مفرد، واستخفافٌ مجدّد، وهو معنى رابع، ثم
ختمها بقوله: مَنْ بُرد؟ ولقد طلب جرير في هجائه للفردق تكثير المعاني، ونحا هذا
النحو، فما تهياً له أكثر من ثلاثة معانٍ في بيت، وهو قوله:

لَمَّا وضعتُ على الفردق ميسمي^(١) وضعا^(٢) البعيتُ جدعتُ^(٣) أنفَ الأخطلِ
فلم يدرك أكثر من هذا.

أخبرني حبيب بن نصر. قال: حدثنا عُمر بن شَبَّة قال: قال أبو عُبَيْدة: ما زال
بشار يهجو حماداً ولا يرفث^(٤) في هجائه إياه حتى قال حماد:

من كان مثل أبيك يا	أعمى أبوه فلا أبالهُ
أنت ابن بُرد مثل بُر	د في النذالة والردالهُ
زحرتك ^(٥) من جحر استها	في الحش ^(٦) خائرة غزالهُ
من حيث يخرج جعر ^(٧) مُن	تنة مدنسة مُذالهُ ^(٨)

(١) الميسم، بكسر الميم: المكواة.

(٢) ضعا: صاح وضجّ.

(٣) جدع: قطع.

(٤) يرفث: يُفحش فعلاً وقولاً.

(٥) زحرتك: أولدتك.

(٦) الحش: المرحاض.

(٧) الجعر: ما ييس من العذرة في دبر الإنسان.

(٨) المدنسة المذالة: الساقطة من الإمام.

أَعْمَى كَسَتْ عَيْنِيهِ مِنْ وَذَحْ^(١) اسْتَهَا وَكَسَتْ قَذَالَهُ^(٢)
 خَنْزِيرَةٌ بِظُرَاءٍ^(٣) مِنْ تَنَّهُ الْبِدَاهَةِ^(٤) وَالْعُلَالَةَ^(٥)
 رَسَحَاءٍ^(٦) خَضِرَاءِ الْمَغَا بِنِ^(٧) رِيحِهَا رِيحُ الْإِهَالَةِ^(٨)
 عِذْرَاءٍ حُبْلَى يَالْقَو مِي لِلْمِجَانَةِ وَالضَّلَالَةَ
 مَرَقَتْ فَصَارَتْ قَحْبَةً بِجَعَالَةٍ وَبِلَا جَعَالَةٍ^(٩)
 وَلَقَدْ أَقْلَتَكَ يَا ابْنَ بُرْ دِفَاجْتَرَأْتُ فَلَا إِقَالَةَ^(١٠)

[مجزوء الكامل]

فلما بلغت هذه الأبيات بشاراً أطرق طويلاً، ثم قال: جرى الله ابن نهيماً خيراً، فقليل له: علام تجزيه الخير؟ أعلى ما تسمع؟ فقال: نعم، والله، لقد كنت أرد على شيطاني أشياء من هجائه إبقاءً على المودة، ولقد أطلق من لساني ما كان مقيداً عنه، وأهدفني عورةً ممكنةً منه، فلم يزل بعد ذلك يذكر أم حماد في هجائه إياه، ويذكر أباه أقبح ذكر، حتى ماتت أم حماد، فقال فيها يخاطب جاراَ لحَمَاد:

أَبَا حَامِدٍ إِنْ كُنْتَ تَزْنِي فَأَسْعِدِ وَبِكَ حِرّاً وَلَّيْتُ بِهِ أُمَ عَجْرِدِ
 حِرّاً كَانَ لِلْعُزَابِ سَهْلاً وَلَمْ يَكُنْ أَبِياً عَلَى ذِي الزَّوْجَةِ الْمَتَوَدِّ
 أُصِيبَ زُنَاةُ الْقَوْمِ لَمَّا تَوَجَّهْتُ بِهِ أُمَ حَمَادٍ إِلَى الْمَضْجَعِ الرَّدِّي
 لَقَدْ كَانَ لِلْأَدْنَى وَلِلْجَارِ وَالْعَدَا وَلِلْقَاعِدِ الْمَعْتَرِّ وَالْمَتَزَيِّدِ

[الطويل]

راوية بشار يُشده شعراً لحَمَاد:

أخبرنا محمد بن الحسن بن ذريرد. قال: حدثنا أبو حاتم. قال: قال يحيى بن الجون العبدي راوية بشار: أنشدت بشاراً يوماً قولَ حَمَاد:

أَلَا قُلْ لِعَبْدِ اللَّهِ إِنَّكَ وَاحِدٌ وَمِثْلُكَ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَثِيرٌ

(١) الذح: ما يتعلق بأصواف الغنم من البعر والبول.

(٢) القذال: جماع مؤخر الرأس.

(٣) بطراء: عظيمة البظر، والبظر هو الفرج.

(٤) البداهة: أول جري المهر.

(٥) العلالة: ما يُعقب المحاولة الأولى من الجري.

(٦) الرسحاء من النساء: من كانت قليلة لحم العجز والفخذين والقيحية.

(٧) المغابن، الواحد مغبن: ما يوجد حول فرج المرأة.

(٨) الإهالة: الشحم والزيت.

(٩) الجعالة: الأجر.

(١٠) الإقالة: الإعانة للخلاص من العثرة والكبوة.

قطعت إخائي ظالماً وهجرتني
أديماً لأهل الودودي، وإنني
ولو أن بعضي رابني لقطعته
فلا تحسبن منحي لك الود خالصاً
ودونك حظي منك لست أريده
وليس أخي من في الإخاء يجور
لمن رام هجري ظالماً لهجور
وإنني بقطع الرائبين جدير
لعز ولا أني إليك فقير
طوال الليالي ما أقام ثبير^(١)
[الطويل]

فقال بشار: ما قال حماد شعراً قط هو أشد علي من هذا، قلت: كيف ذاك ولم يهجمك فيه؟ وقد هجمك في شعر كثير فلم تجزع. قال: لأن هذا شعر جيد ومثله يُروى، وأنا أنفس^(٢) عليه أن يقول شعراً جيداً.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني هارون بن علي بن يحيى المنجم قال: حدثني علي بن مهدي، قال: حدثني محمد بن النطاح، قال: كنت شديد الحب لشعر حماد عجرد، فأنشدت يوماً أخي بكر بن النطاح قوله في بشار:

أسأت في ردّي على ابن استها
فصار إنساناً بذكري له
قرعت سني ندماً سادماً^(٣)
يا ضيعة الشعر ويا سوءاً
من بعد شتمي القرد لا والذي
ما أحد من بعد شتمي له
إساءة لم تُبق إحساناً
ولم يكن من قبل إنساناً
لو كان يُغني ندمي الآن
لي ولأزمانني أزماناً
أنزل توراة وفّرّاناً
أنزل مني، كان من كانا
[السريع]

قال: فقال لي: لمن هذا الشعر؟ فقلت: لحماد عجرد في بشار، فأنشأ يتمثل بقول الشاعر:

ما يضرّ البحر أمسى زاحراً
أن رمى فيه غلام بحجر
[الرملي]

ثم قال: يا أخي، إنس هذا الشعر فنسيانه أزين بك، والخرس كان أستر على قائله.

(١) ثبير: جبل بظاهر مكة المكرمة.

(٢) أنا أنفس عليه: لا أراه جديراً بقول الشعر.

(٣) السدم: الغيظ والهم.

هجاء بشار أكثر مما هجاه هو :

أخبرني علي بن سليمان . قال : حدثني هارون بن يحيى . قال : حدثني علي بن مهدي قال : أجمع العلماء بالبصرة أنه ليس في هجاء حماد عجرد لبشار شيء جيد إلا أربعين بيتاً معدوداً ، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد ، قال : وكل واحد منهما هو الذي هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حماد عجرد وتهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه ، وبقي بشار على حاله لم يسقط ، وعُرف مذهبه في الزندقة فقتل به .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي . قال : حدثني عمي الفضل عن إسحاق الموصلي أن مجاشع بن مسعدة أخا عمرو بن مسعدة هجا حماد عجرد ، وهو صبي حينئذ ليرتفع بهجائه حماداً ، فترك حماداً وشبب بأمه ، فقال :

راعتك ^(١) أم مجاشع	بالصد ^(٢) بعد وصالها
واستبدلت بك والبلا	ء عليك في استبدالها
جنيئة من بربر	مشهورة بجمالها
فحرائمها أشهى لنا	ولها من استحلالها

[مجزوء الكامل]

فبلغ الشعر عمرو بن مسعدة ، فبعث إلى حماد بصلة ، وسأله الصنف عن أخيه ، ونال أخاه بكل مكروه ، وقال له : ثكلتك أمك ، أتعرض لحمداد ، وهو يُناقف^(٣) بشاراً ويقاومه ، والله لو قاومته لما كان لك في ذلك فخر ، ولئن تعرضت له ليهتكك وسائر أهلك ، وليفضحنا فضيحة لا نغسلها أبداً عنا .

شعره في جارية :

أخبرني عمي ، قال : حدثنا محمد بن سعد الكراني . قال : حدثني أبو علي بن عمار . قال : كان حماد عجرد عند أبي عمرو بن العلاء ، وكانت لأبي عمرو جارية يقال لها منيعة ، وكانت رسحاء^(٤) عظيمة البطن ، وكانت تسخر بحمداد ، فقال حماد لأبي عمرو : أغن عني^(٥) جاريتك فإنها حمقاء ، وقد استغلقت^(٦) لي ، فنهاها أبو

(١) راعتك : أرعبتك . (٢) الصد : التمتع .

(٣) يُناقف : من المناقفة أي المضاربة على الرؤوس .

(٤) الرسحاء من النساء : من كانت قليلة لحم العجز والفخذين .

(٥) أغن عني : أبعد وأصرف . (٦) استغلقت : كرهت ودّها .

عمره فلم تنته، فقال لها حماد عجرد:

لو تَأْتِي لَكَ التَّحَوُّلُ حَتَّى تَجْعَلِي خَلْفَكَ اللَّطِيفَ أَمَامَا
وَيَكُونُ الْقَدَامُ ذُو الْخَلْقَةِ الْجَزْ لَةً^(١) خَلْقاً مُؤَثَّلاً^(٢) مُسْتَكَامَا^(٣)
لِإِذَا كُنْتَ يَا مَنِيعُهُ خَيْرَ النَّاسِ خَلْفاً وَخَيْرَهُمْ قُدَّامَا
[الخفيف]

شعره في محمد بن طلحة:

أخبرني عمي، قال: حدثني الكِراني. قال: حدثني الحسن بن عُمارة. قال: نزل حماد عجرد على محمد بن طلحة، فأبطأ عليه بالطعام، فاشتد جوعه، فقال فيه حماد:

زَرْتُ امْرَأً فِي بَيْتِهِ مَرَّةً لَهُ حَيَاءٌ وَلَهُ خَيْرٌ^(٤)
يَكْرَهُ أَنْ يُتَخَمَ^(٥) أَضْيَافُهُ إِنَّ أَذَى التَّخْمَةِ مُحْذُورٌ
وَيَشْتَهِي أَنْ يُؤْجَرُوا عِنْدَهُ بِالصُّومِ وَالصَّالِحِ مَأْجُورٌ
[السريع]

قال: فلما سمعها محمد، قال له: عليك لعنة الله، أي شيء حملك على هجائي، وإنما انتظرت أن يُفرغ لك من الطعام؟ قال: الجوعُ وحياتك حملني عليه، وإن زدت في الإبطاء زدت في القول، فمضى مبادراً حتى جاء بالمائدة.

أخبرني الحسين بن يحيى وعيسى بن الحسين ووكيع وابن أبي الأزرهر. قالوا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه. قال: كان حفص بن أبي وُرّة صديقاً لحمداد عجرد، وكان حفص مرمياً بالزندقة، وكان أعمش أفضس أغضف^(٦) مقبّح الوجه، فاجتمعوا يوماً على شراب، وجعلوا يتحدثون ويتناشدون، فأخذ حفص بن أبي وُرّة يطعن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه، فقال له حماد:

لَقَدْ كَانَ فِي عَيْنِكَ يَا حَفْصُ شَاغِلٌ وَأَنْفٌ كَثِيلٌ^(٧) الْعُودِ^(٨) عَمَا تَتَّبِعُ
تَتَّبِعُ لِحْنًا فِي كَلَامٍ مَرْقَشٍ وَوَجْهَكَ مَبْنِيٌّ عَلَى اللَّحْنِ أَجْمَعُ

(١) الخلقة الجزلة: الغليظة.

(٢) المؤثّل: المجتمع.

(٣) المستكام: المنكوح.

(٤) الخير: الفضل والجود.

(٥) يُتَخَم: يُشبع.

(٦) الأغضف من الناس: من تدلّت أذناه.

(٧) الثيل: القضيبة.

(٨) العود من الجمال: المسن.

فأذناك إقواء^(١) وأنفك مكفأ^(٢) وعيناك إيطاء^(٣) فأنت المرقع^(٤)

[الطويل]

أخبرني عمي. قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. قال: ذكر أبو دعامه بن عاصم بن الحارث بن أفلح، قال: رأى حماد عجرد على بعض الكتاب جبة خز دكنا فكتب إليه:

إنني عاشق لجبتك الدك ناء عشقاً قد هاج لي أطرابي
فبحق الأمير إلا أتنني في سراح مقرونة بالجواب
ولك الله والأمانة أن أجـ علها أشهراً أمير ثيابي

[الخفيف]

فوجه إليه بها، وقال للرسول: قل له وأي شيء لي من المنفعة في أن تجعلها أمير ثيابك؟ وأي شيء علي من الضرر في غير ذلك من فعلك، لو جعلت مكان هذا مدحاً لكان أحسن، ولكنك ردلت لنا شعرك فاحتملناك.

أخبرني أحمد بن العباس العسكري والحسن بن علي الخفاف، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن علي بن منصور، قال: مرض حماد عجرد فلم يعبه مطيع بن إياس، فكتب إليه:

كفاك عيادتي من كان يرجو ثواب الله في صلة المريض
فإن تحدث لك الأيام سُقماً^(٥) يحول جريضه^(٦) دون القريض^(٧)
يكن طول التأوه منك عندي بمنزلة الطنين من البعوض

[الوافر]

أخبرني عمي، قال: حدثنا ابن أبي سعد، قال: زعم أبو دعامه أن التَّيْحان^(٨) بن أبي

(١) الإقواء: من مساوئ الشعر، وهو اختلاف حركة الروي، فمرة أن يأتي بيت بالرفع، ثم يكون البيت الثاني بالكسر مثلاً.

(٢) الإكفاء: من مساوئ الشعر، وهو أن يخالف الشاعر بين قوافي قصيدته، كأن يأتي ببيت بالتاء مثلاً، ثم يأتي ببيت بالنون مثلاً.

(٣) الإيطاء: من مساوئ الشعر، وهو أن يأتي الشاعر بنفس الروي في بيتين متتالين، لفظاً ومعنى.

(٤) المرقع: الأحق القليل الحياء. (٥) السقم: المرض.

(٦) الجريض: ابتلاع المرء ريقه على حزن وألم بجهد ومشقة.

(٧) القريض: الشعر.

(٨) التَّيْحان من الرجال: من يتصدى للأمور الصعبة الشاقة والمكارم.

التيحان، قال: كنت عند حماد عجرد فأتاه والبة بن الحُبَاب^(١)، فقال له: ما صنعت في حاجتي؟ فقال: ما صنعت شيئاً، فدعا والبة بدواة وقرطاس وأملى عليّ:

عثمانُ ما كانتِ عدا	تُك بالعدات الكاذبُ
فعلامَ يا ذا المَكْرُما	تِ وذا الغيوثِ الصائبِ ^(٢)
أَخْرَتَ وهي يسيرةٌ	في الرُّزءِ حاجةٌ والبةٌ؟
فأبو أسامةَ حَقُّه	أحدُ الحقوقِ الواجبِ
فاستحي من ترداده	في حاجةٍ متقاربِ
ليست بكاذبةً، ولو	واللهِ كانت كاذبِ
فقضيتها أحمَدَتِ غـ	بَ قضاؤها في العاقبِ
إنِّي وما رأيي بـعا	دم عاتبٍ أو عاتبِ
لأرى لمثلِكَ كلما	ثابت عليه نائِبِ
ألا يَرُدُّ يدَ امرئٍ	بُسطت إليه خائبِ

[مجزوء الكامل]

قال: فلقيتُ والبةَ بعد ذلك فقلت له: ما صنعت؟ فقال: قضى حاجتي وزاد.

أخبرني عمي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن الزبالي، قال: بلغ حماد عجرد أن المفضل بن بلال أعان بشاراً عليه وقدمه وقرضه، فقال فيه:

عجباً للمفضل بن بلال	ماله يا أبا الزبير ومالي
عربي لا شك فيه ولا مر	ية ^(٣) ما باله وبالأموالي

[الخفيف]

قال: وأبو الزبير هذا الذي خاطبه هو قبيس بن الزبير، وكان قبيس ويونس بن أبي فروة كاتب عيسى بن موسى صديقين له، وكانوا جميعاً زنادقة، وفي يونس يقول حماد عجرد وقد قدم من غيبة كان غابها:

كيف بعدي كنت يا يو	نُس لا زلت بخير

(١) هو والبة بن الحُبَاب كوفي من شعراء الكوفة، تتلمذ على يديه أبو نواس فسلك مسلكه في الشعر والأخلاق، وهو من الموالي.

(٢) الغيوث الصائبة: الأمطار المنهمرة بغزارة.

(٣) لا مرية: لا ريب، لا شك.

وبغير الخير لا ذا لَ قُبَيْسُ بْنُ الزَّبِيرِ
أنت مطبوعٌ على ما شئتَ من خيرٍ وميرٍ^(١)
وهو إنسانٌ شبيهٌ بكسيرٍ وعُوَيْرِ
رغمه أهونٌ عند النـ اس من ضرورة عَيْرٍ^(٢)
[مجزوء الرمل]

خبره مع سعاد الجارية:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ووكيع، قالاً: حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي، قال: حدثني إسحاق الموصلي عن السكوني، قال: ذكر محمد بن سنان أن حماد عجرد حضر جارية مغنية يقال لها سعاد - وكان مولاهما ظريفاً - ومعه، مطيع بن إياس، فقال مطيع: قبليني سعاد بالله قبله وأسأليني لها فديتكِ نحله^(٣)
فورب السماء لو قلت لي صلّ لوجهي جعلته الدهر قبله
[الخفيف]

فقلت لحماذ: اكفنيه يا عمّ: فقال حماد:

إن لي صاحباً سواك وفيّاً لا مَلولاً لنا كما أنت مَلّة^(٤)
لا يُباع التقبيل بيعاً ولا يُشـ رى فلا تجعلِ التعشّق علّة
[الخفيف]

فقال مطيع: يا حماد، هذا هجاء: وقد تعدّيت وتعرّضت، ولم تأمرّك بهذا؛ فقالت الجارية - وكانت بارعة ظريفة - أجل؛ ما أردنا هذا كله، فقال حماد:

أنا واللّه أشتهي مثلها منـ لك بنحل^(٥)، والنحل في ذاك حلّه^(٦)
فأجيبني وأنعمي وخذي البذ ل وأطفي بقبلة منك غلّه^(٧)
[الخفيف]

(١) الميرة: ما يأتي المرء به لأولاده من زاد وطعام.

(٢) العير: الحمار، وغلب على الوحشي منه.

(٣) النحلة، بكسر النون: العطاء، المنحة.

(٤) الملة من الرجال: من يملّ صحبة الأصدقاء.

(٥) النحل، بضم النون: العطاء دون مقابل ولا استحقاق.

(٦) الجلّة، بكسر الحاء: العطاء الحلال.

(٧) الغلّة، بضم الغين: شدة العطش.

فرضي مطيع، وخجلت الجارية، وقالت: اكفياني شركما اليوم، وخذا فيما جئتما له.

خبره مع غلام بعث به إليه مطيع:

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا أبو أيوب المدني، عن مصعب الزبيري عن أبي يعقوب الخُرَيْمي قال: أهدى مطيع بن إياس إلى حماد عجرد غلاماً وكتب إليه: قد بعثت إليك بغلام تتعلم عليه كظم الغيظ.

أخبرني وكيع قال: حدثنا أبو أيوب المدني. قال: ذكر محمد بن سنان أن مطيع بن إياس خرج هو وحماد عجرد ويحيى بن زياد في سفر، فلما نزلوا في بعض القرى عُرِفوا، ففرَّغ لهم منزل، وأثوا بطعام وشراب وغناء، فبينما هم على حالهم يشربون في صحن^(١) الدار، إذ أشرفت بنت دَهقان^(٢) من سطح لها بوجه مشرق رائق، فقال مطيع لحماد: ما عندك؟ فقال حماد: «خذ فيما شئت» فقال مطيع:

ألا يا أبَي النَاطِظِ ر من بينهم نحوي
[الهج]

فقال حماد عجرد:

ألا ياليتَ فوق الحَقِّ و منها لاصقاً حقوي^(٣)
[الهج]

فقال مطيع:

وَأَنَّ البُضْعَ^(٤) يا حَمًّا د منها شوبك^(٥) المُرَوي^(٦)
[الهج]

فقال يحيى بن زياد:

ويا سَقِيًّا لسطح أش رقت من بينهم حذوي^(٧)
[الهج]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه: أن

(١) صحن الدار: فناؤها.

(٢) الدهقان: بكسر الدال: التاجر ورئيس الإقليم: فارسي معرب.

(٣) الحقو: الخصر.

(٤) البضع: الفرج.

(٥) الشوب: العسل، اللبن.

(٦) المروي: المشيع.

(٧) الحذو: المقابل، المواجه.

حماد عجرد، قال في جوهر جارية أبي عون: - قال: وفيه غناء -:

صوت

إني أحبُّك فاعلمي إن لم تكوني تعلمينا
حباً أقلُّ قليله كجميع حبِّ العالمينا

[مجزوء الكامل]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: كان حماد عجرد صديقاً لأبي خالد الأحول أبي أحمد بن أبي خالد، فأراد الخروج إلى واسط، وأراد وداع أبي خالد، فلما جاءه لذلك حجه الغلام، وقال له: هو مشغول في هذا الوقت، فكتب إليه يقول:

عليك السلام أبا خالد وما للوداع ذكرت السلام
ولكن تحية مستطرب^(١) يحبك حب الغوي^(٢) المدام^(٣)
أردت الشخصوص إلى واسط ولست أطيل هناك المقاما
فإن كنت مكتفياً بالكتا ب دون اللّمام تركت اللّماما^(٤)
وإلا فأوص هداك الملي لك بوابكم بي وأوص الغلاما
فإن جئت أدخلت في الدخلي من إمّا قعوداً وإمّا قياما
فإن لم أكن منك أهلاً لذاك فلا لوم لست أحب الملاما
لأنني أذم إليك الأنسا م^(٥) أخزاهم الله طراً^(٦) أناما
فإنني وجدتهم كلهم يُميتون حمداً ويُحيون ذاما^(٧)
سوى عصبه لست أعنيهم كرام فإنني أحب الكراما
وأقلل عديدهم إن عدت فما أكثر الأذلين اللّماما!

[المتقارب]

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدثني أبو أيوب المديني، قال: قال ابن

(١) المستطرب: طالب الطرب.

(٢) الغوي: الفاسد.

(٣) المدام: من أسماء الخمرة.

(٤) اللّمام: الزيارة من وقت لآخر في بعض الأحيان.

(٥) الأنام: البشر، الناس.

(٦) طراً: جميعاً.

(٧) الذام: العيب.

عبد الأعلى الشيباني: حضر حماد عجرد ومطيع بن إياس مجلس محمد بن خالد، وهو أمير الكوفة لأبي العباس، فتمازحا، فقال حماد:

يا مطيعُ يا مطيعُ أنت إنسانٌ رقيقُ
وعن الخير بطيءُ وإلى الشرّ سريعُ
فقال مطيع:

إنَّ حمَّاداً لئيمُ سفلة الأصل عديمُ
لا تراه الدهرُ إلَّا بهنٍ^(١) العير^(٢) يهيمُ

[مجزوء الرمل]

فقال له حماد: ويلك، أترميني بدائك، والله لولا كراحتي لتمادي الشرّ ولجّاج الهجاء لقلتُ لك قولاً يَبْقَى، ولكنني لا أفسد مودّتك، ولا أكافئك إلّا بالمديح، ثم قال:

كل شيء لي فداء لمطيع بن إياس
رجلٌ مستملحٌ في كلّ لينٍ وشماس^(٣)
عدل^(٤) روعي بين جنـ بَيّ وعينيّ براسي
غرس اللّه له في كبدي أحلى غراس
لست دهري لمطيع بـ بن إياسٍ ذا تناس
ذاك إنسانٌ له فضـ لّ على كل أناس
فإذا ما الكأس دارت وأحتساها من أحاسي^(٥)
كان ذكرانا مُطيعاً عندها ریحانٌ كاسي

[مجزوء الرمل]

هجاؤه عيسى بن عمرو:

أخبرني أحمد بن العباس العسكري ومحمد بن عمران الصيرفي، قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العنزيّ، قال: حدثنا التوزيّ، قال: كان عيسى بن عمرو بن يزيد صديقاً لحمّاد عجرد، وكان يُواصله أيّام خدمته للربيع، فلما طرده الربيع وأختلت حاله

(١) العير: بفتح العين، الحمار.

(١) الهن: فرج المرأة.

(٢) العير: المشابه، النظير.

(٣) الشماس: الثفور والرفض أنفة.

(٥) أحاسي: أساقبي.

جفاه عيسى، وإنما كان يصله لحوائج يسأل له الربيع فيها، فقال حماد عجرد فيه:

أوصل الناس إذا كانت له حاجة عيسى إن أتى في حاجة
ولعيسى إن أتى في حاجة فإن أستغنى فما يعدله
إن تكن كنت بعيسى واثقاً قال العنزي: وأنشدني بعض أصحابنا،
كم من أخ لك لست تنكره مادمت من دنياك في يسر
متصنع لك في مودته يلقياك بالترحيب والبشر
يطري الوفاء وذا الوفاء ويلحى^(٢) الغدر مجتهداً وذا الغدر
فإذا عدا، والدهر ذو غير يقرر عليك عدا مع الدهر
فأرفض بإجمال مودة من يقللي المقل ويعشق المثري
وعليك من حالاه واحدة في العسر إمّا كنت واليسر
لا تخلطنهم بغيرهم من يخلط العقيان^(٣) بالصفر^(٤)
[الكامل]

هجا حشيشاً الكوفي:

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة، قال: حدثني ابن أبي فنن، قال: حدثني العتّابي، وأخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر، قال: قال العتّابي: وحديث ابن أبي طاهر أتم، قال: كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعثة، يقال له حشيش وكانت أمه حارثية، فمدحه حماد عجرد فلم يثبه، وتهاون به، فقال يهجو:

يا لقومي للبلاء ومعاريض الشقاء
قسمت ألوية بي من رجال ونساء
ظفرت أخت بني الحما رث منها بلواء
حادث في الأرض يرتاع^(٥) له أهل السماء
[مجزوء الرمل]

(٢) يلحى: يلوم.
(٤) الصفر: النحاس.

(١) الملق: الخداع.
(٣) العقيان: الذهب.
(٥) يرتاع: يخاف.

قال: فعُرِضت أسماء العمّال على المنصور فكان فيها اسم حُشيش، فقال: أهو الذي يقول فيه الشاعر:

يا لِقومي للبلَاءِ ومعارِض الشقاءِ؟

[مجزوء الرمل]

قالوا: يا أَمِيرَ المؤمنين؛ فقال: لو كان في هذا خير ما تعرّض لهذا الشاعر، ولم يستعمله، قال: وقال حماد فيه أيضاً يُخاطب سعيد بن الأسود ويُعاتبه على صحبة حُشيش وعِشرته:

صرتَ بعدي يا سعيد	مِنَ أَخْلَاءِ حُشيش
أتلوّطتَ أم استخـ	لفتَ بعدي أم لأيش
حلقي ^(١) إسته أو	سُعُ من إستِ بُحيش
ثم بغّاء على ذا	أبلغُ الناس لفيش ^(٢)
يا بني الأشعث ما عيـ	شكُمُ عندي بعيش
حين لا يوجد منكم	غيره قائدُ جيش

[مجزوء الرمل]

قال: وكان بُحيش هذا رجلاً من أهل البصرة لم يكن بينه وبين حماد شيء، فلما بلغه هذا الشعر وفد من البصرة إلى حماد قاصداً، وقال له: يا هذا، ما لي ولك، وما ذنبي إليك؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا بُحيش، أما وجدت أحداً أوسع دُبراً مني يُتمثل به؟ فضحك ثم قال: هذه بليّة صبّتها عليك القافية، وأنت ظريف وليس يجري بعد هذا مثله.

هجا أبا عون:

أخبرني علي بن سليمان الأحفش، قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون. قال: كان حماد عجرد يُعاشر أبا عون جدّ ابن أبي عون العابد، وكان ينزل الكرخ، وكان عجرد إذا قدم بغداد زاره، فبلغ أبا عون أنه يحدث الناس أنه يهوى جاريةً يقال لها جوهر، فحجبه وجفاه واطّرحه، فقال يهجو أبا عون:

أبا عَوْنٍ لِحَاكِ اللَّـهِ - يا عُرّة^(٣) - إنسانا

(١) الحلقي: صفة سوء في الرجال، وذلك داء يصيبهم من يتعرض للواط.

(٢) الفيش: رأس قضيب الرجل. (٣) العُرّة: الجرب.

فقد أصبحت في الناس
بنيت اليوم في الكشخ
وشرفت لهم في ذا
والفيت على ذاك
ومجانا ولن تعد
فأخزي الله من كنت
ولا زللت ولا زال
وعريانا كما أصبح

إذا سُميت كشخانا^(١)
لأهل الكرخ بنيانا
ك أبواباً وحيطانا
من الفساق أعوانا
م من يمجن مجانا
أخاه كان من كانا
بأخلاقك خزيانا
ت من دينك عريانا

[الهج]

وقال فيه أيضاً:

إن أباع عاون ولا
غاو أتى مدينه
إخوانه قد جعلوا
وأخذوا جوهرة
إن نكتها أرضيته
أحبهم إليه من
ومن إذا ما لم ينك

أقول فيه كذبا
فسن فيها عجا
أم بنيه مركبا
مبولة وملعبا
أولم تنكها غضبا
أدخل فيها ذنبا
جر إليها جلبا

[مجزوء الرجز]

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا الغلابي عن مهدي بن سابق، قال: استعمل محمد بن أبي العباس، وهو يلي البصرة غيلان جد عبد الصمد بن المعذل على بعض أعشار البصرة، وظهر منه على خيانة، فعزله، وأخذ ما خانه فيه، فقال حماد عجرد يهجوه:

ظهر الأمير عليك يا غيلان
أمع الدمامة^(٢) قد جمعت خيانة

إذ خنته إن الأمير مُعان
قُبَحَ الدميم الفاجر الخوان

[الكامل]

(١) الكشخان: الديوث. فارسي معرّب.

(٢) الدمامة: البشاعة.

أخبرني عمي، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر عن أبي دُعامة، قال: أنشد بشار قول حماد عجرد في غلام كان يهواه يقال له أبو بشر:

صوت

أخي كُفَّ عن لومي فإنك لا تدري بما فعل الحبَّ المبرِّح^(١) في صدري
أخي أنت تلحاني^(٢)، وقلبك فارغٌ وقلبي مشغول الجوانح بالفكرِ
أخي إنَّ دائي ليس عندي دواؤه ولكن دوائي عند قلب أبي بشرِ
دوائي ودائي عند من لو رأيته يقلِّب عينيه لأقصرت عن زجري^(٣)
فأقسم لو أصبحت في لوعة الهوى لأقصرت عن لومي وأطنبت^(٤) في عذري
ولكن بلائي منك أنك ناصحٌ وأنك لا تدري بأنك لا تدري
[الطويل]

فطرب بشار ثم قال: ويلكم، أحسنَ والله! مَنْ هذا؟ قالوا: حماد عجرد؛ قال: أَوْه، وكَلِّموني واللهِ بقيَّةَ يومي بهم طویل، واللهِ لا أطعم بقيَّةَ يومي طعاماً ولا صوم غمّاً بما يقول النبطي ابن الزانية مثل هذا.

في الأول والثاني من هذه الأبيات لحن من الثقیل الأول ذكر الهشامي أنه لعطرد.

أنشدني جحظة، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه لحماذ عجرد:

خليلي لا يفي أبداً يمينني غداً فغداً
وبعد غدٍ وبعد غدٍ كذا لا ينقضني أبداً
له جمرٌ على كبدي إذا حرّكته اتّقدا
[مجزوء الوافر]

شعره في يحيى بن زياد:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبی، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الزبالي قال: كان المهدي سأل أباه أن يولي يحيى^(٥) بن زياد عملاً، فلم يُجبه، وقال: هو

(١) الحب المبرح: العشق المضني.

(٢) تلحاني: تلومني.

(٣) الزجر: اللوم.

(٤) أطنبت: أطلت الكلام، أكثرت.

(٥) يحيى بن زياد: هو شاعر مترسل بليغ من بني الحارث بن كعب.

خليع متخرق في النفقة ماجن، فقال: إنه قد تاب وأتاب، وتضمن عنه ما يحب، فولاه بعض أعمال الأهواز، فقصده حماد عجرد إليها، وقال فيه:

فمن كان يسأل أين الفعّالُ فعندي شفاءً لذا الباحث
محلُّ الندى وفَعّالُ النُّهى^(١) وبيتُ العلا في بني الحارث
حللن بيحيى فحالفته حياءً من الباعث الوارث
فلا تعدلن إلى غيره لعاجلٍ أمرٍ ولا رائث^(٢)
فإنّ لديه بلا منّة^(٣) عطاء المرحّل والماكث
[المتقارب]

قال: وقال فيه أيضاً:

يحيى امرؤ زينه ربُّه بفعله الأقدم والأحدث
إن قال لم يكذب، وإن ودَّ لم يقطع، وإن عاهد لم ينكث^(٤)
أصبح في أخلاقه كلّها موكّلاً بالأسهل الأدمث^(٥)
طبيعةً منه عليها جرى في خُلُقٍ ليس بمستحدث
ورثه ذاك أبوه فييا طيبَ نثا^(٦) الوارث والمُورث
[السريع]

فوصله يحيى بصلة سنيّة وحمله وكساه، وأقام عنده مدّة ثم انصرف.

شعره في عيسى بن عمرو:

أخبرني عمي، قال: حدثني الكراني عن النضر بن عمرو، قال: ولي عيسى بن عمرو إمارة البصرة من قبل محمد بن أبي العبّاس السفاح لما خرج عنها عليلاً، فقال له حماد عجرد:

قل لعيسى الأمير عيسى بن عمرٍ ذي المساعي العظام في قحطانٍ
والبناء العالي الذي طال حتى قصرتُ دونه يدا كلِّ بانٍ
يا ابن عمرو عمرو المكارم والتقدّر وى وعمرو الندى^(٧) وعمرو الطّعان

(١) النُّهى، بضم النون، الواحد نُهيّة: العقل.

(٢) المنة: تذكر المعطى بما أُعطى.

(٣) الأدمث: اللين الخلق، السهل.

(٤) الندى: الجود، الكرم.

(٥) الرائي: البطيء.

(٦) لم ينكث: لم يخلف وعده.

(٧) الثنا: ذكر محاسن المرء ومدحه بما هو فيه.

لَكَ جَارٌ بِالمَصْرِ^(١) لَمْ يَجْعَلِ اللَّـ
لَا يَصَلِّي وَلَا يَصُوم وَلَا يَقُـ
إِنَّمَا مَعْدِنَ الزُّنَاةِ مِنَ السَّفْـ
وَهُوَ خِذَنُ^(٢) الصَّبِيَّانِ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِيـ
طَهَّرَ المَصْرَ مِنْهُ يَا أَيُّهَا المُوـ
وَتَقَرَّبَ بِذَلِكَ فِيهِ إِلَى اللَّـ
يَا ابْنَ بُرْدٍ إِخْسَأُ^(٣) إِلَيْكَ فَمِثْلُ الـ
وَلَعَمْرِي لَأَنْتَ شَرُّ مَنْ الكَلـ
لَهُ لَهْ مِنْكَ حُرْمَةُ الجِيرَانِ
رَأَى حَرْفًا مِنْ مُحْكَمِ القُرْآنِ
لِلَّةِ فِي بَيْتِهِ وَمَأْوَى الزَّوَانِي
نَ، فَمَاذَا يَهْوَى مِنَ الصَّبِيَّانِ؟
لِيَ المَسْمَى بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
لَهُ تَفُزُ مِنْهُ فَوْزُ أَهْلِ الجَنَانِ
كَلَبَ فِي النِّاسِ أَنْتَ لَا الْإِنْسَانَ
بِ وَأُولَى مِنْهُ بِكُلِّ هَوَانٍ
[الخفيف]

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد، قال: حدثني
محمد بن صالح الجبلي، قال: كان حماد عجرد قد مدح يقطينا فلم يشبهه، فقال
يهجوه:

مَتَى أَرَى فِيمَا أَرَى دَوْلَةً
مِيمُونَةَ مَجْدَهَا رَبُّهَا
تَرُدُّ يَاقُطِينَآ وَأَشْيَاعَهُ
يَعَزُّ فِيهَا نَاصِرُ الدِّينِ
بِصَادِقِ النِّيَّةِ مِيمُونِ
مِنْهَا إِلَى أَبْزَارِ يَاقُطِينَ
[السريع]

قال: وكان يقطين قبل ظهور الدولة العباسية بخراسان حاكماً.

قال: ومرو يوماً بيونس بن أبي فروة الذي كان الربيع يزعم أنه ابنه، فلم يهش^(٤)
له كما عوده، فقال يهجوه:

أَمَّا ابْنُ فَرَوَةَ يُونُسُ فَكَأَنَّهُ
وَقَالَ فِيهِ:
مِنْ كِبَرِهِ ابْنٌ لِلْإِمَامِ الْقَائِمِ
وَلَقَدْ رَضِيََتْ بَعْصَةُ أَخِيَّتِهِمْ
[الكامل]

وإخاؤهم لك بالمعرة لازم

(١) المصّر: البلد.

(٢) الخِذَن، بكسر الخاء: الصاحب، الصديق.

(٣) إخْسَأ: اطرء طرداً قبيحاً، وقال له: إخْسَأ.

(٤) لم يهش له: لم يلقه مرحباً وباسماً.

فَعَلِمْتُ حِينَ جَعَلْتَهُمْ لَكَ دِخْلَةً^(١) أَنِّي لِعَرَضِي فِي إِخَائِكَ ظَالِمٌ
[الكامل]

شعره في ولد لبشار:

أَخْبَرَنِي عَمِي، قَالَ: حَدَّثَنِي الْمَغِيرَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَهْلَبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مُعَاذٍ
النَّمِيرِيُّ أَنَّ بَشَارًا وُلِدَ لَهُ ابْنٌ، فَلَمَّا وُلِدَ قَالَ فِيهِ حَمَادٌ عَجْرَدٌ:

سَائِلُ أُمَامَةٍ يَا ابْنَ بُرٍّ دِمْنُ أَبَوْ هَذَا الْغَلَامِ؟
أَمِنْ الْحَلَالِ أَتَتْ بِهِ أَمْ مِنْ مَقَارِفَةِ الْحَرَامِ^(٢)؟
فَلتُخْبِرَنَّكَ أَنَّهُ بَيْنَ الْعِرَاقِيِّ وَالشَّامِيِّ
وَالْآخِرِ الرُّومِيِّ وَالنَّـ بَطْنِي أَيْضًا وَابْنِ حَامٍ
أَجَعَلْتَ عِرْسَكَ شِقْوَةً غَرَضًا لِأَسْهَمِ كُلِّ رَامٍ
[مجزوء الكامل]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْعَسْكَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلٍ الْعَنْزِيُّ،
قَالَ: حَدَّثَنِي مَسْعُودُ بْنُ بَشَرَ، قَالَ: مَرَّ حَمَادٌ عَجْرَدٌ بِقَصْرِ شِيرِينَ، فَاسْتَظَلَّ مِنَ الْحَرِّ
بَيْنَ سِدْرَتَيْنِ^(٣) كَانَتَا بِإِزَاءِ الْقَصْرِ، وَسَمِعَ إِنْسَانًا يَغْتِي فِي شَعْرِ مَطِيعِ بْنِ إِيَاسٍ:

أَسْعِدَانِي يَا نَخْلَتِي، حُلْوَانِ وَأَرْثِيَا^(٤) لِي مِنْ رَيْبٍ^(٥) هَذَا الزَّمَانِ
أَسْعِدَانِي وَأَيَقْنَا أَنَّ نَحْسًا سَوْفَ يَلْقَاكُمْ فَتَفْتَرِقَانِ
[الخفيف]

قال شعراً حين سمع بيتي مطيع:

فَقَالَ حَمَادٌ عَجْرَدٌ:

جَعَلَ اللَّهُ سِدْرَتِي قَصْرَ شِيرِينَ نِ فِدَاءٍ لِنَخْلَتِي حُلْوَانِ
جِئْتُ مُسْتَسْعِداً فَلَمْ يُسْعِدَانِي وَمَطِيعٌ بَكَتْ لَهُ النَّخْلَتَانِ
[الخفيف]

(١) الدَّخْلَةُ، بكسر الدال، من المقربين: الحاشية والبطانة.

(٢) مقارفة الحرام: الوقوع فيه.

(٣) السدر من الأشجار: النبق.

(٤) ارثيا لي: ابكيا لما أنا عليه من يؤس وعذاب.

(٥) رَيْبَ الزَّمَانِ: صَرْفُ الدَّهْرِ.

إستنجازه محمد بن أبي العباس وعداً:

أخبرني يحيى بن علي إجازةً عن أبيه، عن إسحاق، عن محمد بن الفضل السكوني، قال: كان محمد بن أبي العباس قد وعد حماد عجرد أن يحمله على بغل، ثم تشاغل عنه، فكتب إليه حماد:

طَلَبْتُ الْبَذْلَ مِمَّنْ خُـ	لَقِيتُ كَفَّاهَ لِلْبَذْلِ
وَمَنْ يَنْفِي عَنِ الْمُحَمَدِ	لِ بِالْجُودِ أَذَى الْمَحَلِّ ^(١)
أَلَا يَا ابْنَ أَبِي الْعَبَا	س يَا ذَا النَّائِلِ الْجَزْلِ ^(٢)
أَمَّا تَذَكُّرِيَا مَوْلَا	يَّ مِيعَادَكَ فِي الْبَغْلِ؟
وَذَاكَ الرَّجْسُ ^(٣) فِي الدَّارِ	جَلِيسٌ لِأَبِي سَهْلٍ
يُرِيكَ الْحَزْمَ فِي الْإِخْلَا	فَ لِلْمِيعَادِ وَالْمَطْلِ

[الهج]

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك، قال: حدثنا سليمان المديني، قال: كان عثمان بن شيبة مبخلاً، وكان حماد عجرد يهجو، فجاء رجل كان يقول الشعر إلى حماد فقال له:

أَعْنِي مِنْ غَنَّاكَ بِبَيْتِ شَعْرِ

عَلَى فَقْرِي لِعُثْمَانَ بْنِ شَيْبَةَ

[الوافر]

فقال له حماد:

فإِنَّكَ إِنْ رَضِيتَ بِهِ خَلِيلاً

مَلَأْتَ يَدِيكَ مِنْ فَقْرٍ وَخَيْبَةٍ

[الوافر]

فقال له الرجل: جزاك الله خيراً، فقد عرّفتني من أخلاقه ما قطعني عن مدحه،

فصنّ وجهي عنه.

هجاؤه مطيع بن إياس:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق، قال: حدثنا ابن إسحاق عن أبيه، قال: كان حماد عجرد يهوى غلاماً من أهل البصرة من موالي العتيك يقال له: أبو بشر الحلو بن

(١) المحل: الجذب.

(٢) النائل الجزل: العطاء العظيم، الكرم العميم.

(٣) الرجس: القدر قولاً وفعلاً.

الحلال - أحسبه من موالي المهلب - وكان موصوفاً بالجمال، فأندس له مطيع بن إياس، ولم يزل يحتال عليه حتى وطئه، فغضب حماد عجرد من ذلك، ونشب بينهما بسببه هجاء، فقال فيه حماد:

يا مطيعُ النذلُ أنتَ الـ
لا يغرُّنك غرورُ
ليس يحلو الفعلُ منه
ملذاني^(١) مع الرِّيّ
وجواذُ بالمواعيـ
ليس يُرضيه من الجُـ
ذاك ما اخترت خليلاً^(٢)
إنما يكفيك أن يـ
ساخراً منك يمئـ
يومَ مخذولٍ جَهولُ
ذو أفانين ملولُ
وهو يحلو ما يقولُ
ح إذا مالت يميلُ
د وبالبدل بخيلُ
ل كثيرٌ أو قليلُ
بئس واللّه الخليلُ
تيك في السرّ رسولُ
ك أمانيّ تطولُ

[مجزوء الرمل]

وقال في مطيع أيضاً وقد لجّ الهجاء بينهما:

عجبتُ للمدّعي في الناس منزلةً
لو أبصروا فيك وجه الرأي ما تركوا
ما نال قطُّ مطيعٌ فضلَ منزلةٍ
ولو تركتُ مطيعاً لا أجابهُ
يختار قربَ الفحول المُرد معتمداً
وليس يصلح للدنيا وللدين
حتى يشدوك كرهاً شدّ مجنونٍ
إلا بأن صرتُ أهجوه ويهجوني
لكان ما فيه م الآفات^(٣) يكفيني
جهلاً ويترك قربَ الخرد^(٤) العين^(٥)

[البسيط]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً عن أبيه إسحاق، قال: قال حماد عجرد في داود بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس يمدحه ويعزيه عن ابن مات له ويستجيزه:

(١) الملذاني: من لا وفاء له لكذبه، فاقد الوفاء.

(٢) الخليل: الصاحب، الصديق.

(٣) الآفات، الواحدة آفة: الأمراض.

(٤) الخرد، الواحدة خريدة: البكر التي لم تمسّ.

(٥) العين، الواحدة عيناء: الجميلة العينين الواسعتين.

إن أرجى الأنام^(١) عندي وأولا
 إن يعش لي أبو سليمان لا أحـ
 هدّ رُكني فقيدي أباك فقد شـ
 قائل فاعل أبيّ وفيّ
 وفتى السنّ في كمال ابن خمسيـ
 مِخلط^(٤) مزيل^(٥) أريب^(٦) أديب
 وهو الذائد المدافع عني
 هم بمدحي ونصرتي داوُد
 فِل^(٢) ما كادني به من يكيـد
 مدّ بك اليوم ركني المهدود
 مُتلفٌ مخلفٌ مُفيدٌ مُبيد
 نَ دهاء وإربه^(٣) بل يزيـد
 راتقٌ فاتقٌ قريبٌ بعيـد
 وعزيزٌ ممنوعٌ من يذود
 [الخفيف]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني عبد الملك بن شيبان، قال: ولّى أبو جعفر المنصور محمد بن أبي العباس السفاح البصرة، فقدمها ومعه جماعة من الشعراء والمغنين منهم حماد عجرد، وحكم الوادي ودحمان، فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه، وشرب الشراب وعاث^(٧)، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله، قال: وكان ابن أبي العباس كثير الطيب، يملأ لحيته بالغالية^(٨) حتى تسيل على ثيابه فتسود، فلَقَبوه أبا الدّبس^(٩)، وقال فيه بعض شعراء أهل البصرة:

صرنا من الرّبح إلى الوكس^(١٠) إذ ولي المصّر أبو الدّبس
 ما شئت من لؤم على نفسه وجنسه من أكرم الجنس
 [السريع]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار، قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي، قال: حدثني أبي، قال: كان أبو جعفر المنصور يُبغض محمد بن أبي العباس ويحب عيبه، فولاه البصرة بعقب مقتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فقدمها، وأصحابه المنصور قوماً يُعاب بصحبتهم مجاناً زنادقة: منهم حماد عجرد، وحمّاد بن يحيى،

(١) أرجى الأنام: ما يؤمل فيه الخير من البشر.

(٢) لا أحفل: لا أهتم.

(٣) الإربة: العقل.

(٤) المخلط من الرجال: من يقلّب الأمور على وجوها ليحكم على أنفعها.

(٥) المزيل من الرجال: الرزين العاقل.

(٦) الأريب: الذكي المحنك.

(٧) عاث: أفسد.

(٨) الغالية من الطيب: الذي ركب من عدّة أنواع من الطيوب.

(٩) الدبس: غسل التمر وعصارتة.

(١٠) الوكس: الخسارة.

ونُظراء لهم، ليغضّ منه ويرتفع ابنه المهدي عند الناس، وكان محمد بن أبي العباس محمقاً، فكان يغلف لحيته إذا ركب بأواقٍ من الغالية، فتسيل على ثيابه فيصير شهرة، فلقيه أهل البصرة أبا الدبس؛ قال ولما أقام بالبصرة مدة، قال لأصحابه: قد عزمت على أن أعترض أهل البصرة بالسيف في يوم الجمعة، فأقتل كل من وجدت، لأنهم خرجوا مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فقالوا له: نعم، نحن نفعل ذلك، لما يعرفونه منه، ثم جاؤوا إلى أمه سلمة بنت أيوب بن سلمة المخزومية، فأعلموها بذلك، وقالوا: والله لئن همّ بها ليقتلن ولنقتلن معه، فإنما نحن في أهل البصرة أكلة رأس، فخرجت إليه وكشفت عن ثدييها وأقسمت عليه بحقها حتى كف عما كان عزم عليه.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى إجازةً، قال: حدثني أبي عن إسحاق الموصلي، قال: كان حماد عجرد في ناحية محمد بن أبي العباس السفاح، وهو الذي أدبه، وكان محمد يهوى زينب بنت سليمان بن علي^(١)، وكان قد قدم البصرة أميراً عليها من قبل عمه أبي جعفر، فخطبها، فلم يزوجه لشيء كان في عقله، وكان حماد وحكم الوادي ينادمانه، فقال محمد لحماد: قل فيها شعراً، فقال حماد فيها على لسان محمد بن أبي العباس، وغنّى فيه حكم الوادي:

صوت

زينبُ ما ذنبي وماذا الذي غضبتُم منه ولم تُغضبوا^(٢)
والله ما أعرف لي عندكم ذنباً ففيم الهجر يا زينب؟
إن كنتُ قد أغضبتكم ضلّةً^(٣) فاستعتبوني إنني أعتبُ^(٤)
عودوا على جهلي بأحلامكم إنني - وإن لم أذنب - المذنبُ
[السريع]

الغناء لحكم في هذه الأبيات خفيف ثقيل، الأول بالوسطى عن عمرو والهشامي وفيه هزج يقال: إنه لخليد بن عتيك الوادي، ويقال: لعريب.

(١) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور.

(٢) لم تُغضبوا: أي لم يفعل ما يُغضب من عمل سيئ.

(٣) الضلّة: الجهل والحمق.

(٤) أعتب: أقوم بما يرتد علي بالرضى.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا الحسين بن يحيى أبو الجمان الكاتب قال: حدثني عمرو بن بانه، قال: كان لمحمد بن أبي العباس السفاح شعر في زينب، وغنى فيه حكم الوادي:

صوت

قولا لزينب لورأي — ت تشوفي^(١) لك واشترافي^(٢)
وتلفُتي كيما أرا — ك وكان شخصك غير خاف
وشممت ربحك ساطعاً — كالبيت جمر للطواف
فتركتني وكأئما — قلبي يغرز بالأشافي^(٣)

[مجزوء الكامل]

خطبته له:

أخبرني محمد بن يحيى أيضاً، قال: حدثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائني، قال: خطب محمد بن أبي العباس زينب بنت سليمان، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء، إلا أنه قال فيه: فقال محمد بن أبي العباس فيها، وذكر الأبيات كلها ونسبها إلى محمد ولم يذكر حماداً.

قال أبو الفرج مؤلف هذا الكتاب: هذا فيما أراه غلط من رواته، لما سمعوا ذكر زينب ولحن حكم، نسبوه إلى محمد بن أبي العباس، وقد ذكر هذا الشعر بعينه إسحاق الموصلي في كتابه، ونسبه إلى ابن رُهيمة، وهو من زيانب يونس الكاتب المشهورة، معروف ومنها فيه يقول:

فذكرت ذاك ليونس — فذكرته لأخ مصاف

[مجزوء الكامل]

وذكر إسحاق أن لحن يونس فيه خفيف رمل بالبنصر في مجرى الخنصر، وأن لحن حكم من الثقيل الأول بالبنصر، قال محمد بن يحيى: ولمحمد بن أبي العباس في زينب أشعار كثيرة مما غنى فيها المغنون، منها:

(١) تشوفي لك: ظهوري لثربني وأراك.

(٢) الاشتراف: الانتصاب.

(٣) الأشافي، الواحدة إشفى، بكسر الهمزة: المثقب.

صوت

زينبُ مالي عنك من صبرٍ وليس لي منك سوى الهجرِ
 وجهك واللّه وإن شقّني^(١) أحسنُ من شمسٍ ومن بدرِ
 لو أبصرَ العاذل منك الذي أبصرته أسرع بالعدرِ
 [السريع]

الغناء في هذه الأبيات لحكم خفيف رمل بالوسطى .

وأخبرني محمد بن يحيى، قال: حدّثنا الغلابي، قال: حدّثني عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد، قال: دخل دحمان المغني مولى بني مخزوم - وهو المعروف بدحمان الأشقر - على محمد بن أبي العباس وعنده حكم الوادي، فأحضر محمد عشرة آلاف درهم، وقال: من سبق منكما إلى صوت يُطربني فهذه له؛ فابتدأ دحمان فغنى في شعر قيس بن الخطيم:

حوراء ممكورة^(٢) منعمة^(٣) كأنما شفّ^(٤) وجهها ترفُ

[المنسرح]

فلم يهشّ له، فغنى حكم في شعر محمد في زينب:

زينبُ مالي عنك من صبرٍ وليس لي منك سوى الهجرِ
 [السريع]

قال: فطرب وضرب برجله، وقال له: خذها، وأمر لدحمان بخمسة آلاف درهم، قال: ومن شعره فيها الذي غنى فيه حكم أيضاً:

صوت

أحببتُ من لا يُنصفُ ورجوتُ من لا يُسعفُ
 نسبٌ تليد بيننا وودادنا مستطرفُ
 باللّه أحلفُ جاهداً ومصدقٌ من يحلفُ
 إنني لأكتمُ حبها جهدي لما أتخوفُ
 والحبّ ينطق إن سكّ تّ بما أجنّ^(٥) ويُعرفُ

[مجزوء الكامل]

(١) شفني: أضناني فأهزلني .

(٢) الممكورة من النساء: المرتوية الساقين .

(٣) المنعمة من النساء: المرفهة .

(٤) شفّ: كشف .

(٥) أجنّ: أخفي، أستر .

الغناء في هذه الأبيات لحكم الوادي، ولحنه ثقیل أول. قال: ومن شعر محمد فيها الذي غنى فيه حكم:

صوت

أسعد الصبَّ يا حكم	وأعنه على الألم
وأدر في غنائيه	نغمات تشبه النعم
أجميل بأن تُرى	نائماً وهو لم ينم
لائمي في هواي زيـ	نب أنصف ولا تلم
لبس الجسم حلة	في هواها من السقم

[مجزوء الخفيف]

غناه حكم، ولحنه هزج.

وقد أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا أبو أيوب المديني، قال: قال بُريه الهاشمي حدّثني من حضر محمد بن أبي العباس وبين يديه حماد وحكم الوادي يغنيه، وندماؤه حضور، وهم يشربون حتى سكر وسكروا، فكان محمد أول من أفاق منهم، فقام إلى جماعتهم ينبههم رجلاً رجلاً، فلم يجد فيهم فضلاً سوى حماد عجرد وحكم الوادي، فأنبتها، وابتدؤوا يشربون، فقال عجرد على لسانه، وغنى فيه حكم:

أسعد الصبَّ ^(١) يا حكم	وأعنه على الألم
أجميل بأن تُرى	نائماً، وهو لم ينم

[مجزوء الخفيف]

هكذا ذكر هذا الخبر الحسن، ولم يزد على هذين البيتين شيئاً.

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنشدني أبو خليفة وأبو ذكوان والغلابي لمحمد بن أبي العباس في زينب بنت سليمان بن علي:

يا قمر المربد ^(٢) قد هجت ^(٣) لي	شوقاً فلما أنفك بالمربد
أراقب الفرقد ^(٤) من حُبكم	كأنني وكلت بالفرقد
أهيم ^(٥) ليلي ونهاري بكم	كأنني منكم على مَوعِد

(٢) المربد: سوق.

(١) الصبّ: العاشق المتيم.

(٤) الفرقد: النجم يُهتدى به.

(٣) هجت لي شوقاً: حرّكت مشاعري.

(٥) أهيم ليلي ونهاري: أمشي على غير هدّى.

عُلِقْتُهَا^(١) رِيًّا^(٢) الشوى^(٣) طفلةً قريبة المولد من مَولدي
جَدِّي إِذَا مَا نُسِبَتْ جَدَّهَا في الحسب الثاقب^(٤) والمحتد^(٥)
واللَّه ما أَنْسَاكِ في خلوتي يا نورَ عيني ولا مشهدي
[السريع]

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثني
المدائني قال: كان محمد بن أبي العباس نهايةً في الشدة، فعاتبه يوماً المهدي، فغمر
محمد ركابه حتى انضغط رجل المهدي في الركاب، ثم لم تخرج حتى ردَّ محمد
الركاب بيده، فأخرجها المهدي حينئذٍ.

أخبرني محمد، قال: حدثنا أبو ذكوان، قال: حدثنا العُتبي، قال: كان
محمد بن أبي العباس شديداً قوياً جواداً ممدحاً، وكان يلوي العمود ثم يلقيه إلى أخته
رَيْطَةً فترده، وفيه يقول حماد عجرد:

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا يا أكرم الناس أعراقاً^(٦) وعيدانا
فأنت أكرم من يمشي على قدم وأنضر الناس عند المحل^(٧) أغصانا
لو مَجَّ^(٨) عودٌ على قوم عُصارتِه لَمَجَّ عودُك فينا المِسك والبانا^(٩)
[البسيط]

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا الغلابي، قال: حدثني محمد بن
عبد الرحمن قال: لما أراد محمد بن أبي العباس الخروج عن البصرة لما عزله
المنصور عنها، قال:

أيا وقفه البين ماذا شبيب من النار في كبد المغمرم!
رمى جوانحه إذ رميت بقوسٍ مُسددة الأسهم
وقفنا لزينب يوم الوداع على مثل جمر الغضى^(١٠) المضرَم^(١١)

(١) علقتها: عشقتها.

(٢) الريا: الممتلئة.

(٣) الشوى: الأطراف، اليدان والرجلان.

(٤) الحسب الثاقب: المشهور، المعروف.

(٥) المحتد: الأصل.

(٦) الأعراق: الأحساب الشريفة.

(٧) المحل: الجفاف، القحط.

(٨) مَجَّ العود: علكه بفمه ثم تفلّه.

(٩) البان، الواحدة بانه: ضرب من الشجر يمتاز بليونته ونعومته ورقته.

(١٠) جمر الغضى، الغضى يدوم طويلاً عند الاحتراق، وجمر الغضى: ما تحول من الأغصان إلى فحم
يشتعل بعد الاحتراق.

(١١) المضرَم: الملتهب، المشتعل.

فمن صَرَف دمعٍ جرى للفراق لَمَمْتَزَجٍ بَعْدَهُ بالدم
[المتقارب]

أخبرني محمد، قال: حدثنا الفضل بن الحُبَاب، قال: حدثنا أَبُو عَثْمَانَ المَازِنِيّ، قال: قال حماد عجرد يَشَبُّ بِزَيْنَب بنت سليمانَ على لسان محمد بن أَبِي العباس:

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُسْتَهَامٍ^(١) مَعْدَبٍ بحب غزالٍ في الحِجَالِ^(٢) مُرَبَّبٍ^(٣)
يراه فلا يستطيع رَدًّا لَطَرْفِهِ إِلَيْهِ حِذَارَ الكَاشِحِ^(٤) المَتَرَقِبِ
ولولا مَلِيكٌ نَافِذٌ فِيهِ حُكْمُهُ لَأَدْنَى وَصَالاً ذَاهِباً كُلَّ مَذْهَبٍ
تَغَبَّرْتُ خَلْفَ اللّهُو بَعْدَ صِرَاوَةٍ^(٥) فَبَحْتُ بِمَا أَلْقَاهُ مِنْ حَبِّ زَيْنَبِ
[الطويل]

قال: فبلغ الشعرُ محمد بن سليمان، فنذر دمه، ولم يقدر عليه لمكانه من محمد.

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن، قال: مات محمد بن أَبِي العباس في أول سنة خمسين ومائة، فقال حماد يرثيه بقوله:

صَرْتُ لِلدَّهْرِ خَاشِعاً مُسْتَكِيناً بعد ما كُنْتُ قَد قَهَرْتُ الدَّهَوْرَا
حِينَ أَوْدَى^(٦) الْأَمِيرَ ذَاكَ الَّذِي كُنْتُ بِهِ حَيْثُ كُنْتُ أَدْعَى أَمِيرَا
كُنْتُ إِذْ كَانَ لِي أَجِيرُ بِهِ الدَّهْرَ رَفَقْتُ صَرْتُ بَعْدَهُ مُسْتَجِيرَا
يَا سَمِيَّ النَّبِيِّ يَا ابْنَ أَبِي الْعَبِّ سَاسَ حَقَّقْتَ عِنْدِي الْمَحْذُورَا
سَلَبْتَنِي الْهَمُومُ إِذْ سَلَبْتَنِي لِكِ سُرُورِي فَلَسْتُ أَرْجُو سُرُورَا
لَيْتَنِي مَتَّ حِينَ مَوْتِكَ لَا بَلْ لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَكَ الْمَقْبُورَا
أَنْتَ ظَلَلْتَنِي الْغَمَامُ بِنُعْمَا كُ وَوَطَّأْتُ لِي وَطَاءً وَثِيرَا^(٧)
لَمْ تَدَعْ إِذْ مَضَيْتَ فِينَا نَظِيرَا مِثْلَ مَا لَمْ يَدَعْ أَبُوكَ نَظِيرَا
[الطويل]

خبر موت محمد بن أَبِي العباس:

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا

(١) المستهَام: الولهان، العاشق.

(٢) الحِجَال، الواحدة حجلة: الموضع المخصص للعروس يزينُ بفَاخِر الثياب وجميل الستائر.

(٣) المَرَبَّب: المربى.

(٤) الكَاشِح: المَبْغُض أو العدو.

(٥) الصَّرَاوَة: طول المكث.

(٦) أَوْدَى: لقي حتفه، مات.

(٧) الوطاء الوثير: الأمر السهل والموضع اللين.

محمد بن سَلَام الجُمُحِي، قال: كان خَصِيب الطَّيِّب نصرانيًّا نبيلاً، فسقى محمد بن أبي العباس شربةً دواءً، وهو على البصرة، فمرض منها، وحُمِلَ إلى بغدادَ فمات بها، واتَّهم خَصِيب فحبس حتى مات، وسئل عن علته وما به، فقال: قال جالينوس: إن مثل هذا لا يعيش صاحبه، فقليل له: إن جالينوس ربما أخطأ، فقال: ما كنت قطَّ إلى خطئه أحوج مني اليوم، وفي خَصِيب يقول ابن قُتَيْبَر:

ولقد قلتُ لأهلي إذ أتوني بخَصِيبٍ
ليس واللَّه خَصِيبٌ للذي بي بطبيبٍ
إنما يعرف ما بي من به مثلُ الذي بي

[مجزوء الرمل]

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس، قالوا: حدثنا عمر بن شَبَّة قال: حدثني عبد الله بن شيبان وابن داحية، وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة، قال: حدثني أبي عن إسحاق، قال: لما مات محمد بن أبي العباس طلب محمد بن سليمان حماد عجرد لما كان يقول في أخته زينب من الشعر، فعلم أنه لا مُقَامَ له معه بالبصرة، فمضى فاستجار بقبر أبيه سليمان بن علي، وقال فيه:

من مقر بالذنب لم يوجب اللَّـه عليه يسىء إقرارا
ليس إلا بفضل حلمك يعتدَّ بلاء^(١)، وما يُعِدُّ اعتذارا
يا ابن بنت النبيٍّ أحمدا لا أجد علُّ إلا إليك منك الفرارا
غير أني جعلتُ قبرَ أبي أيُّو ب لي من حوادث الدهر جارا
وحرِّي من استجار بذاك الـ قبر أن يأمن الردى^(٢) والعثارا^(٣)
لم أجد لي من العباد مُجيراً فاستجرتُ التراب والأحجارا
لستُ أعتاضُ منك في بغية العزِّ قحطان كلِّها ونزارا
فأنا اليوم جارٌّ من ليس في الأر ض مجيرٌ أعزُّ منه جوارا
يا ابن بيت النبيٍّ يا خيرَ من حطَّت إليه الغواربُ^(٤) الأكوارا^(٥)
إن أكن مذنباً فأنت ابن من كا ن لمن كان مُذنباً غفَّارا

(٢) الردى: الهلاك، الموت.

(١) البلاء: الإنعام.

(٣) العثار: الوقوع في المهالك، الكبوة.

(٤) الغوارب، الواحد غارب: أعلى الكتف والظهر.

(٥) الأكوار، الواحد كور، بضم الكاف: الرحل وأدواته للبعير.

فاعفُ عني قدرتَ وخيرُ الـ عفو ما قلتَ كن فكان اقتدارا
لو يُطيل الأعمار جارَ لعزٍّ كان جاري يطوّل الأعمارا
[الخفيف]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري ومحمد بن عمران الصيرفي، قالاً: حدثنا
الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثني علي بن الصباح، قال: كان محمد بن سليمان قد
طلب حماد عجرد بسبب نسيبه بأخته زينب، ولم يكن يقدر عليه لمكانه من محمد بن أبي
العباس، فلما هلك محمد جدّ ابن سليمان في طلبه، وخافه حماد خوفاً شديداً، فكتب إليه:
يا ابن عمّ النبيّ وابن النبيّ لعلّي إذا انتمى وعليّ
أنتَ بدرُ الدجى المضيء إذا أظـ لم واسودّ كلُّ بدرٍ مُضيّ
وحياً^(١) الناس في المَحول^(٢) إذا لم يُجدّ غيثُ الربيع^(٣) والوسميّ^(٤)
إن مولاك قد أساءَ ومن أعـ تب من ذنبه فغير مُسيّ
ثم قد جاء تائباً فاقبل التوـ بة منه يا ابن الوصي الرضيّ^(٥)
[الخفيف]

قال: ومضى إلى قبر أبيه سليمان بن علي فاستجار به، فبلغه ذلك، فقال: واللّه
لأبْلَنَ قبر أبي من دمه، فهرب حماد إلى بغداد، فعاذ بجعفر بن المنصور، فأجاره
فقال: لا أرضى أو تهجوَ محمد بن سليمان، فقال يهجوّه:

قل لوجه الخصي ذي العار إنـ سوف أهدي لزينب الأشعارا
قد لعمري فررتُ من شدّة الخو ف وأنكرتُ صاحبيّ نهّارا
وظننتُ القبور تمنع جاراً فاستجرت الترابَ والأحجارا
كنتُ عند استجارتي بأبي أيـ وبّ أبغي ضلالةً وخسارا
لم يُجرني ولم أجد فيه حظاً أضرم اللّه ذلك القبر نارا
قال: وقال فيه:

له حَزْمٌ بُرغوْثٌ وحِلْمٌ مُكاتبٌ وغُلْمَةٌ^(٦) سِنّورٍ بليّـلٌ تُولولُ^(٧)
[الطويل]

(١) الحيا: المطر. (٢) المحول، الواحد محل: الجذب.

(٣) غيث الربيع: مطره الذي يحيي الطبيعة.

(٤) الوسمي: مطر الربيع الأول، سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات.

(٥) الوصي الرضي: هو سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٦) الغُلْمَةُ: شدّة الشبق. (٧) تولول: تموء بصوت مرتفع.

وقال فيه يهجوهُ:

يا ابنَ سليمانَ يا محمدُ يا
 إن فخرتْ هاشمٌ بمكرُمةٍ
 لؤمك بادٍ لمن يراك إذا
 ليتك إذ كنتَ ضيقاً نكراً
 جدّاك جدّان لم تُعب بهما
 من يشتري المكرّات بالسمن
 فخرت بالشحم منك والعُكن^(١)
 أقبلت في العارضين والدّقن
 لم تُدع من هاشم ولم تكن
 لكنما العيبُ منك في البدن
 [المنسرح]

قال: فبلغ هجاؤه محمد بن سليمان، فقال: واللّه لا يُفلتني أبداً، وإنما يزداد حتفاً بلسانه، ولا واللّه لا أعفو عنه ولا أتغافل أبداً. وقد اختلف في وفاة حمّاد.

خبر مقتله:

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني أبو داحّة وعبد الملك بن شيبان أن حماداً هرب من محمد بن سليمان فأقام بالأهواز مستتراً، وبلغ محمداً خبره، فأرسل مولى له إلى الأهواز، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة.

وأخبرني أحمد بن العباس وأحمد بن يحيى ومحمد بن عمران، قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن أحمد بن خلّاد أن حماداً نزل بالأهواز على سليم بن سالم فأقام عنده مدة مستتراً من محمد بن سليمان، ثم خرج من عنده يريد البصرة، فمر بشير زاذان في طريقه، فمرض بها، فاضطر إلى المّقام بها بسبب عِلته، فاشتدّ مرضه، فمات هناك ودُفن على تلعة^(٢)، وكان بشار بلغه أن حماداً عليل لما به، ثم نُعي إليه قبل موته، فقال بشار:

لو عاش حماد لهونابه لكنه صار إلى النار
 [السريع]

شعر له وهو يُحتضر:

فبلغ هذا البيت حماداً قبل أن يموت وهو في السياق^(٣)، فقال يردّ عليه:

(١) العُكن، الواحدة عُكنة: ما انطوى وتثنى من لحم البطن.
 (٢) التلعة من الأرض: المرتفع منها.
 (٣) السياق: النزاع الأخير.

نُبئتُ بشاراً نَعاني وللد موت براني الخالقُ الباري
يا ليتني متّ ولم أهجه نعم ولو صرتُ إلى النارِ
وأَيُّ خِزي هو أخزي من أن يقال لي يا سبَّ بشارِ
[السريع]

قال: فلما قتل المهدي بشاراً بالبطيحة^(١) اتفق أن حُمِلَ إلى منزله ميتاً، فدفن مع حماد على تلك التلعة، فمرَّ بهما أبو هشام الباهليُّ الشاعر البصري الذي كان يُهاجي بشاراً، فوقف على قبريهما، وقال:

قد تبع الأعمى قفا عجرد فأصبحا جارين في دارٍ
قالتْ بقاعُ الأرض لا مرحباً بقرب حماد وبشَّارِ
تجاورا بعد تنائيهما^(٢) ما أبغضَ الجار إلى الجارِ!
صارا جميعاً في يدي مالك في النار، والكافرُ في النارِ
[السريع]

صوت

هل قلبُك اليوم عن شنباء^(٣) منصرفٌ وأنتَ ما عشتَ مجنون بها كلفُ^(٤)
ما تُذكر الدهرَ إلا صدّعت كبداً حرّى عليك وأذرت دمعاً تكفُ^(٥)
[البسيط]

ذكر أبو عمرو الشيباني أن الشعر لحريث بن عَنَاب الطائي، وذكر عمرو بن بانه أنه لإسماعيل بن يسار النساء، والصحيح أنه لحريث، والغناء لغريض ثقيّل أول بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشاميُّ أنه لمالك.

(١) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

(٢) تنائيهما: تباعدهما.

(٤) كلف: عاشق متيم.

(٥) دمعَة تكفُ: تذرف.

(٣) شنباء من النساء: هي بيضاء الأسنان حسنتها.

أخبار حُرَيْث ونسبه

حُرَيْث بن عَنَاب (بالنون) ابن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف بن عُنين بن نائل بن أسودان، وهو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وليس بمذكور من الشعراء، لأنه كان بدوياً مُقلّاً غير متصدّ بالشعر للناس في مدح ولا هجاء، ولا يعدو شعره أمر ما يخصه.

أخبرني بنسبه وما أذكره من أخباره عمي عن الحزنبُل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني، عن أبيه، وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين الأولين قوله:

يدوم ودي ^(١) لمن دامت مودّته	وأصرف النفس أحياناً فتصرف
يا ويح كل محبّ كيف أرحمه	لأنني عارف صدق الذي يصف
لا تأمنن بعد حُبي خُلة ^(٢) أبداً	على الخيانة إن الخائن الطرف ^(٣)
كأنها ريشة في أرض بلقعة	من حيثما واجهتها الريح تنصرف
يُنسي الخليلين ^(٤) طول النأي ^(٥) بينهما	وتلتقي طرف ^(٦) شتى فتألف ^(٧)

[البيسط]

قال أبو عمرو، قال حُرَيْث هذه القصيدة في امرأة يقال لها حُبَي بنت الأسود من بني بُحتر بن عَتود، وكان يهواها ويتحدّث إليها، ثم خطبها، فوعده أهلها أن يزوّجوه ووعدته ألا تُجيب إلى تزويج إلا به، فخطبها رجل من بني ثعل وكان موسراً فمالت إليه وتركت حُرَيْثاً، وقد خيّرت بينهما فاختارت الثعلبي، فتزوّجها، فطفق حُرَيْث يهجو قومها وقوم المتزوج بها من بني بُحتر وبني ثعل، فقال يهجو بني ثعل:

بني ثعل أهل الخنا^(٨) ما حديثكم لكم منطلق غاوٍ وللناس منطلق

(١) الودّ: الصّحة الصداقة.

(٢) الخُلة، بضم الخاء: الصّاحبة، الصديقة.

(٣) الطرف من الرجال: حديث النعمة.

(٤) الخليل: الصّاحب، الصديق.

(٥) النأي: البعد.

(٦) الطُرف: كلّ ما هو جديد.

(٧) تألف: تلتقي وتنسجم.

(٨) الخنا: الفاحشة قولاً وفعلًا.

كَأَنَّكُمْ مَعَزَى قَوَاصِعُ جِرَّةٍ^(١) مَنِ الْعِيَّ أَوْ طَيْرٌ بِخَفَانٍ يَنْعَقُ
دِيَافِيَّةٍ^(٢) قُلْفٌ^(٣) كَأَنَّ خَطِيبَهُمْ سِرَاةَ الضَّحَى فِي سَلْحِهِ يَتَمَطَّقُ^(٤)

[الطويل]

قال أبو عمرو: ولم يزل حريثٌ يهجو بني بُحتر وبني ثعل من أجل حُبِّي، فيينا هو ذات يوم بخيبر، وقد نزل على رجل من قريش، وهو جالس بفنائِه ينشد الشعر الذي قاله يهجو به بني ثعل وبني بُحتر ابني عتود، وبخير يومئذٍ رجل من بني جُشيم بن أبي حارثة بن جُدَي بن تدُول بن بُحتر، يقال له أوفى بن حُجر بن أسيد بن حُبِّي بن ثُرْملة بن ثرغل بن خثيم بن أبي حارثة عند بني أخت له من قريش، فمرَّ أوفى هذا بحريث بن عَنَاب وهو يُنشد شعراً هجا به بني بُحتر، فسمعه أوفى وهو يُنشد قوله:

وَإِنْ أَحَقَّ النَّاسَ طُرّاً إِهَانَةً عَتُودٌ يُبَارِيهِ فَرِيرٌ وَثَعْلَبُ
[الطويل]

العتود: التيس الهرم. والفَرِير: ولد الظبية. وبباريه: يفعل فعله. فدنا منه أوفى وقال: إني رجل أصمُّ لا أكاد أسمع، فتقرَّب إلي، فقال له: ومن أنت؟ فقال: أنا رجل من قيس، وأنا أهاجي هذا الحي من بني ثعل وبني بحتر، وأحبُّ أن أروي ما قيل فيهم من الهجاء، فأدنوه منه، وكانت معه هراوة قد اشتمل عليها، فلما تمكن من ابن عَنَاب جمع يديه بالهراوة ثم ضرب بها أنفه فحطمه، وسقط على وجهه ووثب القرشي على أوفى فأخذه، فوثب بنو أخته فانتزعوه من القرشي، وكاد أن يقع بينهم شر، وأفلت أوفى ودُوري ابن عَنَاب حتى صلح واستوى أنفه، فقال أوفى في ذلك:

لَا قَى ابْنِ عَنَابٍ بِخَيْبَرٍ مَا جَدَا يَنْزَعُ^(٥) اللَّئَامَ وَيَنْصُرُ الْأَحْسَابَا
فَضْرِبَتُهُ بِهَرَاوَتِي فَتَرَكْتُهُ كَالْحِلْسِ مَنْعَفَرِ الْجَبِينِ مَصَابَا
[الكامل]

قال: ثم لحق أوفى بقومه، فلما كان بعد ذلك بمدة اتهمه رجل من قريش بأنه

(١) قَوَاصِعُ جِرَّةٍ: يشبه الشاعر هؤلاء القوم بالناقة التي ترد جرتها إلى جوفها لتملاً فمها، لغبائهم وعيهم.

(٢) دِيَافِيَّةٌ: أي كأنهم يذبيون الدواء في الماء ليخثر.

(٣) الْقُلْفُ، بضم القاف، الواحد أَقْلَفٌ من الذكور: من لم يختن.

(٤) التَمَطَّقُ: محاولة المرء التلذذ بما يتذوقه.

(٥) يَنْزَعُ: يردع.

سُرق عبداً له وباعه بخير، فلم يزل القرشي يطلبه حتى أخذه وأقام عليه البينة، فحبس في سجن المدينة: وجُعِلَت للقرشي يده، فبعث ابن عَنَاب إلى عشيرته بني نِهَان، فأبوا أن يعاونوه، وأقبل عُرفاء بني بُحْتَر إلى المدينة يريدون أن يؤدوا صدقات قومهم فيهم حصن وسلامة ابنا معرّض، وسعدُ بن عمرو بن لأم، ومنصور بن الوليد بن حارثة، وجَبَّار بن أنيف، فلقوا القرشي وانتسبوا له، وقالوا: نحن نُعطيك العوض من عبدك ونُرضيك، ولم يزلوا به حتى قبل وخلقى سبيله، فقال حُرَيْث يمدحهم ويهجو قومه الأذنين من بني نِهَان:

لما رأيتُ العبد نِهَان تاركي بلماعة^(١) فيها الحوادث تخطرُ
نُصرتُ بمنصور وبابني معرّض وسعدٍ وجبارٍ بل اللّهُ يُنصرُ
وذو العرش أعطاني المودة منهم وثبتَ ساقي بعدما كدتُ أعثرُ
إذا ركب الناس الطريق رأيتهم لهم خابطٌ أعمى وآخر مُبصرُ
لكل بني عمرو بن غوثِ رباعة^(٢) وخيرُهم في الشرِّ والخيرِ بُحْتَرُ
[الطويل]

وقال أبو عمرو: مرَّ ابن عَنَاب بعدما أَسَنَ بنسوةٍ من بني قليع، وهو يتوكأ على عصاً فضحك منه، فوقف عليهنَّ، وأنشأ يقول:

هزئتُ نساء بني قُليع أن رأْتُ خلق القميص على العصا يتركعُ
وجعلنني هُزُؤاً ولو يعرفنني لعلمن أني عند ضيمي^(٣) أروعُ^(٤)
[الكامل]

خبر إغارته على قوم من بني أسد:

قال أبو عمرو: وكان حُرَيْث بن عَنَاب أغار على قوم من بني أسد فاستاق إبلاً لهم، فطلبه السلطان، فهرب من نواحي المدينة وخيبر إلى جبلين في بلاد طيء يقال لهما: مُرَى والشموس حتى غرَمَ عنه قومه ما طلب، ثم عاود، وقال في ذلك:

إذا الدين أودى بالفساد فقل له يدعنا وركناً من معدّ نصادمه
ببيض خفاف^(٥) مرهفاتِ قواطع^(٦) لداودَ فيها أثره وخواتمه

(١) اللّماعية: المغازة يلمع فيها السراب لخلوها من المياه في الصيف الحارّ.

(٢) رباعة: سيادة. (٣) ضيمي: شعوري بالظلم.

(٤) الأروع: الذي يُدهش لشجاعته ولحسن منظره.

(٥) البيض الخفاف: السيوف الرقيقة.

(٦) المرهفات القواطع: السيوف الرقيقة الشفار القاطعة.

وزرقٍ كستها ريشها مضرحية^(١) أثيث^(٢) خوافي^(٣) ريشها وقوادمه^(٤)
 إذا ما خرجنا خرّت^(٥) الأكم سجداً لعزّ علّا حيزومه^(٦) وعلاجمه^(٧)
 إذا نحن سِرنا بين شرقٍ ومغربٍ تحرك يقظانُ التراب ونائمه
 وتفزع مئاً الإنسان والجُنّ كلها ويُشرب مهجورُ المياه وعائمه
 ستمنع مُرّى والشموس أخاهما إذ حكم السلطان حُكماً يضاجمه^(٨)
 [الطويل]

يميل فيه . ويروى : يصاحمه ، وقال أبو عمرو : يصاحمه : يزاحمه . والأصح منه مأخوذ .

(١) المضرحية الواحد مضرحي : النسر .

(٢) الأثيث : الكثير العظم .

(٣) الخوافي : ريشات عند قوادم الطير ، إذا ضم جناحيه اختفت .

(٤) القوادم : أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح .

(٥) خرّت سجداً : خضعت وسجدت إذعاناً وطاعة .

(٦) الحيزومة : قصد الشاعر بذلك : المرتفع من الأرض والصعب المرتقى .

(٧) العلاجم ، الواحد علجم من الإيل : الطويل .

(٨) يضاجمه الأمر : يُخالفه فيما حكم .

فهرس المحتويات

٥	أخبار الحُصين بن الحُمام ونسبه
٥	مكانته في قومه
٥	وفود ابنه على معاوية
٧	شعره في لوم بني عمه على تجردهم لقتاله
١٠	رثاؤه نعيم بن الحارث
١٠	لومه بني حميس حين فارقوا قومه
١٢	الحصين والبرج بن الجلاس
١٤	غارته على بني عقيل وبني كعب
١٥	إدراكه الإسلام وشعره الدال على ذلك
١٦	موته ورثاء أخيه إياه
١٨	أخبار محمد بن يسير ونسبه
١٨	قصته مع والي البصرة
٢٠	قصة شاة منيع معه وهجاؤه إياها
٢٤	شعره إلى امرأة وقد كتبت إليه تُعاتبه
٢٥	هجاؤه أبا النجم المغني
٢٥	قصته مع صديق له يدعى داود
٢٧	أبيات له في شاة منيع
٢٧	شعر له في غلام
٢٨	شعر له في عمرو القصافي وقد عان مغنية
٢٨	إستعار حماراً من جار له فأبى عليه فقال شعراً يشكوه
٢٩	قصة جلة التمر وشعره
٣٠	قصته مع أحمد بن يوسف
٣٠	قصته مع ابن أبي عمرو المديني
٣٤	قوله في قصر خرب
٣٤	قوله في رثاء نفسه
٣٤	قصته مع داود بن أحمد بن أبي داود
٣٧	أبيات له في أهل الجدل
٣٩	هجاؤه أحمد بن يوسف

- ٣٩ قوله في ألواح الآبنوس
- ٤٠ شعره إلى بعض الهاشميين
- ٤٠ شعر له وقد أفاق من سكر
- ٤٣ أخبار ديك الجن ونسبه
- ٤٣ نسبه ونبذة في ترجمته
- ٤٣ قصيدته في هجاء ابن عمه
- ٤٦ قصته مع زوجة ورد
- ٥٠ شعره في غلامه بكر
- ٥٧ أخبار قيس بن عاصم ونسبه
- ٥٧ بعض صفاته
- ٥٨ سبب وأده لبناته
- ٦٠ وفوده على الرسول ﷺ
- ٧١ قصته مع عبادة بن مرثد
- ٧١ إسلامه
- ٧١ حديثه مع رسول الله ﷺ
- ٧٣ أخبار محمد بن حازم ونسبه
- ٧٤ قصيدته في مديح الشباب وذم الشيب
- ٧٥ بكاؤه الشباب أيضاً
- ٧٥ هجاؤه بعض بني حميد
- ٧٦ هجاؤه الحميدي أيضاً
- ٧٧ خانه محمد بن حميد فهجاه
- ٧٨ ردّه على من عابه بقصر شعره
- ٧٩ ترضاه صديق له فقال شعراً
- ٨٣ خبره مع إبراهيم بن المهدي
- ٨٤ خبره مع النوشجاني
- ٨٥ تمثل المتوكل بشعره حينما غاضبته قبيحة
- ٨٦ هجاؤه بني نمير
- ٨٨ خبره مع محمد بن زُبيدة
- ٨٩ أخبار ابن القصار ونسبه
- ٨٩ ثلبه جحظة وتنادر عليه
- ٩٠ خبره مع زوج البلوري
- ٩١ أخبار معبد ونسبه
- ٩١ خبره مع غلام من المدينة
- ٩٥ أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه

- شعره في جارية كان يتعشقها ٩٥
- هجاؤه لامرأته الأنصارية ٩٧
- قدومه بغداد وتشوقه إلى المدينة وشعره ٩٩
- شعره حين شرب خمراً ١٠٠
- أخبار أبي الأسد ونسبه ١٠٣
- شعره في جارية ترقبها فأخلفت ١٠٣
- سبب هجائه أحمد بن أبي دؤاد ١٠٤
- مدحه الفيض بن صالح ١٠٦
- مدحه حمدون بن إسماعيل وهجاؤه علي بن المنجم ١٠٦
- عتابه لأبي دلف لحجبه إياه ١٠٩
- رثاؤه إبراهيم الموصلي ١١٠
- أخبار قيس بن الحُدادية ونسبه ١١٣
- أغار على بني قُمير وقتل ابن عَش ١١٣
- أغار على هوازن وقتل أبا زيد وعروة ١١٥
- مدحه بني عدي بن عمرو من خُزاعة ١١٩
- هجرة خُزاعة لجذب أصابهم وشعر له في ذلك ١٢١
- أخبار ابن قُنبَر ونسبه ١٢٧
- هجاؤه مسلم بن الوليد ١٢٧
- رواية محمد بن سلام لشعره واعتراضه عليه ١٣٠
- شعر منسوب إليه أو للعتابي ١٣٠
- شعره في مرض موته ١٣١
- أخبار الأسود ونسبه ١٣٣
- شعره في معشوقته هند ١٣٣
- ولايته بيت المال ١٣٤
- قصته مع محبوبته مريم ١٣٤
- قصته في بيتين من شعره ١٣٥
- شعر لعلي بن الخليل ١٣٦
- أخبار علي بن الخليل ١٣٧
- شعره في يعقوب بن داود وابنِ عُلَاثة ١٣٩
- أخبار محمد الزف ١٤٧
- نسبه وبعض أخباره ١٤٧
- قوة حفظه وبراعته في الغناء ١٤٨
- أخبار أبي الشبل ونسبه ١٥٢
- رثاؤه لطبيب ١٥٣

- ١٥٤ عبثه بخالد بن يزيد
- ١٥٥ عرض شعره على المازني فذمه
- ١٥٦ خبره مع خمّار يهودي
- ١٥٧ قصته مع جاريتين
- ١٥٨ شعره في الشيب
- ١٥٩ شعره في جارية سوداء يحبها
- ١٥٩ هجاؤه جارية لهاشم النحوي
- ١٦٠ شعره في ذم المطر
- ١٦١ هجاؤه محمد بن حماد
- ١٦١ شعره في كبش كسر قنديله
- ١٦٧ أخبار عثعت ونسبه
- ١٧٢ أخبار عبد الله بن الزبير ونسبه
- ١٧٤ شعره حين عزل عبد الرحمن عن الكوفة
- ١٧٩ بقية أخبار عبد الله بن الزبير
- ١٧٩ شعره حين قتل هانئ بن عروة
- ١٨٤ رثاؤه لصديقه
- ١٨٦ رثاؤه يعقوب بن طلحة
- ١٨٧ دخوله المدينة مع عبد الرحمن بن الحكم
- ١٩١ خبره مع الحجاج
- ١٩٢ مدح ابن أم الحكم فلم يعطه فهجاه
- ١٩٣ شعره في مقتل عبد الله بن الزبير
- ١٩٤ هجاؤه عبد الله بن الزبير
- ١٩٤ مدحه بشر بن مروان
- ١٩٥ شعره لبشر بن مروان
- ١٩٦ شعره في أمير المؤمنين
- ٢٠٠ منعه عبد الرحمن من الخروج إلى الشام
- ٢٠٢ هروبه إلى معاوية
- ٢٠٢ مدحه إبراهيم بن الأشر
- ٢٠٤ أخبار ثابت قُطنة ونسبه
- ٢٠٤ صلاته الجمعة بالناس
- ٢٠٨ هجاء حاجب له
- ٢٠٩ شعره عن نفسه
- ٢١٢ هجاؤه لقتيبة بن مسلم
- ٢١٣ رثاؤه المفضل بن المهلب

٢١٤	كتابه إلى يزيد بن المهلب
٢١٦	خطب امرأة، فدفعه عنها جوير بن سعيد
٢١٦	رثاؤه يزيد بن المهلب
٢١٨	شعره في قومه
٢٢٠	أخبار كعب الأشقري ونسبه
٢٢٧	هروبه إلى عُمان
٢٢٨	شعره في مقتل بني الأهم
٢٣٠	شعر له فيه غناء
٢٣٢	شعره في المهلب وولده
٢٣٢	هجاؤه لأخيه وخبر ذلك
٢٣٣	مقتله
٢٣٦	أخبار العباس بن مرداس ونسبه
٢٣٧	خروجه إلى النبي ﷺ وإسلامه
٢٣٩	زوجته تزونه على إسلامه
٢٤٢	كتب عبد الملك كتاباً فيه شعر للعباس يتوَعَّده
٢٤٣	خبر قتل أخيه هريم
٢٤٤	خروجه لحرب بني نصر
٢٤٦	حربه مع بني زييد
٢٤٧	شعره في جلاء بني النضير وجواب خَوَات له
٢٥٠	رثاه أخوه بشعر
٢٥٠	دعاء النبي عليه السلام لأمته
٢٥٢	أخبار حماد عجرد ونسبه
٢٥٢	كان أبوه مولى لبني هند، وهجاء بشار له
٢٥٣	سبب مهاجاة بشار
٢٥٤	كان من كبار الزنادقة
٢٥٥	هجاء بشار له
٢٥٥	هجاء بشار له ولصديقه سليم
٢٥٦	دخل بينه وبين بشار رجل بصري
٢٥٩	هجاء بشار له
٢٥٩	هجاؤه لبشار
٢٦٠	إتصالة بالربيع
٢٦١	هجاؤه لبشار
٢٦١	شعره في قطرب
٢٦٢	كان أبو حنيفة صديقاً له

- ٢٦٤ كان من ندماء الوليد بن يزيد
 ٢٦٤ إجتماعه بوجوه البصرة
 ٢٦٦ مديحه لجلة من أبناء ملوك فارس
 ٢٦٧ حريث بن أبي الصلت يعيبه بالبخل
 ٢٦٨ خبره مع غلام أمرد
 ٢٦٩ شعره في جوهر
 ٢٦٩ رثاؤه للأسود بن خلف
 ٢٧٠ هجا أبا عون مولى جوهر بشعر
 ٢٧٢ هجا بشاراً ببیت من الشعر
 ٢٧٣ راوية بشار يُنشد شعره لحماذ
 ٢٧٥ هجاء بشار أكثر مما هجاء هو
 ٢٧٥ شعره في جارية
 ٢٧٦ شعره في محمد بن طلحة
 ٢٧٩ خبره مع سعاد الجارية
 ٢٨٠ خبره مع غلام بعث به إليه مطيع
 ٢٨٢ هجاؤه عيسى بن عمرو
 ٢٨٣ هجا حشيشاً الكوفي
 ٢٨٤ هجا أبا عون
 ٢٨٦ شعره في يحيى بن زياد
 ٢٨٧ شعره في عيسى بن عمرو
 ٢٨٩ شعره في ولد لبشار
 ٢٨٩ قال شعراً حين سمع بيتي مطيع
 ٢٩٠ إستنجاهه محمد بن أبي العباس وعداً
 ٢٩٠ هجاؤه مطيع بن إياس
 ٢٩٤ خطبته له
 ٢٩٨ خبر موت محمد بن أبي العباس
 ٣٠١ خبر مقتله
 ٣٠٢ شعر له وهو يُحتضر
 ٣٠٣ أخبار حريث ونسبه
 ٣٠٥ خبر إغاراته على قوم من بني أسد
 ٣٠٧ فهرس المحتويات